الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة

بعنـــ

جهود الزمخشري النحوية والبلاغية من خلال تفسيره الكشاف

إعداد الطالب:

مكي عبد الكريم

إشراف الأستاذ:

أ.د. بوعلي عبد الناصر

أعضاء لجنة المناقشة

- أ.د. سيدي محمد غيثري	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
- أ.د. عبد الناصر بوعلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
- أ.د. عبد القادر سلامي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
- أ.د. أحمد عزوز	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	عضوا
- أ.د. قطاوي لخضر	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشلف	عضوا
- أ.د. بن يمينة بن يمينة	أستاذ التعليم العالي	جامعة سعيدة	عضوا

السنة الجامعية : 1437-1438هـ/2016-2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (3) [الفتح:1-3]
صدق الله العظيم

الإهداء

إلى عالم الدنيا ابن مرزوق الخطيب دفين المسجد الكبير بتلمسان...
إلى من سمته أمه (أبا الفضل) وسماه جده لوالدته محمدا تيمنا بسيد الوجود ، ففرج الله عنه ما أصابه.
إلى فارس الكراسي والمنابر سليل الأكابر سيد العلماء الأخيار وإمام الأئمة في عصره دون منازع.
إلى من تعلّق بتلمسان فقال:

بلد الجدار ما أمر نواها كلف الفؤاد بحبها وهواها
يا عاذلي كن عاذري في حبها يكفيك منها ماؤها وهواها

إلى الذي أجمع الناس على فضله من المغرب إلى الديار المصرية، واشتهر ذكره في البلاد، فكان بذكره تطرز المجالس، وجعل الله تعالى حبه في قلوب العامة والخاصة فلا يذكر في مجلس إلا والنفوس مشوقة.
إلى المحدث الثقة المحقق، إمام عصره وورع زمانه وفاضل أقرانه، أعجوبة أوانه وفاروق زمانه، ذي الأخلاق المرضية، والأحوال الصالحة السنية، والأعمال الفاضلة الزكية، أبي عبد الله محمد بن مرزوق ،شيخ العلماء في أوانه، وإمام الأئمة في عصره وزمانه.
هذه شهادة تلميذك الثعالبي الذي عاصرك ودرس عليك ننقلها للأجيال بأمانة ليعرفوا مكانتك العلمية في الأقطار الإسلامية.

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر

هكذا وصفه بعض العلماء، وهو فوق ذلك كله.
إلى من تعلق القلب به ، وازددت شوقا للقائه.
إليك أيها العالم النحرير نهدي هذا العمل المتواضع .

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب بلسان عربي مبين، تحدى به الإنس والجن وجعله معجزا إلى يوم الدين.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد ،وعلى آله وصحبه البررة الكرام .

وبعد: فلا جرم أن علماءنا الأوائل أعجبوا بما كتب الزمخشري فأثنوا عليه خيرا رغم انتقادهم اللاذع لمذهبه الاعتزالي، حيث قال عنه ابن خلدون في مقدمته:" ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة.... وحث ابن خلدون على قراءة الكشاف ليستفيد المتعلم من بلاغة الزمخشري،ومن لطائف معان يدق فيها مباحث للفكر، ومن غوامض أسرار، محتجبة وراء أستار...لا يهتدي إليها إلاّ الخواص.

وهذا أبو حيان الأندلسي يثني خيرا على ما كتب الزمخشري ، فقال معلقا على مقدمة كتاب الكشاف التي هزّت مشاعره ، ولله در أبي القاسم الزمخشري "وأنت ترى هذا الكلام وما احتوى عليه من الترصيف الذي يبهر بجنسه الأدباء، ويقهر بفصاحته البلغاء، وهو شاهد له بأهليته للنظر في تفسير القرآن، واستخراج لطائف الفرقان....ولم يقتصر على هذا الثناء بل استطرد قائلا: " وهذا الزمخشري..... أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير.

وقارن أبوحيان بين تفسيري الزمخشري وابن عطية فقال:" وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص. وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص مع نصرة مذهبه.

هذه شهادة أبي حيان في سبق الزمخشري لكثير من العلوم ....وحتى يتسنى لنا معرفة أبي حيان فأكتفي بشهادة علمائنا المغاربة قي أبي حيان ، وتفوقه في شتى العلوم حيث قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة "وأبو حيان من العلماء الراسخين في العلم ،نسيج وحده في ثقوب الذهن، وصحة الإدراك، والاضطلاع بعلم العربية والتفسير وطريق الرواية، إمام النحاة في زمانه غير مدافع....

وقال عنه تلميذه ابن مرزوق الخطيب التلمساني دفين المسجد الكبير بتلمسان العامرة :" هو شيخ النحاة بالديار المصرية، وشيخ المحدثين بالمدرسة المنصورية، انتهت إليه رئاسة التبريز في علم العربية واللّغة والحديث، سمعت عليه وقرأت.... نقلا من كتاب أزهار الرياض للمقري التلمساني رحمه الله تعالى.

لقد كان للزمخشري في فهمه لحروف القرآن ، والبحث عن خصائصها نظرات صائبة ، وأفكار رائدة بدت واضحة في تحليله لبعض آي القرآن الكريم ، وظهرت متفرقة في ثنايا تفسيره الكشاف حيث نجد حروف القرآن هي حروف العرب نفسها لكن حينما دخلت في كلمة منه كانت كاللآلئ ،وحينما سلكت في نظمه تحولت إلى جواهر، فالقرآن الكريم يتخير حروفه صافية الذوق ، سهلة في مخارجها ، عذبة في أصواتها ، حتى تكون سهلة على اللسان لذيذة السماع على متلقيها، نازلة على أحسن هيئة في الإيقاع شديدة البعث لما تتضمنه من المعاني والأغراض ، وقد استخدام القرآن حروف المعاني على وفق الحاجة فلم تكن بالزيادة التي ترهق السامع أو تشعره بالملل ، وكان كل حرف في موضعه بحيث لا يستغنى عنه ،ولا يمكن أن يستبدل به غيره،والشواهد على ذلك في القرآن كثيرة ....

بجر فهي تختص العرب، كلام فهم وفي المعاني إبراز الجر دور أساسي في ولحروف بصرية؛ لأنّها تجر معاني الأفعال تسمية الجر) (بحروف وتسميتها عليها تدخل التي الأسماء بزيد. فإن (الباء) من تمام معنى المرور معنى بزيد فاتصل مررت:قلت إذا لأنك الأسماء إلى المرور ؛لأن الفعل قاصر عن معنى الجواز ، فينجبر ذلك النقصان بزيادة الباء ؛ لأن الأفعال التي قبلها ضعفت عن وصولها وإفضائها إلى الأسماء التي بعدها...

وأنها تعمل الجر فيما بعدها ظاهرا أو مقدرا أو محليا كما قيل.

ومن أجل هذا سماها الكوفيون:(حروف الإضافة)؛ لأنها تضيف معاني الأفعال وتربطها في تحدث لأنها الصّفات) ؛ (حروف والفعل، ويسمونها الاسم بين بما بعدها، فهي تربط فهي تقع صفات لما قبلها من النكرات. كما يعبر عنها غيرها ظرفية أو من صفة الاسم الكوفيون بـ:(حروف الخفض) لأن اللسان ينخفض أي يستفيل طرفه عند النطق بالكسرة، وإنما اختص الجر بالأسماء دون الأفعال؛ لأن الجر أصله أن يكون بالإضافة، والإضافة إلى الفعل لا تصح.

وإنّه مما لاشك فيه فالحديث عن حروف المعاني يفصح عن جانب هام من حياة اللغة العربية ، ولذلك نشأت العديد من الدراسات التي أولت الأدوات عناية واهتماما كبيرين نظرا لوظيفتها ضمن النسيج اللغوي العربي....

وقد فكرت في أمر الأدوات مليا واهتديت أن أعالج دلالاتها ووظيفتها ضمن تفسير القرآن الكريم للزمخشري، واقتصرت على بعض الحروف الجارة وهذا خشية الإطالة،ونظرا لما تحتله هذه الحروف من مساحة واسعة في الاستعمال، وذلك أملا في الوصول إلى:

- تحديد دلالاتها الحقيقية والمجازية، وإبراز كيفية استعمال القرآن الكريم لهذه الأدوات وأوجه الإعجاز المتربة عن هذا الاستعمال ، ثم كيف رآى هؤلاء المفسرون هذا الاستعمال ثم تبيان الوظائف التي تنوط بها هذه الحروف ضمن نسيج اللغة العربية والآراء العلمية التي تناولتها بالدراسة والتحليل.

وقد فرض عليّ هذا التساؤل المطروح اتباع منهج تكاملي يقوم أولا :

ـ على الوصف فقمت بتتبع السياقات القرآنية التي وردت فيها هذه الحروف حسب ما أدلى بها هؤلاء المفسرون ثم ملاحظتها وتحليلها، وثانيا محاولة إيجاد تبرير لما اتفقت عليه أو اختلفت فيه أراء المفسرين باتباع المنهج المقارن الذي تحرّك ضمنه الزمخشري وهو يوصل عدّته البلاغية توظيفا لمفرداتها في حقل قراءة القرآن وتفسيره.

وكانت عدتي في ذلك مجموعة من المصادر والمراجع القديمة والحديثة أهمها التفاسير التي تعد المدونة الأساسية للبحث وتتمثل في الكشاف والطبري والبحر المحيط والتحرير والتنوير زيادة على العديد من كتب النحو والبلاغة أبرزها الكتاب لسيبويه قديما ومغني اللبيب ومن العصر الحديث كتاب النحو الوافي لعباس حسن وكتاب معاني النحو لفاضل السامرائي وغيرها..

وقد سار بحثي في خطة بدأتها بمدخل حول الحروف. حيث عرفت فيه معنى الحرف ودوره في أداء المعنى العام للجملة.

ثم أربعة فصول خصصنا الفصل الأول فيه للتضمين الذي هو مسلك من مسالك اللغة العربية، وشعبة من شعبها؛ وميزة خصت به هذه اللغة حيث اختصها الله بهذا الميزة لمعرفة مستودعات أسرار يدق مسلكها....وتنبه "الزمخشري" إلى أهمية "التضمين ودوره في كتاب الله عزّ وجل.

بينما جاء الفصل الثاني موسوما بحرف الإلصاق الذي هو الأصل في معنى الباء وبقية المعاني تابعة لهذا المعنى. وأكثر ما ترد للإلصاق لما ذكر قبلها من اسم أو فعل بما انضمت إليه. فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله.

وأما الفصل الثالث فهو لحرف الاستعلاء الحقيقي والمجازي وكانت للزمخشري نظرات صائبة وضح فيه دلالات هذه المعاني الاستعلائية توضيح الناقد المتذوق سنعرفها في حينها.

وجاء الفصل الرابع الموسوم بحرف الوعاء الذي هو الأصل لهذا الحرف وبقية المعاني من استعلاء ومصاحبة تبع له وأما (في) فهي للوعاء، تقول: هو في الجراب، وفي الكيس، وهو في بطن أمه، وكذلك: هو في الغل، لأنه جعله إذ أدخله فيه كالوعاء له. وكذلك: هو في القبة، وفي الدار. وإن اتسعت في الكلام فهي على هذا، وإنما تكون كالمثل يجاء به يقارب الشيء وليس مثله.

وختمت عملي بخاتمة أوجزت فيها النتائج التي توصلت إليها

وهكذا فقد تعلق البلاغيون، بآراء الزمخشري في كثير مما ذهب إليه مرددين أقواله في كثير من مؤلفاتهم.فالزمخشري يعد رائدا في اكتشافه لكثير من صور الاستعارة الحرفية.

وأنّه أوّل من تنبّه إليها.

ولا بدّ أن أشير إلى ما اعتراني من الحرج والتهيب ، وأنا أعالج هذا الموضوع ، خشية التقول والتطاول على أعلامنا الميامين . وأعترف بالتقصير والعجز والكمال لله وحده.

وإذا كان من كمال الفضل شكر ذويه فأنني أتوجّه بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور بوعلي عبد الناصر الذي شجعني على المضي قدما في البحث ونفعني بتوجيهاته وملاحظاته القيمة، فجزاه الله عنا كل خير.

وأتوجّه بالشكر إلى كل من ساعدني في هذه الأطروحة ولو برأي بسيط فجزاهم الله خيرا والله أسأل العون والسداد ، وأن يعصمنا من الهوى ،ويجنبنا الخطل ،ويتقبل أعمالنا اللهم لا تجعل للهوى على عقولنا سبيلا، ولا للباطل على أعمالنا دليلاً.

مدخل حول الحرف

معنى الحرف في اللغة

(حرف) الحاء الراء والفاء ثلاثة أصول: حد الشيء، والعدول، وتقدير الشيء.
فأما الحد فحرف كل شيء حده، كالسيف وغيره.
ومنه الحرف، وهو الوجه.
تقول: هو من أمره على حرف واحد، أي طريقة واحدة. قال الله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج:11] (1)
أي على وجه واحد؛ وذلك أن العبد يجب عليه طاعة ربه تعالى عند السراء والضراء، فإذا أطاعه عند السراء وعصاه عند الضراء فقد عبده على حرف.
أي إذا لم ير ما يحب انقلب على وجهه، قيل: هو أن يعبده على السراء دون الضراء.
وقال الزجاج: على حرف أي على شك.
قال:وحقيقته أنه يعبد الله على حرف أي على طريقة في الدين لا يدخل فيه دخول متمكن، فإن أصابه خير اطمأن به. أي: إن أصابه خصب وكثر ماله وماشيته اطمأن بما أصابه ورضي بدينه، وإن أصابته فتنة اختبار بجدب وقلة مال انقلب على وجهه. أي: رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان.
وقال ابن عرفة: من يعبد الله على حرف أي على غير طمأنينة على أمر أي لا يدخل في الدين دخول متمكن.
" وفلان على حرف من أمره أي ناحية منه كأنه ينتظر ويتوقع، فإن رأى من ناحية ما يحب وإلا مال إلى غيرها.
وقال ابن سيده: فلان على حرف من أمره أي ناحية منه إذا رأى شيئا لا يعجبه عدل عنه.(2)
والحرف من الإبل: النجيبة الماضية التي أنضتها الأسفار، شبهت بحرف السيف في مضائها ونجائها ودقتها.

1.سورة الحج،الآية:11
2.ينظر: مقاييس اللغة 42/2 والمحكم 307/3

وتشبه بالحرف من حروف المعجم وهو (الألف) لدقتها، وتشبه بحرف الجبل إذا وصفت بالعظم؛وهو جانبه.
والأصل الثاني: الانحراف عن الشيء.
يقال انحرف عنه ينحرف انحرافا.
وحرفته أنا عنه، أي: عدلت به عنه. ولذلك يقال محارف، وذلك إذا حورف كسبه فميل به عنه، وذلك كتحريف الكلام، وهو عدله عن جهته. قال الله تعالى:﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: 46] (1) أي: تغييره.
والتحريف في القرآن والكلمة: تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه، فوصفهم الله بفعلهم.
" والتحريف: الميل بالشيء إلى الحرف، والحرف هو الجانب.
أي يعدلون بالكلم عن مواضعها فيسيرون بها في غير مسالكها، وهو تبديل معاني كتبهم السماوية. وهذا التحريف يكون غالبا بسوء التأويل اتباعا للهوى، ويكون بكتمان أحكام كثيرة مجاراة لأهواء العامة، قيل: ويكون بتبديل ألفاظ كتبهم.
وعن ابن عباس: ما يدل على أن التحريف فساد التأويل.وجيء بالمضارع للدلالة على استمرارهم." (2)
والأصل الثالث: المحراف، حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج.قال:
إذا الطبيب بمحرافيه عالجها زادت على النقر أو تحريكها ضجما*
وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفا، تقول: هذا في حرف ابن مسعود، أي: في قراءة ابن مسعود.
والحرف:القراءة
ابن سيده: والحرف القراءة التي تقرأ على أوجه، وما جاء في الحديث من قوله عليه

1.سورة النساء، الآية:46
2.التحرير والتنوير 143/6
* الضجم محركة: الميل والاختلاف.
وقيل: عوج في الفم، وميل في الشدق، وقد يكون عوجا في الشفة والذقن والعنق إلى أحد شدقيه.
ينظر:تاج العروس 533/32 وسر صناعة الإعراب 31/1

السلام : نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف (1)؛ أراد بالحرف اللغة.
قال أبو عبيد وأبو العباس. نزل على سبع لغات من لغات العرب.
والحرف في الأصل: الطرف والجانب، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء.
وحرفا الرأس: شقاه. وحرف السفينة والجبل: جانبهما، والجمع أحرف وحروف وحرفة.
والحرف أيضا في أعلاه ترى له حرفا دقيقا مشفيا على سواء ظهره.
وحرف كل شيء طرفه وشفيره وحده، ومنه حرف الجبل وهو أعلاه المحدد.
وحرف الشيء: ناحيته.(2)
وحرف الشيء عن وجهه: صرفه.
والحرفة والحرف بالضم: من المحارف وهو المحدود...وكل ما اشتغل به الإنسان وضرى به من أي أمر كان فإن العرب تسميه صنعة وحرفة يقولون: صنعة فلان أن يفعل كذا. وحرفة فلان أن يفعل كذا يريدون دأبه وديدنه.
وحرف في ماله، بالضم، حرفة: ذهب منه شيء.
والحرفة، بالكسر: الطعمة، والصناعة يرتزق منها، وكل ما اشتغل الإنسان به ... يسمى صنعة وحرفة، لأنه ينحرف إليها.(3)
ومنه قول عمر، رضي الله تعالى عنه: لحرفة أحدهم أشد علي من عيلته. (4)
والحرفة ها هنا ان يكون الرجل لا يتجر ولا يلتمس الرزق أو يكون محدودا لا يرزق إذا طلب.
والعيلة: الفقر. وأراد عمر أن إغناء الفقير منهم أيسر علي من إصلاح الفاسد.(5)

---

1. مصنف ابن أبي شيبة 137/6
2.ينظر: لسان العرب 41/9
3. ينظر:الفائق في غريب الحديث 275/1 والقاموس المحيط 799/1
4.الفائق في غريب الحديث 275/1
5. ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة 54/2
عن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: نزل القرآن على سبعة أحرف كل شاف كاف
ينظر: مصنف ابن أبي شيبة 137/6

معنى الحرف في الاصطلاح

الحرف من حروف الهجاء: معروف ، وتسمى الحروف الهجائية: "بحروف المباني"؛لأن الكلمة تبنى وتتكون صيغتها منها، فهي أساس بنية الكلمة.(1)

ويعرف سيبويه الحرف قائلا: ما(جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل) (2)
والحرف ما دل على معنى في غيره. ولم ينفك من اسم أو فعل يصحبه إلا في مواضع مخصوصة حذف فيها الفعل واقتصر على الحرف. (3)

وقيل: ما دل على معنى في غيره، وذلك الغير إما اسم وإما فعل، وليس للحرف معنى في نفسه، وأما الذي له معنى على الحقيقة هو الاسم، ومن ثم وجب أن لا يكون عاملا في غيره على الحقيقة، ووجب أن يكون الحرف عاملا في كل ما دل على معنى فيه؛ لأن الألفاظ تابعة للمعاني، فكما تشبث الحرف بما دخل عليه معنى، وجب أن يتشبث به لفظا، وذلك هو العمل.(4)

والحرف:الأداة التي تسمى الرابطة؛ لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كـ: عن وعلى ونحوهما، قال الأزهري: كل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني واسمها حرف ، وإن كان بناؤها بحرف أو فوق ذلك. (5)

1.ينظر: النحو الوافي 13/1
2. الكتاب لسيبويه 12/1
3.ينظر: المفصل في صنعة الإعراب 379/1
4.نتائج الفكر في النحو59/1
5. لسان العرب41/9

والقول عند النحاة بإن الحرف هو ما دل على معنى في غيره." وليس ذلك صحيحا صحة كاملة؛ لأن للحرف معنى يدل عليه، والنحاة أنفسهم يقولون: إن حرف (من) مثلا يفيد التبعيض أو الابتداء، وإن (إلى) تفيد الغاية ... إلخ فضلا عن أن الحرف نفسه يؤثر في الأسماء والأفعال؛ بحيث يغير معانيها أو يقلبها إلى النقيض، وأقرب مثال على ذلك قولنا: "رغب في، ورغب عن"، واستعمال حروف الجر استعمال سماعي في اللغات جميعها... إن حرف الجر الذي يكون في العربية شبه جملة لا يكفي فيه أن نقول: إنه "ما دل على معنى في غيره"؛ لأن له أهمية في الاستعمال اللغوي يحتاج معه إلى درس متأنٍّ.(1)

والحرف أداة في التركيب لا اعتبار لها ولا معنى إلا من خلال وظيفة الربط بين عناصر الكلام ،وهو بدوره هذا ،لا يقلّ شأنا عن الاسم والفعل في النهوض بالدلالة، والمساهمة في جمال النظم القرآني. (2)

وهو ثلاثة أقسام حرف مختص بالفعل، وحرف مختص بالاسم كحروف الجر، والأحرف التي تنصب الاسم وترفع الخبر. وحرف مشترك بين الأسماء والأفعال كحروف العطف، وحرفي الاستفهام. (3)

ومن خلال التعريفات السابقة من أجل الوصول إلى تعريف دقيق، ومحدد وواضح لمعنى الحرف تبيّن لنا أنّ جميع النحاة اتفقوا في تعريف الحرف الذي:(ما دل على معنى في غيره)

وهذا تعريف دقيق لمعنى الحرف اتفق عليه أغلب النحاة لذا يجب اتباعه، وكل من تعرّض للحرف لم يخرج عن المعنى العام لهذه التعريفات السابقة.

1.المدارس النحوية 292/1
2. قضايا اللغة في كتب التفسير للجطلاوي 521
3.جامع الدروس العربية 12/1

التنوع في تسمية حروف الجر

الجر لغة : الجذب والشد والاقتياد ، وهي مأخوذة من المادة اللغوية (جرر) جره يجره جرا، وجررت الحبل وغيره أجره جرا. وانجر الشيء: انجذب.(1) وقد أطلق النحاة على حروف الجر مصطلحات متعددة، وأسماء متنوعة وكلها تصب في معنى واحد وهو الجر والإضافة والصفة وحروف الخفض والأداة...

وفي الاصطلاح: نقل أو وصل ما قبل الجار إلى ما بعده ، من فعل أو شبهه وبحرف الجر يوصل الاسم بالاسم والفعل بالاسم ، كما لا يدخل حرف الجر إلا على الأسماء. وسميت حروف الجر؛ لأنها تجر معنى الفعل قبلها إلى الاسم بعدها، أو لأنها تجر ما بعدها من الأسماء، أي تخفضه.

وقيل: إنّها تجر معاني الأفعال إلى الأسماء ؛لأنك إذا قلت مررت بزيد فاتصل معنى المرور بزيد.
وقيل: تسميتها بالحروف باعتبار عملها فيكون من قبيل تسمية المؤثر باسم الأثركما سميت حروف الجزم لأنّ عملها الجزم. (2)
وتسمى:" حروف الخفض " أيضا لذلك ؛ لأنها لا تدخل إلا على الأسماء.
قال ابن الحاجب لأنها تجر معنى الفعل إلى الاسم، وقال الرضي بل؛ لأنها تعمل إعراب الجر كما قيل حروف النصب وحروف الجزم. وكذا قال الرضي.
والكوفيون يسمونها بحروف الإضافة ؛ لأنها تضيف الفعل إلى الاسم أي: توصله إليه وتربطه به؛(3) وذلك أن من الأفعال ما لا يقوى على الوصول إلى المفعول به، فقووه بهذه الحروف، نحو: عجبت من خالد، ومررت بسعيد. ولو قلت عجبت خالدا. ومررت سعيدا، لم يجز، لضعف الفعل اللازم وقصوره عن الوصول إلى المفعول به، إلا أن يستعين بحروف الإضافة.

1.ينظر:لسان العرب مادة جرر
2. العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية للجرجاني ص89
3.همع الهوامع 3/2 وجامع الدروس العربية 168/3

وتسمى بحروف الصفات؛ لأنها تحدث صفة في الاسم فقولك جلست في الدار دلت (في) على أن الدار وعاء للجلوس.

وقيل: لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات وإنما عملت لما تقدم من اختصاصها بما دخلت عليه.(1)

وتسمى أيضا حروف المعاني ؛لأنها تفيد معنى جديدا تجلبه معها ؛فمثلا:(من) تدل على الابتداء، و(على) تدل على الاستعلاء؛و(في) تدل على الظرفية، و(إلى) تدل على الانتهاء وهذه كلها حروف معنى. (2)

وحروف الربط نوعان، نوع يسمى: "حروف المعاني"، لأنه يفيد معنى جديدا يجلبه معه، ونوع ليس للمعاني، وإنما هو زائد أو مكرر، وكلاهما لتوكيد معنى موجود، مثل: (ما) الزائدة، وكذا (الباء)، و(من) وغيرهما من الحروف الزائدة ؛ لإفادة توكيد المعنى القائم ، والذين يعتبرون التوكيد معنى على الرغم من أنه ليس جديدا يدخلون هذا النوع في حروف المعاني.

وتسمى بحروف المعاقبة: لأنّه يستعمل أحدهما مكان الآخر بمثل معناه.أي:عقبه.

وأكثر الكوفيين يقتصر على تسمية الحروف: (أدوات).

ولهذا يعتبر حرف النداء من حروف المعاني التي ينوب كل منها عن جملة محذوفة، يذكر بدلا منها..

فحرف النداء ينوب عن جملة: أنادي أو: أدعو؛ وحرف الاستفهام ينوب عن جملة: أستفهم، وحرف العطف ينوب عن جملة: أعطف .... وهكذا.(3)

---

1. همع الهوامع 413/2
2. ينظر:تفسير الطبري 199/1 وتفسير الشعراوي2105/1
3. النحو الوافي 66/1

فإن قلت: من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون، نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك، فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر؟
قلت: أما (اللام) فللفصل بينها وبين (لام) الابتداء، وأما (الباء) فلكونها لازمة للحرفية والجر(1)
والحروف كلها مبنية وهي قليلة....ويقال لها حروف المعاني، كما أن حروف الهجاء يقال لها حروف المباني.
وحروف المعاني على خمسة أقسام: أحادية، وثنائية، وثلاثية، ورباعية، وخماسية. "أما الأحادية" فثلاثة عشر وهي: الهمزة والألف والباء والتاء والسين والفاء والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو والياء....(2)

وقد ذهب الكوفيون إلى جواز نيابة الحرف عن الحرف أي أن يقترض الحرف من الحرف الآخر معناه.
أما المالقي فقد وقف بين الفريقين موقفاً وسطاً حيث قال: " إن نيابة الحرف مكان الحرف الآخر موقوفة على السماع؛ لأن الحروف لا يوضع بعضها موضع بعض قياساً إلا إذا كان معناهما واحداً ومعنى الكلام الذي لا يدخلان عليه واحداً "
وغير خاف أن مذهب الكوفيين بعيد عن التكلف والتعسف ومن ثم فهو جدير بالإتباع
فمن الأنسب الاكتفاء به؛ لأنه عملي سهل، بغير إساءة لغوية، وبعيد من الالتجاء إلى المجاز، والتأويل... ؛ فلا غرابة في أن يؤدي الحرف الواحد عدة معان مختلفة.
ولا غرابة أيضًا في اشتراك عدد من الحروف في تأدية معنى واحد؛ لأن هذا كثير في اللغة، ويسمى:المشترك اللفظي.(3)

---

1. الكشاف 4/1
2. ينظر: الموجز في قواعد اللغة العربية 388/1
3. ينظر:النحو الوافي 542/2

لذا سوف نسوق أمثلة متنوعة لبعض الحروف التي تفيد معاني أصيلة ومعاني أخرى غير أصيلة اقترضتها من الحروف الأخرى.(1)
وإذا حروف الربط بنوعيها تخالف مخالفة تامة حروف المباني في المدلول والأثر.

والحق أن حرف الجر إن كان يدل على معنى، فإن هذا المعنى لا يتصور تصورا صحيحا إلا بارتباطه مع حدث من الأحداث.(2)
وحرف المبنى لا معنى له إلا للدلالة على الصوت فقط.*

---

1. ظاهرة التقارض في النحو العربي 266/1
2. التطبيق النحوي362/1
* النحاة يسمون الحروف التي هي قسم من أقسام الكلمة: "أدوات الربط" لأن الكلمة إما أن تدل على ذات، وإما أن تدل على معنى مجرد "أي: حدث"، وإما أن تربط بين الذات والمعنى المجرد منها.
فالاسم يدل على الذات، والفعل يدل على المعنى المجرد منها، والحرف هو الرابط. وهو يختلف اختلافا كاملا عن "الحرف الهجائي" الذي تبني منه صيغة الكلمة، كالباء، والتاء، والجيم.... وغيرها من سائر أحرف الهجاء، وتسمى لهذا أحرف البناء.
لهذا تسمى الحروف الهجائية: "بحروف المباني" لأن الكلمة تبنى وتتكون صيغتها منها، فهي أساس بنية الكلمة، وهي غير "حروف الربط"
ينظر:النحو الوافي 13/1

وعليه فأنّ لكل حرف من حروف الصفات مجالا محددا في المتن السياقي يسعى أصحاب اللغة إلى الكشف عن معنى هذا الحرف وعلاقته بالمعنى داخل السياق في الجملة العربية ، وعلاقته بالاستعمال اللغوي .

فإن قال قائل:

لم عملت هذه الحروف الجر؟

قيل: إنما عملت؛ لأنها اختصت بالأسماء ، والحروف متى كانت مختصة؛ وجب أن تكون عاملة، وإنما وجب أن تعمل الجر؛ لأن إعراب الأسماء رفع، ونصب، وجر، فلما سبق الابتداء إلى الرفع في المبتدأ، والفعل إلى الرفع -أيضا- في الفاعل، وإلى النصب في المفعول، لم يبق إلا الجر؛ فلهذا، وجب أن تعمل الجر؛ وأجود من هذا أن تقول: إنما عملت الجر؛ لأنها تقع وسطا بين الاسم والفعل، والجر وقع وسطا بين الرفع والنصب، فأعطي الأوسط الأوسط.

فإن قال قائل: لم صارت هذه (اللام ومن) وسائر ما يجر من الحروف يعمل الجر دون النصب والرفع؟

فالجواب في ذلك: أن حروف الجر تكون موصلة للأفعال إلى ما بعدها، فتدخل مرة على الفاعل، ومرة على المفعول به، كقولك في الفاعل: ما جاءني من أحد، والأصل: ما جاءني أحد، وتدخل على المفعول، كقولك: ما رأيت من أحد، ومعناه: ما رأيت أحدا، فلما كانت هذه الحروف تدخل على الفاعل والمفعول، جعل حركتها بين حركة الفاعل والمفعول متوسطا، وهو الكسر، لأنه وسط اللسان، والضم من الشفة، والفتح من أقصى الحلق، فلهذا خص بالجر.(1)

---

1. علل النحو 206/1

كما أنّه قد ذكر النحاة أن كل حرف من حروف المعاني يفيد- بطريق الأصالة- معنى أو عدة معان، تعد من لوازم هذا الحرف غالبا، غير أنه في بعض الأحيان قد يفيد الحرف معنى من المعاني ليس أصلا في إفادته، وإفادة الحرف معنى يختص به حرف آخر يعد عند بعض العلماء من باب التقارض أو التناوب بينهما، فكأن الحرف الآخر أقرضه هذا المعنى، وربما عده بعضهم من باب نيابة الحرف مكان الحرف الآخر، وهذه مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين فالبصريون يرون (أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس).(1)

وما أوهم ذلك فهو عندهم محمول على ما يلي:

أولا:إما مؤول تأويلا يقبله اللفظ، كما قيل في قوله تعالى:﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه:71] (2)

إنّ (في) ليست بمعنى (على)، ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحالّ في الشيء؛ لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور فلذلك جاز أن يقال فيه هذا. وأنشدوا:*

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا(3)

---

1. ظاهرة التقارض في النحو العربي 265

2 سورة طه، الآية: 71

3.الصاحبي في فقه اللغة العربية114/1

* ينسب إلى سويد بن أبي كاهل اليشكري كما في ملحق ديوانه:

و(العبدي) : نسبة إلى عبد القيس. والأجدع: السجين، أو الأقطع، أو الشيطان.

قال ابن بري: قوله بأجدعا، أي بأنف أجدع، فحذف الموصوف، وأقام صفته مكانه.

والتقدير: فلا عطست شيبان إلا بأنف أجدع؛ فحذف الموصوف، ودعا عليهم بجدع الأنوف لصلبهم العبدي.

والشاهد فيه: (في جذع نخلة) حيث جاءت (في) بمعنى (على) .

وإنما ذلك على الاستعارة التبعية في الحرف (في) بتشبيه الاستعلاء بالظرفية، بجامع التمكن في كل منهما.

ينظر: تفسير الطبري 339/18 والمقتضب: 319/2 واللمحة في شرح الملحة 225/1

وإنما آثر كلمة في للدلالة على استقرارهم عليها كاستقرار المظروف في الظرف
ويقال: أتيته على عهد فلان. أي أتيته في عهد فلان.
وإنما جعلت مكان الباء، والباء هي الأصل كما كان في مررت بزيد وضربت بالسيف يا فتى (1) ؛ وزعم يونس أنّ العرب تقول: نزلت في أبيك.
تريد عليه.
وتقول: ظفرت عليه. أي:(به) ورضيت عليه. أي: عنه.(2)
وكما قال: ضربني في السيف. يريد: بالسيف
وقوله:﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه:71] (3) ؛ يصلح (على) فِي موضع (فِي) وإنَّما صلحت (في) ؛لأنه يرفع في الخشبة فِي طولها فصلحت (فِي) وصلحت (على)؛ لأنه يرفع فيها فيصير عليها (4).
أي: على ولكن الجذوع إذا أحاطت دخلت في، لأنها للوعاء، يقال: فلان في النخل. أي قد أحاط به.
ولكنه جاز أن تقع (في) ههنا؛لأنّه في الجذع على جهة الطول ،والجذع مشتمل عليه فقد صار فيه؛ ولو كانت (على)ههنا لأدت هذه الفائدة؛لأنّك لو قلت:(لأصلبنكم على جذوع النخل كان مستقيما(5)
ولا صلبنكم في جذوع النخل قالوا معنى (في) معنى (على) وهذا القول عند أهل النظر لا يصح ؛ لانّ لكل حرف معناه وإنّما يتفق الحرفان لتقارب المعنى.
وعليه فقد كان الجذع مشتملا على من صلب ولهذا دخلت (في)؛ لأنّه قد صار بمنزلة الظرف.(6)

1.المقتضب 319/2
2.معانى القرآن للأخفش51/1
3. سورة طه، الآية:71
4 معاني القرآن للفراء 186/2
5. معاني القرآن للزجاج 308/3
6. معاني القرآن للنحاس 405/1

ومن مجاز الأدوات اللواتي لهن معان فى مواضع شتى، فتجيء الأداة منهن فى بعض تلك المواضع لبعض تلك المعاني (1).

وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض، إذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع.

ومنه قول الله جل وعز: ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور:38] (2)

أي عليه.

وقال تبارك وتعالى:﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:11] (3) أي: بأمر الله.

وابن قتيبة يسميها بحروف الصفات فقال: باب دخول حروف الصّفات مكان بعض (في) مكان(على) ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه:71] (4) ؛ يصلح (على) فِي موضع (فِي)،أي على جذوع النخل. (5)

وإذ كانت حروف الصفات يعاقب بعضها بعضا ، كما قال الله مخبرا عن عيسى ابن مريم أنه قال للحواريين:﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [الصف:14] (6)، يريد: مع الله.

وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع(إلى) غيرها، لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها.

وهذا القول عندي أولى بالصواب؛ لأن لكل حرف من حروف المعاني وجها هو به أولى من غيره؛ فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها،ولـ(إلى) في كل موضع دخلت من الكلام حكم، وغير جائز سلبها معانيها في أماكنها.(7)

---

1. مجاز القرآن 14/1
2. سورة الطور، الآية:38
3. سورة الرعد ، الآية:11
4. سورة طه، الآية: 71
5. تأويل مشكل القرآن298/1
6. سورة الصف ،الآية:14
7. تفسير الطبري198/1

وفي قوله تعالى:﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق:4] (1) وهذه آية مشكلة، واختلف أصحابنا في تأويلها على ثلاثة أقوال:

الأول:

(إنْ) معناها : (إذا) ارتبتم.

وحروف المعاني يبدل بعضها من بعض، والذين قالوا هذا اختلفوا في الوجه الذي رجعت فيه (إن) بمعنى: (إذا)

الثاني

أمّا وضع حروف المعاني إبدالا بعضها من بعض فإن ذلك مما لا يجوز.

وإن اختلفوا في حروف الخفض.

وإنما الآية واردة على أن أصل العدة موضوع لأجل الريبة؛ إذ الأصل براءة الرحم، وترتاب لشغله بالماء؛ فوضعت العدة لأجل هذه الريبة، ولحقها ضرب من التعبد.

ويحقق هذا أن حرف (إن) يتعلق بالشرط الواجب، كما يتعلق بالشرط الممكن.(2)

1.سورة الطلاق، الآية:4

2.أحكام القرآن لابن العربي 402/1

وقال ابن الطثرية*:
غدت من عليه تنفض الطل بعدما رأت حاجب الشمس استوى فترفعا
وقال الآخر:
غدت من عليه بعدما تم خمسها تصل وعن قيض بزيزاء مجهل
أي من عنده. (1)

وهكذا فالحرف أداة في التركيب إذ لا اعتبار له،ولا معنى إلاّ من خلال وظيفة الربط بين عناصر الكلام ؛وهو بدوره هذا لا يقلّ شأنا عن الاسم والفعل في النهوض بالدلالة، والمساهمة في هندسة تشكيل بنية الجملة ومن خلال الشواهد المقدّمة تبيّن لنا جليا بصمة بعض الحروف في دورها الريادي للجملة العربية.

_____
1. الكامل في اللغة والأدب 73/3
* ابن الطَّثْرِيَّة المتوفى 126 هـ/ 744م
يزيد بن سلمة بن سمرة، ابن الطثرية، من بني قشير بن كعب، من عامر بن صعصعة شاعر مطبوع، من شعراء بني أمية، مقدم عندهم، وله شرف وقدر في قومه بني قشير. كنيته " أبوالمكشوح " ونسبته إلى أمه من بني " طثر " من عنز بن وائل.
كان حسن الشعر، حلو الحديث، شريفا، متلافا للمال، صاحب غزل وظرف وشجاعة وفصاحة.
جمع علي بن عبد الله الطوسي، ما تفرق من شعره في " ديوان " وكذلك صنع أبو الفرج الأصبهاني، صاحب الأغاني.
وفي حماسة أبي تمام، وحماسة ابن الشجري مختارات بديعة من شعره.
وهو صاحب القصيدة التي منها:
فديتك! أعدائي كثير، وشقتي بعيد، وأشياعي لديك قليل
وكنت إذا ما جئت، جئت بعلة فأفنيت علاتي، فكيف أقول؟
فما كل يوم لي بأرضك حاجة ولا كل يوم لي إليك رسول
قتله بنو حنيفة، في موقعة له معهم يوم الفلج (بفتح الفاء واللام) من نواحي اليمامة. وعدَّه " ابن حبيب " ممن قتل غيلة؛ لأنه بينما كان يقاتل علقت جبته بعرق من الشجر، فعثر، فضربه الحنفيون حتى قتلوه.
وفي القاموس: " الطثرية محركة، أم يزيد " وفي الوفيات: بسكون الثاء. ومعجم ما استعجم:
ينظر:الأعلام للزركلي 183/8

الحرف بين النيابة والمنع

يتردد بين النحاة: أن حروف الجر ينوب بعضها مكان بعض. . . ، فاعتقد من لا خبرة له ولا دراية له بمعاني الحروف أن المراد هو: "جواز وضع حرف جر مكان حرف جر آخر بغير ضابط لغوي، ولا توقف على اشتراك بينهما في تأدية هذه المعاني الدقيقة التي لا يفقه سرّ معانيها إلاّ من أوتي فهما عميقا لظلال معاني هذه الأحرف.

وتنبّه الطبري في تفسيره لهذه الفوارق الدّقيقة في أسرار هذه ألأحرف فقال : في قول الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ....﴾ [المائدة:4] (1)
والمعنى العام للآية هو:(تؤدِّبون الجوارح فتعلمونهن طلب الصيد لكم (مما علمكم الله) ، يعني بذلك: من التأديب الذي أدَّبكم الله، والعلم الذي علمكم.
* * *
وقد قال بعض أهل التأويل: معنى قوله:(مما علمكم الله)، كما علمكم الله.
فعن السدي:(تعلمونهن مما علمكم الله)، يقول: تعلمونهن من الطَّلب كما علمكم الله.
* * *

ويرد على هذا القول قائلا:" ولسنا نعرف في كلام العرب(من) بمعنى:(الكاف)؛ لأن(من) تدخل في كلامهم بمعنى التبعيض ، و(الكاف) بمعنى: التشبيه. وإنما يوضع (الحرف) مكان آخر غيره، إذا تقارب معنياهما. فأما إذا اختلفت معانيهما، فغير موجود في كلامهم وضع أحدهما عَقِيب الآخر. وكتاب الله وتنزيله أحرى الكلام أن يجنَّب ما خرج عن المفهوم والغاية في الفصاحة من كلام من نزل بلسانه..... . (2)

1.سورة المائدة، الآية:4
2.تفسير الطبري 552/9

وهكذا نرى الطبري يتصدى لمن يحاول إبدال حرف الجر (من) التي هي للتبعيض بحرف الجر (الكاف) الذي هو موضوع أصلا للتشبيه، فيرفض هذه الفكرة من بدايتها؛ لأنّه لم يسمع من كلام العرب أنّها استبدلت حرف الجر (من) موضع (الكاف) إذ لا تشابه بينهما في الدلالة؛لأنّه لا مجال للمقاربة بين الحرفين.
والذي توهم أنّ (من) بمعنى (الكاف) فهذا ضرب من الفهم السقيم الذي يفقد الحرف سرّ جماله في معنى الجملة، وبتصرفه هذا فقد ضرب في شعاب الجهل، وتغلغل في مزالق الخطأ؛ إذ يؤدي إلى إفساد المعاني، والقضاء على الغرض من اللغة، وكتاب الله فوق هذا التأويل الذي يأباه كلام العرب في تأويلهم.

واعلم: أن العرب تتسع فيها(أي في حروف الجر) فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني فمن ذلك: (الباء) تقول: فلان بمكة وفي مكة، وإنما جازا معا؛ لأنك إذا قلت: فلان بموضع كذا وكذا. فقد أخبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع، وإذا قلت: في موضع كذا فقد أخبرت بـ(في) عن احتوائه إياه وإحاطته به، فإذا تقارب الحرفان فإن هذا التقارب يصلح للمعاقبة؛ وإذا تباين معناهما لم يجز، ألا ترى أن رجلا لو قال: مررت في زيد أو: كتبت إلى القلم، لم يكن هذا يلتبس به، فهذا حقيقة تعاقب حروف الخفض، فمتى لم يتقارب المعنى لم يجز وقد حكي: كنت بالمال حربا وفي المال حربا، وهو يستعلي الناس بكفه وفي كفه. وقال في قول طرفة:
وإن يلتق الحي الجميع تلاقني إلى ذروة البيت الكريم المصمد
إن (إلى) بمعنى (في) ولا يجوز أن يدخل حرف من هذه التي ذكرت على حرف منها فلا يجوز أن تدخل الباء على (إلى) ولا (اللام) على (من) ولا (في) على (إلى) ولا شيئا منها على آخر. (1)

---

1. الأصول في النحو 415/1

قال طرفة:*

وإن يلتق الحي الجميع تلاقني إلى ذروة البيت الكريم المصمد(1)

وعليه فـ(إلى) بمعنى(في) يقال: جلست إلى القوم أي: فيهم، قال ابن مالك: "ويمكن أن يكون إلى بمعنى (في) في قول الله تعالى:﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (النساء:87) (2)، وخالف في مجيء (إلى) بمعنى (في) ابن عصفور حيث قال:"ولو صح مجيء (إلى) بمعنى (في) لجاز: زيد إلى الكوفة.(3)

---

1. ينظر: جمهرة أشعار العرب 304/1

2. سورة النساء، الآية:87

3.ينظر: الجني الداني في حروف المعاني388/1

* طرفة بن العبد (نحو 86 - 60 ق هـ = نحو 538 - 564 م)

طرفة بن العبد ....البكري الوائلي، شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى. ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه. ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر (عامله على البحرين وعمان) يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر، شابا، في (هجر) قتل وهو ابن عشرين سنة. تغلب الحكمة على لسانه في أكثر شعره، وأشهر شعره معلقته ومطلعها:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفائل باليد

ينظر: الأعلام للزركلي 225/3

والصمد: القصد. والفعل صمد يصمد، والتصميد مبالغة الصمد.

يقول: إن اجتمع الحي للافتخار تلاقني أنتمي وأعتزي إلى ذروة البيت الشريف، أي: إلى أعلى الشرف، يريد أنه أوفاهم حظا من الحسب وأعلاهم سهما من النسب.

وقوله: تلاقني، يريد: أعتزي (إلى) فحذف الفعل لدلالة الحرف عليه.

أي في ذروة البيت الذي يصمد ويعضد.

و(إلى ذروة البيت) أي: في ذروة البيت؛ وذروة كل شيء: أعلاه.

والمعنى: إذا التقى الحي الجميع بعد افتراقهم، وجدتني في موضع الشرف منهم، وعلو المنزلة.

والشاهد فيه: (إلى ذروة البيت) حيث جاءت (إلى) بمعنى (في) .

ينظر: اللمحة في شرح الملحة224/1

يرى البصريون أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض قياسا على حروف الجزم، وأحرف النصب، فإنها هي الأخرى لا يجوز فيها ذلك.
وما أوهم ذلك عندهم: إما مؤول تأويلا يقبله اللفظ كما قيل:﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:71] (1)، أن (في) ليست بمعنى: (على) ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء.
وإما على تضمن الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف، وإما على إنابة كلمة عن أخرى، لذا نرى سيبويه يكرر في باب حروف الجر عبارة: فهذا أصله وإن اتسعت.

و(في) معناها الوعاء. فإذا قلت: فلان في البيت، فإنما تريد: أن البيت قد حواه، وكذلك: المال في الكيس؛ فإن قلت: في فلان عيب، فمجاز واتساع؛ لأنك جعلت الرجل مكانا للعيب يحتويه وإنما هذا تمثيل بذاك، وكذلك تقول: أتيت فلانا وهو في عنفوان شبابه أي: وهو في أمره ونهيه فهذا تشبيه وتمثيل. أي: أحاطت به هذه الأمور قال: وإن اتسعت في الكلام فإنما تكون كالمثل يجاء به يقارب الشيء وليس مثله.(2)

فإذا قلت: أنت في الدار، فقد أضفت كينونتك في الدار إلى الدار بـ(في) فإذا قلت: فيك خصلة سوء فقد أضفت إليه الرداءة "بـ(في) (3)

فهذه الحروف التي ذكرت لك تدخل على المعرفة والنكرة والظاهر والمضمر فلا تجاوز الجر.

وللأستاذ عباس حسن صاحب النحو الوافي تفصيل في الاستعمال الحقيقي لحروف الجر من حيث الاستعمال الحقيقي والمجازي وقد أحسن القول في هذه الأحرف فآثرت نقل نصه في الحرف حيث قال:" أما حقيقة الأمر في نيابة حروف الجر بعضها عن بعض، فيمكن أن تتلخص في مذهبين أساسين:

1.سورة طه، الآية:71
2.الأصول في النحو412/1
3. ينظر: الكتاب 421/1

الأول:
أنه ليس لحرف الجر إلا معنى واحد أصلي يؤديه على سبيل الحقيقية لا المجاز؛ وعليه فالحرف: (في) يؤدي معنى واحدا حقيقيا هو (الظرفية)، والحرف: (على) يؤدي معنى واحدا حقيقيا هو: (الاستعلاء)، والحرف: (من) يؤدي: (الابتداء)، والحرف: (إلى) يؤدي: (الانتهاء). .

وهكذا بقية الأحرف الجارة ؛ فإن أدى الحرف معنى آخر غير المعنى الواحد الأصلي الخاص به وجب القول: بأنه يؤدي المعنى الآخر الجديد إما تأدية (مجازية) أي: من طريق المجاز، لا الحقيقية، وإما تأدية، (تضمينية) أي: بتضمن الفعل، أو: العامل الذي يتعلق به حرف الجر الأصلي ومجروره، معنى فعل أو عامل آخر يتعدى بهذا الحرف، فحرف الجر مقصور على تأدية معنى حقيقي واحد يختص به، ولا يؤدي غيره إلا من طريق (المجاز) في هذا الحرف، أو من طريق (التضمين) في العامل الذي يتعلق به الجار الأصلي مع مجروره.

فمن الأمثلة للمجاز: الحرف الأصلي (في)؛ فمعناه الحقيقي: (الظرفية) "أي: الدلالة على أن شيئا يحوي بين جوانبه شيئا آخر. .
فإذا قلنا: الماء في الكوب، فهمنا أن الكوب يحوي بين جوانبه الماء؛ فيكون الحرف (في) مستعملا في تأدية معناه الحقيقي الأصيل، ولكن إذا قلنا: غرد الطائر في الغصن . ، لم نفهم أن الغصن يحوي في داخله وبين جوانبه الطائر المغرد؛ لاستحالة هذا، وإنما نفهم أنه كان على الغصن وفوقه، لا بين ثناياه. فالحرف: (في) قد أدى معنى ليس بمعناه الحقيقي الأصيل، فالمعنى الجديد؛ وهو: (الفوقية)، أو(الاستعلاء) إنما يؤديه حرف آخر مختص بتأديته، هو: (على) فلو راعينا الاختصاص وحده لقلنا: غرد الطائر على الغصن، فالحرف: (في) قد أدى معنى ليس من اختصاصه، بل هو من اختصاص غيره، وهذه التأدية ليست على سبيل الحقيقية ، وإنما هي على سبيل المجاز، واجتمع للحرف: (في) الشرطان اللذان لا بد من تحققهما لصحة استعمال المجاز،فالظرفية بما تقتضيه من تمكن،وثبات شبيهة بالاستعلاء الذي يقتضي التمكن والثبات أيضا؛فاستعملنا (الظرفية) مكان الحرف لدال على(الاستعلاء) ؛ تبعا لذلك، وكل هذا على سبيل "الاستعارة"؛ وهي نوع من المجاز
والقرينة الدالة على أنه مجاز أي: على أن الحرف: (في) مستعمل في غير معناه الأصلي وجود الفعل: (غرد)؛ إذ لا يقع التغريد في داخل الغصن؛ وإنما يكون فوقه، فهذه القرينة هي المانعة من إرادة المعنى الأصلي.

ومن الأمثلة: للمجاز أيضا: (على): فهو حرف جر يقتصر عند أصحاب هذا الرأي على معنى حقيقي واحد؛ هو: (الاستعلاء)، فإذا قلنا: الكتاب على المكتب، فهمنا هذا المعنى الحقيقي الدال على أن شيئا معينا فوق آخر، فالحرف مستعمل في معناه الأصيل، لكن إذا قلنا: "أشكر المحسن على إحسانه"، لم تفهم الاستعلاء الحقيقي، ولم يرد على خاطرنا أن الشكر قد حل واستقر فوق الإحسان؛ لاستحالة هذا، وإنما الذي يخطر ببالنا هو أن المراد: "أشكر المحسن لإحسانه"؛ فالحرف: (على) قد جاء في مكان: (اللام) التي معناها: (السببية)، أو(التعليل)، فأفاد ما تفيد (اللام) ، ولكن إفادته على سبيل (الاستعارة) وهي نوع من المجاز؛ ذلك أن (لام التعليل) تفيد التمكن والاتصال القوي بين السبب والمسبب، أو بين العلة

والمعلول؛ والاستعلاء يشبهها في أنه يفيد التمكن والاتصال بين الشيئين؛ فهذا التشابه صح استعمال الاستعلاء مجازا، مكان السببية والتعليل، وتبع ذلك استعمال الحرف الدال على الاستعلاء مكان الحرف الدال على السببية، والقرينة الدالة على أن الحرف: (على) مستعمل في غير حقيقته وجود الفعل: "شكر" إذ لا يستقر الشكر فوق الإحسان، ولا يوضع فوقه وضعا حقيقيا، لاستحالة هذا...

الثاني:

أن قصر حرف الجر على معنى حقيقي واحد، تعسف وحكم لا مسوغ له، فما الحرف إلا كلمة، كسائر الكلمات الاسمية والفعلية، وهذه الكلمات الاسمية والفعلية تؤدي الواحدة منها عدة معان حقيقية، لا مجازية، ولا يتوقف العقل في فهم دلالتها الحقيقية فهما سريعا، فما الداعي لإخراج الحرف من أمر يدخل فيه غيره من الكلمات الأخرى، ولإبعاده عما يجري على نظائره من باقي الأقسام؟ إنه نظيرها؛ فإذا اشتهر معناه اللغوي الحقيقي، وشاعت دلالته، بحيث يفهمها السامع بغير غموض، كان المعنى حقيقيا لا مجازيا، وكانت هذه الدلالة أصيلة لا علاقة لها بالمجاز، ولا بالتضمين ولا بغيرهما، فالأساس الذي يعتمد عليه هذا المذهب في الحكم على معنى الحرف بالحقيقية هو شهرة المعنى اللغوي الأصلي المراد وشيوعه، بحيث يتبادر ويتضح سريعا عند السامع؛ لأن هذه المبادرة علامة الحقيقة.
وهذا رأي نفيس أشار بالأخذ به والاقتصار عليه كثير من المحققين. (1)

وقصارى ما هناك أنه قد صح بما قدمنا أنه لا يجزيك في اختيار الحرف لتصريف الفعل العودة إلى المعاجم لتقع على الحرف الذي خُصّ به الفعل في معنى من المعاني، أو إلى كتب اللغة لتقف على المعاني المطَّردة لكل حرف، بل لابد أن تحظى بنصيب من الدراية وتضرب بسهم من الفقه، بمطالعة كتب الأدب نثره وشعره وطول مدارستها، فلاشك في أنها ستطلعك على ما يُطرفك في هذا الباب، وتسبق بك إلى الحكم على ما يفضي إليه الفعل من معنى مع كل حرف.(2)

ومن خلال الأمثلة السابقة تبيّن لنا أنّ استخدام الحروف استخداما صحيحا يساعد في صناعة تركيب الجملة العربية فلا تنهض الجملة إلاّ بانتقاء حروف المعاني، ولا يستقيم المعنى إلاّ بها ، ولا يفهم مدلول الجملة إلاّ بها.

---

1. ينظر: النحو الوافي541/2
2. دراسات في النحو 100/1

وعليه فحروف الجر هي أدوات تستخدم لربط أجزاء الكلام حتى تتضح تفاصيل المعنى لذلك لها قيمة دلالية سياقية نصية تظهر من خلال توظيفها في النصوص فهي تحدد الدلالات السياقية بدقة وتبين معناها ومغزاها في الكلام ، ولحروف الجر وظيفتان دلالية، ونحوية.

1. إحداث الترابط والتماسك بين عناصر الجملة ، فلا يمكن الاستغناء عنها ؛ لأنه لو حذفنا حرف الجر لتغير المعنى العام للجملة.
2. تضفي على السياق معاني متناهية في التمايز للربط بين أجزاء الكلمة كي تتضح تفاصيل المعنى، ومقاصده ، وليس لها دلالات. (1)

---

1. ينظر: مقالة لمعاني حروف الجر في القرآن الكريم شادي مجاي سكر

معنى التعلق

ما هو التعلق؟

إن الظرف والجار والمجرور يدلان على معنى فرعي يتمم نقصان المعنى الذي يدل عليه الفعل أو ما يشبهه؛ أي أن هذا المعنى الفرعي يرتبط بمعنى الفعل؛ أي يتعلق به، والفعل وما يشبهه يدل على حدث، والحدث لا يحدث في فراغ، وإنما يحدث في زمان أو في مكان، وليس ذلك تحليلا فلسفيا صرفا، وإنما هو تحليل لغوي أيضا.(1)

" إن كل حرف من حروف الجر الأصلية لا بد أن يحمل معه للجملة المفيدة معنى فرعيًا جديدًا من المعاني التي يختص بتأديتها، ولا ينكشف هذا المعنى الجديد إلا بعد وضع الحرف مع مجروره في الجملة المفيدة، وعندئذ ينكشف ويتحقق مدلوله على الاسم المجرور به كما سبق.

أما وجود الحرف وحده أو مع مجروره بغير وضعها في جملة، فلا يفيد شيئًا.

هذا من ناحية إفادته معنى فرعيًا جديدًا لم يكن له وجود قبل مجيئه.(2)

فإذا قلت مثلا: سافر زيد. دلت هذه الجملة على معنى مستقل يمكن أن نقتصر عليه.

فإذا قلت: سافر زيد يوم الجمعة.

دلّ الظرف (يوم الجمعة) هنا على معنى فرعي مرتبط بالفعل سافر؛ لأنه يضيف إلى معناه معنى جديدا، ثم إننا نفهم أن هذا الحدث وهو (السفر) قد حدث في يوم الجمعة أي في زمان معين.

وكذلك إن قلت: وقف زيد أمام البيت، فإن الظرف (أمام البيت) يدل على معنى جديد يضيفه إلى معنى الفعل، بالإضافة إلى أن الحدث الذي يدل عليه الفعل قد وقع في المكان المعين الذي يحدده الظرف.

---

1. التطبيق النحوي 358/1
2.النحو الوافي 438/2

والتعلّق المقصود به ههنا هو الارتباط المعنوي لشبه الجملة بالحدث،وتمسكها به،كأنّه جزء منه،لا يظهر معناها إلاّ به، ولا يكتمل معناه إلاّ بها.(1)

ذلك لأنّ شبه الجملة ترد تكملة للحدث الذي تقيّده،فيتم معناهما بهذا التعلّق المقيّد.

تقول:نقيم غدا في وهران، فترى أنّ الفعل (نقيم) وحده يدلّ على حدث الإقامة دلالة عامة،غير محدّدة بزمان واضح،أو مكان معلوم.فقد تكون هذه الإقامة الآن ،أو بعد لحظات،أو ساعات أو شهور أو سنوات.وقد تكون في وهران أو الجزائر أو غيرهما،ولكن قولك:(غدا) حدّد الزمن الذي تقع فيه الإقامة .وقولك في (وهران) حدّد المكان الذي يضم الإقامة، وتكون فيه. ولولا هذان القيدان لبقي الحدث ناقص الدلالة،لا يفي بالمعنى التام،أو القريب من التام ،أو القريب من التمام:وكلما أضفت إلى الحدث قيودا أدقّ كان أقرب إلى الكمال والدّقة ،نحو:سافرنا منذ شهر ، يوم الجمعة ،ضحى ،في الساعة العاشرة مع الطلبة من وهران إلى الجزائر بالقطار لزيارة مسجد الجزائر.

ومن هذا نلمس أهمية العلاقة بين كلّ من الظرف والجار مع المجرور ،وبين الحدث الذي يقيدانه ،ويتعلقان به.ومعنى هذه العلاقة أنّ بين الجانبين تأثيرا متبادلا.

فشبه الجملة يفيد الحدث في إيضاح معناه وتكميله،إذ تحدّد زمانه أو مكانه أو سببه ..

والحدث يفيد شبه الجملة ،إذ يظهر معناها ،ويربطه بعمل يملؤها، وهذا التأثير المتبادل ، بين الجانبين ،هو المراد بما نسميه تعلق شبه الجملة،أو تعليقه فالتعليق هو بيان ارتباط شبه الجملة بالحدث الذي تقيّده وتتضمّنه وتستدعيه لطلب الفائدة واستقامة الكلام .(2)

1.رصف المباني :81

2.ينظر:إعراب الجمل وأشباه الجمل قباوة 273

وهكذا إذا قلنا: سافر زيد من الجزائر إلى وهران ، فإن حرف الجر (من) يدل على معنى جديد، بالإضافة إلى دلالته على أن الحدث الذي يدل عليه الفعل قد بدأ حدوثه من هذا المكان، وكذلك الحرف الآخر (إلى) أي: أن الحدث ينتهي عند هذا المكان ...
وهكذا فالتعلق إذن عبارة عن ارتباط شبه الجملة بالحدث الذي يدل عليه الفعل أو ما يشبهه، بالإضافة إلى دلالته على (الحيز) الذي يقع فيه الفعل.

وعلى هذا الأساس نقول في الظرف والجار والمجرور الواقعين بعد المبتدأ ويتممان معه معنى الجملة: إنهما متعلقان بمحذوف خبر، وليسا هما الخبر حقيقة؛ لأنهما - على الأصح - لا بد أن يتعلقا بما يدل على الحدث، فجملة مثل: زيد في البيت أو زيد أمام البيت، لا بد أن يكون تقديرها: زيد "كائن أو مستقر أو كان أو استقر" في البيت أو أمام البيت. (1)

فالنحاة يقولون: إن الداعي القوي لاستخدام حرف الجر الأصلي مع مجروره، هو الاستفادة بما يجلبه للجملة من معنى فرعي جديد، وهذا المعنى الفرعي الجديد ليس مستقلًا بنفسه، وإنما هو تكملة فرعية لمعنى فعل أو شبهه في تلك الجملة،ففي مثل: حضر الطلبة إلى المدرج فنلاحظ أنّ الجار مع مجروره قد أكملا بعض النقص المتواجد في معنى الفعل: (حضر)؛ فلولاهما لتواردت علينا الأسئلة السالفة، لكن بمجيئهما انحسم الأمر.

فلهذا يقال: الجار والمجرور متعلق بالفعل: (حضر)، أي: مستمسك ومرتبط به ارتباطا معنويا كما يرتبط الجزء بكله، أو الفرع بأصله؛ لأن المجرور يكمل معنى هذا الفعل، بشرط أن يوصله به حرف الجر الأصلي، أو ما ألحق به.

ويقولون أيضًا: إن حرف الجر الأصلي وما ألحق به بمثابة قنطرة توصل المعنى من العامل إلى الاسم المجرور، أو بمثابة رابطة تربط بينهما؛ ولا يستطيع العامل أن يوصل أثره إلى ذلك الاسم إلا بمعونة حرف الجر الأصلي أو ما ألحق به؛ فهو وسيط، أو وسيلة للاتصال بينهما، ومن أجل هذا كان حرف الجر الأصلي وملحقه مؤديًا معنى فرعيًا، وهو في الوقت نفسه أداة من أدوات تعدية الفعل اللازم لمفعول به معنى "أي: حكمًا"، وهذه الأداة تتغير وتتنوع طبقًا للمعنى الذي يراد منها أن تؤديه.

---

1. ينظر:التطبيق النحوي 358/1

من كل ما سبق نفهم أن حرف الجر الأصلي مع مجروره إنما يقومان بمهمة مشتركة ومزدوجة، كانت السبب القوي في مجيئهما؛ وهي: إتمام معنى عاملها، واستكمال بعض نقصه بما يجلبانه معهما من معنى فرعي جديد؛ وأحدهما وهو حرف الجر الأصلي يقوم بمنزلة الوسيط الذي يصل بين العامل والاسم المجرور.(1)

وحرف الجر على ثلاثة أقسام:
حرف أصلي، وحرف زائد، وحرف شبيه بالزائد.
أ- الحرف الأصلي هو الذي يضيف إلى ركني الجملة معنى فرعيا جديدا، ولا بد أن يكون متعلقا بالفعل أوغيره.
ب- الحرف الزائد:
وهو الذي لا يضيف إلى ركني الجملة معنى فرعيا جديدا، وليس معنى زيادته أنه خالٍ من المعنى أو أن وجوده في الكلام مثل عدمه، وإنما يفيد التوكيد وتقوية الربط بين أجزاء الجملة. وهو لا يتعلق.
جـ- الحرف الشبيه بالزائد، وهو الذي يضيف معنى لكنه لا يتعلق.(2)

1.ينظر: النحو الوافي 436/2
2. ينظر:التطبيق النحوي 363/1

1. منع جمهور النحاة تعليق الجار والمجرور والظرف بأحرف المعاني، وأجازه بعضهم وفصل بعضهم، فقال إن كان نائبا عن فعل حذف جاز ذلك على سبيل النيابة لا الأصالة وإلا فلا، قال ابن هشام في المغني: ومن ذلك قوله تعالى:﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم:2] (1)

الباء: متعلقة بالنفي.

إذ لو علقت (بمجنون)؛ لأفاد نفي جنون خاص وهو الذي يكون من نعمة الله وليس في الوجود جنون هو نعمة.

هذا ما ذكره ابن الحاجب وغيره وهو كلام بديع، إلا أن جمهور النحويين لا يوافقون على صحة التعلق بالحرف فينبغي أن يقدر على قولهم أن التعلق بفعل دل عليه النافي أي انتفى ذلك بنعمة ربك.

أما الزمخشري فقد سلك مسلكا غريبا في تعليق بنعمة قال:

فإن قلت: بم تتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله؟

قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك: أنت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الإثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا إعمالا واحدا كأنه قال: ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفي.(2)

وقد تبع الزمخشري معظم المفسرين، قال النسفي: الباء تتعلق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون .

1.سورة القلم،الآية:2

2. الكشاف 585/4

الفصل الأول

معنى التضمين

معنى التضمين

آثرت الحديث على التضمين في هذا البحث ، وحاجة الباحثين إليه ماسة، فالتضمين مسلك من مسالك اللغة العربية، وشعبة من شعبها؛ وميزة خصت به هذه اللغة حيث اختصها الله بهذا الميزة لمعرفة مستودعات أسرار يدق مسلكها، ولطائف معان يدق فيها مباحث للفكر، وغوامض أسرار، محتجبة وراء التضمين.

لذا كان لزاما على من يتصدى لدراسة هذه اللغة أن يكون ملما بمعالم التضمين ليعرف معاني السياق القرآني الذي كثر فيه التضمين في كثير من آياته المعجزة ،فالأخذ بالتضمين مسلك من مسالك توجيه الكلمات إلى نصابها اللغوي الصحيح، وهذا لاستنباط كثير من المعاني اللغوية التي أحاط بها القرآن الكريم، والقرآن الكريم هو دستور هذه اللغة الشريفة..

هذا وقد تعرّض علماء اللغة الأوائل للتضمين ،وقدّموا فيه بحوثا قيّمة، تنبئ عن مكانتهم العلمية، ومعرفتهم بتذوق أساليب اللغة العربية التي بيّنت سبقهم في هذا المجال.

ومدار التضمين يدور حول ما قالته العرب بلسانها العربي المبين خدمة لكتاب ربها الذي اشتمل على كثير من المعاني المتوارية التي لا يبين معناها إلاّ بالتضمين الذي هو رافد معرفي من العربية، ينبغي على من تصدى لدراسة القرآن الكريم أن يكون بصيرا به، عارفا بخباياه المعرفية.

لذا كان على طلاب العربية معرفة التضمين الذي هو أحد ركائز اللساني العربي المبين.

فالتضمين من القضايا التي شغلت علماء اللغة في القديم والحديث، وهو أسلوب من أساليب التوكيد على رأي بعض العلماء، لذا تبارى فيه علماء اللغة الأجلاء.

وقبل الحديث على التضمين آثرت أن أتعرّض إلى معناه اللغوي والاصطلاحي ، وهل هو قياسي أم سماعي ؟ وهل هو خاص بالفعل فقط ،أم بالأسماء ؟ أم بحروف المعاني على حد رأي البعض ؟ وآراء العلماء في ذلك.

وقبل الخوض في التضمين لا بأس أن نعرّف معنى التضمين في اللغة فالتضمين: مصدر ضمن يضمن تضمينا، كعلم يعلم تعليما، ويريدون به: إيداع شيء شيئا.

يقال: ضمنت الميت القبر، أودعته إياه، وكل شيء أحرز فيه شيء فقد ضمنه، وبمعنى: غرّم.

يقال: ضمنته الشيء فضمنه، غرمته إياه، وضمنه عني، التزم الغرم ومنه الغريم، لأنه ضامن.

ويعرف ابن فارس التضمين فقال: (ضمن) الضاد والميم والنون أصل صحيح، وهو جعل الشيء في شيء يحويه. من ذلك قولهم: ضمنت الشيء ، إذا جعلته في وعائه.(1)

وفي كتاب:(المعجم الوسيط) قال:التضمين عند علماء العربية على معان منها إيقاع لفظ موقع غيره ومعاملته معاملته لتضمنه معناه واشتماله عليه. (2)

هذا من حيث اللغة.

واصطلاحا:

هو أن:"تضمن فعلا معنى فعل لإفادة معنى الفعلين، فتعديه أيضا تعديته في بعض المواطن" (3)

---

1. مقاييس اللغة 372/3
2. المعجم الوسيط 544/1
3. مجاز القرآن للعز 262

ومنه قول الشاعر الفرزدق: *

قد قتل الله زيادا عني

حيث ضمن (قتل) معنى (صرف) لإفادة أنّه صرفه بالقتل دون ما عداه من الأسباب ، فأفاد معنى القتل والصرف جميعا . (1)

فالفعل: "قتل" في أصله متعد بنفسه مباشرة إلى مفعول واحد، مستغن بعد ذلك -غالبا- عن التعدية بالحرف الجار إلى مفعول ثان، ولكنه هنا تضمن معنى الفعل: (صرف) المتعدي بنفسه إلى المفعول الأول، وإلى الثاني بحرف الجر: (عن) ؛ فصار مثله متعديا بنفسه إلى الأول، وبهذا الحرف الجار إلى الثاني، فالمراد: قد صرف الله بالقتل زيادا عني. (2)

---

1. مجاز القرآن للعز 262
2. النحو الوافي 183/2

* الفرزدق (تـ110 هـ 728 م)

هو: همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. كان شريفا في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه - وكان أبوه من الأجواد الأشراف - وكذلك جده.

ينظر: التكملة لوفيات النقلة والأعلام للزركلي 93/8

* البيت للفرزدق وصدر البيت:

كيف تراني قالبا مجني قد قتل الله زيادا عني

ينظر: الذخيرة للقرافي 304/1
عدى قتل بـ(عن)؛ لأن فيه معنى صرف، فكأنه قال: قد صرف الله زيادا عني
وقوله: قالبا مجني أي: إني أفعل ما شئت لا أتروع ولا أتوقع.
مناسبة البيت
بلغ الفرزدق موت زياد، وكان زياد هذا قد نفاه وآذاه ونذر قتله.
ينظر:المحكم والمحيط الأعظم 332/6

فلفظ (القتل) يحمل معنيين معا هما: القتل والصرف.

أي: صرفه بالقتل فضمن قتل معنى صرف فعداه بـ(عن) كما يتعدى صرف وهو من أسرار كلام العرب وجوامع كلمها لتعبيرها عن الجملتين بجملة واحدة فإنه أراد أن يقول صرفه فقتله فقال قتله عني.(1)

وقيل: التضمين هو إشراب معنى فعل لفعل ليعامل معاملته وبعبارة أخرى: هو أن يحمل اللفظ معنى غير الذي يستحقه بغير آلة ظاهرة.(2)

ويرى أحد الأعلام أنّ التضمين من الإيجاز.فقال:" ومن بديع الإيجاز في القرآن وأكثره ما يسمى بالتضمين، وهو يرجع إلى إيجاز الحذف، والتضمين أن يضمن الفعل أو الوصف معنى فعل أو وصف آخر ويشار إلى المعنى المضمن بذكر ما هو من متعلقاته من حرف أو معمول فيحصل في الجملة معنيان. (3)

والتضمين نوع آخر من مواطن التوسع في المعنى في القرآن الكريم، وهو إشراب لفظ معنى لفظ آخر فيأخذ حكمه، أو كلمة تؤدي مؤدّى كلمتين مثال: فعل يتعدّى بحرف وفعل يتعدّى بآخر فالتضمين هو تعدية الفعل بحرف الفعل الثاني.

1.الذخيرة للقرافي 304/1
2. الكليات 266/1
3. التحرير والتنوير 123/1

ويرى ابن جني أنّه خاص بالحروف دون سواها ، فقال: باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض ، وهذا باب يتلقاه الناس مغسولا* ساذجا من الصنعة، وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه، وذلك أنهم يقولون:إن (إلى) تكون بمعنى (مع)،ويحتجون لذلك بقول الله سبحانه:﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [الصف:14] (1) أي: مع الله، ويقولون: إنّ (في) تكون بمعنى (على) .

ويحتجون بقول الله عز اسمه وجل:﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:71] (2) أي: عليها، ويقولون: تكون الباء بمعنى عن وعلى، ويحتجون بقولهم: رميت بالقوس أي: عنها وعليها.(3)
قال أبو عمرو: سمعت أبا زيد يقول: رميت عن القوس. وناسٌ يقولون: رميت عليها. وأنشد:
أرمِي عليها وهي فرعٌ أجمع وهي ثلاث أذرعٍ وإصبع (4)

وليس كل الحروف تنوب عن بعض وهذا ما أشار إليه ابن جني صراحة حيث قال:

1.سورة الصف،الآية:14
2. سورة طه،الآية:71
3. الخصائص 308/2
4.الكتاب لسيبويه 2262/4

* أي: عاريا من الدقة، كأنه غسل منها، أو لتفاهته يستحق أن يغسل ويمحى. وكلام فلان مغسول، ليس بمعسول؛ كما تقول: عريان وساذج: للذي لا ينكت فيه قائله كأنما غسل من النكت والفقر غسلا أو من حقه أن يغسل ويطمس.
ينظر: أساس البلاغة 702/1

"ولسنا ندافع أن يكون ذلك كما قالوا؛ لكنا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة له؛فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا، ألا ترى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلا هكذا؛ لا مقيدا لزمك عليه أن تقول: سرت إلى زيد، وأنت تريد: معه، وأن تقول: زيد في الفرس، وأنت تريد: عليه، وزيد في عمرو؛ وأنت تريد: عليه في العداوة؛ وأن تقول: رويت الحديث بزيد، وأنت تريد: عنه، ونحو ذلك مما يطول ويتفاحش،ولكن سنضع في ذلك رسما يعمل عليه، ويؤمن التزام الشناعة لمكانه. (1)

وهذا هو القول الفصل الذي يجب علينا أن نسير عليه في إنابة الحروف بعضها مكان بعض.

وعليه فالتضمين مجال واسع للاستعمال اللغوي الذي نطق به القرآن الكريم ، حيث جاء في كثير من الآيات القرآنية التي حفزت العلماء على المضي قدما في البحث في هذا الفن في مواطن كثيرة من كتاب الله عزّ وجلّ وفي كلام العرب نثره ونظمه.

وهو باب من هذه اللغة واسع لطيف طريف، وهو اتصال الفعل بحرف ليس مما يتعدّى به؛ لأنه في معنى فعل يتعدى به.

1.الخصائص 310/2

موقف اللغويين من التضمين

ومن بين هؤلاء الأعلام الذين ساهموا في هذا المجال الإمام الطبري الذي ساهم بشكل يجلب الانتباه، وينبئ على فهمه الثاقب،ومعرفته بآراء النحاة المختلفة مبينا آراء أهل الكوفة والبصرة وموقفهم من (التضمين) بين الإجازة والمنع ، ونقده للآراء التي تحتاج إلى تمحيص وتثبيت، وبيان ما اعوجّ منها في توأدة وروية مع تصويب هادئ متزن يقوم على الأدلة الصحيحة والبراهين المحكمة التي تنبئ على عبقريته الفذّة التي ساهمت في مجال إثراء البحث اللغوي، والنحوي،وتنقيح ما يحتاج منها إلى تنقيح دون التجريح في آراء العلماء السابقين،بل الأخذ بالأحوط منها في هدوء تام مع بيان رأيه في المسألة بالدّليل القاطع،والبرهان الساطع.

وقبل الحديث عن الطبري نوجز ما قاله بعض اللغويين والمفسرين الذين جاءوا من بعده وتأثروا بآرائه التي ظهرت جلية واضحة المعالم في الجانب التطبيقي ، فيما ذهب إليه من الأقوال ولكن خالفه البعض في تسمية بعض المصطلحات ومن الذين أسروا على تسمية التضمين ابن جني الذي تأثر بشيخه وقدوته أبي علي الفارسي الذي استحسن التضمين في كثير من المواضع لهذه اللغة... حيث قال ابن جني " ومنه باب من هذه اللغة واسع لطيف طريف، وهو اتصال الفعل بحرف ليس مما يتعدى به؛ لأنه في معنى فعل يتعدى به. من ذلك قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ [البقرة:187] (1) لما كان في معنى الإفضاء عداه بـ(إلى) ومثله بيت الفرزدق:

قد قتل الله زيادا عني
لما كان ذلك في معنى: صرفه عني
وكان أبو علي يستحسنه وينبه عليه.(2)

---

1. سورة البقرة،الآية:187
2.الخصائص 337/2

ويستطرد قائلا:" ووجدت في اللغة من هذا الفنّ شيئًا كثيرًا لا يكاد يحاط به، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتابا ضخما،فإذا مرَّ بك شيء منه فتقبله وأنس به، فإنه فصل من العربية لطيف حسن يدعو إلى الأنس بها والفقاهة فيها.(1)

هذا وقد تعرّض (ابن جني) لتضمين بعض الأفعال لبعضها فقال :"اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف ، والآخر بآخر فإنّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه ، إيذانا بأن هذا الفعل في ذلك الآخر ، لذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه ، ذلك كقول الله عزّ اسمه:﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ [البقرة:187] (2) وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة ، وإنّما تقول:
رفثت بها، و(معها)

لكنّه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء ،وكنت تعدي أفضيت بـ (إلى) كقولك:

أفضيت إلى المرأة ، جئت بـ (إلى) مع الرفث إيذانا وإشعارا أنه بمعناه.(3)

ويسمى هذا النوع بـ(التضمين) وأظهره تضمين فعل أو ما في معناه، معنى فعل آخر، وتعديته بما يلائم الفعل الذي ضمنه كالآية السالفة الذكر.
أما الزمخشري:فاقتدى في هذه الآية المباركة ، بأستاذه "ابن جني" وقال:
" فإن قلت :لم عدي الرفث بـ (إلى) ؟ قلت : لتضمينه معنى الإفضاء .(4)

1.الخصائص 337/2
2. سورة البقرة، الآية:187
3.الخصائص 310/2
4. الكشاف338/1
* معنى الرفث:الإفضاء

والأصل في تعدية الرفث بـ(الباء)، وانما جاءت تعدية في الآية بـ(إلى) لتضمينه معنى الإفضاء.وتعديته بـ(إلى) ليتعين المعنى المقصود وهو: الإفضاء.
وقوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة:187] (1) معناه فإنه يماس المرأة وزوجها يماسها.
والاستعارة أبلغ؛ لأنها أدل على اللصوق وشدة المماسة.
ويحتمل أن يقال: إنهما يتجردان ويجتمعان فى ثوب واحد ويتضامان فيكون كل واحد منهما للآخر بمنزلة اللباس؛ فيجعل ذلك تشبيها بغير أداة التشبيه؛ولا بد لكل استعارة ومجاز من حقيقة، وهى أصل الدلالة على المعنى فى اللغة (2)
فشبه المرأة باللباس للرجل، وشبه الرجل باللباس للمرأة.
فإن قلت: ما وجه الشبه في الآية؟ قلت: جعله الزمخشري حسيا، فإنه قال: "لما كان الرجل والمرأة يعتنقان، ويشتمل كل واحد منهما على صاحب في عناقه؛ شبه باللباس المشتمل عليه.وقيل: شبه كل واحد منهما باللباس للآخر؛ لأنه يصونه من الوقوع في فضيحة الفاحشة، كاللباس الساتر للعورة (3)
وفي الآية الكريمة استعارة بجامع شدة الاتصال حينئذ وهي استعارة أحياها القرآن؛ لأن العرب كانت اعتبرتها في قوله: لابس الشيء الشيء، إذا اتصل به لكنهم صيروها في خصوص.(4)

---

1. سورة البقرة، الآية:187
2. التحرير والتنوير182/2
3. الصناعتين:الكتابة والشعر270/1 وبغية الإيضاح لتلخيص 432/3
4. التحرير والتنوير182/2

الرفث: بفتحتين:
كلام يقع وقت الجماع بين الرجال والنساء، يستقبح ذكره في وقت آخر، وأطلق على الجماع للزومه له غالبا. وفي المصباح: رفث في منطقه رفثا من باب طلب، ويرفث بالكسر لغة.
والرفث: النكاح ،والرفث في الأساس واللسان ، أن حقيقته الكلام مع النساء في شؤون الالتذاذ بهن ثم أطلق على الجماع كناية.
وقيل هو حقيقة فيهما وهو الظاهر.
وقيل: الرفث بالفرج الجماع، وباللسان المواعدة للجماع، وبالعين الغمز للجماع.
ينظر: المصباح المنير232/1 وأساس البلاغة 367/1 وإعراب القرآن وبيانه 268/1

ولابن عطية الأندلسي توجيه سديد في قول الله عزّ اسمه:﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ [البقرة:187] (1) حيث قال:" تقول رفثت إلى المرأة؛ ولكن لما كان بمعنى: الإفضاء ساغ ذلك.

ولا يقال: رفثت إلى المرأة، إنما يقال: رفثتت بها، ومعها، لكن لما كان الرفث في معنى الإفضاء عدي بـ (إلى) وهذا من أسد مذاهب العربية؛ لأنه موضع يملك فيه المعنى عنان الكلام فيأخذه إليه.
ومنه قوله تعالى:﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ [النازعات:18] (2)
وإنما يقال هل لك في كذا، ولكن لما كان المعنى: أجد بك إلى أن تزكى ساغ ذلك وحسن، وهو باب سني من فصاحة الكلام. (3)
وأنت إنما تقول: هل لك في كذا؟ لكنه لما دخله معنى: آخذ بك إلى كذا أو أدعوك إليه.

ولما كانت قتل في بيت الفرزدق قد دخلها معنى: صرف.
ومنه قول الآخر:
إذا رضيت عليّ بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها
لما كانت رضيت قد تضمنت معنى: أقبلت علي.

وأما الكسائي فقال في هذا البيت: وصل رضي بوصل نقيضه وهو سخط وقد تجرى أمور في اللسان مجرى نقائضها" .(4)

---

1. سورة البقرة، الآية:187
2. سورة النازعات ،الآية:18
3. ينظر:تفسير ابن عطية91/1 والتحرير76/30
4.تفسير ابن عطية91/1

وصلت (خلوا) بـ(إلى) وعرفها أن توصل بـ(الباء) فتقول خلوت بفلان من حيث نزلت (خلوا) في هذا الموضع منزلة ذهبوا وانصرفوا، إذ هو فعل معادل لقوله: (لقوا).
قال مكي:" يقال خلوت بفلان بمعنى سخرت به فجاءت (إلى) في الآية زوالا عن الاشتراك في الباء" .
وقال قوم: (إلى) بمعنى (مع)، وفي هذا ضعف.
وقال قوم: (إلى) بمعنى: (الباء) إذ حروف المعاني يبدل بعضها من بعض.

بينما سلك القرطبي في الآية الكريمة مسلك (الطبري) ، لكن خالفه في تسمية المصطلح فبدل أن يذكر (التضمين) أبدله ، بمصطلح (المحمول) فقال: "وتعدى(الرفث) بـ:(إلى) في قوله تعالى جدّه:(الرفث إلى نسائكم)، وأنت لا تقول : رفثت إلى النساء، ولكنه جيء محمولا على الإفضاء ؛ الذي يراد به الملابسة في مثل قول الله عزّ وجلّ:﴿ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [النساء:21] (1) ومن هذا المعنى:﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ [البقرة:14] (2)
وأثناء تعقيبه على هذه الآية قال:" إن قيل :لم وصلت (خلوا) بـ: (إلى) وعرفها أن توصل بـ: (الباء) ؟
قيل له:(خلوا) هنا بمعنى :ذهبوا وانصرفوا.
وبيّن بعض آراء علماء اللغة حيث ضمّن الحرف :(إلى) بمعنى:(مع) لكن فيه ضعف.

وعليه فالقرطبي يركز على المعنى اللغوي للفظ الرفث الذي هو:الإفضاء لذا حسنت تعديته بـ:(إلى) فالجالب المعنى ،وليس إبدال الحرف مكان حرف آخر.كما أنّه لا يهتم بمصطلح التضمين وإنّما يستخدم لفظ (محمول على الإفضاء) (3)

1.سورة النساء ،الآية:21
2.سورة البقرة، الآية: 14
3. ينظر:القرطبي249/2

لكن (ابن كثير) يفضل مصطلح التضمين ويدلي برأيه في هذه الآية ، قائلا:"ضمن (خلوا) معنى: انصرفوا لتعديته بـ: (إلى) ليدلّ على الفعل المضمر والفعل الملفوظ به.
ومنهم من قال : (إلى) هنا بمعنى:(مع).
والأول أحسن وعليه كلام (ابن جرير). (1)

لكن يبدو لي أنّ موضوع (التضمين) لم يكن إشكالا طارئا فقد تعرّض له الأوائل قبل "ابن جني" دون الإشارة للفظ (التضمين). وخير مرجع يعول عليه في هذا ، هو تفسير الطبري، فقد أشار إلى ذلك ، دون أن يذكر لفظ (التضمين) فإن قال لنا قائل:أرأيت قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ [البقرة:14] (2) فكيف قيل:(خلوا إلى شياطينهم)

ولم يقل: (خلوا بشياطينهم) فقد علمت أنّ الجاري بين الناس في كلامهم: (خلوت بفلان) أكثر وأفشى من (خلوت إلى فلان.)، ومن قولك :إنّ القرآن أفصح البيان ، قيل:قد اختلف في ذلك أهل العلم بلغة العرب ، فكان بعض نحوي البصرة، يقول:يقال: خلوت إلى فلان ، إذا أريد به خلوت إليه في حاجة خاصة ، لا يحتمل إذا قيل كذلك إلاّ الخلاء إليه في قضاء الحاجة. فأما إذا قيل:
خلوت به احتمل معنيين:
أحدهما:الخلاء به في الحاجة.
والآخر:في السخرية به.
فعلى هذا القول:(وإذا خلوا إلى شياطينهم) ؛لا شكّ أفصح منه لو قيل: (وإذا خلوا بشياطينهم) ؛ لما في قول القائل،(إذا خلوا بشياطينهم) من التباس المعنى على سامعيه الذي هو منتف عن قوله:(وإذا خلوا إلى شياطينهم) فهذا أحد الأقوال.

1.ابن كثير ت سلامة182/1
2.سورة البقرة، الآية:14

والقول الآخر:
إنّ توجيه معنى قوله:(وإذا خلوا إلى شياطينهم) الآية.

أي: إذا خلوا مع شياطينهم؛ إذ كانت حروف الصفات يعاقب بعضها بعضا؛ كما قال الله مخبرا عن عيسى بن مريم أنّه قال للحواريين ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّه ﴾ [الصف:14](1) يريد مع الله .

وكما توضع (على) في موضع:(من) ، و(في) و(عن)و(الباء) كما قال الشاعر:

إذا رضيت عليك بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها*

عليك ، بمعنى :عنك.(2)

وأما بعض نحوي أهل الكوفة فإنّه كان يتأول أنّ ذلك بمعنى:﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة:14] (3) وإذا صرفوا خلاءهم إلى شياطينهم ، فيزعم أنّ الجالب لـ:(إلى) المعنى الذي دلّ عليه الكلام من انصراف المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالين بهم لا قوله:(خلوا)

1.سورة الصف، الآية:14

2. ينظر:الأشمونى 90/2 وابن عقيل 365/1

3.سورة البقرة ،الآية:14

* يستدرك ابن جني على البيت السابق قائلا:" ورأيت أبا علي - رحمه الله - يذهب إلى استحسان مذهب الكسائي؛ لأنه قال: عدى رضيت بـ(على)، كما يُعدى نقيضها وهي سخطت به.

وكان قياسه: رضيت عني، وإذا جاز أن يجري الشيء مجرى نقيضه فإجراؤه مجرى نظيره أسوغ.

فهذا مذهب الكسائي، وما أحسنه!

وفيه غيره على سمت ما كنا بصدده، وذلك أنه إذا رضي عنه فقد أقبل عليه، فكأنه قال: إذا أقبلت عليَّ بنو قشير.

ويعلّق ابن جني على التضمين قائلا:" وهو غور من أنحاء العربية طريف ولطيف ومصون وبطين*.

ومعنى بطين :بعيد الشأو.

ينظر:الخصائص 391/2 والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات 52/1

وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع:(إلى) غيرها لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها.

وهذا القول عندي أولى بالصواب ؛ لأنّ كلّ حرف من حروف المعاني وجها هو به أولى من غيره.فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلاّ بحجة يجب التسليم لها ولـ(إلى) في كلّ موضع دخلت من الكلام حكم وغير جائز سلبها معانيها في أماكنها." (1)

وهكذا بعد عرض الآراء المتعارضة بأمانة وصدق ،ومناقشة كلّ رأي على حدّة ، يفضّل الطبري ـ رحمه الله ـ رأي أهل الكوفة ؛ لأنّه أقرب إلى الصّواب حيث تضمّن الفعل (خلا) معنى انصرف ، فحسن إبدال حروف المعاني لفائدة بلاغية ليدلّ الفعل على الفعل المضمر،والفعل الملفوظ به معا.

وبعد عرضنا لآراء أهل اللغة تبيّن لنا واتضح أنّ رأي الإمام الطبري هو الرأي الوجيه والراجح ،وهو أولى بالصواب.

أماّ الزمخشري فذهب إلى أنّ الفعل (خلا) يتعدى بنفسه مثل: خلا شبابك :أي: مضى.

ويتعدى بحروف الجر التي هي:(من) ،و(عن)، و(الباء)، و(إلى)، و(مع)، و(اللام)، و(على)، وقد مثّل بما يلي:"خلا من أهله ، وعن أهله ،وخلوت بفلان وإليه،ومعه خلوة ، وخلا بنفسه: انفرد .

---

1. الطبري ،جامع البيان 101/1

وخلا لك الجو*: وخلوت على اللبن ، وعلى اللحم ، إذا أكلته وحده ليس معه غيره من تمر أو خبز.

وقد يكون الفعل (خلا) من المجاز فمن أمثلته ما يلي:

ومن المجاز: وخلا به :سخر منه وخدعه لأنّ الساخر،والخادع يخلوان به يريانه النصح والخصوصية.

وعليه فالفعل (خلا) بمعنى :انفرد فهو في الحقيقة فعل لازم.

ويعدى بـ(الباء) وبـ(اللام) و(من) و(مع) بلا تضمين .

ويعدى بالحرف (إلى) على تضمين معنى: آب أو خلص.

ويعدى بنفسه على تضمين: تجاوز ومنه شاع من قولهم (افعل كذا وخلاك ذم*) (1)

1.ينظر:أساس البلاغة للزمخشري 119/1

* خلا لك الجو فبيضي واصفري.

أول من قال ذلك: طرفة بن العبد الشاعر، وذلك أنه كان مع عمه في سفر وهو صبي، فنزلوا على ماء، فذهب طرفة بفخيخ له فنصبه للقنابر، وبقي عامة يومه فلم يصد شيئا ثم حمل فخه ورجع إلى عمه وتحملوا من ذلك المكان، فرأى القنابر يلقطن ما نثر لهن من الحب، فقال:

يا لك من قنبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري قد رحل الصياد عنك فابشري

ورفع الفخ فماذا تحذري لا بد من صيدك يوما فاصبري

ينظر: مجمع الأمثال 239/1 والأمثال لابن سلام 252/1

* ويقولون:" افعل كذا وخلاك ذنب " يريدون ولا يكون لك ذنب فيما فعلت، والمسموع و"خلاك ذم" أي: لا تذم.

قال ابن السكيت: ولا تقل" وخلاك ذنب" وقال الفراء، كلاهما من كلام العرب، وهو من قول قصير اللخمي، قاله لعمرو بن عدى، وقد ذكرته في قصة الزباء في باب الخاء.

وقوله" وخلاك" الواو للحال، وخلا: معناه عدا، أي افعل كذا وقد جاوزك الذم فلا تستحقه، قال ابن رواحة:

فشأنك فانعمى وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي ومالي

يضرب في عذر من طلب الحاجة ولم يتوان.

ينظر: مجمع الأمثال80/2 وأدب الكتاب لابن قتيبة 415/1

ومن خلال عرض هذه النصوص القيمة تبيّن لنا جليا أنّ المفسرين وعلى رأسهم "الطبري" قد تعرّضوا للتضمين وأجادوا فيه ومهدوا الطريق لمن أتى من بعدهم، كاشفين عن أهمية معاني بعض الحروف ودورها في توضيح المعاني والأغراض البلاغية ، وتوقف دلالات النظم وأسراره على إدراك مرامي تعاور الحروف واستجلاء بعض معانيها وهذا لفهم كتاب الله عزّ وجلّ الذي اشتمل على هذه الأسرار الربانية.

بالإضافة إلى هذا يبدو أنّ أغلبية المفسرين واللغويين استفادوا من الطرح الذي طرحه العلامة الطبري وراحوا يرددون وجهة نظره في اختيار مدرسة الكوفة في هذه الآية.

وبهذه الشواهد القيمة التي استشهد بها إمام اللغة(الطبري) حيث أشار إلى مدرسة البصرة التي تمنع: إنابة الحروف الجارة عن بعضها قياسا. فالفعل (خلا) يتعدى بالباء.

فيقال: خلوت بفلان وهو اللغة الراجحة بخلاف:خلوت إلى فلان الذي جاء على غير الأصل وحرف (إلى) إن ترك في الجملة فالذهن ينصرف في تقويم هذه العبارة إلى معنيين متناقضين

المعنى الأول:

الخلاء في قضاء الحاجة.

المعنى الثاني :

الخلاء في السخرية .

ومن هنا : التبس على السامع دلالة الفعل (خلا).لانصرافه إلى تأويلين مختلفين.

ومنهم من قال:(إلى) هنا بمعنى: (مع) والأول أحسن وعليه كلام (ابن جرير) رحمه الله والرأي الأخير:

تضمين : خلا هنا:انصرف فينصرفون لمعنى الكلمة حتى لا ينصرف المعنى لغير ذلك.

وهذا الخلاف الحاد والجدل القائم بين المدرستين ، قد أظهر أن الكوفيين أسدّ رأيا ،وأقوم منهجا ،وأشدّ صوابا .لذا آثر "الطبري"الاقتداء بمذهبهم وفضّله على سائر الآراء ،وأثنى على عملهم ثناء حسنا.

وقد بيّن الطبري بعض آراء علماء اللغة حيث ضمّن الحرف :(إلى) بمعنى (مع) . لكن فيه ضعف.

وعليه فالرفث: لا يتعدى بحرف الجر (إلى) لكنه ضمن معنى فعل:(أفضى) فعدي تعديته.

والمعنى:

أحل لكم الرفث مفضين به إلى نسائكم، فأغنى هذا الأسلوب التضميني عن التعبير بجملتين، أو عن التصريح بالحال. (1)

وعليه فالتعبير بـ:(إلى) أبلغ من (الباء)؛لأنّ (إلى) تختص بمعنى واحد بخلاف (الباء) التي تحتمل معنيين مختلفين لذا جاء القرآن بالأفصح من اللغات.

1.البلاغة العربية 309/2 للدمشقي

تتبع الزّمخشري للتضمين

وقد أشار الزّمخشري للتضمين فقال:"ومن شأنهم أن يضمّنوا الفعل معنى فعل آخر فيجروه مجراه ، ويستعملوه استعماله مع إرادة معنى المتضمن، قال والغرض في التضمين إعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ؛ ألا ترى كيف رجع معنى قول الله تعالى:﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف:28](1) إلى قولك: ولا تقتحم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم ، وكذلك قوله تعالى:﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء:2]
(2) أي:لا تضموها إليها آكلين .(3)
وواضح أن هذا ثراء لفظي، يزيد في مرونة لغتنا، وسعة تصرفها، ولهذا آثرناه.
وعليه فإن الفعل (عدا) يتعدى بنفسه، لكن لما ضُمِّن الفعل (تعدو) معنى: تَصْرِف وتجاوز، فتعدى بحرف الجر (عن).

قال الطبري في معنى الآية: " ولا تصرف عيناك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم إلى غيرهم من الكفار، ولا تجاوزهم إليه.
وأصله من قولهم: عدوت ذلك، فأنا أعدوه: إذا جاوزته.
(ولا تعد عيناك عنهم) قال: لا تجاوزهم إلى غيرهم.
وقيل: لا تتعدهم إلى غيرهم.
ورفعت العينان بالفعل، وهو لا تعد.(4)
ولا تعد: أي: لا تصرف عيناك النظر عنهم إلى أبناء الدنيا.
والمراد نهي الرسول ﷺ أن يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا إلى طراوة زي الأغنياء.

1.سورة الكهف، الآية:28
2.سورة النساء، الآية:2
3.الكشّاف 481/2
4. تفسير الطبري 6/18

وقرئ (ولا تَعْدُ عَيْنَيْكَ عنهم) بالنصب ، ويكون (تعدو) لازما ومتعديا.
(ولا تعد) من أعداه وعداه.
وعدا: متعد تقول:
عدا فلان طوره ؛وجاء القوم عدا زيدا.
فلذلك قدر المفعول محذوفا ليبقى الفعل على أصله من التعدية.(1)
وقرأ الحسن (ولا تُعْدِ عَيْنَيْكَ عَنْهُمْ) بضم التاء وكسر الدّال ، من (أَعْدَى) رباعيا، وحذف حرف العلة للجزم.

و(عينيك):مفعول به،أي: ولا تصرف عينيك عنهم.

وقرأ الحسن أيضا وعيسى بن عمر والأعمش (وَلَا تَعَدِّ عَيْنَيْكَ عَنْهُمْ) بالتشديد مضارع مجزوم من (عَدّى) يُعَدِّي مضعفا، عداه في الأولى بالهمزة وفي الثانية بالتثقيل.
أي: ولا تصرف عينيك عنهم.(2)

---

1. البحر المحيط في التفسير 166/7
2. ينظر:معجم القراءات 193/5

ومنه قول النابغة*:

فَعدِّ عَمَّا تَرَى إذ لا ارْتِجاعَ له وانْمِ القُتُوْدَ على عَيْرانَةٍ أُجُدِ (1)

أي: انصرف عنه.

1.ينظر: تهذيب اللغة 36/9

* النابغة الذبياني (604 م)

شاعر جاهلي، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها.

وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكان أبو عمرو ابن العلاء يفضله على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية.

وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولاحشو. عاش عمرا طويلا.

له (ديوان شعر).

ينظر: الأعلام للزركلي 54/3

* والقتود خشب الرحل وهو للجمع الكثير وفي القليل أقتاد،واحدها قتد.

وانم القتود: نما المال، ونماه الله، ويحتج بهذا البيت أنه قال وانم القتود بألف موصولة غير مقطوعة.

والصحيح أنم، أراد عل القتود، أي: ارفعها.

والعيرانة: الناقة الشبيهة بالعير في صلابتها.

والاجد الموثقة الخلق.

يقال: فعد عما ترى، أي: فانصرف عنه إلى غيره.

ويقال: لا يعدونك هذا الحديث: أي لا يتجاوزونك إلى غيرك.

وتعديت المفازة، أي: جاوزتها إلى غيرها.

ويقال: عدى عن الأخرى أي: تركها، وصرف وجهه عنها وذلك لشيء رابه منها.

يقال: عديت عن الأمر إذا انصرفت عنه.

وتقول للرجل عد عن هذا الأمر وخذ في غيره.

ينظر:الصحاح 2515/6 والعين 215/2 والكامل في اللغة105/1 وشرح المتنبي للعكبري 263/4

"وإنما عدي بـ (عن) لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك: نبت عنه عينه، وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به.

وما ذكره من التضمين لا ينقاس عند البصريين وإنما يذهب إليه عند الضرورة، أما إذا أمكن إجراء اللفظ على مدلوله الوضعي فإنه يكون أولى.(1)

قوله: (ولا تعد عيناك) فيه وجهان.

أحدهما:

أن مفعوله محذوف، تقديره:

ولا تعد عيناك النظر.

والثاني: أنه ضمن معنى ما يتعدى بـ (عن) (2)

قال الشهاب:

"والهمزة والتضعيف فيهما ليسا للتعدية كما في الكشاف ،بل هما مما وافق معنى الثلاثي، فيجري فيه التضمين السابق ـ أي تضمنه معنى نبا ،وإلاّ لتعدى بنفسه كما في البحر ردا على الزمخشري "(3)

وقال أبو حيان متعقبا الزمخشري والرازي في مسألة التعدية :" وما ذهبا إليه ليس بجيد، بل الهمزة والتكثير في هذه الكلمة ليسا للتعدية، وإنما ذلك لموافقة أَفْعَل وفعَّل للفعل المجرد، وإنما قلنا ذلك لأنه إذا كان مجردا متعد. وقد أقر بذلك الزمخشري، فإنه قال: يقال: عدَّاه إذا جاوزه، ثم قال:وإنما عدي بـ(عن) للتضمين. والمستعمل في التضمين هو مجاز ولا يتسعون فيه إذا ضمنوه فيعدونه بالهمزة أو التضعيف، ولو عدي بهما وهو متعد لتعدى إلى اثنين وهو في هذه القراءة ناصب مفعولا واحدا، فدل على أنه ليس معدى بهما.(4)

---

1. البحر المحيط في التفسير 166/7
2. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 473/7
3. معجم القراءات 194/5
4. البحر المحيط في التفسير 167/7

وعليه يكون (أفعل) و(فعل) مما وافقا المجرد وهو اعتراض حسن. (1)
وقال ابن خالويه في مختصره:
وفي حرف ابن مسعود (عينيك) أيضا ،ولم يذكر صورة القراءة في الفعل عند ابن مسعود:
هل هو (لا تعدو) (لا تُعْدِ)،أو (لَا تَعَدِّ)؟
فالنصب في (عينيك) يلزم بواحد من الفعلين.
وقرئ :(ولا تُعَدَّ عيْناكَ) على ما لم يسم فاعله،وما بعده على الرفع .(2)
يقال: عداه إذا جاوزه ومنه قولهم:عدا طوره*. وجاءني القوم عدا زيدا.
وإنما عدى بـ:(عن)، لتضمين عدا معنى: نبا وعلا، في قولك: نبت عنه عينه، وعلت عنه عينه:إذا اقتحمته، ولم تعلق به.
فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين؟
وهلا قيل: ولا تعدهم: عيناك، أو لا تعل عيناك عنهم؟
قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ.
ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم؟
وقرئ:ولا تعد عينيك، ولا تعد عينيك، من أعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو.(3)

وظاهر(ولا تعد عيناك عنهم) نهي العينين عن أن تعدوا عن الذين يدعون ربهم، أي أن تجاوزاهم، أي تبعدا عنهم.

1.ينظر: لسان العرب 489/4
2. معجم القراءات 194/5
3. الكشاف 717/2
ويقال للرجل: عدا طوره، أي: جاوز حده.
ولذلك [يقال] عدا طوره، أي جاز الحد الذي هو له من داره. ثم استعير ذلك في كل شيء يتعدى.
والطور: جبل ، فيجوز أن يكون اسما
ينظر: معجم ديوان الأدب293/3 ومقاييس اللغة 430/3

والمقصود: الإعراض، ولذلك ضمن فعل العدو معنى الإعراض، فعدي إلى المفعول بـ (عن) وكان حقه أن يتعدى إليه بنفسه يقال: عداه، إذا جاوزه. ومعنى نهي العينين نهي صاحبهما، فيؤول إلى معنى: ولا تعدي عينيك عنهم.وهو إيجاز بديع.(1)

وعلى هذا فالتضمين مجاز مرسل؛ لأنه استعمل اللفظ في غير معناه لعلاقة بينهما وقرينة .

وفي قوله تعالى:﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف:28] (2) مجاز عقلي؛ لأنه أسند فعل عدا أي تجاوز إلى العينين ومن حقه أن يسندهما إليه ؛لأن عدا متعد بنفسه كما تقدم وإنّما جنح إلى المجاز؛ لأنه أبلغ من الحقيقة فكأن عينيه ثابتتان في الرنو إليهم وكأنما أدركتا ما لا تدركان وأحستا بوجوب النظر إلى هؤلاء وصبر النفس ورياضتها على ملازمتهم.

وقيل هو من باب التضمين فقد ضمن عدا معنى نبا وعلا من قولهم نبت عينه عنه إذا اقتحمته ولم تعلق به والغرض من هذا التضمين إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى مفرد أي لا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم وهو جميل أيضا.

والمتفحّص لهذه الأمثلة يدرك جيدا أنّ "الزّمخشري "من أولئك الذين يزكون "التضمين؛ لأنّه باب من أبواب المجاز ، حيث يتضمّن الفعل معنيين مختلفين.

فالزمخشري" تنبه إلى أهمية هذا الأسلوب ، ونفى أن يكون حلول حروف التعدية بعضها محلّ بعض من باب الخطأ ، أو من باب الترادف والتساوي بينهما ،وحاول أن يكشف من لطيف المعاني معتبرا ذلك سرا من أسرار الإعجاز ، ودليلا من أدلته البيانية.

ومن خلال هذا الطرح القيم الذي تبنّاه الزّمخشري في تنوع بعض معاني دلالات الحروف التي تنبئ على فهمه العميق حيث بيّن معاني الحروف بين كلّ حرف وآخر.
وهذا الطرح العجيب يكشف من ورائه على غزارة علمه ، ومتانة رأيه في التنويه بهذه اللغة.

1.التحرير والتنوير 305/15
2.سورة الكهف، الآية:28

تضمين الفعل يألو

والمتتبع للفعل (يألوا) يجد الزمخشري أحسن صنعا في تضمين هذا الفعل ،ومثّل بأمثلة يدرك منها التضمين ففي قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ (1) فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:226]

فبدأ أولا: بـ:التوجيهات القرائية:حيث قرأ عبد اللَّه: آلوا من نسائهم.فقراءة عبد الله هي استعمال الفعل :آلوا إلى الماضي.

والقراءة الثانية قراءة ابن عباس: يقسمون من نسائهم.وهي قراءة شرح للفظ :يألو.

فإن قلت: كيف عدي بـ(من)، وهو معدى بـ(على) ؟

قلت: قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد، فكأنه قيل: يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين.

والإيلاء من المرأة أن يقول: واللَّه لا أقربك أربعة أشهر فصاعدا على التقييد بالأشهر. أو لا أقربك على الإطلاق؛ ولا يكون في مادون أربعة أشهر. (2)

والإيلاء:

الحلف، وظاهر كلام أهل اللغة أنه الحلف مطلقا يقال: آلى يولي إيلاء، وتألى يتألى تأليا، وائتلى يأتلي ائتلاء.

وقال الراغب: "الإيلاء حلف يقتضي التقصير في المحلوف عليه مشتق من الألو وهو التقصير قال تعالى:﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران:118] (3) أي: لا يقصرون لكم في الفساد. وقال الله تعالى:﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [النور:22] (4) ؛ أي: لا تقسموا ألا تنفعوا أحدا.

1.سورة البقرة ،الآية:226

2. تفسير الزمخشري،268/1

3.سورة آل عمران، الآية:118

4.سورة النور،الآية:22

و(لا يألونكم خبالا) يقال: ألا في الأمر يألو، إذا قصر فيه.
و(ألا):يستعمل ثلاثيا مجردا فنقول:ألا: يَأْلُو أَلْواً وأُلُوّاً وأُلِيّاً وإِلِيّاً،ومزيدا مثل:أَلَّى يُؤَلِّي تَأْلِيَةً. وأْتَلَى: قَصَّر وأَبطأَ (1)
ثم استعمل معدّى إلى مفعولين في قولهم: لا آلوك نصحا، ولا آلوك جهدا، على التضمين.
والمعنى:
لا أمنعك نصحا ولا أنقصكه.
ومعنى لا يألونكم خبالا لا يقصرون في خبالكم.
والألو: التقصير والترك، وفعله ألا، يألو.
وقد يتوسعون في هذا الفعل فيعدى إلى مفعولين؛ لأنهم ضمنوه معنى: المنع فيما يرغب فيه المفعول.
فالظاهر أنه شاع ذلك الاستعمال حتى صار التضمين منسيا، فلذلك تعدى إلى ما يدل على الشر كما يعدى إلى ما يدل على الخير، فقال هنا: لا يألونكم خبالا أي: لا يقصرون في خبالكم.
وليس المراد لا يمنعونكم؛ لأن الخبال لا يرغب فيه ولا يسأل. (2)

ومعنى:(لا يألونكم خبالا)، يعني لا يستطيعونكم شرًّا، من"ألوت آلُو ألوًا".
يقال: ما أَلاَ فلان كذا، أي: ما استطاع، ومنه قول الشاعر*

_____
1.ينظر: لسان العرب مادة:[ألا]
2.التحرير والتنوير64/4
* أبو العيال بن أبي عتبة الهذلي:
هو أبو العيال الهذلي من بني ضباعة، بن سعد بن هذيل، وهو أخو عبد بن وجزة الهذلي لأمه.
ذكره ابن عساكر، فقال: مخضرم، أدرك الجاهلية وأسلم، وغزا في خلافة عمر فدخل مصر، ثم عمّر إلى خلافة معاوية، وغزا مع يزيد بن معاوية الروم، وكتب إلى معاوية قصيدة قالها في تلك الواقعة.

جَهْرَاءُ لا تَأْلُو، إذَا هِيَ أَظْهَرَتْ بَصَرًا، وَلا مِنْ عَيْلَةٍ تُغْنِيني (1)
يعني: لا تستطيع عند الظهر إبصارا.

_____
1. تفسير الطبري 139/7
منها:
أبلغ معاوية بن صخر أنّه يهوي إليه الفرند الأعجل
أنّى لقينا بعدكم في غزونا من جانب الأبراج يوما ينسل
أمرا تضيق به الصّدور ودونه مهج النّفوس وليس عنه معدل
ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة 251/7
* البيت لأبي العيال الهذلي
* من شعر جيد في مقارضات بينه وبين بدر بن عامر الهذلي، قال بدر بن عامر أبياتا، حين بلغه أن ابن أخ لأبي العيال، أنه ضلع مع خصمائه، فانتفى من ذلك وزعم أنه ليس ممن يأتي سوءا إلى أخيه أبي العيال، فكذبه أبو العيال، فبادر بدر يرده. وكله شعر حسن في معناه. فشبه أبو العيال شعر بدر فيه وفي الثناء عليه بالشاة فقال له:
أقسمت لا تنسى شباب قصيدة أبدا!! فما هذا الذي ينسيني?
فلسوف تنساها وتعلم أنها تبع لآبية العصاب زبون
ومنحتني فرضيت زي منيحتي فإذا بها، وأبيك، طيف جنون
* الشرح: الجهراء: هي التي لا تبصر في الشمس، وهو ضعف في البصر.
لا تألوا لا تستطيع، يقال: ما آلو كذا أي: ما أستطيعه.
يقال: عال يعيل عيلا وعيلة: افتقر.
المعنى:
يقول: أهديت لي شعرا وثناء وقولا فرضيته، ثم إذا لا شيء إلا قول وكلام، إذا انكشف الأمر وظهر، عمى هذا الشعر وانطفأ، وإذا جد الجد، لم يغن قولك شيئا، بل كنت كما قلت لك آنفا:
ولقد رمقتك في المجالس كلها فإذا، وأنت تعين من يبغيني
والمراد: فإذا أنت. وقول الآخر:
فما بال من أسعى لأجبر عظمه حفاظا، وينوي من سفاهته كسرى
أي: ينوي من سفاهته.
ينظر:الطبري139/7 وديوان الهذليين 263 والحيوان535،والمعاني الكبير:690 واللسان مادة (ألا) و(جهر).

وعليه فلفظ (يألونكم):بمعنى:لا يقصرون لكم في الفساد.
وأصله أن يعدى بالحرف.
فقد تضمن معنى:الترك والتقصير، والبطء معا.
ويرى أحد النحاة،أنّ الفعل: (آلى) لا يتعدى بـ(من)، فقيل: (من)، بمعنى:(على).
وقيل: بمعنى:(في).
ويكون ذلك على حذف مضاف، أي: على ترك وطء نسائهم،
وقيل: (من) زائدة.
والتقدير:
يؤلون أن يعتزلوا نساءهم. (1)

وأما (من) فقيل: يتعلق بيؤلون يقال: آلى من امرأته، وعلى امرأته.
وقيل: الأصل (على).
ولا يجوز أن يقام (من) مقام (على) حتى لا تتعلق من بمعنى الاستقرار.
والفعل:يألونكم:مفعوله الأول: الكاف.
ومفعول الثاني: خبالا.
أماّ إذا كان الفعل لازما فتكون (الكاف) في محل نصب بنزع الخافض.
أي: لا يألون لكم.
وخبالا: منصوب أيضا بنزع الخافض أي: في الخبال.
ولك أن تنصبه على التمييز.
أو على أنه مصدر في موضع الحال. (2)

وهذه الأوجه المتعددة تعطي دلالات متعددة للمعنى الإعرابي للآية الكريمة.

---

1. إعراب القرآن وبيانه 36/2
2. البحر المحيط 476/1

وصار في الشرع الحلف المخصوص.فيؤخذ من كلام الراغب أن الإيلاء حلف على الامتناع والترك؛لأن التقصير لا يتحقق بغير معنى الترك وهو الذي يشهد به أصل الاشتقاق من الألو، وتشهد به موارد الاستعمال؛لأنا نجدهم لا يذكرون حرف النفي بعد فعل آلى ونحوه كثيرا، ويذكرونه كثيرا، قال المتلمس:

آليت حب العراق الدهر أطعمه (1)

يريد: على حَبَّ العراق.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾ [النور: 22] (2) أي: على أن يؤتوا. وقال تعالى هنا:﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ [البقرة:226] (3) فعداه بـ(من)، ولا حاجة إلى دعوى الحذف والتضمين.

وأيا ما كان فالإيلاء بعد نزول هذه الآية، صار حقيقة شرعية في هذا الحلف.

---

1. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 2/ 160

2.سورة النور، الآية:22

3.سورة البقرة، الآية:226

هو: المتلمس: جرير بن عبد المسيح؛ من بني ضبيعة بن ربيعة، وسمي المتلمس لقوله:

فهذا أوان العرض حيا ذبابه زنابيره والأزرق المتلمسُ

كان ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة، مع طرفة بن العبد، فهجواه، فكتب إلى عامله بالبحرين كتابين وأرسله معهما ففتح المتلمس كتابه فنجا وقتل طرفة، والمتلمس أشعر المقلين الجاهليين، أتى بصرى فهلك بها.

والبيت هو: آلْيتَ حَبَّ العِرَاقِ الدَّهْرَ أَطعمُهُ والحبُّ يأكله في القرية السوس

المفردات: آليت: حلفت. حب العراق، الحب: اسم جنس جمعي يشمل الحنطة والشعير وغيرهما. أطعمه: أذوقه. السوس: دود يقع في الطعام وفي الصوف.

المعنى: أقسمت ألا آكل شيئا من خيرات العراق على الرغم من كونه كثير الخير والحب، فخزائنه مملوءة بالحب الوفير، ولكثرته يأكله السوس.

وجه الاستشهاد: حذف حرف الجر، وانتصاب:(حب) لحذف حرف الجر؛ وهو ما يسمى بالنصب على نزع الخافض؛ وحكم حذف حرف الجر -هنا- عدم الجواز إلا للضرورة الشعرية، وأمثلته كثيرة في الشعر العربي.

ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 160/2

ومجيء (اللام) في(للذين يؤلون)
لبيان أن التربص جعل توسعة عليهم، فـ(اللام)؛ لأجل مثل هذا لك، ويعلم منه معنى: التخيير فيه.
أي: ليس التربص بواجب، فللمولي أن يفيء في أقل من الأشهر الأربعة.
وعليه ففعل الإيلاء: عدي بـ(من)، مع أن حقه أن يعدى بـ(على)؛ لأنه ضمن هنا معنى البعد، فعدي بالحرف المناسب لفعل البعد، كأنه قال: للذين يؤلون متباعدين من نسائهم. (1)

وتعليق الإيلاء باسم النساء من باب إضافة التحليل والتحريم ونحوهما إلى الأعيان، مثل:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ [النساء:23] (2)
فالتضمين إلحاق مادة بأخرى لتضمنها معناها ولو في الجملة، وهذا باتحاد أو تناسب، فالكلمة تستعمل في حقيقتها ومجازها، ألا ترى أن الفعل من قوله تعالى:﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ [البقرة:226] (3)
ضمن معنى: يمتنعون من نسائهم بالحلف، وليس حقيقة الإيلاء إلا الحلف، فاستعماله في الامتناع من وطء المرأة إنما هو بطريق المجاز، من باب إطلاق السبب على المسبب؛ فقد أطلق فعل الإيلاء مرادا به ذلك المعنيان جميعاً، وذلك جمع بين الحقيقة، والمجاز بلا شك.
ويؤخذ من هذا التضمين أنّه قياسي.

وقال ابن هشام: قد يشربون لفظًا لفظ فيعطونه حكمه، ويسمى ذلك: "تضمينا"، وفائدته: أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين.(4)

---

1. التحرير والتنوير 384/2
2.سورة النساء ،الآية:23
3.سورة البقرة، الآية:226
4. مغني اللبيب 897/1

وعليه:فالفعل :يألوا جمع بين الحلف والبعد لذا كان حرف الجر (من) أولى من الحرف (إلى)؛وحق تعدية فعل الإيلاء بـ (على)؛ ولكنه ضمنه معنى: البعد ؛ لأن المقسمين يبعدون عن نسائهم .

(وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ) [النور:22] (1)، يقول: لا تقسموا على أن لا تعطوهم من النفقة شيئًا واعفوا واصفحوا. (2)

واختلف القرّاء في قراءة قوله: (ولا يَأْتَلِ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار. (وَلا يَأْتَلِ) بمعنى: يفتعل من الأَلَيَّة، وهي القسم بالله، سوى أبي جعفر وزيد بن أسلم، فإنه ذكر عنهما أنهما قرآ ذلك (وَلا يَتألّ) بمعنى: يتفعل، من الأَلِية.

والصواب من القراءة في ذلك عندي، قراءة من قرأ: (ولا يَأْتَلِ) بمعنى: يفتعل من الألية، وذلك أن ذلك في خطّ المصحف كذلك، والقراءة الأخرى مخالفة خطّ المصحف، فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القرّاء وصحّة المقروء به أولى من خلاف ذلك كله، وإنما عني بذلك أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه في حلفه بالله لا ينفق على مسطح،(وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ) يقول: لا تقسموا ألا تنفعوا أحدا.

"وهو من ائتلى إذا حلف: افتعال من الألية.

وقيل: من قولهم: ما ألوت جهدا، إذا لم تدخر منه شيئا.

ويشهد للأول قراءة الحسن: ولا يتأل.

والمعنى: لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان. أو لا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها، فليعودوا عليهم بالعفو والصفح، وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم، مع كثرة خطاياهم وذنوبهم، نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما، وكان فقيرا من
فقراء المهاجرين، وكان أبو بكر ينفق عليه، فلما فرط منه ما فرط:آلى أن لا ينفق عليه، وكفى به داعيا إلى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسيء." (3)

1.سورة النور،الآية:22

2.ينظر: تفسير الطبري217/7

3.تفسير الزمخشري 222/3

(وَلا يَأْتَلِ):
ولا يحلف افتعال من الألية، أو ولا يقصر من الألو، ويؤيد الأول أنه قرئ ولا (يتأل) .
وقرأ الجمهور: ولا يأتل.(1)

والايتلاء افتعال من الألية وهي الحلف وأكثر استعمال الألية في الحلف على امتناع. يقال: آلى وائتلى.
وقرأه أبو جعفر ولا يتأل من تألى تفعل من الألية. (2)

(لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبالًا) أي: لا يقصرون لكم في الفساد.
والألو: التقصير.
وأصله أن يعدى بالحرف.
وعدي إلى مفعولين كقولهم:
لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع أو النقص.

---

1. ينظر:التحرير والتنوير 189/18
2.تفسير البيضاوي 102/4

والذي شدّ انتباهي في هذه الآية المباركة تخريج القاضي ابن العربي الذي فقه معنى هذه الآية،ولم يكتف باستنباط الأحكام الشرعية المعروفة عند الفقهاء، فقد أدلى بآراء جديرة بالدراسة اللغوية، وجدير بعلماء اللغة أن يقفوا عليها ،ويفقهوا رأيه في اعتنائه بلغة القرآن الكريم.

حيث أشار إلى التخريج اللغوي والنحوي قائلا:

الإيلاء في لسان العرب هو: الحلف.

والفيء: هو الرجوع.

والعزم: هو تجريد القلب عن الخواطر المتعارضة فيه إلى واحد منها.

وبعد هذا المدخل اللغوي الجميل كشف عن السرّ في إيثار الحرف (من) على الحرف (على) فقال:للذين يعتزلون من نسائهم بالألية، فكان من عظيم الفصاحة أن اختصر، وحمل آلى معنى: اعتزل النساء بالألية حتى ساغ لغة أن يتصل آلى بقولك (من)،ونظمه في الإطلاق أن يتصل بآلى قولك (على). تقول العرب: اعتزلت من كذا وعن كذا.

وآليت وحلفت على كذا، وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال، وجهلت النحوية هذا فقال كثير منهم: إن حروف الجر يبدل بعضها من بعض، ويحمل بعضها معاني البعض، فخفي عليهم وضع فعل مكان فعل، وهو أوسع وأقيس، ولجوا بجهلهم إلى الحروف التي يضيق فيها نطاق الكلام، والاحتمال. (1)

إنّ تخريجه هذا ينبئنا عن فهمه الثاقب لهذه اللغة، وموقفه في التعامل مع الفعل دون الحرف فهو لا يرى سبيلا في تخريج معنى الآية على الحرف (من) بل يرى أنّ السرّ يكمن في حمل الفعل على الفعل في معناه حيث أشار إلى ذلك صراحة على أنّ حمل : (آلى) على معنى (اعتزل) فنقول:اعتزلت من كذا وعن كذا ؛لأنّ الفعل اعتزل يتعدى بالحرف (من) و(عن) ، بحيث ساغ في عرف اللغة أن يتصل إلى:بـ:(من).

---

1. أحكام القرآن لابن العربي242/1

وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال.
ونعى على النحاة الذين يلتمسون مخرجا لإنابة حروف الجر،وإبدالها من بعضها،حيث خفي عليهم وضع فعل مكان فعل؛لأنّ حمل الفعل على الفعل أوسع وأقيس في التعامل مع اللغة.

وقد علّق السيوطي على هذا المعنى فقال:"واختلفوا أيهما أولى، فقال أهل اللغة وقوم من النحاة: التوسع في الحرف.
وقال المحققون: التوسع في الفعل؛ لأنّه في الأفعال أكثر. (1)

ومن كلام السيوطي تبيّن لنا أنّ ابن العربي كان من المحققين في اللغة وكفاه شرفا أنْ ألّف كتابا سماه:" ملجئة المتفقهين إلى معرفة غوامض النحويين.

ويمتاز التضمين من بقية وسائل التعدية بأنه قد ينقل الفعل اللازم طفرة إلى أكثر من مفعول واحد؛ ولذلك عدي: "آلوت" بمعنى: "قصرت" إلى مفعولين بعد أن كان الفعل قاصرا، ذلك في نحو قولهم: لا آلوك نصحا؛ لأنه تضمن معنى: "لا أمنعك" الذي ينصب مفعولين. (2)

---

1. معترك الأقران 198/1
2. النحو الوافي 171/2

تضمين تظاهرون

والفعل تَظَّاهَرون أو تُظَاهِرُونَ وهو من الأفعال التي تتعدى بحرف الجر (من) لدلالة بلاغية؛ ففي قوله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تَظَّاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [الأحزاب:4] (1)

"وتظاهرون: من ظاهر. وتظاهرون:من اظّاهر، بمعنى: تظاهر.

وتظهرون: من أظهر، بمعنى تظهر.

وتظهرون: من ظهر، بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد.

وتظهرون: من ظهر، بلفظ فعل من الظهور.

ومعنى ظاهر من امرأته:

قال لها: أنت علىّ كظهر أمي.

فإن قلت: فما وجه تعديته وأخواته بـ (من) ؟

قلت: كان الظهار طلاقا عند أهل الجاهلية، فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة، فكان قولهم: تظاهر منها: تباعد منها بجهة الظهار، وتظهر منها: تحرز منها. وظاهر منها:حاذر منها، وظهر منها: وحش منها*. وظهر منها: خلص منها.(2)

ونظيره: آلى من امرأته.

لما ضمن معنى التباعد منها عدّى بـ(من)، وإلا فآلى في أصله الذي هو بمعنى: حلف وأقسم، ليس هذا بحكمه.

1.سورة الأحزاب، الآية:4

2. ينظر:الزمخشري 521/3 وتفسير البيضاوي 225/4

* وحش منها: أي خلا منها

فإن قلت:
ما معنى قولهم: أنت عليّ كظهر أمي؟ قلت: أرادوا أن يقولوا: أنت عليّ حرام كبطن أمي، فكنوا عن البطن بالظهر؛ لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج، وإنما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر؛ لأنه عمود البطن. (1)

وأصل تظهرون تتظهرون فأدغمت التاء الثانية في الظاء.
وتعديته بـ(من) لتضمنه معنى التجنب ؛ لأنه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الإسلام يقتضي الطلاق أو الحرمة إلى أداء الكفارة كما عدي آلى بها، وهو بمعنى: حلف.

وذكر الظهر في قولهم: أنت علي كظهر أمي، تخييل للتشبيه المضمر في النفس على طريقة الاستعارة المكنية إذ شبه زوجه حين يغشاها بالدابة حين يركبها راكبها، وذكر الظهر تخييلا كما ذكر أظفار المنية في بيت أبي ذؤيب الهذلي.

وكلمة (علي) تؤذن بمعنى التحريم، أي: أنت حرام علي، فصارت الجملة بما لحقها من الحذف علامة على معنى التحريم الأبدي.
ويعدى إلى اسم المرأة المراد تحريمها بحرف (من) الابتدائية لتضمينه معنى الانفصال منها. (2)
وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب (تَظَّهَّرُونَ) بالتاء وتشديد الظاء والهاء بغير ألف.
وقرأ ابن عامر (تَظَّاهرُون) بتشديد الظاء وألف بعدها مع فتح التاء.
وقرأ عاصم (تُظَاهِرُون) بضم التاء وتخفيف الظاء.

1.ينظر: الكشاف 521/3
2. التحرير والتنوير257/20

وقرأ حمزة والكسائي (تَظَاهَرون) خفيفة مفتوحة التاء بألف.
قال أبو منصور: هذه لغات صحيحة، ومعناها واحد.
يقال: تَظاهَر فلان من امرأته، وتَظَهَّرَ منها، واظَّاهر، واظَّهَّر، وظَاهَرَ بمعنى واحد.
وهو أن يقول لها: أنت عليَّ كظهر أمي.
فمن قرأ (تَظَّهَّرُون) فالأصل (تتظهرون) ، فأدغمت التاء الثانية في الظاء وشددت.

وكذلك مَنْ قَرَأَ (تَظَّاهَرون) فالأصل (تَتَظاهَرُون) ،فأدغمت التاء في الظاء.
وَمَنْ قَرَأَ: (تظَاهرون) مخففا فالأصل فيه أيضًا (تتظاهرون) فحذفت إحدى التاءين استثقالا للجمع بينهما.
قال البصريون: التاء المحذوفة تاء المخاطبة.
وقال غيرهم: بل المحذوفة تاء التفاعل ولكل حجة على ما قال.(1)
ومعنى: (تظاهرون) تتعاونون وحذفت إحدى التاءين.

وأصل المظاهرة المعاونة مشتقة من الظهر؛ لأن بعضهم يقوي بعضا فيكون له كالظهر.
وتظهرون: بمعنى تتظهرون: أي تتعاونون عليهم.
وفي قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ [المجادلة:2] (2) ففي:(منكم) توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار؛ لأنه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم ما هن أمهاتهم.
وفي قراءة ابن مسعود: بأمهاتهم، وزيادة الباء في لغة من ينصب.
ولم يأت مصدره إلا على وزن الفعال ووزن المفاعلة.

1.معاني القراءات للأزهري 278/2
2.سورة المجادلة، الآية:2

يقال: صدر منه ظهار ومظاهرة، ولم يقولوا في مصدره بوزن التظهر، فقراءة نافع قد استغني فيها عن مصدره بمصدر مرادفه.(1)
والمعنى:
أن من يقول لامرأته أنت على كظهر أمي: ملحق في كلامه هذا للزوج بالأم، وجاعلها مثلها.
وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين.
وفي قوله تعالى:﴿ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾ [المجادلة:2] (2)
يريد أن الأمهات على الحقيقة إنما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن، فالمرضعات أمهات لأنهن لما أرضعن دخلن بالرضاع في حكم الأمهات، وكذلك أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين؛ لأن الله حرم نكاحهن على الأمة فدخلن بذلك في حكم الأمهات.(3)
سلكوا في هذا التحريم مسلك الاستعارة المكنية بتشبيه الزوجة حين يقربها زوجها بالراحلة، وإثبات الظهر لها تخيل للاستعارة ، ثم تشبيه ظهر زوجته بظهر أمه، أي في حالة من أحواله، وهي حالة الاستمتاع المعروف.(4)

وفي آية الظهار فن عجيب من فنون البلاغة وهو السلب والإيجاب وقد تقدمت الإشارة إليه وأنه بناء الكلام على نفي الشيء من جهته وإيجابه من جهة أخرى أو أمر بشيء من جهة ونهي عنه من جهة ثانية وفي قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾ [المجادلة:2] (5) نفي لصيرورة المرأة أما بالظهار وإثبات الأمومة للتي ولدت الولد.

1.التحرير والتنوير 10/28
2.سورة المجادلة، الآية:2
3.ينظر: الكشاف 485/4
4.ينظر:التحرير والتنوير12/28
5.سورة المجادلة، الآية:2

تضمين المصدر حقيق

ومن الآيات التي شدّت انتباه الزمخشري وحاول أن يلامس بعض معانيها مبينا آراء القراء في توجيه بعض القراءات الخاصة بهذه الآية المباركة كاشفا عن بعض الجوانب من بلاغتها،ومركزا على بعض الجوانب النحوية،وخاصة التضمين في لفظ:(حقيق) بمعنى حريص.وفي قوله تعالى:﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ [الأعراف:105] (1)
بدأ أولا بتوجيه بعض القراءات ، ففيه أربع قراءات.
أولا: المشهورة:و﴿ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ وهي قراءة نافع.
والثانية: (حَقِيقٌ أَنْ لَا أَقُولَ) بحذف حرف الجر (على) وهي قراءة عبد الله.
والثالثة: (حَقِيقٌ بِأَنْ لَا أَقُولَ) بحذف حرف الجر (على) وإبداله بحرف الجر (الباء) وهي قراءة أبيّ.
وفي المشهورة إشكال، ولا تخلو من وجوه:
أحدها: أن تكون مما يقلب من الكلام لأمن الإلباس، كقوله:
وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ (2)

---

1. سورة الأعراف، الآية:105
2. مقاييس اللغة 102/2
خداش بن زهير
خداش بن زهير العامري، من بني عامر بن صعصعة: شاعر جاهلي، من أشراف بني عامر وشجعانهم. كان يلقب (فارس الضحياء) يغلب على شعره الفخر والحماسة. يقال إن قريش قتلت أباه في حرب الفجار، فكان خداش يكثر من هجوها. وقيل: أدرك حنينا، وشهدها مع المشركين.
وزاد بعض مترجميه أنه أسلم بعد ذلك.
وقال أبو عمرو بن العلاء: خداش أشعر من لبيد، وأبى الناس إلا تقدمة لبيد.
المعنى: إن هذه الرماح تشقيهم فهم لا يحسنون الحرب بها ولا استخدامها فى ميدان القتال، وإذا حملت معنى التشبيه المقلوب فيكون لديهم مهارة فائقة فى استخدامها حتى تشقى الرماح من كثرة القتل والطعن.
الضياطرة: جمع ضيطار، وهو الجبان العظيم الخلق، الذي لا يحسن حمل السلاح.
ينظر:سر صناعة الإعراب 7/2 والأعلام للزركلي 302/2

ومعناه: وتشقى الضياطرة بالرماح.
و(حقيق عَليَّ أن لا أقول)،وهي قراءة نافع.

والثاني: أنّ ما لزمك فقد لزمته، فلما كان قول الحق حقيقاً عليه كان هو حقيقاً على قول الحق، أي لازماً له.
والثالث: أن يضمن (حقيق) معنى حريص، كما ضمن: (هيجنى) * معنى: ذكرني في بيت الكتاب.
والرابع- وهو الأوجه- الأدخل في نكت القرآن: أن يغرق موسى في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام. (1)

وبعد عرضه لمجموعة من الآراء بيّن فيها وجهة نظره في هذه الآية وفضّل الوجه الأخير؛لأنّه هو الأدخل في نكت القرآن.
ويكشف الطبري على بعض المعاني الخاصة ببعض القراءات في هذه الآية الكريمة،مبينا وجوه الاختلاف والإتلاف ثم يختم بأن جميع هذه القراءات التي تعرّض لها القرّاء هي من القراءات المشهورة التي يجب اتباعها في كلّ قراءة.فقال: اختلفت القرأة في قراءة قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف:105] (2)
فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصرة والكوفة:(حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ) ، بإرسال (الياء) من (على)، وترك تشديدها.

---

1. تفسير الزمخشري137/2
2.سورة الأعراف ،الآية:105
* إذا تَغَنَّى الحَمامُ الوُرقُ هَيَّجَنى ولو تغرَّبتُ عنها أُمَّ عَمّارِ
قال الخليل رحمه الله: لما قال هيجني عرف أنه قد كان ثم تذكر لتذكرة الحمام وتهييجه، فألقى ذلك الذي قد عرف منه على أم عمار، كأنه قال: هيجني ، فذكرني أم عمار.
ينظر: الكتاب لسيبويه 286/1

بمعنى: أنا حقيقٌ بأن لا أقول على الله إلا الحق. فوجهوا معنى (على) إلى معنى:(الباء). كما يقال: رميت بالقوس وعلى القوس، وجئت على حال حسنة وبحال حسنة.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: إذا قرئ ذلك كذلك، فمعناه: حريص على أن لا أقول ، أو فحق أن لا أقول.

وحقيق:حريص أو محق.

وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة:﴿ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ ﴾ [الأعراف:105] (1) بمعنى: واجب عليَّ أن لا أقول، وحق علي أن لا أقول.

قال أبو جعفر:

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القرأة، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب. (2)

ولعلّ وجهة نظر الزمخشري في التضمين مأخوذ من قول الطبري،"وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: إذا قرئ ذلك كذلك، فمعناه: حريص على أن لا أقول.(3) حيث شرح لفظ حقيق بمعنى:حريص.

وفي قراءة عبد الله: حَقِيقٌ بِأَنْ لَا أقول عَلَى الله فهذه حجة من قرأ (عَلَى) ولم يضِف.

والعرب تجعل الباء فِي موضع على ،رميت على القوس، وبالقوس، وجئت على حال حسنة وبحال حسنة.

ومثله فِي الكلام أتيتك أنك تعطي فلم أجدك تُعطي، تريد: أتيتك (على) أنك تعطي فلا أراك كذلك. (4)

1.سورة الأعراف ، الآية:105

2.الطبري 14/13

3.ينظر: الطبري 14/15

4. معاني القرآن للفراء 386/1

لكن البيضاوي بعد عرضه لمجموعة من الآراء حول معاني هذه الآية المباركة يقتصر على التضمين فقال:" ضمن حقيق معنى: حريص، أو وضع (على) مكان (الباء) لإفادة التمكن كقولهم: رميت على القوس وجئت على حال حسنة، ويؤيده قراءة أبي بالباء.
وقرئ :(حقيق أن لا أقول) بدون على.(1)
وقرأ نافع (عليّ) أن لا أقول بتشديد الياء. جعل على داخلة على ياء المتكلم.

وقد تعرّض صاحب التحرير لهذه الآية مستفيدا من آراء السابقين النيرة التي فتحت له باب البحث فقال في الآية:﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ ﴾ [الأعراف:105] (2) قرأه نافع بالياء في آخر (عليَّ) فهي ياء المتكلم دخل عليها حرف (على).
وتعدية حقيق بحرف (على) معروفة. قال تعالى:﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ [الصافات:31] (3)، ولأن حقيق بمعنى واجب فتعديته بحرف على واضحة.
وحقيق: فعيل بمعنى فاعل، وهو مشتق من (حق) بمعنى: وجب وثبت.
أي: متعين وواجب علي قول الحق على الله، و(على) الأولى للاستعلاء المجازي ، و(على) الثانية بمعنى عن.

وقرأ الجمهور (على) بألف بعد اللام، وهي (على) الجارة.
ففي تعلق (على) ومجرورها الظاهر بحقيق تأويل بوجوه أحسنها قول الفراء، وأبي علي الفارسي: أن (على) هنا بمعنى: الباء.
وأن حقيق فعيل بمعنى مفعول: أي محقوق بأن لا أقول على الله إلا الحق، أي: مجعول قول الحق حقا علي.

---

1. تفسير البيضاوي 26/3
2.سورة الأعراف، الآية:105
3.سورة الصافات، الآية:31

والمعنى: لو كان قول الحق شخصا عاقلا لكنت أنا واجبا عليه؛ أن لا يصدر إلا عني وأن أكون قائله، وهو على هذا استعارة بالكناية: شبه قول الحق بالعقلاء الذين يختارون مواردهم ومصادرهم.

ورمز إلى المشبه به بما هو من روادفه، وهو كون ما يناسبه متعينا عليه.
وأحسن من هذا أن يضمن حقيق معنى: مكين وتكون (على) استعارة للاستعلاء المجازي. (1)
ومن خلال عرضنا لآراء العلماء ألفينا أنّ الزّمخشري شرح لفظ :حقيق بمعنى: حريص وهذا الشرح مأخوذ من شرح الطبري.
بينما صاحب التحرير يشرح حقيق بمعنى:وجب وثبت.
وكلا المعنيين يصبّ في واد واحد وهو التضمين الذي هو إشراب معنيين في معنى واحد.

وخلاصة القول:
1. إنّ لفظ (حقيق) جاء بعده حرف الجر(على) بالألف المقصورة.
2.جاء حرف الجر(عليَّ) بياء مشدّدة.
3.حذف حرف الجر (على)
4.إبدال حرف الجر(على) بالباء.

ولذا حسن:أن يضمن (حقيق) معنى: حريص،فيكون التضمين في هذه الآية المباركة، تضمين اسم حقيق لاسم حريص." ليفيد أنه محقوق بقول الحق، وحريص عليه، ويضمن فعل معنى فعل، فتعديه أيضا تعديته في بعض المواضع،وفيه تصريح بأن التضمين يجري في الأسماء بل صدر به.(2)

---

1. التحرير والتنوير 38/9
2. النحو الوافي 569/2

تضمين اقشعر

ومن الآيات التي توقّف فيها الزمخشري ليبيّن لنا أصل تركيبها،مبينا فيها اشتقاق الكلمة قول الله تعالى:﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر:23] (1)

والمثاني: جمع مثنى بمعنى مردّد مكرّر ، ولما ثني من قصصه وأنبائه،وأحكامه، وأوامره ونواهيه ، ووعده ووعيده ، ومواعظه.
وقيل: لأنه يثنى في التلاوة ، فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرّد .
ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل ، من التثنية بمعنى التكرير، والإعادة كما كان قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك:4] (2) بمعنى كرّة بعد كرّة ، وكذلك :لبيك، وسعديك ، وحنانيك .
ومعنى:" اقشعر الجلد: إذا تقبض تقبضا شديدا، وتركيبه من حروف القشع وهو: الأديم اليابس، مضموما إليها حرف رابع وهو الراء، ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد. كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد.
يقال: اقشعر جلده من الخوف وقف شعره، وهو مثل في شدّة الخوف، فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل، تصويرا لإفراط خشيتهم، وأن يريد التحقيق.
والمعنى:
إنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده: أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم، ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة: لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة.(3)

1.سورة الزمر، الآية:23
2.سورة الملك ، الآية:4
3. الكشاف 124/4

فإن قلت:
ما وجه تعدية (لان) بـ(إلى) ؟
قلت: ضمن معنى فعل متعدّ بـ(إلى)؛ كأنه قيل: سكنت. أو اطمأنت إلى ذكر الله لينة غير متقبضة، راجية غير خاشية.
فإن قلت:
لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة؟
قلت: لأنّ أصل أمره الرحمة والرأفة، ورحمته هي سابقة غضبه، فلأصالة رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رؤوفا رحيما. (1)
وضمن تلين معنى: تطمئن جلودهم لينة غير منقبضة، وقلوبهم راجية غير خاشية، ولذلك عداه بـ(إلى).
وكان في ذكر القلوب في هذه الجملة دليل على تأثرها عند السماع، فاكتفى بقشعريرة الجلود عن ذكر خشية القلوب لقيام المسبب مقام السبب.
وعليه: فالتعدية بـ:(إلى) لتضمين معنى السكون والاطمئنان، وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها

ومن علامات استجابة الدعاء كما ورد عن ثابت البناني قال: قال فلان: إني لأعلم متى يستجاب لي. قالوا: ومن أين تعلم ذلك؟ قال: إذا اقشعر جلدي، ووجل قلبي، وفاضت عيناي، فذلك حين يستجاب لي. (2)

والاقشعرار، والقشعريرة، حال تعترى الجسد من أثر رهبة أو خوف، فيموج الجلد بموجات أشبه بمسة الكهرباء.
واقشعرار جلود الذين يخشون ربهم من هذا الحديث المنزل من عند الله، هو لما يقع في قلوبهم من رهبة وجلال لما يسمعون من كلام الله. (3)

---

1. الكشاف124/4 وابن جزي 220/2
2. تفسير القرطبي 250/15
3. التفسير القرآني للقرآن 144/12

وقد عد القاضي عياض في الشفاء من وجوه إعجاز القرآن: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لعلو مرتبته على كل كلام من شأنه أن يهابه سامعه.، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر:21] (1)

وخص القشعريرة بالذين يخشون ربهم باعتبار ما سيردف به من قوله: ثم تلين جلودهم كما يأتي، قال عياض: وهي، أي الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه، على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء:46] (2) ؛وفي قوله: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ.﴾ [الزمر:23] (3) نكت بلاغية بديعة وأهمها التجسيد الحي، أراد سبحانه أن يجسد فرط خشيتهم فعرض عليك صورة من الجلد اليابس وصورة من الشعر الواقف، ألا نقول: وقف شعر رأسه من الخوف، وفي ذكر الجلود وحدها أولا وقرنها بالقلوب ثانيا لأن ذكر الخشية التي محلها القلوب مستلزم لذكر القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم وتخشى قلوبهم في أول الأمر فإذا ذكروا الله وذكروا رحمته وسعتها استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم. وقيل المعنى أن القرآن لما كان في غاية الجزالة والبلاغة (4)

وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام، فمنهم من أسلم لها لأول وهلة. وأما المؤمن فلا تزال روعته وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه.

1.سورة الحشر،الآية:21
2. سورة الإسراء، الآية:46
3.سورة الزمر، الآية:23
4. التحرير والتنوير389/23

واللين: مستعار للقبول والسرور، وهو ضد للقساوة التي في قوله:﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر:22] (1) ؛ فإن المؤمن إذا سمع آيات الوعيد والتهديد يخشى ربه ويتجنب ما حذر منه فيقشعر جلده فإذا عقب ذلك بآيات البشارة والوعد استبشر وفرح وعرض أعماله على تلك الآيات فرأى نفسه متحلية بالعمل الذي وعد الله عليه بالثواب فاطمأنت نفسه وانقلب الوجل والخوف رجاء وترقبا، فذلك معنى لين القلوب.

قال الفخر: إن المحققين من أهل الكمال قالوا: "السائرون في مبدأ جلال الله إن نظروا إلى عالم الجلال طاشوا، وإن لاح لهم أثر من عالم الجمال عاشوا"
فالآية هنا ذكرت لهم الحالتين لوقوعها بعد قوله: مثاني كما أشرنا إليه آنفا، وإلا فقد اقتصر على وصف الله المؤمنين بالوجل في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:2] (2)
فالمقام هنا لبيان تأثر المؤمنين بالقرآن، والمقام هنالك للثناء على المؤمنين بالخشية من الله في غير حالة قراءة القرآن. (3)
والظاهر حمل القشعريرة على الحقيقة، إذ هو موجود عند الخشية، محسوس يدركه الإنسان من نفسه، وهو حاصل من التأثر القلبي.
وقيل: هو تمثيل تصوير لإفراط خشيتهم.
والمعنى:
أنه حين يسمعونه يتلى ما فيه من آيات الوعيد، عرتهم خشية تنقبض منها جلودهم.
ثم إذا ذكروا الله ورحمته لانت جلودهم، أي زال عنها ذلك التقبض الناشئ عن خشية القلوب بزوال الخشية عنها.

1.سورة الزمر، الآية:22
2.سورة الأنفال، الآية:2
3.التحرير والتنوير390/23

وضمن تلين معنى: تطمئن جلودهم لينة غير منقبضة، وقلوبهم راجية غير خاشية، ولذلك عداه بـ(إلى).

وكان في ذكر القلوب في هذه الجملة دليل على تأثرها عند السماع، فاكتفى بقشعريرة الجلود عن ذكر خشية القلوب لقيام المسبب مقام السبب. فلما ذكر اللين ذكرهما، وفي ذكر اللين دليل على المحذوف الذي هو رحمة الله، كما كان في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:2] (1) دليل بقوله: وجلت عن ذكر المحذوف، أي: إذا ذكر وعيد الله وبطشه.(2)
وقال العباس بن عبد المطلب: قال النبي عليه السلام: "من اقشعر جلده من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها" .(3)

1.سورة الأنفال، الآية:2
2. البحر المحيط في التفسير 196/9
3. الزهد والرقائق لابن المبارك 21/2
عن أبي بن كعب قال: "عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبدا، وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذا أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلا حط الله عنه خطاياه، كما تحات عن تلك الشجرة ورقها، وإن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا أو اقتصادا أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم".
ينظر: الزهد والرقائق لابن المبارك 21/2 ومصنف ابن أبي شيبة 224/7

الفعل اكتال

وللفعل اكتال من حيث التعدية واللزوم مذهبان ففي قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾
[المطففين: [1-3] (1)
والتطفيف:
النقص عن حق المقدار في الموزون أو المكيل، وهو مصدر طفّف: إذ بلغ الطفافة.
والطفاف (بضم الطاء وتخفيف الفاء) ما قصر عن ملء الإناء من شراب أو طعام.
ويقال: الطف بفتح الطاء دون هاء تأنيث، وتطلق هذه الثلاثة على ما تجاوز حرف المكيال مما يملأ به؛ وإنما يكون شيئا قليلا زائدا على ما ملأ الإناء، فمن ثم سميت طفافة، أي قليل زيادة.
ولا نعرف له فعلا مجردا إذ لم ينقل إلا بصيغة التفعيل.
وفعله: طفف، كأنهم راعوا في صيغة التفعيل معنى التكلف والمحاولة؛ لأن المطفف يحاول أن ينقص الكيل دون أن يشعر به المكتال، ويقابله الوفاء.(2)
وويل كلمة دعاء بسوء الحال، وهو في القرآن وعيد بالعقاب وتقريع.
والويل:
اسم وليس بمصدر لعدم وجود فعل له.

1.سورة المطففين ، الآية:3
2. التحرير والتنوير 189/30

ولما كان التطفيف سنة من سنن المشركين تصدت الآية للتنبيه عليه، ويجيء على الاعتبارين تفسير قوله:﴿ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:9] (1)

فإن حمل الميزان فيه على معنى: العدل كان المعنى النهي عن التهاون بالعدل لغفلة أو تسامح بعد أن نهى عن الطغيان فيه، ويكون إظهار لفظ (الميزان) في مقام ضميره تنبيها على شدة عناية الله بالعدل، وإن حمل فيه على آلة الوزن كان المعنى النهي عن غبن الناس في الوزن لهم كما قال الله تعالى في كتابه:﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين:3] (2)

والإخسار:

جعل الغير خاسرا والخسارة النقص.

فعلى حمل الميزان على معنى العدل يكون الإخسار جعل صاحب الحق خاسرا مغبونا.

ويكون (الميزان): منصوبا على نزع الخافض.

وعلى حمل الميزان على معنى آلة الوزن يكون الإخسار بمعنى: النقص، أي: لا تجعلوا الميزان ناقصا كما قال تعالى:﴿ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ [هود:84]،(3) وقد علمت هذا النظم البديع في الآية الصالح لهذه المحامل. (4)

وفعل (كال) يدل على أن فاعله مباشر الكيل، فهو الذي يدفع الشيء المكيل، وهو بمنزلة البائع، ويقال للذي يقبض الشيء المكيل: مكتال. وهو من أخوات باع وابتاع.

1.سورة الرحمن ،الآية:9

2.سورة المطففين،الآية:3

3. سورة هود، الآية:84

4. التحرير والتنوير240/27

والاكتيال:
افتعال من الكيل، وهو يستعمل في تسلم ما يكال على طريقة استعمال أفعال: ابتاع، وارتهن، واشترى، في معنى أخذ المبيع وأخذ الشيء المرهون وأخذ السلعة المشتراة، فهو مطاوع (كال)؛ كما أن ابتاع مطاوع باع، وارتهن مطاوع رهن، واشترى مطاوع شرى، قال تعالى:﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ ﴾ [يوسف:63](1)
أي: نأخذ طعاما مكيلا، ثم تنوسي منه معنى المطاوعة.
وحق فعل اكتال أن يتعدى إلى مفعول واحد هو المكيل، فيقال: اكتال فلان طعاما مثل ابتاع، ويعدى إلى ما زاد على المفعول بحرف الجر مثل (من) الابتدائية فيقال: اكتال طعاما من فلان، وإنما عدي في الآية بحرف (على) لتضمين اكتالوا معنى: التحامل.
أي: إلقاء المشقة على الغير وظلمه، ذلك أن شأن التاجر وخلقه أن يتطلب توفير الربح وأنه مظنة السعة ووجود المال بيده فهو يستعمل حاجة من يأتيه بالسلعة.
وعن الفراء (من) و(على) يتعاقبان في هذا الموضع؛لأنه حق عليه فإذا قال: اكتلت عليك ، فكأنه قال:أخذت ما عليك، وإذا قال: اكتلت منك فكقوله: استوفيت منك.
فمعنى: اكتالوا على الناس اشتروا من الناس ما يباع بالكيل، فحذف المفعول؛ لأنه معلوم في فعل (اكتالوا) أي: اكتالوا مكيلا، ومعنى:(كالوهم) باعوا للناس مكيلا فحذف المفعول لأنه معلوم.
وتعدية:(كالوا)، و(وزنوا) إلى الضميرين على حذف لام الجر.
وأصله:
كالوا لهم، ووزنوا لهم، كما حذفت (اللام) في قوله تعالى:﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ [البقرة:233] (2) أي: تسترضعوا لأولادكم. (3)

1.سورة يوسف ، الآية:63
2.سورة البقرة ، الآية:233
3.التحرير والتنوير190/30

و(فعل) (كال). و(فعل) (وزن) لا يتعديان بأنفسهما إلا إلى الشيء المكيل أو الموزون.
يقال: كال له طعاما ووزن له فضة، ولكثرة دورانه على اللسان خففوه فقالوا: كاله ووزنه: طعاما على الحذف والإيصال.
قال الفراء: هو من كلام أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس يقولون: يكيلنا،ويقولون أيضا: كال له ووزن له. وهو يريد أن غير أهل الحجاز وقيس لا يقولون: كال له ووزن له، ولا يقولون إلا: كاله ووزنه، فيكون فعل (كال) عندهم مثل باع.
والاقتصار على قوله: (إذا اكتالوا) دون أن يقول: وإذا اتزنوا كما قال: وإذا كالوهم أو وزنوهم اكتفاء بذكر الوزن في الثاني تجنبا لفعل: (اتزنوا) لقلة دورانه في الكلام؛ فكان فيه شيء من الثقل. ولنكتة أخرى وهي أن المطففين هم أهل التجارة وهم يأخذون السلع من الجالبين في الغالب بالكيل لأن الجالبين يجلبون التمر والحنطة ونحوهما مما يكال ويدفعون لهم الأثمان عينا بما يوزن من ذهب أو فضة مسكوكين أو غير مسكوكين، فلذلك اقتصر في ابتياعهم من الجالبين على الاكتيال نظرا إلى الغالب، وذكر في بيعهم للمبتاعين الكيل والوزن لأنهم يبيعون الأشياء كيلا ويقبضون الأثمان وزنا.
وفي هذا إشارة إلى أن التطفيف من عمل تجارهم.(1)
وقال الزمخشري: لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم، أبدل (على) مكان (من) للدلالة على ذلك.
ويجوز أن يتعلق بـ(يستوفون).
ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الخصوصية.
أي: يستوفون على الناس خاصة، فأما أنفسهم فيستوفون لها.(2)
والضمير في (كالوهم) أو (وزنوهم)
ضمير منصوب راجع إلى الناس.
وفيه وجهان:
أن يراد: كالوا لهم أو وزنوا لهم، فحذف الجار، وأوصل الفعل.

1.التحرير والتنوير 192/30
2.ينظر: الكشاف719/4 والبحر المحيط 426/10

ومنه قول أحدهم:

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن نبات الأوبر* (1)

والحريص يصيدك لا الجواد، بمعنى: جنيت لك، ويصيد لك.

---

1. الكشاف719/4

* قال العيني في هذا البيت: أنشده أبو زيد في النوادر،ولم يعزه إلى قائله، وهو من الكامل.

اللغة:و(أكمؤ): بفتح الهمزة وسكون الكاف وضم الميم وفي آخره همزة، جمع كمء بزنة فلس وأفلس ويجمع الكمء على كمأة أيضا فيكون المفرد خاليا من التاء وهي في جمعه على عكس تمرة وتمر، وهذا من نوادر اللغة.

و(عساقلا): جمع عسقول - بزنة عصفور- وهو نوع من الكمأة أبيض.

وقيل: هي الكمأة التي بين البياض والحمرة، وكان أصله: عساقيل فحذفت الياء.

وبنات الأوبر: هي: كمأة صغار مزغبة كلون التراب.

المعنى: يقول الشاعر: لقد جنيت لك النوع الجيد من الكمأة، ونهيتك عن جني الرديء الخبيث منه.

وقيل: يخاطب ابنه بأنه جنى له من النخل ثمرا جيدا هو "الأكمؤ والعساقل" وأنه نهاه عن التمر الرديء وهو "بنات الأوبر.

* الشاهد:

(جنيتك) أي: جنيت لك، ومثله في حذف اللام وإيصال الفعل إلى ما كان مجرورا ،قوله تعالى:﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين:3] ، و﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [الأعراف:45]، والتقدير: أي يبغون لها وقوله:﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس:39] أي: قدرنا له

فـ(جنيتك): جنيت لك، حذف الجار توسعا، فاتصل الضمير.

حيث حذف (اللام) وإيصال الفعل إلى ما كان مجرورا.

والبيت هو من باب التمثيل لحال من أغري على الطيب فعدل إلى الخبيث ثم رجع يتندم على عاقبته.

ينظر: ابن عقيل 181/1 وتوضيح المقاصد 465/1 وأوضح المسالك 182/1 والنحو المصفى 191/1

تضمين وقد أحسن بي

قال الدسوقي: قوله يشربون لفظا معنى لفظ، هذا ظاهر في تغاير المعنيين، فلا يشمل نحو: قوله تعالى:﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي ﴾ [يوسف:100] (1) ،أي: لطف، فإن اللطف والإحسان واحد.
وإنما عدي الإحسان بـ(الباء) لتضمينه معنى البر.(2)
وشاعت تعديته بـ(الباء) في القرآن في مثل هذا.

والإحسان إنما يعدى بـ(الباء) إذا أريد به الإحسان المتعلق بمعاملة الذات وتوقيرها وإكرامها، وهو معنى البر ولذلك جاء ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف:100] (3) وإذا أريد به إيصال النفع المالي عدي بإلى، تقول: أحسن إلى فلان، إذا وصله بمال ونحوه.

ومعنى أحسن بي: أحسن إلي.
يقال: أحسن به وأحسن إليه، من غير تضمين معنى فعل آخر.
وقيل: هو بتضمين أحسن معنى لطف.

ويرى صاحب التحرير أنّ الباء للملابسة فقال: و(باء بي) للملابسة أي: جعل إحسانه ملابسا لي، وخص من إحسان الله إليه دون مطلق الحضور للامتيار أو الزيادة إحسانين هما يوم أخرجه من السجن ومجيء عشيرته من البادية.

1.سورة يوسف ، الآية:100
2. النحو الوافي567/2
3.سورة يوسف ، الآية:100

وأحسن أصله أن يتعدى بإلى وقد يتعدى بالباء كما يقال أساء إليه وبه، قال كثير:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لعزة من أعراضنا ما استحلت (1)

قال ابن هشام معناها الغاية أي: إليّ.

وقيل ضمن أحسن معنى: لطف فعداه بـ(الباء) كما تقول: لطف الله بك؛ فالباء حينئذ للالصاق؛ لأن اللطف ملتصق وقائم بالمتكلم والتضمين شائع وهو إشراب الكلمة معنى آخر. (2)

---

1. عيار الشعر 144/1

2.ينظر: إعراب القرآن وبيانه 56/5

كثير عزة (105 هـ /723 م)

كثير بن عبد الرحمن ...الخزاعي، أبو صخر: شاعر، متيم مشهور. من أهل المدينة. أكثر إقامته بمصر. وفد على عبد الملك بن مروان، فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه، فاختص به وبني مروان، يعظمونه ويكرمونه. وكان مفرط القصر دميما، في نفسه شمم وترفع. يقال له: "كثير عزة" ، وكان شاعر أهل الحجاز في الإسلام، لا يقدمون عليه أحدا.وكان عفيفا في حبه قيل له: هل نلت من عزة شيئا طول مدتك؟ فقال: لا والله، إنما كنت إذا اشتد بي الأمر أخذت يدها فإذا وضعتها على جبيني وجدت لذلك راحة. توفي بالمدينة. له (ديوان شعر).

ينظر:الأعلام للزركلي 219/5

والمعنى:

يقول ما كنت أظن أن يؤخرني الأجل إلى زمان يسيء إلى فيه شر الخليقة،وأنا أحتاج أن أحمده وأمدحه ولا يمكنني أن أظهر الشكوى.

ويجوز أن يكون يسيء بي على معنى: يهزأ بي ويسخر بي، فعداه بالباء على المعنى لا على اللفظ

ويروى: أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة إلينا ولا مقلية إن تقلت

قالت العلماء:

لو قال هذا البيت في وصف الدنيا لكان أشعر الناس!

ينظر: عيار الشعر 144/1 وشرح ديوان المتنبي للعكبري 43/2

وعليه فإن الإحسان في اللغة على معنيين:
الأول: نظير الإنعام ونقيض الإساءة ويتعدى فعله بحرف خفض إما (إلى) أو (الباء)، تقول: أحسنت إليه كما جاء: ﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:77] (1)، وإن شئت: أحسنت به كما جاء في التنزيل أيضا في قوله تعالى:﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف:100] (2) ، وكذلك نقيضه تقول: أسأت إليه وأسأت به.
والثاني: أن يكون الإحسان بمعنى إجادة العمل، يقال: هو يحسن كذا، إذا كان عارفا به حاذقا له وفعله يتعدى بنفسه كما ترى، ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف:104] (3)،وقوله تعالى:﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ [يوسف:23] (4)
وقال امرؤ القيس:
وقد زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي (5)

1.سورة القصص، الآية:77
2.سورة يوسف ، الآية:100
3.سورة الكهف، الآية:104
4.سورة يوسف، الآية:23
5.جمهرة أشعار العرب 15/1 والأمالي الشجرية 15/1
* امرؤ القيس (130 /545 م)
أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يماني الأصل. مولده بنجد، اشتهر بلقبه،وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته.
ينظر:الأعلام للزركلي 11/2
وقيل: كبرت وأن لا يحسن السر أمثالي
* شرح البيت: السر: النكاح ،ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ [البقرة:235]
بسباسة امرأة من بني أسد. وكبر شاخ.
يقال: كبر الصبي وغيره من باب تعب مكبرا كمسجد وكبرا كعنب وشهده بالكسر يشهده بالفتح شهودا حضره .واللهو: مصدر لهوت بالشيء إذا لعبت به قال في الصحاح وقد يكنى باللهو عن الجماع .
وقوله تعالى:﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء:17] قالوا أمرأة ويقال ولدا.
ينظر:خزانة الأدب للبغدادي 64/1

تضمين فيكيدوا لك

والزمخشري يرى أنّ التعدية بحرف الجر (اللام) له إشعاعه البلاغي وهو أبلغ في التوكيد حيث وضّح ذلك في قوله تعالى:﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ [يوسف:5] (1)

فإن قلت:

هلا قيل: فيكيدوك، كما قيل: فكيدوني؟

قلت:

ضمن معنى فعل يتعدى بـ(اللام)، ليفيد معنى فعل الكيد، مع إفادة معنى الفعل المضمن، فيكون آكد وأبلغ في التخويف. وذلك نحو: فيحتالوا لك.

ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر.

ومعنى:(عدو مبين):

ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء، ولقوله:﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:16] (2)

فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شرّ، ليورّط من يحمله، ولا يؤمن أن يحملهم على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربّك يعنى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن، كذلك يجتبيك ربك لأمور عظام.

والطبري يكشف عن السبب في التعبير بحرف الجر الداخل على الفعل كاد فقال:

واختلف أهل العربية في وجه دخول(اللام) في قوله:﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ [يوسف:5](3)

فقال بعض نحويي البصرة: معناه: فيتخذوا لك كيدا وليست مثل:﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف:43] (4)

---

1. سورة يوسف، الآية:5
2.سور الأعراف، الآية:16
3.سورة يوسف ،الآية:5
4.سورة يوسف، الآية:43

تلك أرادوا أن يوصل الفعل إليها بـ(اللام)، كما يوصل بـ(الباء)،كما تقول: قدمت له) ومثله قوله:1طعامًا، تريد قدّمت إليه، وقال:﴿ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ [يوسف:48] ( ) قال: وإن شئت كان: ﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ [يوسف:5] 2﴿ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ﴾ [يونس:35] ( ) 3(
في معنى:(فيكيدوك)، وتجعل (اللام) مثل: ﴿ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف:154] ،(4) إنما هو بمكان: (ربَّهم يرهبون).

وقال بعضهم: أدخلت (اللام) في ذلك، كما تدخل في قولهم: حمدت لك وشكرت لك، وحمدتك وشكرتك.
وقال: هذه (لام) جلبها الفعل، فكذلك قوله: (فيكيدوا لك كيدا) تقول: فيكيدوك أو: يكيدوا لك، فيقصدوك، ويقصدوا لك.
قال: و(كيدا):توكيد. (5)
وتنوين (كيدا): للتعظيم والتهويل زيادة في تحذيره من قص الرؤيا عليهم.
والكيد: إخفاء عمل يضر المكيد.
وإنما عدى كاد بـ(اللام) وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيدا ولذلك أكد بالمصدر.
وعدي فيكيدوا بـ(اللام) ، وفي (فكيدون): بنفسه، فاحتمل أن يكون من باب شكرت زيدا وشكرت لزيد.
واحتمل أن يكون من باب التضمين، ضمن فيكيدوا معنى ما يتعدى بـ(اللام) ، فكأنه قال: فيحتالوا لك بالكيد.

.سورة يوسف،الآية:148
.سورة يونس،الآية:235
.سورة يوسف،الآية:35
4. سورة الأعراف ،الآية:154
5.تفسير الطبري 558/15

والتضمين أبلغ لدلالته على معنى الفعلين، والمبالغة أكد بالمصدر. (1)

وعليه فـ (اللام) في (لك): لتأكيد صلة الفعل بمفعوله.

وهكذا يتوصّل إلى المعاني المحتملة لدخول (اللام) في قوله تعالى:﴿ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف:154] (2)
وتتمثّل فيما يلي:
1.دخول اللام لتقوية المفعول به ؛ لأن تأخر الفعل يكسبه ضعفا، ونحوه:(للرؤيا تعبرون)
2. قال الكسائي: إنها زائدة.
3. قال المبرد: هي متعلقة بمصدر الفعل المذكور.
والتقدير:
للذين رهبتهم لربهم يرهبون.
4. أن اللام لام العلة، وعلى هذا فمفعول(يرهبون) محذوف.
تقديره:
يرهبون عقابه لأجله، وهذا مذهب الأخفش.
وجملة:(هم لربهم يرهبون) صلة. (3)

وهذه (اللام) تدخل على المفعول فلا تغير معناه ؛ لأنها لام إضافة، والفعل معها يجري مجرى مصدره كما يجري المصدر مجراه في الرفع والنصب لما بعده؛ لأن المصدر اسم الفعل قال الله عز وجل: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف:43] (4)

---

1. البحر المحيط في التفسير239/6
2.سورة الأعراف ،الآية:154
3.ينظر: إعراب القرآن وبيانه 461/3
4. سورة يوسف، الآية:43

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ [النمل:72] (1)
معناه: ردفكم وتقول لزيد ضربت ولعمرو أكرمت إذا قدمت المفعول لتشغل اللام ما وقعت عليه فإن أخرته فالأحسن ألا تدخلها إلا أن يكون المعنى ما قال المفسرون فيكون حسنا وحذفه أحسن لأن جميع القرآن عليه.(2)

والتقوية:وهي التي يجاء بها زائدة لتقوية عامل ضعف بالتأخير، بكونه غير فعل.
وهي - مع كونها زائدة - متعلقة بالعامل الذي قوته؛ لأنها - مع زيادتها - أفادته التقوية، فليست زائدة محضة.
وقيل هي كالزائدة المحضة، فلا تتعلق بشيء. (3)

وكيدا :
يحتمل أن يكون مفعولا مطلقا مؤكدا.
أن يكون مفعولا به أي: يصنعوا لك كيدا.
و(اللام) في (لك)

لتأكيد صلة الفعل بمفعوله كقوله: شكرت لك النعمى.
أو تكون معدّية، ويكون الفعل ممَّا يتعدى بحرف الجر تارة، وبنفسه أخرى كنصح وشكر.

1.سورة النمل، الآية:72
2.المقتضب 37/2
3.ينظر: جامع الدروس العربية 184/3

يقال: كاده إذا وجه إليه الكيد مباشرة، وكاد له إذا دبر الكيد لأجله سواء كان لمضرته وهو المراد هنا، أو لمنفعته.(1) ومنه قوله تعالى: في تدبير يوسف لإبقاء أخيه بعده:
﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ [يوسف:76] (2)
وقوله:(فيكيدوا لك..) من الكيد وهو الاحتيال الخفي بقصد الإضرار.

والفعل كاد يتعدى بنفسه، فيقال: كاده يكيده كيدا، إذا احتال لإهلاكه. ولتضمنه معنى احتال عدى (باللام). (3)

وهكذا يتوصّل إلى المعاني المحتملة لدخول (اللام) على الآية الكريمة وتتمثّل فيما يلي:

1. معناه: فيتخذوا لك كيدا وليست التي يوصل الفعل إليها باللام، كما يوصل بالباء.
2. في معنى:(فيكيدوك): بتعدية الفعل دون حرف الجر.
3. وتجعل اللام مثل:(لربهم يرهبون)

1.تفسير المنار 210/12
2. سورة يوسف، الآية:76
3. التفسير الوسيط لطنطاوي 318/7

وخار الشيء واختاره: انتقاه
والفعل اختار مما يتعدى إلى مفعولين بحذف حرف الجر، تقول: اخترته من الرجال واخترته الرجال.
وفي التنزيل:﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف:155](1).
وليس هذا بمطرد.
قال الفراء: التفسير أنه اختار منهم سبعين رجلا، وإنما استجازوا وقوع الفعل عليهم إذا طرحت (من) ؛لأنه مأخوذ من قولك هؤلاء خير القوم وخير من القوم، فلما جازت الإضافة مكان (من) ولم يتغير المعنى استجازوا أن يقولوا: اخترتكم رجلا واخترت منكم رجلا.
وقال أبو العباس: إنما جاز هذا ؛ لأن الاختيار يدل على التبعيض ولذلك حذفت (من).
واخترت فلانا على فلان،عدِّي بـ:(على)؛لأنّه في معنى: فضّلت.
وقول قيس بن ذريح:
لعمري لَمَنْ أَمْسَى وَأَنت ضجيعهُ من النَّاس مَا اختيرتْ عَلَيْهِ المَضاجعُ
معناه :
ما اختيرت على مضْجعه المضاجع. (2)
وقيل: ما اختبرت دونه.

1.سورة الأعراف، الآية:155
2.ينظر: المحكم والمحيط الأعظم 255/5 ومجالس ثعلب 51/1

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله:﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف:155] (1) فقال بعض نحويي البصرة: معناه: واختار موسى من قومه سبعين رجلا.
فلما نزع (من) أعمل الفعل، كما قال الفرزدق*:
وَمِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً وَجُودًا،إِذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ
أي من الرجال. فهذا الكلام الفصيح.
وتقول العرب: أقمت ثلاثا ما أذوقهن طعاما ولا شرابا، أي ما أذوق فيهن.. (2)

1.سورة الأعراف،الآية:155
2. تفسير الطبري 144/13 وديوان الفرزدق 516
* ترجم له.
وهو أول قصيدة ناقض بها جريرا، وذكر فيها فضائل قومه بني تميم ومآثرهم، وعنى بهذا البيت أباه غالبا، وهو أحد أجواد بني تميم، ثم قال بعده:
ومنا الذي أعطى الرسول عطية أسارى تميم، والعيون دوامع.
يعني الأقرع بن حابس، الذي كلم رسول الله في أصحاب الحجرات، وهم بنو عمرو بن جندب ابن العنبر بن عمرو بن تميم، فرد رسول الله سبيهم. ثم أفاض في ذكر مآثرهم.

والرجال: منصوب بنزع الخافض.
والأصل: من الرجال وهو المفعول الثاني المقيد بحرف الجر لاختار فإنه يتعدى إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بحرف الجر.
والمفعول الأول هنا نائب الفاعل وهو الضمير العائد إلى الذي في اختير.
وهذا الحذف كثير الاستعمال.
ينظر: خزانة الأدب123/9

وكما قال * أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ، فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبٍ (1)

---

1. ينظر: تفسير الطبري 145/13
* أعشى طرود (60 هـ /680 م)
إياس بن عامر بن سليم بن عامر الطرودي: شاعر، من بني طرود. كنيته أبو الخطاب. كان ناسكا صاحب زهد وورع. وكف بصره في كبره. وهو القائل:

يا دار أسماء بين السفح والرحب أقوت وعفى عليها ذاهب الحقب
فما تبين منها غير منتضد وراسيات ثلاث حول منتصب
وعرصة الدار تستن الرياح بها تحن فيها حنين الوله السلب
دار لأسماء إذ قلبي بها كلف وإذ أقرب منها غير مقترب
إن الحبيب الذي أمسيت أهجره عن غير مقلية مني ولا غضب
أصد عنه ارتقابا ان ألم به ومن يخف قالة الواشين يرتقب

وروى هذا البيت أيضا في شعر نسب إلى عمرو بن معد يكرب، وإلى العباس بن مرداس، وإلى زرعة بن السائب، فمن نسبها إلى أعشى طرود قال من بعد أبيات يذكر وصية أبيه له:

إني حويت على الأقوام مكرمة قدما، وحذرني ما يتقون أبي
وقال لي قول ذي علم وتجربة بسالفات أمور الدهر والحقب
أمرتك الرشد، فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب
لا تبخلن بمال عن مذاهبه في غير زلة إسراف ولا تغب
فإن وراثه لن يحمدوك به إذا أجنوك بين اللبن والخشب

(التغب) : الهلاك، يعني إهلاك المال في غير حقه.
ويروى: (ذا مال وذا نسب) بالسين، وهو أجود؛ لأن النشب هو المال نفسه.
وقوله: (بين النشب والخشب) ، يعني: ما يسوى عليه في قبره من الطين والخشب.
أما الشعر المنسوب إلى عمرو بن معد يكرب أو غيره فهو:

إني حويت على الأقوام مكرمة قدما، وحذرني ما يتقون أبي
فقال لي قول ذي رأي ومقدرة مجرب عاقل نزه عن الريب
قد نلت مجدا فحاذر أن تدنسه أب كريم، وجد غير مؤتشب
واترك خلائق قوم لا خلاق لهم واعمد لأخلاق أهل الفضل والأدب
وإن دعيت لغدر أو أمرت به فاهرب بنفسك عنه آبد الهرب

ينظر:فرحة الأديب 10/1 والأعلام للزركلي 33/2 وديوان الأعشى،والمؤتلف والمختلف:17 وغيرهم.

وقال الراعي*:
فَقُلْتُ لَهُ: اخْتَرْهَا قَلُوصًا سَمِينَةً (1)
وقال بعض نحويي الكوفة: إنما استُجيز وقوع الفعل عليهم إذا طرحت (من)؛لأنه مأخوذ من قولك: هؤلاء خير القوم وخير من القوم؛فلما جازت الإضافة مكان (من) ولم يتغير المعنى، استجازوا: أن يقولوا: اخترتكم رجلا، واخترت منكم رجلا.

---

1. تفسير الطبري 146/13
* الراعي النميري (90 هـ/709 م)
عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري، أبو جندل: شاعر من فحول المحدثين. كان من جلة قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل. وكان بنو نمير أهل بيت وسؤدد. وقيل: كان راعي إبل، من أهل بادية البصرة.
عاصر جريرا والفرزدق. وكان يفضل الفرزدق، في هجاه جرير هجاءا مرا. وهو من أصحاب " الملحمات " وسماه بعض الرواة: حصين بن معاوية.
ومن بديع ما أورده " المبرد " من شعره:
قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ودعا، فلم أر مثله مخذولا
فتفرقت من بعد ذاك عصاهم شققا وأصبح سيفهم مفلولا
وهو من شعر قاله الراعي لما نزل به ضيف من بني كلاب في سنة حصاء مجدبة، وليس عنده قرى، والكلابي على ناب له (وهي الناقة المسنة) ، فأمر الراعي ابن أخيه حبترا، فنحرها من حيث لا يعلم الكلابي، فأطمعه لحمها، فقال الراعي في قصيدته يذكر أنه نظر إلى ناقة الكلابي:
فأبصرتها كوماء ذات عريكة هجانا من اللاتي تمتعن بالصوى
فأومضت إيماضا خفيا لحبتر ولله عينا حبتر! أيما فتى
فقلت له: ألصق بأبيس ساقها فإن يجبر العرقوب لا يرقأ النسا
فقام إليها حبتر بسلاحـــه مضى غير منكود، ومنصله انتضى
كأني وقد أشبعته من سنامها كشفت غطاء عن فؤادي فانجلى
وهذا تصوير جميل جيد، لهذه الحادثة الطريفة. ثم قال:
فقلت لرب الناب: خذها فتية وناب عليها مثل نابك في الحيا
أي: خذ مكانها ناقة فتية، وناقة أخرى مسنة مثل نابك المسنة، يوم يأتي الخصب، وتحيي أموالنا.
* ينظر: تفسير الطبري، تحقيق محمود شاكر 146/13 والأعلام للزركلي 188/4 وجمهرة الأنساب

وقد قال الشاعر*:

اخْتَرْتُكَ النَّاسَ إِذْ غَثَّتْ خَلائِقُهُمْ وَاعْتَلَّ مَنْ كَانَ يُرْجَى عِنْدَهُ السُّولُ

وقال الراجز**:

تحت التي اختار له الله الشجر

بمعنى: اختارها له الله من الشجر. (1)

قال أبو جعفر: وهذا القول الثاني أولى عندي في ذلك بالصواب، لدلالة "الاختيار" على طلب "من" التي بمعنى التبعيض، ومن شأن العرب أن تحذف الشيء من حشو الكلام إذا عرف موضعه، وكان فيما أظهرت دلالة على ما حذفت. فهذا من ذلك إن شاء الله.

1.ينظر:تفسير الطبري 147/13

* الراعي النميري (90 هـ/709 م)

الشرح: يقال:(غثثت في خلقك وحالك غثاثة وغثوثة) ، ولذلك إذا ساء خلقه وحاله. والصواب (غثت) بالغين والثاء. والغث:الرديء من كل شيء.

واعتل: طلب العلل لمنع العطاء.

ينظر: تفسير الطبري، تحقيق محمود شاكر 147/13

** العجاج (90 هـ /708 م)

عبد الله بن رؤية بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، أبو الشعثاء، العجاج:، راجز مجيد، من الشعراء. ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها. ثم أسلم، وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك، ففلج،وأقعد. وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد. وكان لا يهجو. وهو والد " رؤبة " الراجز المشهور أيضا. له ديوان

(تحت الذي) . وهو من قصيدته في مدح عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، مضت منها أبيات كثيرة،

تعليق: وهذا البيت في ذكر نبي الله صلى اله ﷺ أصحابه، وبيعتهم تحت الشجرة. وهي بيعة الرضوان في عمرة الحديبية، فذكر عهد رسول الله، وعهد الصديق، وعهد عمر، وعهد المهاجرين، وعهد الأنصار، ثم ذكر بيعة الرضوان فقال:

وعصبة النبي إذ خافوا الحصر شدوا له سلطانه حتى اقتسر

بالقتل أقواما وأقواما أسر تحت الذي اختار له الله الشجر

ونصه: تحت الشجرة التي اختار له الله من الشجر .

ينظر:ديوانه: 15، ومعاني القرآن للفراء 395/1، ومجاز القرآن لأبي عبيدة229/1

وسيبويه رحمه الله تعالى يسمي هذا النوع قائلا: هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين فإن شئت اقتصرت على المفعول الأول، وإن شئت تعدى إلى الثاني كما تعدى إلى الأول.
ومثل ذلك قوله عز وجل:﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف:155] (1)
ومنه قول الشاعر:
أَسْتغفِرُ الله ذَنْباً لستُ مُحْصِيةَ ربَّ الِعبادِ إليه الوجْهُ والعَملُ
وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدى:
أَمَرتْكُ اَلخيَر فافْعَلْ ما أُمِرتَ به فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ
وإنما فصل هذا أنها أفعال توصل بحروف الإضافة، فتقول: اخترت فلانا من الرجال، وسميته بفلان، كما تقول: عرفته بهذه العلامة وأوضحته بها، وأستغفر الله من ذلك، فلما حذفوا حرف الجر عمل الفعل. ومثل ذلك قول المتلمس:
آلْيتَ حَبَّ العِرَاقِ الدَّهْرَ أَطعمُهُ والحبُّ يأكله في القرية السوس
يريد: على حب العراق.
وكما تقول: نبئت زيدا يقول ذاك، أي عن زيد. وليست (عن) و(على) ههنا بمنزلة (الباء) في قوله:﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:79] (2)، وليس بزيد؛ لأن (عن) و(على) لا يفعل بها ذاك، ولا ب(من) في الواجب.
وليست أستغفر الله ذنبا وأمرتك الخير أكثر في كلامهم جميعا، وإنما يتكلم بها بعضهم. فأما سميت وكنيت فإنما دخلتها الباء على حد ما دخلت في عرفت، تقول عرفته زيدا ثم تقول عرفته بزيد، فهو سوى ذلك المعنى، فإنما تدخل في سميت وكنيت على حد ما دخلت في عرفته بزيد. فهذه الحروف كان أصلها في الاستعمال أن توصل بحرف الإضافة.
وليس كل الفعل يفعل به هذا (3)

1.سورة الأعراف،الآية:155
2.سورة النساء، الآية:79
3.الكتاب لسيبويه 37/1

إن التوجيه الاستدلالي والتخريج إنما يتجهان إلى الموهم والممتنع، فإذا اتجه إلى الموهم كان عليه أن يختار وجها غير الذي أو همه التركيب، وإن اتجه إلى الممتنع فإن الغاية التي يسعى إليها إنما استبعاد الوصف بالشذوذ عن التركيب الممتنع وإنما يكون توجيه الممتنع عندما يكون النص أقوى من قواعد النحاة كالقراءات القرآنية مثلا (1)

يقول أبو الفتح بن جني في المحتسب ومن ذلك قراءة أبي طالوت عبد السلام بن شداد والجارود بن أبي سبرة: (وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) (2) بضم الياء وفتح الدال. قال أبو الفتح: هذا على قولك: خدعتُ زيدًا نفسَه؛ ومعناه عن نفسه، فإن شئت قلت على هذا: حُذف حرف الجر، فوصل الفعل؛ كقوله عز اسمه:﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا [الأعراف:155] (3) أي: من قومه، وقوله: أمرتك الخير أي: بالخير.

وإن شئت قلت: حمله على المعنى فأضمر له ما ينصبه، وذلك أن قولك: خدعت زيدا عن نفسه، يدخله معنى: انتقصته نفسه، وملكت عليه نفسه، وهذا من أسد وأدمث مذاهب العربية، وذلك أنه موضع يملك فيه المعنى عنان الكلام فيأخذه إليه، ويصرفه بحسب ما يؤثره عليه.

وجملته: أنه متى كان فعل من الأفعال في معنى فعل آخر، فكثيرا ما يجرى أحدهما مجرى صاحبه، فيعدل في الاستعمال به إليه، ويحتذى في تصرفه حذو صاحبه، وإن كان طريق الاستعمال والعرف ضد مأخذه.(4)

وفي كلام ابن جني هنا ما يفيد:

1.أنّه عرض وجهين هما الحذف والتضمين ولكنه اختار التضمين.

2. أنّه وصل إلى التضمين من طريق الحمل على المعنى.

3. أنّه فعل ذلك لامتناع التركيب بمقياس الاستعمال والعرف.

1.الأصول تمام حسآن ص:246

2.سورة البقرة، الآية:9

3.سورة الأعراف،الآية:155

4. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها 51/1

وعليه فاختار: افتعل من الخير وهو التخير والانتقاء واختار من الأفعال التي تعدت إلى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بوساطة حرف الجر وهي مقصورة على السماع وهي اختار واستغفر وأمر وكنى ودعا وزوج وصدق، ثم يحذف حرف الجر ويتعدى إليه الفعل فيقول اخترت زيدا من الرجال واخترت زيدا الرجال.

قال الشاعر:

اخترتك الناس إذ رثت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده السول

أي اخترتك من الناس.(1)

وأوصل الفعل، كقوله:

ومنا الذى اختير الرجال سماحة

وقد عنون له ابن جني بقوله: باب ما يصل إليه الفعل بغير توسط حرف جر بعد أن كان يصل إليه بتوسطه.

فأما القسم الذي يتعدى فيه الفعل إلى المفعول الأول بوسيط فقولهم اخترت من الرجال زيدا ثم تحذف (من) فيقال اخترت الرجال زيدا.

وهو الذي نعترض ونعنى بإحصائه وتعليله إذ كان بابا غير مطرد وإنما يقتصر فيه على المسموع.(2)

وقومه:

منصوب بنزع الخافض، أي من قومه، فحذف الجار وأوصل الفعل.

وسبعين: مفعول به لاختار.

---

1. ينظر: الكشاف164/2 والبحر المحيط في التفسير 186/5

2.المخصص 243/4

تضمين لفظ صراطك

وفي قوله تعالى:﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف:16] (1)

بينما يتساءل الطبري عن السبب الذي من أجله نصب لفظ :(صراطك) في الآية السالفة الذكر، فقال: واختلف أهل العربية في ذلك.
فقال بعض نحويي البصرة: معناه: لأقعدن لهم على صراطك المستقيم، كما يقال:"توجه مكة"، أي: إلى مكة، وكما قال الشاعر:
كَأَنِّي إِذْ أَسْعَى لأَظْفَرَ طَائِرًا مَعَ النَّجْمِ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ (2)
بمعنى:
لأظفر بطائر، فألقى (الباء)، وكما قال:﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف:150] (3)
بمعنى: أعجلتم عن أمر ربكم.

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة، المعنى، والله أعلم: لأقعدن لهم على طريقهم، وفي طريقهم.
قال: وإلقاء الصفة* من هذا جائز، كما تقول: قعدت لك وجه الطريق. وعلى وجه الطريق؛ لأن الطريق صفة في المعنى (4) ؛ فاحتمل ما يحتمله(اليوم) و(الليلة) و(العام)، إذا قيل: آتيك غدا، وآتيك في غد.

* * *

1.سورة الأعراف، الآية: 16
2. تفسير الطبري337/12
3. سورة الأعراف، الآية:150
4. تفسير الطبري 337/12
* الصفة هنا، هي: الظرف ، وكذلك يسميه الكوفيون.

قال أبو جعفر: وهذا القول هو أولى القولين في ذلك عندي بالصواب؛ لأن "القعود" مقتض مكانا يقعد فيه، فكما يقال:"قعدت في مكانك"، يقال:"قعدت على صراطك"، و"في صراطك"، كما قال الشاعر*:

لَدْنٌ بِهَزِّ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فِيهِ، كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ (1)

فلا تكاد العرب تقول ذلك في أسماء البلدان، لا يكادون يقولون: جلست مكة، وقمت بغداد.

---

1. تفسير الطبري337/12

* ساعدة بن جؤية الهذلي.

ساعدة بن جؤية الهذلي، من بني كعب ابن كاهل، من سعد هذيل: شاعر، مخضرم أسلم، وليست له صحبة.

قال الآمدي: شعره محشو بالغريب والمعاني الغامضة.

وهذا البيت في صفة رمح من الرماح الخطية.

ورواية الديوان (لذا) ، أي تلذ الكف بهزه.

وقيل: :لدن: لين ناعم

و(يعسل) ، أي: يضطرب، ويتحرك.

متنه: المراد: ظهر الرمح وصدره.

وقوله.:(فيه) : أي في الهز.

وقوله: (عسل الطريق الثعلب) أي: عسل في الطريق الثعلب واضطربت مشيته.

شبه اهتزاز الرمح في يد الذي يهزه ليضرب به، باهتزاز الثعلب في عدوه في الطريق.

المعنى: يصف الشاعر رمحا شديد الليونة؛ فهو لجودته شديد الليونة، يتحرك ويضطرب متنه بسبب هزه باليد، كما يضطرب الثعلب في الطريق خوفا من أن يدرك.

الطريق: منصوب على نزع حرف الجر؛ لأن الأصل: عسل في الطريق.

موطن الشاهد: عسل الطريق.

وجه الاستشهاد:

انتصاب (الطريق): بعد حذف حرف الجر (في)؛ ومثل هذا الحذف خاص بالشعر.

ينظر: أوضح المسالك 160/2 وتفسير الطبري 336/12 وديوان الهذليين 1: 190

وانتصب صراطك على إسقاط (على) قاله الزجاج، وشبه بقول العرب ضرب زيد الظهر والبطن.
أي: على الظهر والبطن.
وإسقاط حرف الجر لا ينقاس في مثل هذا لا يقال قعدت الخشبة، تريد قعدت على الخشبة قالوا أو على الظرف.(1)
وهذا أيضا تخريج فيه ضعف؛ لأن (صراطك) ظرف مكان مختص، وكذلك الطريق فلا يتعدى إليه الفعل إلا بواسطة (في)، وما جاء خلاف ذلك شاذ أو ضرورة وعلى الضرورة وما ذهب إليه أبو الحسين بن الطراوة من أن الصراط والطريق ظرف مبهم لا مختص رده عليه أهل العربية، والأولى أن يضمن لأقعدن معنى ما يتعدى بنفسه فينتصب الصراط على أنه مفعول به.

والتقدير:
لألزمن بقعودي صراطك المستقيم ، وهذا الصراط هو دين الإسلام وهو الموصل إلى الجنة.
والزّمشخري يرى أنّ هذه الباء هي باء السبب فقال:
والمعنى:
فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي، كما فسدت بسببهم.
فإن قلت:
بم تعلقت الباء، فإن تعلقها بلأقعدنّ يصدّ عنه لام القسم، لا تقول: والله بزيد لأمرّنّ؟
قلت: تعلقت بفعل القسم المحذوف.

1.البحر المحيط 21/5
* أصل الغيّ: الفساد، ومنه: غوى الفصيل، إذا بشم.
والإغواء إيقاع الغي في القلب.
والغي هو الاعتقاد الباطل وذلك يدل على أنه كان يعتقد أن الحق والباطل إنما يقع في القلب من الله تعالى.
والبشم: فساد في المعدة.

تقديره:
فبما أغويتني أقسم بالله لأقعدنّ، أي: فبسبب إغوائك أقسم.
ولما كانت (الباء) باء القسم كانت (اللام) جواب القسم (وما) بتأويل المصدر وأغويتني صلتها.
ويجوز أن تكون الباء للقسم، أي: فأقسم بإغوائك لأقعدنّ، وإنما أقسم بالإغواء؛ لأنه كان تكليفا، والتكليف من أحسن أفعال الله، لكونه تعريضا لسعادة الأبد، فكان جديرا بأن يقسم به.(1)
والباء في قوله:(فبما أغويتني) سببية.
وهي ظرف مستقر واقع موقع الحال من فاعل لأقعدن.
أي: أقسم لهم حال كون ذلك مني بسبب إغوائك إياي.

قيل: معنى الكلام القسم.
أي: فبإغوائك إياي ؛لأقعدن لهم على صراطك، أو في صراطك.
وقيل: (الباء) بمعنى: اللام، كأنه قال: فلإغوائك إياي.
وقيل: هي بمعنى: (مع).
والمعنى فمع إغوائك إياي.
وقيل: هو استفهام، كأنه سأل بأي شيء غواه؟.
وكان ينبغي على هذا أن يكون: فبم أغويتني؟.
وقيل:
المعنى فبما أهلكتني بلعنك إياي.
قال:
والمعنى:
فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم.(2)

1.ينظر:الكشاف 91/2 والرازي 211/14
2. الدر المصون 264/5

وفي قوله تعالى:﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:16] (1)
لا خلاف بين النحويين أن (على): محذوف.
والتقدير:
لأقعدن لهم (على) صراطك المستقيم.
فالتقديم للاهتمام، ولذلك لم يكن هذا التقديم منافيا لتصدير لام القسم في جملتها، على أنا لا نلتزم ذلك فقد خولف في كثير من كلام العرب.
والقعود:كناية عن الملازمة
كما في قول النابغة:
قُعُودًا لَدَى أَبْيَاتِهِمْ يَثْمِدُونَهُمْ رَمَى اللَّهُ فِي تِلْكَ الْأَكُفِّ الْكَوَانِعِ (2)
أي ملازمين أبياتا لغيرهم يرد الجلوس، إذ قد يكونون يسألون واقفين، وماشين.

---

1. سورة الأعراف، الآية:16
2. ينظر: المعاني الكبير في أبيات المعاني564/1
* سبقت ترجمته.
وقال النابغة:
إذا نزلوا ذا ضر غد فعتائدا يغنيهم فيها نقيق الضفادع
قعوداً لدى أبياتهم يثمدونهم رمى الله في تلك الأكف الكوانع
والمعنى:
الضفادع تكون في الخصب يريد أنهم في أرض مخصبة، يثمدونهم يسألونهم، والكانع الخاضع.
وثمد الماء يثمد فهو ثامد، وأثمد العين: كحلها بالإثمد.
ومن المجاز: أصبح فلان مثمودا: فني ماء صلبه، والنساء ثمدنه.
والمثمئد: السمين، اثمأد الغلام، وثمد ولد الأسد يثمد ثمودا: سمن
وقال: ثمد يثمد ثمدا، إذا سال.
ينظر: أساس البلاغة114/1 والمحيط في اللغة 342/2 والجيم: أبوعمرو 108/1

بينما يرى صاحب التنوير أنّ نصب لفظ (صراطك) هو من باب التضمين فقال:
ولما ضمن فعل: لأقعدن معنى: الملازمة انتصب صراطك على المفعولية.
أو على تقدير فعل تضمنه معنى لأقعدن.
تقديره: فامنعن صراطك أو فأقطعن عنهم صراطك.
واللام في (لهم) لأجل كقوله: ﴿ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة:5] (1)
وإضافة الصراط إلى اسم الجلالة على تقدير اللام أي: الصراط الذي هو لك.
أي الذي جعلته طريقا لك.
يقول: واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم (كل مرصد).
يعني: كل طريق ومرقب.وهو:(مفعل)
وقول القائل: "رصدت فلانا أرصده رصدا ، بمعنى: رقبته.(2)
وانتصب كل مرصد:
إما على المفعول به بتضمين اقعدوا معنى (الزموا).
وإما على التشبيه بالظرف؛ لأنه من حق فعل القعود أن يتعدى إليه بـ:(في) الظرفية فشبّه بالظرف وحذفت (في) للتوسع.

والأصل أن تثبت حروف الجر ؛ لأنّها حروف معان لا يستقيم المعنى إلاّ بها ، ولا يفهم مدلول الجملة إلاّ بها،وقد يحذف الحرف وعدوا حذفه من الشواذ المسموعة ولا يجوز القياس عليه، واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر:عسل الثعلب على أنّ القرآن يؤسس لقاعدة أوسع ،وأشمل تفضي إلى أساليب في التعبير رحيبة منطلقة ، دقيقة المعنى فمن ذلك قول الله عزّ وجلّ :﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ [يوسف:25] (3)
واستبقا الباب وتسابقا إلى الباب على حذف الجار وإيصال الفعل.
على تضمين:(استبقا) معنى: ابتدرا.(4)

1.سورة التوبة، الآية:5
2.التحرير والتنوير116/10
3.سورة يوسف، الآية:25
4.الكشاف458/2

وفي قول الله عزّ وجلّ :﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة:148] (1)
والاستباق: افتعال.
والمراد به السبق
وحقه التعدية بـ(اللام)؛ إلا أنه توسع فيه فعدي بنفسه.
أو على تضمين استبقوا معنى اغتنموا.
فالمراد من الاستباق هنا المعنى المجازي وهو الحرص على مصادفة الخير والإكثار منه والخيرات جمع خير على غير قياس كما قالوا سرادقات وحمامات.
ويرى سيبويه ـ رحمه الله ـ أنّ هناك حرفا محذوفا وهذا واضح من مثاله حيث قال:"
وإن شئت نصبت، تقول: ضرب زيد الظهر والبطن، ومطرنا السهل والجبل، وقلب زيد ظهره وبطنه.
فالمعنى أنهم مطروا فى السهل والجبل، وقلب على الظهر والبطن. ولكنهم أجازوا هذا، كما أجازوا " قولهم ": دخلت البيت، وإنما معناه دخلت فى البيت. والعامل فيه الفعل، وليس المنتصب ههنا بمنزلة الظرف؛ لأنك لو قلت: " قلب " هو ظهره وبطنه وأنت تعنى على ظهره لم يجز.
ولم يجيزوه فى غير السهل والجبل، والظهر والبطن، كما لم يجز دخلت عبد الله، فجاز هذا في هذا وحده، كما لم يجز حذف حرف الجر إلا فى الأماكن، فى مثل: دخلت البيت.
واختصت بهذا... ونظير هذا أيضا فى أنهم حذفوا حرف الجر ليس إلا، قولهم: نبئت زيدا قال ذاك، إنما يريد عن زيد، إلا أن معنى الأول معنى الأماكن.(2)
وزعم الخليل رحمه الله أنهم يقولون: مطرنا الزرع والضرع.

---

1. سورة البقرة ،الآية:148
2. الكتاب لسيبويه 159/1

خاتمة التضمين

والبحث في التضمين يطول لمن أراد أن يستوفي البحث حقه، والكلام فيه تتنازعه الحقيقة والمجاز، والنحو والبلاغة، وقد وقفنا على بعض الآيات التي اشتملت على التضمين ، وبيّنا فيه آراء العلماء.
وقد وجدنا الطبري أفاض القول فيه، ويعد عمله الذي قام به نواة للمفسرين واللغويين الذين جاءوا من بعده.
ونرى الزمخشري استفاد كثيرا من الطرح الذي طرحه الطبري وهذا واضح في كثير من الآيات التي توقف فيها الطبري ؛لكن الطبري لم يستعمل مصطلح (التضمين) وإنّما أبدله ببعض المعاني كالحمل والتناوب والتأويل والوضع وغيرها...

وركزنا فيه على آراء الزمخشري الذي وقف على كثير من الآيات مبينا فيه وجهة نظره في التضمين مشيرا إلى أهميته في خدمة اللغة وبيان بعض أسرارها البلاغية.

والتضمين من الوسائل المعينة في تصريف المعاني وتوجيه دلالاتها، من معنى لآخر، وسوقها حسب المعنى الدلالي لها ، دون لبس أو خلل، وذلك باستعمال حروف المعاني في مواضعها الخاصة بها؛ولا يتأتى ذلك إلاّ للبلغاء العارفين بأساليب تذوق اللغة العربية.
وفيه يقول فاضل السامرائي:" وللتضمين غرض بلاغي لطيف، وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب، وذلك بذكر فعل وذكر حرف جر يستعمل مع فعل آخر،.فنكسب بذلك معنيين معنى الفعل الأوّل ومعنى الفعل الثاني،وذلك نحو قوله تعالى:﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ [الأنبياء:77] (1) فقد ذهب قوم أنّ (من) ههنا بمعنى:(على) وهذا فيه نظر ، فإنّ فرقا في المعنى بين قولك:(نصره منه) ،و(نصره عليه) فالنصر عليه يعني التمكن منه والاستعلاء عليه والغلبة...(2)

1.سورة الأنبياء، الآية:77
2.معاني النحو للسامرائي 12/3

والتضمين : حين يقع الحرف في غير مكانه مما يتطلب الدقة في الوقوع على سر تسلسله إلى هذا الوضع واستراق السمع للوصول إلى ما يهمس به من ثواني المعاني"(1) ولا يعدو أن يكون محاولة لإيجاد وجه يصح معه وقوع الحرف المعهود في مكانه.

ومن خلال الشواهد التي قدّمناها نرى:" أنّ النحويين وعلماء اللغة في حيرة واضطراب، فهم يرون حرفا قد استعمل في مكان آخر، ولا بدّ أن يتخلصوا من هذه الحيرة، وهذا الاضطراب بوسيلة من وسائلهم الخاصة بهم. (2)

والتضمين سماعي لا قياسي، وإنما يذهب إليه عند الضرورة أما إذا أمكن إجراء اللفظ على مدلوله فإنه يكون أولى وكذا الحذف والإيصال، لكن لشيوعهما صار كالقياس حتى كثر للعلماء التصرف والقول بهما فيما لا سماح فيه.(3)

والصحيح عندهم أن التضمين قياسي؛ والأخذ بهذا الرأي يفيد اللغة تيسيرا واتساعا.

وله شروط ثلاثة.

الأول: تحقق المناسبة بين الفعلين.

الثاني: وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر، ويؤمن معها اللبس.

الثالث: ملاءمة التضمين للذوق البلاغي العربي.

والتضمين مبحث ذو شأن في اللغة العربية ، ولا يتأتى إلاّ للبلغاء العارفين بأسرار البلاغة. هذه بعض الإشارات الخفية التي أومأنا إليها ، ولم نرد التعمق فيه؛ لأنّه باب واسع الأطراف فاكتفينا بهذه النماذج القيمة.

---

1. من أسرار حروف الجر 27
2. فقه اللغة المقارن 212
3. النحو الوافي 565/2

الفصل الثاني

معاني حرف الإلصاق

معنى الباء عند اللغويين

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور ، نقلا عن(الجوهري) أثناء حديثه عن حرف الباء الذي عقد له فصلا خاصا حيث بيّن فيه معنى الباء من حيث المعنى المعجمي لهذا الحرف،ومن حيث المعنى الدّلالي فقال:"الباء حرف من حروف الشفة، بنيت على الكسر لاستحالة الابتداء بالموقوف؛ قال ابن بري: صوابه بنيت على حركة لاستحالة الابتداء بالساكن، وخصت بالكسر دون الفتح تشبيها بعملها وفرقا بينها وبين ما يكون اسما وحرفا. (1)

وأضاف الزمخشري قائلا:" فإن قلت: من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون، نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك، فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر؟ (2)

قلت: أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء، وأما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر."

وأضاف الجوهري:" وهي من عوامل الجر، وتختص بالدخول على الأسماء، وهي لإلصاق الفعل بالمفعول به، تقول مررت بزيد كأنك ألصقت المرور به. وكل فعل لا يتعدى فلك أن تعديه بالباء. والألف والتشديد، تقول: طار به، وأطاره، وطيره." (3)

وعلق ابن بري على مقولة الجوهري في أنواع التعدية فقال: لا يصح هذا الإطلاق على العموم؛ لأن من الأفعال ما يعدى بالهمزة ولا يعدى بالتضعيف نحو عاد الشيء وأعدته، ولا تقل عودته، ومنها ما يعدى بالتضعيف ولا يعدى بالهمزة نحو عرف وعرفته، ولا يقال أعرفته، ومنها ما يعدى بالباء ولا يعدى بالهمزة ولا بالتضعيف نحو دفع زيد عمرا ودفعته بعمرو، ولا يقال أدفعته ولا دفعته." (4)

وهكذا فابن بري فصّل القول في معاني التعدية، وبيّن الأفعال التي تعدى بالتضعيف والتي لا تقبل التضعيف أصلا.

---

1. لسان العرب 15 /443
2. تفسير الزمخشري1/4
3. الصحاح تاج اللغة 2547/6
4. لسان العرب 15 /443

ونتوقّف بشيء من التحليل لقول الجوهري الذي قسّم هذا الحرف إلى المعنى المعجمي الذي يستفاد منه أنّ الباء حرف هجاء من حروف المعجم،وحروف الهجاء لا معنى لها؛لأنّه جيء بها للتهجي...
وأكثر ما ترد بمعنى الإلصاق لما ذكر قبلها من اسم أو فعل بما انضمت إليه.
والحق الذي ذهب إليه أكثر اللغويين والنحاة أنّ حرف الجر الباء هو للإصاق في معظم معانيه.

واكتفى إمام النحاة سيبويه ـ رحمه الله ـ بالمعنى الأساس للباء حيث يرى أنّ الباء للإصاق في معظم معانيها.وما ذكر لها من معان أخرى تحمل هذا المعنى ، وأشار إلى ذلك صراحة فقال:"وباء الجر إنما هي للإلزاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجت بزيدٍ، ودخلت به، وضربته بالسوط: ألزقت ضربك إياه بالسوط. فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله. (1)
قيل ولا يفارقها هذا المعنى،الذي هو الإلصاق وهذا المعنى هو أكثر معاني الباء وأشهرها، قال سيبويه:الإلصاق لا يفارق الباء وإليه ترجع تصاريف معانيها"
ولذلك قال صاحب الكشاف :أثناء تعرضه لباء البسملة." وهذا الوجه (أي الملابسة) أعرب وأحسن."
أي: أحسن من جعل الباء للآلة أي: أدخل في العربية وأحسن لما فيه من زيادة التبرك بملابسة جميع أجزاء الفعل لاسمه تعالى.
وتسمى باء الإلصاق بباء الملابسة والملابسة، هي المصاحبة، وهي الإلصاق أيضا فهذه مترادفات في الدلالة على هذا المعنى. (2)

لعلّ المتتبع لقول سيبويه في أقوال العرب يجد أنّ معظم معاني حرف الجر الذي هو الباء إنّما هو للإلصاق وباقي المعاني تابع للإلصاق...

---

1. الكتاب لسيبويه 4 / 217
2. ينظر:التحرير والتنوير 147/1

وإذا ما بحثنا في أصل الكلمة التي اختارها سيبويه وهي (الإلزاق) بدل الإلصاق فهو من باب الإبدال كما ذهب إلى ذلك إمام اللغة ابن فارس في كتابه: مقاييس اللغة حينما تحدث عن المعنى المعجمي لمعنى:(لزق) فقال:(لزق) اللام والزاء والقاف ليس بأصل، لأنه من باب الإبدال.

يقال لزق الشيء، بالشيء يلزق، مثل لصق. (1)
فابن فارس يرى أنّ حرف الزاء مبدل عن حرف الصاد.وهذه التفاتة لغوية من عالم لغوي استطاع بفقهه اللغوي أن يفرق بين لفظي (لزق) و(ولصق) حيث يرى أنّ (لصق) بحروفها الثلاث أصل واحد فقال: (لصق) اللام والصاد والقاف أصل صحيح يدل على ملازمة الشيء للشيء. يقال لصق به يلصق لصوقا. (2)
والملصق: الدعي. وفلان بلصق الحائط وبلزقه.
بينما يرى في لفظ لسق أنّ أصل السين هو الصاد فقال:(لسق) اللام والسين والقاف ليس أصلا، وأصله الصاد.
يقال اللسق: اللوى. وإذا التزقت الرئة بالجنب من العطش، قيل لسق لسقا. والأصل لصق.
وهكذا نطقت العرب بالصاد والزاء والسين لهذا اللفظ مع العلم أنّ أصل الكلمة هي الصاد.
لكن الأزهري يعطي دلالة أخرى لمعنى اللسق فيراه الظمأ.فقال:"اللسق عند العرب هو الظمأ، سمي لسقا للزوق الرئة بالجنب، وأصله اللزق. (3)
بينما بقية اللغويين يرون أنّ هذه الأحرف كلها تصب في واد واحد وهي من باب لغة القبائل العربية، ولو كان المعنى العام لهذه اللفظة تعني: بجنبي.

---

1. مقاييس اللغة 952
2. مختار الصحاح 28/1
3.ينظر لسان العرب 329/10

وإلى هذا أشار العالم اللغوي : ابن سيده فقال:" لسق لغة في لصق، لسق به ولصق به والتسق به والتزق به وألسقه به غيره وألصقه. وفلان لسقي ولصقي وبلسقي وبلصقي ولسيقي ولصيقي أي: بجنبي.

ويشير ابن منظور إلى لفظ (لصق) بالصاد بأنها لغة تميم،بخلاف قبيلة قيس التي تنطقها بالسين تقول لسق بالسين،بينما قبيلة ربيعة تقول لزق.

وعلى كلّ فالسين والصاد والزاي لغة في الكل.

والإلصاق الذي هو الأساس في حرف الجر الباء يكون حقيقيا،ومجازيا ،فمن الإلصاق الحقيقي قولك أمسكت بمحمد "إذا قبضت على شيء من جسمه ،أو على ما يحبسه من يد، أو ثوب ،أو نحوه.

ولو قلت: (أمسكته) احتمل ذلك ،وأن تكون منعته من التصرف.

ومنه تعلقت به،وتشبثت به،والتصقت به.

"ومن الإلصاق المجازي قولك:(بخل به) أي: التصق به،وتعلق به إذا كان التعلق معنويا، ورأفت به.

أي: التصقت رأفتك به. (1)

ومن التوسع في الإلصاق قولك: (مررت به) بمعنى: ألصقت مروري بمكان يقرب منه.

وليس على معنى أنك ألصقت نفسك به في مرورك ،قال تعالى:﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين:30] (2) أي: قريبا منهم.

ومنه قوله تعالى:﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان:72] (3)

ومعنى المرور به المرور بأصحابه اللاغين في حال لغوهم، فجعل المرور بنفس اللغو للإشارة إلى أن أصحاب اللغو متلبسون به وقت المرور. (4)

---

1. معاني النحو 17/3
2.سورة المطففين ،الآية:30
3.سورة الفرقان ،الآية:72
4. التحرير والتنوير 79/19

وإن كلا من الإلصاق والاستعلاء إنَّما يكون حقيقيا إذا كان مفضيا إِلَى نفس المجرور كأَمسكت بزيد، وصعدت على السَّطح، فإن أفضى أي ما يقرب منه فمجاز كمررت بزيد في تأويل الجماعة وكقوله:

وَبَات على النَّار الندى والمحلق (1)

بينما الزمخشري ـ رحمه الله ـ يجعل الإلصاق أحد معانيها حيث أشار إلى ذلك قائلا: والباء معناها الإلصاق كقولك به داء أي: التصق به وخامره، ومررت به وارد على الاتساع.

والمعنى التصق مروري بموضع يقرب منه.

هذه بعض معاني الإلصاق المتمثلة في المجاز والحقيقة.

وهكذا يرى عمدة النحاة أنّ الأصل في الباء الإلصاق.ولكنها تكتسب معان جديدة حسب سياق الكلام.

ويؤكد هذه المقولة ابن منظور في لسانه:"وأكثر ما ترد بمعنى الإلصاق لما ذكر قبلها من اسم أو فعل بما انضمت إليه.

واقتدى (المبرد) بسيبويه ، وترسّم خطاه حيث نهج في الباء منهج سيبويه،وأضاف لها معان أخر،ومن بينها الاستعانة.فقال:"ومنها (الباء) التي تكون للإلصاق والاستعانة فأما الإلصاق فقولك مررت بزيد، وألممت بك.

وأما الاستعانة فقولك كتبت بالقلم وعمل النجار بالقدوم.(2)

وتسمى باء الإلصاق بباء الإضافة،ومنه." أضفت الشيء إلى الشيء أي أملته، والنحويون يسمون الباء حرف الإضافة، وذلك أنك إذا قلت مررت بزيد فقد أضفت مرورك إلى زيد بالباء (3) ومن أمثلة الإلصاق: وصلت هذا بهذا.

---

1. ينظر: مغني اللبيب 137/1 والمفصل 381/1
2. المقتضب 39/1
3. لسان العرب 210/9

وفي هذا يقول شارح ألفية ابن معطي"وللباء معان أعمها:الإلصاق:لأنها وضعت لتعدية الفعل القاصر إلى المفعول.وإذا عديته إليه فقد ألصقته به.وأضفته إليه، نحو: مررت بزيد.
أي التصق مروري بالمكان الذي فيه زيد.
وقيل:معنى الإلصاق إضافة الفعل إلى ما لولاها لما أمكنت الإضافة إليه نحو:خاض الماء به.(1) ومنه قول الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة:45] (2) وفيها معنى الإلصاق كما هو بين.
وفي قوله تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم:22] (3)
وحمل الشيء على ظهره أو رأسه أو دابته يحمل حملا وحملانا رفعه واستقل بثقله فهو حامل، جمع حملة وهي حاملة والشيء محمول وحميل.
وحملت المرأة الولد.
وحملت به علقت به أولا.
يقال: حملت به أو هو قليل فهي حامل وحاملة وحمل الحقد على فلان أكنه في نفسه وأضغنه.
وحمل به حمالة كفل فهو حميل.

وحمل نفسه على السير جهدها فيه. وحمل على بني فلان أرش:أفسد. وأرشت بين القوم: أفسدت. (4)
ويقال : حملت به .
وكأن الباء لتأكيد اللصوق.(5)

---

1. شرح ألفية ابن معطي لعبد العزيز جمعة الموصلي تحقيق ودراسة الدكتور: علي موسى الشوملي دار البصائر الطبعة الأولى 2007 الجزائر
2. سورة البقرة، الآية:45
3. سورة مريم، الآية:22
4. معجم الأفعال المتعدية بحرف 41/1 ومجمل اللغة لابن فارس91/1
5.التحرير والتنوير84/16

باء البسملة

وفي قوله تعالى: (بسم الله) اعلم أن هذه الباء زائدة، وهي تسمى باء التضمين أو باء الإلصاق، كقولك: كتبت بالقلم، فالكتابة لاصقة بالقلم.
وهي مكسورة أبدا والعلة في ذلك أن الباء حرف ناقص ممال.
والإمالة من دلائل الكسر، قال سيبويه: لما لم يكن للباء عمل إلا الكسر كسرت.
وقال المبرد: العلة في كسرها ردها إلى الأصل...وهي خافضة لما بعدها فلذلك كسرت ميم الاسم.
وطولت هاهنا وشبهت بالألف واللام؛ لأنهم لم يريدوا أن يفتتحوا كتاب الله إلا بحرف مفخم معظم. قاله القيسي.
قال: وكان عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) يقول لكتابه:(طولوا الباء، وأظهروا السين، وفرجوا بينهما، ودوروا الميم تعظيما لكلام الله تعالى) .
وقال أبو خالد بن يزيد المرادي: العلة فيها إسقاط الألف من الاسم، فلما أسقطوا الألف ردوا طول الألف إلى الباء ليكون دالا على سقوط الألف منها؛ألا ترى أنهم لما كتبوا:
(اقرأ باسم ربك) بالألف ردوا الباء إلى صيغتها، فإنما حذفوا الألف من (اسم) هنا لكثرة دورانها على الألسن عملا بالخفة....وفي الكلام إضمار واختصار.
تقديره: قل، أو ابدأ بسم الله.(1)

قال أهل الإشارة والباء حرف منخفض في الصورة فلما اتصل بكتابة لفظ الله ارتفعت واستعلت، فنرجو أن القلب لما اتصل بخدمة الله عز وجل أن يرتفع حاله ويعلو شأنه.
حذفوا ألف (اسم) من قوله:(بسم الله) وأثبتوه في قوله: (اقرأ باسم ربك) والفرق من وجهين:
الأول: أن كلمة:(باسم الله) مذكورة في أكثر الأوقات عند أكثر الأفعال، فلأجل التخفيف حذفوا الألف، بخلاف سائر المواضع فإن ذكرها قليل. (2)

1.تفسير الثعلبي 92/1
2.تفسير الرازي 103/1

قال ابن الخطيب - رحمه الله تعالى - إنما حذفوا ألف (اسم) في قوله تعالى:(بسم الله) وأثبتوها في قوله تعالى:﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق:1] (1) لوجهين:
الأول: أن كلمة:(بسم الله) مذكورة في أكثر الأوقات عند أكثر الأفعال؛ فلأجل التخفيف حذفوا الألف، بخلاف سائر المواضع، فإن ذكرها يقل.
الثاني: قال الخليل - رحمه الله تعالى - إنما حذفت الألف في (بسم الله)؛ لأنها إنما دخلت بسبب أن الابتداء بالسين الساكنة غير ممكن، فلما دخلت الباء على الاسم نابت عن الألف، فسقطت في الخط، وإنما لم تسقط في (اقرأ باسم ربك) ؛ لأن الباء لا تنوب عن الألف في هذا الموضع، كما في (بسم الله) ؛ لأنه يمكن حذف الباء من(اقرأ باسم ربك) مع بقاء المعنى صحيحا، فإنك لو قلت: اقرأ اسم ربك صح المعنى،أما لو حذفت [الباء] من (بسم الله) لم يصح المعنى، فظهر الفرق.
وإنما طولوا الباء من (بسم الله) ولم يطولوها في سائر المواضع لوجهين:
الأول: أنه لما حذفت ألف الوصل بعد الباء طولوا هذه الباء؛ ليدل طولها على الألف المحذوفة التي بعدها، ألا ترى أنهم لما كتبوا (اقرأ باسم ربك) بالألف ردوا الباء إلى صفتها الأصلية.
قال مكي - رحمه الله تعالى -: حذفت الألف من " بسم الله " لكثرة الاستعمال.
وقيل: حذفت لتحرك السين في الأصل؛ لأن أصل السين الحركة، وسكونها لعلة دخلتها.
الثاني: قال القتيبي: إنما طولوا الباء، لأنهم أرادوا ألا يستفتحوا كتاب الله - تعالى - إلا بحرف معظم.
الثالثة: طولوا الباء من بسم الله إما للدلالة على همزة الوصل المحذوفة، وإما لأنهم أرادوا أن لا يستفتحوا كتاب الله إلا بحرف معظم. (2)
والمتعلق به الباء محذوف لدلالة الكلام عليه، تقديره: أبدأ بسم الله، أو قل: بسم الله.
وأسقطت الألف من الاسم طلبا للخفة وكثرة استعمالها وطولت الباء.

---

1. سورة العلق، الآية:1
2.ينظر: تفسير البغوي 49/1 واللباب في علوم الكتاب129/1 وتفسير النيسابوري 63/1

والباء: في بسم الله
فيها وجهان:
أحدهما:
أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك: كتبت بالقلم، على معنى أنّ المؤمن لما اعتقد أنّ فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم اللَّه لقوله عليه الصلاة والسلام: كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم اللَّه فهو أبتر*
والثاني:
أن يتعلق بها تعلق الدهن بالإنبات في قوله تعالى: ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون:20] (1)
متبرّكا بسم اللَّه أقرأ،وكذلك قول الداعي للمعرس: بالرفاء والبنين، معناه: أعرست ملتبسا بالرفاء والبنين، وهذا الوجه أعرب وأحسن.(2)
أي: أدخل في العربية وأحسن لما فيه من زيادة التبرك بملابسة جميع أجزاء الفعل لاسمه تعالى.
وباء المصاحبة أكثر في الاستعمال من باء الاستعانة لا سيما في المعاني وما يجري مجراها من الأفعال، وبأن التبرك باسم الله تعالى تأدب معه، وتعظيم له بخلاف جعله للآلة؛ فإنها مبتذلة غير مقصودة بذاتها، وأن ابتداء المشركين بأسماء آلهتهم كان على وجه التبرك فينبغي أن يرد عليهم في ذلك، وأن الباء إذا حملت على المصاحبة كانت أدل على ملابسة جميع أجزاء الفعل لاسم الله تعالى منها إذا جعلت داخلة على الآلة؛ وأنّ من استعان بجنابه أعانه ومن لاذ ببابه حفظه وصانه. (3)
وعليه: فالباء في البسملة هي: للملابسة.

1.سورة المؤمنون، الآية:20
2.الكشاف 3/1
3. تفسير الألوسي 50/1
* عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:"كل أمر ذي بال، لا يبدأ فيه بالحمد، أقطع" رواه ابن ماجه 610/1

ومعنى: تنبت الدهن، وليس ذلك بالمقصود، بل المقصود أنها تنبت النبات ومعه الدهن، أي: والدهن فيه موجود بالقوة، ونبّه بلفظة (بِالدُّهْنِ) على ما أنعم به على عباده وهداهم إلى استنباطه.
وقيل: الباء هاهنا للحال.أي: حاله أنّ فيه الدهن. (1)

ومعنى تنبت بالدهن أنها تنبت ملابسة للدهن فالباء للملابسة.
وهذه الآية مثال لباء الملابسة.
والملابسة معنى واسع، فملابسة نبات شجرة الزيتون للدهن والصبغ ملابسة بواسطة ملابسة ثمرتها للدهن والصبغ، فإن ثمرتها تشتمل على الزيت وهو يكون دهنا وصبغا للآكلين.(2)

والباء في قوله تعالى:﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام:100] (3)
(بغير علم) :وقوله
والباء للملابسة، أي ملابسا تخريقهم غير العلم فهو متلبس بالجهل بدءا وغاية، فهم قد اختلقوا بلا داع ولا دليل ولم يجدوا لما اختلقوه ترويجا، وقد لزمهم به لازم الخطل وفساد القول وعدم التئامه، فهذا موقع باء الملابسة في الآية الذي لا يفيد مفاده غيره.(4)

1.المفردات في غريب القرآن160/1
2.التحرير والتنوير 38/18
3. سورة الأنعام، الآية:100
4.التحرير والتنوير 409/7

وفي قوله تعالى:﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران:174] (1)
وقوله: فانقلبوا بنعمة من الله تعقيب للإخبار عن ثبات إيمانهم وقولهم: حسبنا الله ونعم الوكيل، وهو تعقيب لمحذوف يدل عليه فعل فانقلبوا؛ لأن الانقلاب يقتضي أنهم خرجوا للقاء العدو الذي بلغ عنهم أنهم جمعوا لهم ولم يعبأوا بتخويف الشيطان.
والتقدير: فخرجوا فانقلبوا بنعمة من الله.
والباء للملابسة أي: ملابسين لنعمة وفضل من الله.
فالنعمة هي ما أخذوه من الأموال.
والفضل فضل الجهاد.
ومعنى لم يمسسهم سوء لم يلاقوا حربا مع المشركين. (2)

والباء فى قوله تعالى: ﴿ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ [النساء:24] (3)
للإلصاق فهى تدل على لصوق وجوب المال بالابتغاء.
يعنى: العقد، وتنافي تراخيه إلى الدخول. (4)

---

1. سورة آل عمران، الآية:174
2.التحرير والتنوير171/4
3.سورة النساء ،الآية: 24
4. التفسير المظهري 78/2

باء الاستعانة

والنحويون يسمون الباء حرف الاستعانة وهو "بأن يكون ما بعد الباء هو الآلة لحصول المعنى الذي قبلها"نحو: سافرت بالطيارة ورصدت الكوكب بالمنظار. (1) وذلك أنك إذا قلت ضربت بالسيف وكتبت بالقلم وبريت بالمدية، فكأنك قلت استعنت بهذه الأدوات على هذه الأفعال.

ويضيف ابن هشام معنى آخر فقال:" الاستعانة وهي الداخلة على آلة الفعل نحو كتبت بالقلم ونجرت بالقدوم، قيل ومنه البسملة؛ لأن الفعل لا يتأتى على الوجه الأكمل إلا بها.(2)

قال الزمخشري:"ويدخلها معنى الاستعانة في نحو كتبت بالقلم، ونحرت بالقدوم، وبتوفيق الله حججت، وبفلان أصبت الغرض.(3) وضربت بالسيف.

والباء فى قوله تعالى:﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:22] (4)

(بغرور) باء الاستعانة أي أنزلهما مستعينا بالتغرير والخديعة..(5)

وفي قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ ﴾ [غافر:35] (6)

وبغير سلطان متعلق بـ يجادلون.

والباء للاستعانة، والسلطان: الحجة.

والمعنى: أنهم يجادلون بما ليس بحجة ولكن باللجاج والاستهزاء. (7)

---

1. ينظر: النحو الوافي 491/2
2. مغني اللبيب 139/1
3. ينظر:المقتضب 39/1 والمفصل في صنعة الإعراب381/1
4. سورة الأعراف، الآية:22
5. التفسير القرآني للقرآن 382/4
6. سورة غافر، الآية:35
7. التحرير والتنوير143/24

وفي قوله تعالى:﴿ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف:48] (1)
والأخذ بمعنى: الإصابة.
والباء في بالعذاب للاستعانة كما تقول: خذ الكتاب بقوة، أي ابتدأناهم بالعذاب قبل الاستئصال لعل ذلك يفيقهم من غفلتهم، وفي هذا تعريض بأهل مكة إذ أصيبوا بسني القحط.
والرجوع: مستعار للإذعان والاعتراف. (2)

وفي قوله تعالى:﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ [الأعراف:134] (3)
والباء في قوله: بما عهد عندك متعلقة بالفعل (ادع) وهي للاستعانة.
وفي قوله تعالى:﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾ [الحديد:28] (4)
ويجعل لكم حالة كحالة نور تمشون به، والباء للاستعانة مثل: كتبت بالقلم.
والمعنى: وييسر لكم دلالة تهتدون بها إلى الحق.
وجميع أجزاء هذا التمثيل صالحة لتكون استعارات مفردة، وهذا أبلغ أحوال التمثيل، وقد عرف في القرآن تشبيه الهدى بالنور، والضلال بالظلمة، والبرهان بالطريق، وإعمال النظر بالمشي، وشاع ذلك بعد القرآن في كلام أدباء العربية. (5)

1.سورة الزخرف، الآية:48
2.التحرير والتنوير 226/25
3.سورة الأعراف ، الآية:134
4.سورة الحديد ، الآية:28
5.التحرير والتنوير 429/27

وفي قوله تعالى:﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:166] (1)

فالباء في (بهم) للملابسة.

أي: تقطعت الأسباب ملتبسة بهم أي فسقطوا، وهذا المعنى هو محل التشبيه؛ لأن الحبل لو تقطع غير ملابس للمرتقي عليه لما كان في ذلك ضر إذ يمسك بالنخلة ويتطلب سببا آخر ينزل فيه، ولذلك لم يقل وتقطعت أسبابهم أو نحوه.

فمن قال إن (الباء) بمعنى: (عن) أو للسببية أو التعدية فقد بعد عن البلاغة.

وبهذه الباء تقوم معنى التمثيلية بالصاعد إلى النخلة بحبل.

وقد صار هذا التركيب كالمثل بهذا الإيجاز.

وقد شاع في كلام العرب ذكر التقطع مستعارا للبعد وبطلان الاتصال تبعا لاستعارة الحبل للاتصال . (2)

وفي قوله:(وتقطعت بهم الأسباب)

مجاز مرسل علاقته السببية، فان السبب في الأصل الحبل الذي يرتقى به إلى ما هو عال ثم أطلق على كل ما يتوصل به إلى شيء، مادة كان أم معنى.

ولك أن تجعله من باب الاستعارة التصريحية، فقد شبه الأعمال التي كانوا يمارسونها في الدنيا بالأسباب التي يتشبّث بها الإنسان للنجاة. ثم حذف المشبّه وأبقى المشبّه به. (3)

فمن ثم حسن حذف الفاعل في الآية على هذه القراءة لدلالة المقام عليه فصار كالمثل. حيث قدر الزمخشري المصدر المأخوذ من تقطع فاعلا، أي على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل، أي وقع التقطع بينكم.

1.سورة البقرة، الآية:166

2. ينظر: التحرير والتنوير98/2

3.إعراب القرآن وبيانه 234/1

معاني باء وامسحوا

وفي قوله تعالى:﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:6] (1) هذا أمر بالمسح بالرأس.واختلفوا في مدلول باء الجر هنا فقيل: إنها للإلصاق.

وقال الزمخشري: المراد إلصاق المسح بالرأس، وما مسح بعضه ومستوفيه بالمسح كلاهما ملصق المسح برأسه.

وليس كما ذكر، ليس ماسح بعضه يطلق عليه أنه ملصق المسح برأسه، إنما يطلق عليه أنه ملصق المسح ببعضه.

وأما أن يطلق عليه أنه ملصق المسح برأسه حقيقة فلا، إنما يطلق عليه ذلك على سبيل المجاز، وتسمية لبعض بكل.

وقيل: الباء للتبعيض، وكونها للتبعيض ينكره أكثر النحاة حتى قال بعضهم، وقال من لا خبرة له بالعربية. الباء في مثل هذا للتبعيض وليس بشيء يعرفه أهل العلم.

وقيل: الباء زائدة مؤكدة مثلها في قوله:﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ [الحج:25] (2) أي: إلحاد ...

وقال الفراء: تقول العرب هزه وهز به، وخذ الخطام وبالخطام، وحز رأسه وبرأسه، ومده ومد به.

وحكى سيبويه: خشّنت صدره وبصدره، ومسحت رأسه وبرأسه في معنى واحد، وهذا نص في المسألة.(3)

وعلى هذه المفهومات ظهر الاختلاف بين العلماء في مسح الرأس.

وعن ابن عمر: أنه مسح اليافوخ فقط، وعن سلمة بن الأكوع أنه كان يمسح مقدم رأسه، وعن إبراهيم والشعبي: أي نواحي رأسك مسحت أجزأك.

1.سورة المائدة، الآية:6

2.سورة الحج، الآية:25

3.البحر المحيط في التفسير 190/4

* معنى اليافوخ: اليافوخ وسط الرأس ولا يقال يافوخ حتى يصلب ويشتد بعد الولادة.

وعن الحسن: إن لم تصب المرأة إلا شعرة واحدة أجزأها.
وأما فقهاء الأمصار فالمشهور من مذهب مالك: وجوب التعميم.
والمشهور من مذهب الشافعي: وجوب أدنى ما يطلق عليه اسم المسح. (1)
ومشهور أبي حنيفة والشافعي: أن الأفضل استيعاب الجميع.
وعلى من ذهب إلى التبعيض يلزم أن يكون التبعيض في قوله في قصة التيمم: فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، أن يقتصر على مسح بعض الوجه وبعض اليد، ولا قائل به. وعلى من جعل الباء آلة يلزم أيضا ذلك، ويلزم أن يكون المأمور به في التيمم هو مسح الصعيد بجزء من الوجه واليد.
رجح عنده احتمال التأكيد وظهر له أن دخول الباء على المفعول للتأكيد طريقة مسلوكة في الاستعمال.
وأجمع العلماء على أن من مسح رأسه كله فقد أحسن وفعل ما يلزمه.
والباء مؤكدة زائدة ليست للتبعيض.
والمعنى وامسحوا رءوسكم.
وقيل: دخولها حسن كدخولها في التيمم
وقيل: إنما دخلت لتفيد معنى بديعا وهو أن الغسل لغة يقتضي مغسولا به، والمسح لغة لا يقتضي ممسوحا به، فلو قال: وامسحوا رءوسكم لأجزأ المسح باليد إمرارا من غير شيء على الرأس، فدخلت الباء لتفيد ممسوحا به وهو الماء، فكأنه قال: وامسحوا برءوسكم الماء، وذلك فصيح في اللغة على وجهي نسبته كقول الشاعر:
مثل القنافذ هداجون قد بلغت نجران أو بلغت سوأتهم هجر
فهذا ما لعلمائنا في معنى الباء.
وتردد عنده احتمال أن الباء فيه للتأكيد أو أنها للتبعيض أو للآلة وكانت نفسه غير مطمئنة لاحتمال التأكيد إذ كان مدخول الباء مفعولا فإذا استشهد له.
وقيل للتبعيض، فإنه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل، ووجهه أن يقال إنها تدل على تضمين الفعل معنى: الإلصاق.

1.تفسير القرطبي87/6

فكأنه قيل: وألصقوا المسح برءوسكم، وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل: وامسحوا رؤوسكم فإنه كقوله تعالى:﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ [المائدة:6] (1) وهذا تخريج فريد من نوعه حيث جعل (الباء) للتضمين.(2)

ويرد ابن العربي على من ظنّ أنّ الباء للتبعيض، فقال:" ظن بعض الشافعية وحشوية النحوية أن الباء للتبعيض، ولم يبق ذو لسان رطب إلا وقد أفاض في ذلك حتى صار الكلام فيها إجلالا بالمتكلم، ولا يجوز لمن شدا طرفا من العربية أن يعتقد في (الباء) ذلك، وإن كانت ترد في موضع لا يحتاج إليها فيه لربط الفعل بالاسم، فليس ذلك إلا لمعنى؛ تقول: مررت بزيد، فهذا لإلصاق الفعل بالاسم، ثم تقول: مررت زيدا فيبقى المعنى.

وفي ذلك خلاف بيانه في ملجئة المتفقهين إلى معرفة غوامض النحويين.

وقد طال القول في هذا الباب، وترامت فيه الخواطر في المختصر حتى أفادني فيه بعض أشياخي في المذاكرة والمطالعة فائدة بديعة: وذلك أن قوله:(فامسحوا)، يقتضي ممسوحا، وممسوحا به.

والممسوح الأول هو ما كان.

والممسوح الثاني هو الآلة التي بين الماسح والممسوح، كاليد والمحصل للمقصود من المسح، وهو المنديل؛ وهذا ظاهر لا خفاء به؛ فإذا ثبت هذا فلو قال: امسحوا رءوسكم لأجزأ المسح باليد إمرارا من غير شيء على الرأس لا ماء ولا سواه ؛ فجاء بالباء لتفيد ممسوحا به، وهو الماء، فكأنه قال: فامسحوا برءوسكم الماء، من باب المقلوب، والعرب تستعمله.(3)

وبعد عرض آراء النحاة تبيّن لي أنّ رأي ابن العربي هو الأقرب لدلالة الباء من غيره والكلّ مصيب، واختلاف الفقهاء في دلالة (الباء) بين التبعيض والإلصاق والتأكيد والآلة كلّ هذه الدلالات تعطي مساحة لاجتهاد الفقهاء مع عمل الرسول صلى الله عليه وسلّم في كيفية المسح على الرأس ،والتيسير على الأمة في المسح .

1.سورة المادة، الآية:6

2. ينظر: تفسير البيضاوي 116/2

3. أحكام القرآن لابن العربي 64/2

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:67] (1)

وهذا إيماء إلى تعطيل حركة الأرض وانقماع مظاهرها إذ تصبح في عالم الآخرة شيئا موجودا لا عمل له وذلك بزوال نظام الجاذبية وانقراض أسباب الحياة التي كانت تمد الموجودات الحية على سطح الأرض من حيوان ونبات .

(وطَيُّ السماوات):استعارة مكنية لتشويش تنسيقها واختلال أَبعاد أجرامها ، فإن الطي ردّ ولفّ بعض شُقق الثوب أو الورق على بعض بعد أن كانت مبسوطة منتشرة على نسق مناسب للمقصود من نشره فإذا انتهى المقصود طوي المنشور.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ ﴾ [الأنبياء:104].(2) وإثبات الطي تخييل .

والباء في (بيمينه) للآلة والسببية .

واليمين : وصف لليد ولا يدَ هنا وإنما هي كناية عن القدرة؛لأن العمل يكون باليد اليمين قال الشاعر أنشده الفرّاء والمبرد ، قال القرطبي

ولما رأيتُ الشمس أشرقَ نورها تَناولتُ منها حَاجتي بيمين

أي: بقدرة .

والمقصود من هاتين الجملتين تمثيل عظمة الله تعالى بحال من أخذ الأرض في قَبضته ومن كانت السماوات مطويةً أفلاكها وآفاقها بيده تشبيه المعقول بالمتخيَّل وهي تمثيلية تنحل أجزاؤها إلى استعارتين.(3) وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر:67] (4) إن شئت جعلت اليمين هنا الجارحة، فيكون على "ما ذهبنا" إليه من المجاز والتشبيه، أي حصلت السموات تحت قدرته حصول ما تحيط اليد به في يمين القابض عليه.

1.سورة الزمر، الآية:67

2.سورة الأنبياء ، الآية:104

3.التحرير والتنوير382/12

4.سورة الزمر، الآية:67

وذكرت اليمين هنا دون الشمال؛ لأنها أقوى اليدين وهو من مواضع ذكر الاشتمال والقوة.
وإن شئت جعلت اليمين هنا القوة؛ كقوله:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أي بقوته وقدرته.
وقوله:(مطويات بيمينه): هي الجارحة مجازا وتشبيها كانت (الباء) هنا ظرفا أي مطويات في يمينه وتحت يمينه.
وإن جعلتها القوة لم تكن (الباء) ظرفا لكنها تكون حرفا معناه الإلصاق والاستعانة به على التشبيه بما يستعان به كقولهم: ضرب بالسيف وقطع بالسكين، وحفر بالفأس. هذا هو المعنى الظاهر، وإن كان غيره جائزا على التشبيه والسعة. (1)
وفيها دلالة على أن الأرض والسماوات باقية غير مضمحلة ولكن نظامهما المعهود اعتراه تعطيل، ولذلك أعقبه بقراءة ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر:67] (2) من غير تصوير قبضة وطي ويمين، وإنما هو تصوير لعظمة شأنه لتمثيل الخفي بالجلي، فكذا هاهنا والله أعلم.(3)
والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته، والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو مجاز.(4)

والتعدد الوظيفي (للباء) بين الآلة والسببية والظرفية والإلصاق والاستعانة ناشئ عن الاختلاف اللغوي لمفهوم الباء بين هذه الدلالات. واختار ابن جني الإلصاق والاستعانة به على التشبيه بما يستعان به.

1.الخصائص252/3
2.سورة الزمر، الآية:67
3.تفسير الرازي473/27
4.الكشاف 142/4

باء الإلصاق

والباء في (بالخير) للإلصاق ففي قول الله تعالى:﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ [الإسراء:11] (1) وفعل(يدعو) مستعمل في معنى يطلب ويبتغي ، كقول لبيد:

ادْعُو بهن لعَاقر أو مُطْفِل بُذِلَت لجيران الجميع لِحَامُها (2)

وقوله: (دعاءه بالخير): مصدر يفيد تشبيها ، أي يستعجل الشر كاستعجاله الخير ، يعني يستبطئ حلول الوعيد كما يستبطئ أحد تأخر خير وعد به .

وعجول:صيغة مبالغة في عاجل.

يقال:عجل فهو عاجل وعجول .

والباء في قوله:بالشر وبالخير لتأكيد لصوق العامل بمعموله، كالتي في قوله تعالى:﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ [المائدة:6](3) ؛أو لتضمين مادة الدعاء معنى الاستعجال.

بينما يرى آخرون أنّ الباء في الآية الكريمة تحمل معان ثلاث فقال:

في الباء ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهما متعلقتان بالدعاء على بابهما نحو: دعوت بكذا

والمعنى: إنّ الإنسان في حال ضجره قد يدعو بالشر ويلح فيه، كما يدعو ويلح فيه.

والثاني: أنهما بمعنى (في) بمعنى أن الإنسان إذا أصابه ضر دعا وألح في الدعاء واستعجل الفرج، مثل الدعاء الذي كان يحب أن يدعوه في حالة الخير، وعلى هذا فالمدعو به ليس الشر ولا الخير. وهو بعيد.

ويراد على هذا أن تكون حالتاه في الشر والخير متساويتين في الدعاء والتضرع لله والرغبة والذكر.

الثالث: أن تكون للسبب، ذكره أبو البقاء، والمعنى لا يساعده، والمصدر مضاف لفاعله. (4)

1.سورة الإسراء، الآية:11

2.ينظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري 105/1

3.سورة المائدة، الآية:6

4.ينظر: التحرير191/8 والدر المصون 321/7 وإملاء ما من به الرحمن 339

وهكذا فالآية الكريمة فتحت باب الاجتهاد للعلماء للمزيد في التفنن في أداة حرف الجر (الباء) حيث اشتملت على هذه المعاني المختلفة التي يمكن أن يحمل عليها هذا الحرف، ويوجه لها الوجهة السليمة.ونرى أنّ صاحب التنوير حصر هذا الحرف بين الإلصاق ،والتضمين.وهو رأي صائب إلاّ أنّ السمين الحلبي يضيف إضافة أخرى ذات قيمة دلالية فيرى أنّ الباء بمعنى: (في) إذ يمكن القول:" ألح في الدعاء ويستبعد أن تكون الباء للسبب.الذي أقرّ به أبو البقاء في كتابه الموسوم:إملاء ما من به الرحمن .
بينما يضيف شهاب الدين أنّ الباء هي للحال،وهذا رأي مقبول .ويعزز من رأي أبي البقاء الذي قال بأنّ الباء للسبب.فقال: (دعاءه) : أي يدعو بالشر دعاء مثل دعائه بالخير، والمصدر مضاف إلى الفاعل.
والتقدير: يطلب الشر.
فالباء للحال ؛ ويجوز أن تكون بمعنى السبب. (1)

ومن خلال هذه الآراء نستنتج أنّ (الباء) في الآية الكريمة تحمل عدّة معان مختلفة،فقد قال الإمام علي رضي الله عنه:" القرآن حمال ذو وجوه... (2)
وإلى هذه النكتة أشار أبو الدرداء رضى الله عنه حين قال " لا يكون الرجل فقيها حتى يحمل الآية الواحدة على محامل متعددة (3)
وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على المعاني التي استنبطها علماؤنا من حرف الجر الباء الذي أعطى هذه الدلالات المتنوعة التي تدلّ على ثراء هذا الكتاب الذي هو حمال أوجه.
أما لفظ دعاء فقد اختلف النحاة في إعرابه بين كونه مصدرا أو مفعولا مطلقا
" وحقيقة القول في الآية أن التقدير: يدعو الإنسان بالشرّ دعاء مثل دعائه بالخير ثم أقيمت الصفة مقام الموصوف والمضاف إليه مقام المضاف." (4)

1.حاشية الشهاب
2.شرح نهج البلاغة 71/18
3.الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الله الدهلوي 98
4. التبيان في إعراب القرآن 814/2

وعليه فلفظ:دعاءه نصب على المصدر، وفي الكلام حذف تقديره ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير ثم حذف الموصوف وهو دعاء ثم حذفت الصفة المضافة وقام المضاف إليه مقامه.

(بالشرّ) جارّ ومجرور متعلّق بـ (يدعو) ، (دعاءه) منصوب على نزع الخافض أي كدعائه (1)

والآية الكريمة فيها إشارة إلى أدب من آداب الدعاء وهو عدم الاستعجال فينبغي للسالك أن يصبر حتى يعرف ما يليق بحاله فيدعو به.

وقال سهل: أسلم الدعوات الذكر وترك الاختيار لأن في الذكر الكفاية وربما يسأل الإنسان ما فيه هلاكه ولا يشعر.(2)

وفي الأثر يقول الله تعالى شأنه من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيه أفضل ما أعطي السائلين. (3)

والقياس إثبات الواو في قوله: ويدع إلا أنه حذف في المصحف من الكتابة، لأنه لا يظهر في اللفظ، أما لم تحذف في المعنى لأنها في موضع الرفع، ونظيره:﴿ سَنَدْعُ الزبانية﴾ [العلق: 18] (4) ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:146] (5) و﴿ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ [ق:41] (6) ﴿ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر:5] (7)

ولو كان بالواو والياء لكان صوابا هذا كلام الفراء.

1.إعراب القرآن للنحاس 267/2

2. تفسير الألوسي 49/8

3.ينظر: معجم ابن عساكر438/1

4.سورة العلق ، الآية:18

5.سورة النساء، الآية:146

6.سورة ق ،الآية:41

7.سورة القمر، الآية:5

ويستدرك الزركشي قائلا:"وقد سقطت (الواو) من أربعة أفعال تنبيها على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود.
أولها: ﴿ سَنَدْعُ الزبانية﴾ [العلق: 18] (1) فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش، وهو وعيد عظيم ذكر مبدؤه وحذف آخره ويدل عليه قوله تعالى:﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر:50] (2)

وثانيها:﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ [الشورى:24] (3) حذفت منه الواو علامة على سرعة الحق وقبول الباطل له بسرعة بدليل قوله:﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:81](4)
وليس (يمح): معطوفا على (يختم): الذي قبله؛ لأنه ظهر مع (يمح) الفاعل وعطف على الفعل ما بعده وهو:(ويحق الحق).
قلت: إن قيل: لم رسم الواو في:﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد:39] (5)
وحذفت في:﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ ؟ [الشورى:24] (6)
قلت: لأن الإثبات الأصل وإنما حذفت في الثانية ؛لأن قبله مجزوم، وإن لم يكن معطوفا عليه؛ لأنه قد عطف عليه: (ويحق) وليس مقيدا بشرط ولكن قد يجيء بصورة العطف على المجزوم وهذا أقرب من عطف الجوار في النحو والله أعلم
وثالثها:﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ ﴾ [الإسراء:11] (7) حذف الواو يدل على أنه سهل عليه. ويسارع فيه كما يعمل في الخير، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير.

1.سورة العلق ، الآية:18
2. سورة القمر، الآية: 50
3.سورة الشورى ، الآية:24
4.سورة الإسراء، الآية:81
5.سورة الرعد، الآية:39
6.سورة الشورى،الآية:24
7.سورة الإسراء، الآية:11

ورابعها:﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ [القمر:6] (1) ، حذف الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة.(2)
هذه تخريجات قيمة في رسم القرآن تبيّن لنا فهم الصحابة رضي الله عنهم أسرار رسم القرآن الكريم.

وأقول: إن هذا يدل على أنه سبحانه قد عصم هذا القرآن المجيد عن التحريف والتغيير فإن إثبات الياء والواو في أكثر ألفاظ القرآن وعدم إثباتهما في هذه المواضع المعدودة يدل على أن هذا القرآن نقل كما سمع، وأن أحدا لم يتصرف فيه بمقدار فهمه وقوة عقله. (3)
والقياس إثبات الواو في يَدْعُ الإنسان إذ لا جازم تحذف له لكن نقل القرآن العظيم كما سمع ولم يتصرف فيه الناقل بمقدار فهمه وقوة عقله.

ومن خلال هذا الطرح يتضح لنا أنّ باء الإلصاق لها عدة تسميات ومن بينها :باء الملابسة والمصاحبة، والإلصاق،وباء الإضافة أيضا فهذه مترادفات في الدلالة على هذا المعنى.
والإلصاق لا يفارق الباء وإليه ترجع تصاريف معانيها.

وقد اتفق النحاة بمختلف مذاهبهم على هذه المعاني التي أشار إليها سيبويه،وأضافوا إليها بعض المعاني ، والدلالات التي تفهم من سياق الكلام.

1.سورة القمر، الآية:6
2.البرهان في علوم القرآن397/1
3. تفسير الرازي 305/20

معنى الباء في يشرب بها

وفي قول الله تعالى:﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان:5] (1) وقوله تعالى:﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين:28] (2)

فإن قلت:

لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أوّلا، وبحرف الإلصاق آخرا؟

قلت:؛ لأنّ الكأس مبدأ شربهم وأوّل غايته، وأما العين فبها يمزجون شرابهم، فكان المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل.

(يفجرونها): يجرونها حيث شاءوا من منازلهم.

(تفجيرا) : سهلا لا يمتنع عليهم. (3)

فذكر هناك (من) وههنا (الباء).

والفرق أن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته.

ويعني بقوله: (يشرب بها عباد الله) يروى بها وينتقع.

وقيل: يشرب بها ويشربها بمعنى: واحد.

وذكر الفراء أن بعضهم أنشده:

---

1. سورة الإنسان ، الآية:5

2.سورة المطففين، الآية:28

3. الكشاف 668/4

قال الهذلي وذكر السحاب*

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ (1)

وعني بقوله: (متى لجج) من.

ومثله: إنه يتكلم بكلام حسن، ويتكلم كلاما حسنا.

وقوله: (يفجرونها تفجيرا) يفجرون تلك العين التي يشربون بها كيف شاءوا وحيث شاءوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا، ويعني بالتفجير: الإسالة والإجراء.

وعن مجاهد، في قوله: (يفجرونها تفجيرا) قال: يعدلونها حيث شاءوا.

وعنه أيضا، قوله: (يفجرونها تفجيرا) قال: يقودونها حيث شاءوا.(2)

1.ينظر: حروف المعاني والصفات 47/1

2. تفسير الطبري94/24

أبو ذؤيب الهذلي (000 - نحو 27 = 000 - نحو 648 م)

خويلد بن خالد بن محرّث، أبو ذؤيب، من بني هذيل بن مدركة، من مضر: شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. وسكن المدينة. واشترك في الغزو والفتوح. وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى إفريقية (سنة 26 هـ غازيا، فشهد فتح إفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان (رضي الله عنه) فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها.

وقيل مات بإفريقية.

قال البغدادي: هو أشعر هذيل من غير مدافعة. وفد على النبي صلّى الله عليه وسلم ليلة وفاته، فأدركه وهو مسجّى وشهد دفنه. له (ديوان أبي ذؤيب)

أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد.

ومطلعها: أمن المنون وريبه تتوجّع والدهر ليس بمعتب من يجزع

قالت أمامة ما لجسمك شاحبا منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفع

ينظر: الأعلام للزركلي325/2 والعقد الفريد 210/3

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرفَّعَتْ مَتى لُجَج خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ (1)
ولما كانت الكأس مبدأ شربهم أتى بـ(من) وفي يشرب بها: أي: يمزج شرابهم بها أتى (بالباء) الدالة على الإلصاق.
والمعنى:يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل، أو ضمن يشرب : يروى فعدي بالباء.
وقيل: الباء زائدة.
والمعنى يشرب بها(2)
وقرأ ابن أبي عبلة*: (يشربها).

---

1. سمط اللآلي في شرح أمالي القالي 449/1
2. البحر المحيط في التفسير 360/10
* ابن أبي عبلة (ت152هـ)
هو إبراهيم بن أبي عبلة الامام القدوة، شيخ فلسطين، أبو إسحاق العقيلي الشامي المقدسي من بقايا التابعين.وروى عن واثلة بن الاسقع، وأنس بن مالك، وأبي أمامة الباهلي، وبلال بن أبي الدرداء، وخالد بن معدان، وخلق سواهم. وقيل: إنه أدرك ابن عمر.وكان الوليد بن عبد الملك يبعثه بعطاء أهل القدس فيفرقه فيهم.
وقال لمن جاء من الثغر: وقد جئتم من الجهاد الأصغر، فما فعلتم في الجهاد الأكبر؟ قالوا: يا أبا إسماعيل فما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب.
ينظر:سير أعلام النبلاء 323/6
* الشرح: ترفعت: تصاعدت وتباعدت. لجج: جمع: لجة بزنة غرفة وغرف
نئيج: -بفتح النون وكسر الهمزة- الصوت العالي المرتفع.أي:مر سريع مع صوت.
المعنى: يدعو لامرأة -ذكرها في بيت الشاهد باسم أم عمرو- بالسقيا بماء سحب موصوفة بأنها شربت من ماء البحر، وأخذت ماءها من لجج خضر، ولها في تلك الحال صوت مرتفع عال.
الإعراب: متى : حرف جر بمعنى:(من)
الشاهد:
والباء في (بماء) بمعنى (من) و(متى) معناها (في) في لغة هذيل.
(بماء البحر): فإن الباء فيه بمعنى: (من) للتبعيض.
ينظر: توضيح المقاصد 758/2 وابن عقيل 2/ 16 والأشموني 2/ 293 وهمع الهوامع34/2

وعباد الله: هنا هم المؤمنون.
يفجرونها: يثقبونها بعود قصب ونحوه حيث شاءوا، فهي تجري عند كل واحد منهم، هكذا ورد في الأثر.
وقيل:
هي عين في دار رسول الله ﷺ تنفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين.
يوفون بالنذر: في الدنيا، وكانوا يخافون.(1)
قال الفراء: يشرب بها ويشربها سواء في المعنى، وكأن يشرب بها يروى بها وينقع،
وقيل:
المعنى يشربها والباء زائدة.
وقيل:
الباء بدل من تقديره يشرب منها، قاله القتبي.
(يفجرونها تفجيرا) فيقال:
إن الرجل منهم ليمشي في بيوتاته ويصعد إلى قصوره، وبيده قضيب يشير به إلى الماء فيجري معه حيثما دار في منازله على مستوى الأرض في غير أخدود، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره.
ويفجرونها:أي: يشققونها شقا كما يفجر الرجل النهر ها هنا وها هنا إلى حيث يريد. (2)
وعدى فعل (يشرب): بالباء، التي هي باء الإلصاق؛ لأن الكافور يمزج به شرابهم.
أي: عينا يشرب عباد الله ماءهم وخمرهم بها.
أي: مصحوبا بمائها وخمرها.
ومنهم من جعل (الباء) هنا بمعنى: (من) التبعيضية.
أي: عينا يشرب من بعض مائها وخمرها عباد الله، وهم الأبرار.
وعبر عنهم بذلك لتشريفهم وتكريمهم، حيث أضافهم- سبحانه- إلى ذاته. (3)

---

1. البحر المحيط في التفسير 360/10
2. تفسير القرطبي126/19
3.التفسير الوسيط لطنطاوي218/15

والباء للإلصاق، وليست للتعدية وهي متعلقة معنى بمحذوف أي يشرب الخمر ممزوجة بها أي: بالعين عِبادُ اللَّه وهو كما تقول شربت الماء بالعسل هذا إذا جعل كافور علم عين في الجنة وأما على القولين الآخرين فقيل وجه الباء أن يجعل الكلام من باب:
يجرح في عراقيبها نصلي لإفادة المبالغة.
وقيل: الباء للتعدية وضمن يَشْرَبُ معنى: يروى فعدي بها.
وقيل هي بمعنى (من).
وقيل: هي زائدة .
والمعنى: يشربها
فقيل: يوفون إلخ، وأفيد أنه استئناف للبيان ومع ذلك عدل عن أوفوا إلى المضارع للاستحضار والدلالة على الاستمرار.
والوفاء بالنذر كناية عن أداء الواجبات كلها العلم ما عداه بالطريق الأولى. وإشارة النص فإن من أوفى بما أوجبه على نفسه كان إيفاء ما أوجبه الله تعالى عليه أهم له وأحرى.
غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.(1)
وفي وصفهم بذلك إشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي.
(ويطعمون الطعام على حبه) أي: كائنين على حب الطعام أي مع اشتهائه والحاجة إليه فهو من باب التتميم.
وقيل: إنها منتصبة على أنها مفعول يشربون، أي: عينا من كأس.
وقيل: هي منتصبة على الاختصاص، قاله الأخفش.
وقيل: منتصبة بإضمار فعل يفسره ما بعده.
أي: يشربون عينا يشرب بها عباد الله، والأول أولى، وتكون وجملة يشرب بها عباد الله صفة لعينا.
قيل والباء في بها زائدة، أي: يشربها، أو بمعنى (من)، أي: يشرب منها. قال ابن زيد: بلغنا أنها عين تجري من تحت العرش.

1.روح المعاني 170/15

قيل: يشرب المقربون صرفا، ويمزج بها كأس أصحاب اليمين.(1)
وعدي فعل يشرب بالباء وهي باء الإلصاق؛ لأن الكافور يمزج به شرابهم.
والتقدير:
عينا يشرب عباد الله خمرهم بها، أي مصحوبا بمائها، وذهب الأصمعي إلى أن الباء في قوله تعالى: يشرب بها عباد الله بمعنى (من) التبعيضية، ووافقه الفارسي وابن قتيبة وابن مالك، وعد في كتبه ذلك من معاني الباء ونسب إلى الكوفيين.

و(باء) يشرب بها إما سببية، وعدي فعل يشرب إلى ضمير العين بتضمين يشرب معنى: يمزج، لقوله: ومزاجه من تسنيم أي يمزجون الرحيق بالتسنيم. وإما باء الملابسة.

في هذه الآية عدّى فعل يشرب ب(الباء) ليحتمل معنى يرتوي. وهناك احتمال آخر أنهم نازلون بها كما يقال نزلنا في المكان وشربنا به فتصير إذن ظرفية.

إذن تحتمل التعدية بالباء لفعل يشربون أن تكون بمعنى الشرب حتى الارتواء ومعنى التمتع بلذّة النظر إلى العين والاستقرار عندها وهذه متعة أخرى. (2)
وباء يشرب تحمل معان متعددة أشار إليها النحاة والمفسرون فذهب البعض أنّها للتعدية ولكن المعنى لا يساعد أن تكون للتعدية ؛لأنّ فعل شرب متعد بنفسه.ومنهم من رآى أنّ الفعل شرب يتعدى بنفسه وبالحرف ومن باب:يجرح في عراقيبها نصلي لإفادة المبالغة.
وعليه فالباء ذات دلالات متنوعة كل فريق يوجه معناها حيث يرى رجحان المعنى .

1.التحرير والتنوير381/29
2.أسرار البيان في التعبير القرآني

باء التعدية

تعرّض المفسرون لـ(باء التعدية) في القرآن الكريم ، وتسمى بباء النقل."وهي التي يستعان بها غالبا في تعدية الفعل اللازم إلى مفعول به، كما تعديه همزة النقل"، نحو: ذهبت بالمريض إلى الطبيب، بمعنى: أذهبته، وقعدت بفلان همته عن الطموح، بمعنى: أقعدته (1) فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [البقرة:17] (2) ،والباء في (بنورهم) للتعدية، وهي عند جمهور النحويين ترادف الهمزة.

فإذا قلت:

خرجت بزيد فمعناه أخرجت زيدا، ولا يلزم أن تكون أنت خرجت، وذهب أبو العباس إلى أنك إذا قلت: قمت بزيد، دل على أنك قمت وأقمته.

وإذا قلت: أقمت زيدا، لم يلزم أنك قمت، ففرق بين الباء والهمزة في التعدية. وإلى نحو من مذهب أبي العباس ذهب السهيلي، قال: تدخل الباء، يعني المعدية، حيث تكون من الفاعل بعض مشاركة للمفعول في ذلك الفعل نحو: أقعدته، وقعدت به، وأدخلته الدار، ودخلت به، ولا يصح هذا في مثل: أمرضته، وأسقمته. فلا بد إذن من مشاركة، ولو باليد، إذا قلت: قعدت به، ودخلت به. ورد على أبي العباس بهذه الآية ونحوها. ألا ترى أن المعنى أذهب الله نورهم؟ ألا ترى أن الله لا يوصف بالذهاب مع النور؟ قال بعض أصحابنا، ولا يلزم ذلك أبا العباس: إذ يجوز أن يكون الله وصف نفسه بالذهاب على معنى يليق به، كما وصف نفسه تعالى بالمجيء في قوله:﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر:22] (3) ، والذي يفسد مذهب أبي العباس من التفرقة بين الباء والهمزة قول الشاعر:

دِيَارُ الَّتِي كَانَتْ وَنَحْنُ عَلَى مِنًى تَحِلُّ بِنَا لَوْلَا نِجَاءُ الرَّكَائِبِ (4)

أي: تحلنا، ألا ترى أن المعنى تصيرنا حلالا غير محرمين، وليست تدخل معهم في ذلك لأنها لم تكن حراما، فتصير حلالا بعد ذلك؟ ولكون الباء بمعنى: الهمزة لا يجمع بينهما، فلا يقال: أذهبت بزيد.

---

1. النحو الوافي491/2
2.سورة البقرة، الآية:17
3. سورة الفجر، الآية:22
4. البحر المحيط في التفسير130/1

وكذلك حل بالقوم وحلهم، واحتل بهم واحتلهم، فإما أن تكونا لغتين كلتاهما وضع، وإما أن يكون الأصل حل به ثم حذفت الباء، وأوصل الفعل إلى ما بعده فقيل حله.
وأحله المكان وأحله به وحلله إياه وحل به: جعله يحل، عاقبت الباء الهمزة،
قال قيس بن الخطيم:*

ديار التي كانت ونحن على مني تحل بنا لولا نجاء الركائب (1)

أي تجعلنا نحل.

---

1. ينظر: جمهرة أشعار العرب 507/1

* قيس بن الخطِيم (620/000 م)

قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد: شاعر الأوس، وأحد صناديدها، في الجاهلية. أول ما اشتهر به تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلهما، وقال في ذلك شعرا. وله في وقعة " بعاث " التي كانت بين الأوس والخزرج، قبل الهجرة، أشعار كثيرة. أدرك الإسلام وتريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه. شعره جيد، وفي الأدباء من يفضله على شعر حسان. له ديوان.

ينظر: الأعلام للزركلي 205/5

مناسبة القصيدة:

وقد لَجَّ الهجاء بين قيس بن الخطيم وعبد الله بن رواحة؛ فتغزل الأول بعمرة أخت عبد الله ولكن غزله كان عفيفا، فعمرة محجبة محتشمة لا تُرَى إلا وقت الحج:

مطلع القصيدة:

أتعرف رسما، كالطراز المذهب لعمرة وحشا، غير موقف راكب
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها، وضنت بحاجب
ديار التي كانت ونحن على منى تحل بها، لولا نجاء النجائب
ولم أرها، إلا ثلاثا على منى وعهدي بها عذراء ذات ذوائب
ومثلك قد أصبيت ليست بكنة ولا جارة فينا، حليلة صاحب

ينظر: جمهرة أشعار العرب 507/1 وقصة الأدب في الحجاز 528/1

وذهب المعدى بالباء أبلغ من أذهب المعدى بالهمزة وهاته المبالغة في التعدية بالباء نشأت من أصل الوضع؛ لأن أصل ذهب به أن يدل على أنهما ذهبا متلازمين فهو أشد في تحقيق ذهاب المصاحب كقوله:﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ ﴾ [يوسف:15] (1)
وأذهبه: جعله ذاهبا بأمره أو إرساله فلما كان الذي يريد إذهاب شخص إذهابا لا شك فيه يتولى حراسة ذلك بنفسه حتى يوقن بحصول امتثال أمره صار ذهب به مفيدا معنى: أذهبه، ثم تنوسي ذلك بكثرة الاستعمال فقالوا ذهب به ونحوه ولو لم يصاحبه في ذهابه كقوله:﴿ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ ﴾ [البقرة:258] (2) وقوله:﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف:100] (3)
ثم جعلت الهمزة لمجرد التعدية في الاستعمال فيقولون: ذهب القمار بمال فلان ولا يريدون أنه ذهب معه، ولكنهم تحفظوا ألا يستعملوا ذلك إلا في مقام تأكيد الإذهاب فبقيت المبالغة فيه (4)

والفرق بين أذهبه وذهب به، أن معنى أذهبه: أزاله وجعله ذاهبا.
ويقال:
ذهب به إذا استصحبه ، ومضى به معه. وذهب السلطان بماله: أخذه ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ ﴾ [يوسف:15] (5) ،﴿ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ [المؤمنون:91] (6)
ومنه: ذهبت به الخيلاء.
والمعنى: أخذ الله نورهم وأمسكه. (7)

1.سورة يوسف، الآية:15
2.سورة البقرة، الآية:258
3.سورة يوسف، الآية:100
4. التحرير والتنوير310/1
5.سورة يوسف، الآية:15
6.سورة المؤمنون ، الآية:91
7. الكشاف 74/1

وقرأ اليماني* :(أذهب الله نورهم)، وهذا يدل على مرادفة الباء للهمزة، ونسبة الإذهاب إلى الله تعالى حقيقة، إذ هو فاعل الأشياء كلها.(1)

وفي قول الله تعالى:﴿ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾[البقرة:20] (2)

قال أبو جعفر: وإنما معناه: لأذهب سمعهم وأبصارهم.

ولكن العرب إذا أدخلوا الباء في مثل ذلك قالوا: ذهبت ببصره، وإذا حذفوا الباء قالوا: أذهبت بصره؛ كما قال جل ثناؤه: ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [سورة الكهف:62] (3)، ولو أدخلت الباء في الغداء لقيل: ائتنا بغدَائنا. (4)

1.البحر المحيط في التفسير 130/1

2. سورة البقرة، الآية:20

3.سورة الكهف ، الآية:62

4. تفسير الطبري360/1

* هو طاوس بن كيسان أبو عبد الرحمن اليماني التابعي الكبير المشهور. وردت عنه الرواية في حروف القرآن. أخذ القرآن عن ابن عباس، ومات بمكة قبل التروية بيوم سنة 106

ينظر: طبقات ابن الجزري 341/1

تعدية الفعل سرى

ومنه قوله تعالى:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1] (1)

وأسرى لغة في سرى، بمعنى سار في الليل، فالهمزة هنا ليست للتعدية ؛ لأن التعدية حاصلة بالباء، بل أسرى فعل مفتح بالهمزة مرادف سرى، وهو مثل أبان المرادف بان، ومثل أنهج الثوب بمعنى نهج أي بلي، فـ: أسرى بعبده بمنزلة:﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:17] (2)

وللمبرد والسهيلي نكتة في التفرقة بين التعدية بالهمزة والتعدية بالباء بأن الثانية أبلغ ؛ لأنها في أصل الوضع تقتضي مشاركة الفاعل المفعول في الفعل، فأصل (ذهب به) أنه استصحبه، كما قال تعالى: ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ [القصص: 29] (3)

وقالت العرب أشبعهم شتما، وراحوا بالإبل.

وفي هذا لطيفة تناسب المقام هنا إذ قال أسرى بعبده دون سرى بعبده، وهي التلويح إلى أن الله تعالى كان مع رسوله في إسرائه بعنايته وتوفيقه، كما قال تعالى:﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48] (4)، وقال: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: 40] (5)

فالمعنى: الذي جعل عبده مسريا، أي ساريا.(6)

---

1. سورة الإسراء ، الآية:1
2. سورة البقرة، الآية:17
3. سورة القصص، الآية:29
4. سورة الطور، الآية:48
5. سورة التوبة، الآية:40
6. التحرير والتنوير 11/15

واختلفت دلالات معاني الباء في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ [الأحزاب:32] (1)
والخضوع: حقيقتة التذلل، وأطلق هنا على الرقة لمشابهتها التذلل.
والباء في قوله: (بالقول): يجوز أن تكون للتعدية بمنزلة همزة التعدية، أي لا تخضعن القول، أي تجعلنه خاضعا ذليلا، أي رقيقا متفككا.

وموقع(الباء) هنا أحسن من موقع همزة التعدية ؛ لأن باء التعدية جاءت من باء المصاحبة على ما بينه المحققون من النحاة أن أصل قولك: ذهبت بزيد، أنك ذهبت مصاحبا له فأنت أذهبته معك، ثم تنوسي معنى المصاحبة في نحو:﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:17] (2) فلما كان التفكك والتزيين للقول يتبع تفكك القائل أسند الخضوع إليهن في صورة، وأفيدت التعدية بالباء.

ويجوز أن تكون الباء بمعنى (في) ، أي لا يكن منكن لين في القول.
والنهي عن الخضوع بالقول إشارة إلى التحذير مما هو زائد على المعتاد في كلام النساء من الرقة وذلك ترخيم الصوت، أي ليكن كلامكن جزلا.(3)
والباء تحمل معنيين مختلفين فهي إمّا أن تكون للتعدية بمعنى الهمزة.
والاحتمال الثاني بمعنى في الظرفية.
ويضيف ابن جني بعض المعاني الجديدة للباء ومن بينها أنّها تدخل على الفعل لتقويته وتعديته.فقال: وبهذا أيضا نفسه يستدل على شدة اتصال حروف الجر بما تدخل عليه من الأفعال لتقويه، فتعديه؛ نحو مررت بزيد ونظرت إلى جعفر...كما توصل الباء الفعل في نزلت بك وظفرت به.(4)

وعليه فالباء للتعدية وتسمى (باء النقل) أيضا وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولا وأكثر ما تعدي الفعل القاصر تقول في ذهب زيد ذهبت بزيد وأذهبته.

1.سورة الأحزاب، الآية:32
2.سورة البقرة، الآية:17
3.التحرير والتنوير 9/22
4. ينظر:الخصائص 233/3 ومغني اللبيب 138/1

الباء في بالإثم للتعدية

وفي قوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة:206] (1)

و(أخذته العزة):

احتوت عليه وأحاطت به، وصار كالمأخوذ لها كما يأخذ الشيء باليد.

قال الزمخشري:

من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه، وألزمته إياه.

أي: حملته العزة التي فيه، وحمية الجاهلية، على الإثم الذي ينهى عنه، وألزمته ارتكابه، وأن لا يخلي عنه ضررا ولجاجا، أو على رد قول الواعظ.

فـ(الباء)، على كلامه للتعدية، كأن المعنى: ألزمته العزة الإثم.

والتعدية بالباء بابها الفعل اللازم، نحو:﴿ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ [البقرة:20] (2)

أي: لأذهب سمعهم، وندرت التعدية بالباء في المتعدي، نحو: صككت الحجر بالحجر، أي: أصككت الحجر الحجر، بمعنى: جعلت أحدهما يصك الآخر.

ويحتمل (الباء) أن تكون للمصاحبة، أي: أخذته مصحوبا بالإثم، أو مصحوبة بالإثم، فيكون للحال من المفعول أو الفاعل، ويحتمل أن تكون سببية.

والمعنى:

أن إثمه السابق كان سببا لأخذ العزة له، حتى لا يقبل ممن يأمره بتقوى الله تعالى، فتكون (الباء) هنا: كـ(من)، في قول الشاعر:

أخذته عزة من جهله فتولى مغضبا فعل الضجر

وعلى أن تكون: (الباء)، سببية فسره الحسن.

قال. أي: من أجل الإثم الذي في قلبه، يعني: الكفر.

وقد فسرت العزة بالقوة وبالحمية والمنعة، وكلها متقاربة.(3)

---

1. سورة البقرة، الآية: 206
2. سورة البقرة، الآية: 20
3. ينظر: البحر المحيط 332/2

والعزة:
التكبر والمنعة.
والعزة عند العرب: الغلبة والقهر.
يقال: من عز بز، يعني: من غلب سلب.
والعزة:
صفة يرى صاحبها أنه لا يقدر عليه غيره، ولا يعارض في كلامه لأجل مكانته في قومه واعتزازه بقوتهم، (1) قال السموأل:*
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول (2)
ومنه العزة بمعنى: القوة والغلبة؛ وإنما تكون غالبا في العرب بسبب كثرة القبيلة، وقد تغني الشجاعة عن الكثرة ومن أمثالهم: وإنما العزة للكاثر، وقالوا: لن نغلب من قلة.
وقيل:
معناه (أخذته العزة) للإثم الذي في قلبه، فأقام (الباء) مقام (اللام).وهذا رأي القرطبي.

1.ينظر:التحرير والتنوير271/2
2.دواوين الشعر العربي على مر العصور99/19
السموأل
(000 - نحو 65 ق هـ = 000 - نحو 560 م)
السموأل بن غريض شاعر جاهلي حكيم. من سكان خيبر (في شمالي المدينة) كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه (الأبلق) . أشهر شعره لاميته التي مطلعها:
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وهي من أجود الشعر.
له (ديوان - ط) صغير.
وهو الذي تنسب إليه قصة الوفاء مع امرئ القيس الشاعر.
ينظر: الأعلام للزركلي 140/3

و(بالإثم) الباء فيه للمصاحبة أي: أخذته العزة الملابسة للإثم والظلم وهو احتراس؛ لأن من العزة ما هو محمود.

والعزة: تحوم إطلاقاتها في الكلام حول معاني المنعة والغلبة والتكبر فإن كان ذلك جاريا على أسباب واقعة فهي العزة الحقيقية وإن كان عن غرور وإعجاب بالنفس فهي عزة مزورة.

أي :أخذته الكبرياء وشدة العصيان، وهي هنا عزة باطلة أيضا ؛لأنها إباء من الحق وإعجاب بالنفس. وضد العزة الذلة.

ومن خلال ما تقدّم يتضح لنا أنّ الباء في (بالإثم) ، في هذه الباء أربعة أوجه.

أحدها:

أن تكون للتعدية وهو قول الزمخشري فإنه قال: أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه أي: حملته العزة على الإثم وألزمته ارتكابه.

وباء التعدية بابها الفعل اللازم نحو: (ذهب الله بنورهم) ، وندرت التعدية بالباء في المتعدي نحو: صككت الحجر بالحجر أي: جعلت أحدهما يصك الآخر. (1)

الثاني:

أن تكون للسببية بمعنى أن إثمه كان سببا لأخذ العزة له.

الثالث:

أن تكون (الباء) بمعنى: (اللام)

معناه (أخذته العزة) للإثم الذي في قلبه، فأقام (الباء) مقام (اللام).

الرابع:

أن تكون للمصاحبة فتكون في محل نصب على الحال، وفيها حينئذ وجهان:

أحدهما: أن تكون حالا من (العزة) أي: ملتبسة بالإثم.

والثاني: أن تكون حالا من المفعول أي: أخذته ملتبسا بالإثم.

1.ينظر:الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 354/2

الفعل خسف بين التعدية واللزوم

والفعل خسف من باب ضرب. ويستعمل قاصرا ومتعديا.

يقال: خسفت الأرض، ويقال:خسف الله الأرض، قال تعالى:﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ﴾ [النحل:45] (1) ولا يتعدى إلى ما زاد على المفعول إلا بحرف التعدية، والأكثر أن يعدى بـ(الباء) كما هنا؛ وقوله تعالى:﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص:81] (2).

أي: جعلناها خاسفة به، فالباء للتعدية، كما يقال:ذهب به.

والعذاب يعم كل ما فيه تأليم يستمر زمنا، فلذلك عطف على الخسف. وإتيان العذاب إليهم: إصابته إياهم. شبه ذلك بالإتيان.

والخسف: انقلاب بعض ظاهر الأرض إلى باطنها، وعكسه.

يقال: خسفت الأرض وخسف الله الأرض فانخسفت، فهو يستعمل قاصرا ومتعديا، وإنما يكون الخسف بقوة الزلزال. وأما قولهم: خسفت الشمس فذلك على التشبيه.

والباء في قوله فخسفنا به باء المصاحبة، أي خسفنا الأرض مصاحبة له ولداره، فهو وداره مخسوفان مع الأرض التي هو فيه.

وهذا الخسف خارق للعادة لأنه لم يتناول غير قارون ومن ظاهره، وهما رجلان من سبط (روبين) وغير دار قارون، فهو معجزة لموسى عليه السلام.(3)

1.سورة النحل، الآية:45

2.سورة القصص، الآية:81

3. ينظر:التحرير والتنوير165/14 و185/20

تعدية المصدر

وفي قوله تعالى:﴿ وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [البقرة:251] (1) والمصدر الذي هو: دفع، أو: دفاع، مضاف إلى الفاعل.
وبعضهم : بدل من الناس، وهو بدل بعض من كل.
و(الباء) : في ببعض، متعلق بالمصدر.
و(الباء) فيه للتعدية.
فهو مفعول ثان للمصدر؛لأن دفع يتعدى إلى واحد ثم عدي إلى ثان بـ(الباء).
وأصل التعدية بالباء أن يكون ذلك في الفعل اللازم: نحو:﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾ [البقرة:20] (2) فإذا كان متعديا فقياسه أن يعدى بالهمزة، تقول: طعم زيد اللحم، ثم تقول أطعمت زيدا اللحم، ولا يجوز أن تقول: طعمت زيدا باللحم، وإنما جاء ذلك قليلا بحيث لا ينقاس، من ذلك:دفع، وصك، تقول: صك الحجر الحجر، وتقول: صككت الحجر بالحجر. أي: جعلته يصكه. وكذلك قالوا: صككت الحجرين أحدهما بالآخر نظير: دفع الله الناس بعضهم ببعض فالباء للتعدية كالهمزة.(3)
قال سيبويه، وقد ذكر التعدية بالهمزة والتضعيف ما نصه: وعلى ذلك دفعت الناس بعضهم ببعض، على حد قولك: ألزمت، كأنك قلت في التمثيل: أدفعت، كما أنك تقول: أذهبت به، وأذهبته من عندنا، وأخرجته، وخرجت به معك، ثم قال سيبويه:صككت الحجرين: أحدهما بالآخر على أنه مفعول من قولك: اصطك الحجران أحدهما بالآخر، (4) ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [البقرة:251] (5)

1.سورة البقرة، الآية:251
2.سورة البقرة، الآية:20
3.البحر المحيط في التفسير595/2
4.ينظر:الكتاب لسيبويه 153/1
5.سورة البقرة، الآية:251

باء السببية

نحاول أن نعرج على (الباء) التي تسمى عند النحاة بباء السببية، فهي:" الداخلة على سبب الفعل وعلّته التي من أجلها حصل، نحو: مات بالجوع.وتسمى بالسببية أو التعليل "بأن يكون ما بعدها سببا وعلة فيما قبلها"، نحو: كل امرئ يكافأ بعمله، ويعاقب بتقصيره، أي: بسبب عمله، وبسبب تقصيره

وقول الشاعر:

إنما ينكر الديانات قوم هم بما ينكرونه أشقياء

وقول الآخر:

جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوي من صديقي

والمراد: هم أشقياء بسبب ما ينكرونه وعرفت بسببها.(1) ومنه قوله تعالى:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [النساء:155] (2)

و(الباء): للسببية جارّة لـ (نقضهم) ، و(ما) مزيدة بعد الباء لتوكيد التسبّب .

وحرف (ما) المزيد بعد الباء لا يكفّ الباء عن عمل الجرّ وكذلك إذا زيد (ما) بعد (من) وبعد (عن) .

وأمّا إذا زيد بعد كاف الجرّ وبعد ربّ فإنّه يكفّ الحرف عن عمل الجرّ .

ويرى ابن عطية أن "(ما): قد جرد عنها معنى النفي ودخلت للتأكيد وليست بزائدة على الإطلاق لا معنى لها، وأطلق عليها سيبويه اسم الزيادة من حيث زال عملها.

قال الزجاج: الباء بإجماع من النحويين صلة وفيها معنى التأكيد.(3)

وعن قتادة وسائر أهل العلم، وذلك أنها تؤكد الكلام بمعنى تمكنه في النفس من جهة حسن النظم، ومن جهة تكثيره للتوكيد، كما قال:

لشيء ما يسود من يسود

1.النحو الوافي490/2

2.سورة النساء، الآية: 155

3.تفسير ابن عطية 533/1

فالتأكيد بعلامة موضوعة كالتأكيد بالتكرير.(1)
ومتعلَّق (بما نقضهم) : يجوز أن يكون محذوفا ، لتذهب نفس السامع في مذاهب الهول.
وتقديره : فعلنا بهم ما فعلنا.
وقيل: حذف هذا لعلم السامع.
وقال الكسائي: هو متعلق بما قبله.
ويجوز أن يتعلّق بـ ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء:160] (2)
ويكون قوله:﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [النساء:160] (3) كالفذلكة الجامعة لِجرائمهم المعدودة من قبل؛ كما أنه لا يصلح تعليق المجرور بـ (طبع)؛ لأنَّه وقع ردّا على قولهم: (قلوبنا غلف)
وتقدّم المتعلِّق لإفادة الحصر : وهو أن ليس التحريم إلاّ لأجل ما صنعوه.
والمعنى :
ما حرمنا عليهم طيّبات إلاّ بسبب نقضهم ، وأكّد معنى الحصر والسَّبب بما الزائدة ، فأفادت الجملة حصراً وتأكيداً ، وقوله:﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء:155] (4)
والطبع :
إحْكام الغلق بجعل طين ونحوه على سدّ المغلوق بحيث لا ينفذ إليه مستخرِج ما فيه إلاّ بعد إزالة ذلك الشيء المطبوع به ، وقد يَسِمُون على ذلك الغلق بسمة تترك رسماً في ذلك المجعول ، وتسمّى الآلة الواسمة طابعا بفتح الباء فهو يرادف: الختم (5)
ومعنى (بكفرهم) بسببه ، فالكفر المتزايد يزيد بمعاصي القلوب عن تلقّي الإرشاد ، وأريد بقوله :(بكفرهم) كفرهم المذكور في قوله:﴿ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النساء:155] (6)

1.تفسير القرطبي 114/6
2.سورة النساء ،الآية:160
3. سورة النساء،الآية:160
4.سورة النساء،الآية:155
5. التحرير والتنوير 17/6
6.سورة النساء، الآية:155

وفي (الكشاف) فإن قلت: بم تعلقت الباء؟ وما معنى التوكيد؟
قلت: إما أن يتعلق بمحذوف، كأنه قيل: فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا، وإما أن يتعلق بقوله: (حرمنا عليهم) على أنّ قوله:(فبظلم من الذين هادوا) بدل من قوله:(فبما نقضهم ميثاقهم)
وأما التوكيد فمعناه تحقيق أنّ العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك.
فإن قلت: هلا زعمت أن المحذوف الذي تعلقت به (الباء) ما دل عليه قوله:(بل طبع الله عليها) فيكون التقدير:
" فبما نقضهم ميثاقهم طبع اللَّه على قلوبهم، بل طبع اللَّه عليها بكفرهم.
قلت: لم يصح هذا التقدير؛ لأنّ قوله:(بل طبع الله عليها بكفرهم) ردّ وإنكار لقولهم (قلوبنا غلف) فكان متعلقاً به، وذلك أنهم أرادوا بقولهم:(قلوبنا غلف) أنّ اللَّه خلق قلوبنا غلفا، أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة...
وبعدها يتساءل عن ما معنى المجيء بالكفر معطوفاً على ما فيه ذكره، سواء عطف على ما قبل حرف الإضراب، أو على ما بعده، وهو قوله:﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النساء:155] (1) ،وقوله:(بكفرهم) ؟
ثم يعلل أنّ الدافع لذلك أنّه:قد تكرّر منهم الكفر؛ لأنهم كفروا بموسى، ثم بعيسى، ثم بمحمد صلوات اللَّه عليهم، فعطف بعض كفرهم على بعض، أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه، كأنه قيل: فيجمعهم بين نقض الميثاق، والكفر بآيات اللَّه، وقتل الأنبياء.(2)
وقد تكرر الكفر منهم ؛ لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد- صلوات الله عليهم، فعطف بعض كفرهم على بعض ، أي فالكفر الثاني اعتبر مخالفا للذي قبله. باعتبار عطف قوله:﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء:156] (3)

1.سورة النساء، الآية:155
2 ينظر الكشاف 585/1
3 سورة النساء، الآية:156

ونظيره قول عويف القوافي*
تابع: اللؤم أكرم من وبر ووالده واللؤم أكرم من وبر وما ولدا (1)
إذ عطف قوله:(واللؤم أكرم من وبر) باعتبار أن الثاني قد عطف عليه قوله:(وما ولدا)
وأعيد مع ذلك حرف الجرّ الذي يغني عنه حرف العطف قصدا للتأكيد ، واعتبر العطف لأجل بعد ما بيّن اللفظين ، ولأنَّه في مقام التهويل لأمر الكفر ، فالمتكلّم يذكره ويُعيده : يتثبّت ويُرى أنّه لا ريبة في إناطة الحكم به.ونظير هذا التكرير قول لبيد *:
فتَنَازَعَا سَبِطاً يَطِيرُ ظلالُه كدُخان مُشْعَلَة يُشَبُّ ضِرامُها
مَشْمُولة غُلِثَتْ بنابت عرفج كَدُخَان نار سَاطِع أسْنَامُها (2)
فأعاد التشبيه بقوله : (كدخان نار) ليحقّق معنى التشبيه الأوّل .

---

1. ينظر: التحرير والتنوير18/6
2. ينظر: التحرير والتنوير18/6 وشرح المعلقات السبع للزوزني 184/1 وجمهرة العرب 237/1
* عويف القوافي (نحو 100 هـ / 718 م)
عوف (ويقال له عويف) بن معاوية ابن عقبة، من بني حذيفة بن بدر، من فزارة: شاعر. كان من أشراف قومه في الكوفة. اشتهر في الدولة الأموية بالشام، ومدح الوليد وسليمان ابني عبد الملك.
وعمر بن عبد العزيز. وسمي " عويف القوافي " ببيت قاله.
وقيل أهجى بيت قالته العرب قول الأعرابيّ
اللؤم أكرم من وبر ووالده واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
قوم إذا ما جنى جانيهم أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا
ينظر: الأعلام للزركلي 97/5 ونهاية الأرب في فنون الأدب 276/3
* لبيد العامري (000 - 41 هـ = 000 - 661 م)
لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية.
من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وآله ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتا واحدا، قيل: هو:
ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح
وسكن الكوفة، وعاش عمرا طويلا. وهو أحد أصحاب المعلقات.
وكان كريما: نذر أن لا تهب الصبا إلا نحر وأطعم. جمع بعض شعره في (ديوان صغير)

تابع:
فتنازعا سبطا يطير ظلاله كدخان مشعلة يشب ضرامها

ومطلع معلقته:
عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها
ورمى دوابرها السفا، وتهيجت ريح المصايف سومها وسهامها
فتنازعا سبطا يطير ظلاله كدخان مشعلة يشب ضرامها
يقول: وأصاب شوك البهمى مآخير حوافرها، وتحركت ريح الصيف مرورها وشدة حرها، يشير بهذا إلى انقضاء الربيع ومجيء الصيف واحتياجهما إلى ورود الماء.
والتنازع: مثل التجاذب. السبط: الممتد الطويل، كدخان مشعلة أي نار مشعلة، فحذف الموصوف. شب النار وإشعالها واحد. والفعل منه شب يشب. الضرام: دقائق الحطب، واحدها ضرم وواحد الضرم ضرمة، وقد ضرمت النار واضطرمت وتضرمت التهبت، وأضرمتها وضرمتها أنا. سبطا أي غبارا سبطا فحذف الموصوف.
يقول: فتجاذب العير، والأتان في عدوهما نحو الماء غبارا ممتدا طويلا كدخان نار موقدة تشعل النار في دقاق حطبها، وتلخيص المعنى: أنه جعل الغبار الساطع بينهما بعدوهما كثوب يتجاذبانه، ثم شبهه في كثافته وظلمته بدخان نار موقدة.
مشمولة: هبت عليها ريح الشمال، وقد شمل الشيء أصابته ريح الشمال. الغلت، والعلث: الخلط، والفعل غلث يغلث، بالغين والعين جميعا. النابت: الغض؛ ومنه قول الشاعر:
ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم
أي غضه: العرفج: ضرب من الشجر، ويروى: عليت بنابت، أي: وضع فوقها. الأسنام: جمع سنام.
ينظر:الأعلام للزركلي 240/5 وشرح المعلقات السبع للزوزني 184/1
ويروى: بثابت أسنامها، وهو الارتفاع والرفع جميعا.
* يقول: هذه النار قد أصابتها الشمال وقد خلطت بالحطب اليابس والرطب الغض كدخان نار قد ارتفع أعاليها، وسنام الشيء أعلاه، شبه الغبار الساطع من قوائم العير والأتان بنار أوقدت بحطب يابس تسرع فيه النار وحطب غض، وجعلها كذلك ليكون دخانها أكثف فيشبه الغبار الكثيف، ثم جعل هذا الدخان الذي شبه الغبار به كدخان نار قد سطع أعاليها في الاضطرام والالتهاب ليكون دخانه أكثر، وجر مشمولة، لأنه صفة لمشعلة، وقوله: كدخان نار ساطع أسنامها، صفة أيضا، إلا أنه كرر قوله كدخان لتفخيم الشأن وتعظيم القصة، كنظائره، من مثل: [الطويل] :
أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه
وهو أكثر من أن يحصى.

تابع:
مشمولة غلثت بنابت عرفج كدخان نار ساطع أسنامها (1)

---

1. ينظر: التحرير والتنوير18/6 وشرح المعلقات السبع للزوزني 184/1 وجمهرة العرب 237/1 فإنه لما شبه الغبار المتطاير بالنار المشبوبة واستطرد بوصف النار بأنها هبت عليها ريح الشمال وزادتها دخانا وأوقدت بالعرفج الرطيب لكثرة دخانه، أعاد التشبيه ثانيا لأنه غريب مبتكر.
والضمير المثنى لحمار الوحش وإتانه المذكورين في قوله قبله «أو ملمع وسقت لا حقب لاحه» ومعنى تنازعا تسابقا في غبار ممتد والسبط الطويل يعلو ظله في الشمس والمشعلة صفة موصوف محذوف أي نار والمشمولة التي هبت عليها ريح الشمال ونابت العرفج الجديد نباته، والعرفج نبت معروف.مع أن الإعادة هنا أجدر؛ لأن الفصل أطول.
وقد حصل من هذه الإعادة تأكيد التهديد والتسجيل.
ينظر: شرح المعلقات التسع 280/1 ونزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار 113/1

وفي قوله تعالى:﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء:160] (1)
لعل ذكرهم بهذا العنوان للإيذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد أن هادوا أي: تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس إثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي، أي: بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الأشباه والإشكال الصادر عنهم.(2)
ومعنى:(وبصدهم) يعني: وبصدهم عباد الله عن دينه وسبله التي شرعها لعباده، صدا كثيرا.وكان صدهم عن سبيل الله: بقولهم على الله الباطل، وادعائهم أن ذلك عن الله، وتبديلهم كتاب الله، وتحريف معانيه عن وجوهه. وكان من عظيم ذلك: جحودهم نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم،وتركهم بيان ما قد علموا من أمره لمن جهل أمره من الناس. (3)،(فبظلم) : هذا الجار متعلق بـ(حرمنا).
والمعنى: فبظلم عظيم، أو فبظلم أي ظلم.
و(الباء) سببية، وإنما قدم على عامله؛ تنبيها على قبح سبب التحريم.
كقول الهذلي: [الطويل]
فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم *
أي: لحم عظيم.
وأعيدت الباء في: و(بصدهم) لبعده عن المعطوف عليه بالفصل بما ليس معمولا للمعطوف عليه، بل في العامل فيه. ولم يعد في: وأخذهم، وأكلهم لأن الفصل وقع بمعمول المعطوف عليه.(4)

---

1. سورة النساء، الآية: 160
2. تفسير أبي السعود 253/2
3. تفسير الطبري 391/9
4. تفسير النيسابوري 148/1
* وقيل:لعمر أبي الطير المربة غدوةً على خالد لقد وقعت على لحم
ينظر: المعاني الكبير في أبيات المعاني 1200/3

ونظير إعادة الحرف وترك إعادته قوله:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [النساء:155] (1)

وبدئ في أنواع الظلم بما هو أهم، وهو أمر الدين، وهو الصد عن سبيل الله، ثم بأمر الدنيا وهو ما يتعلق به الأذى في بعض المال، ثم ارتقى إلى الأبلغ في المال الدنيوي وهو أكله بالباطل أي مجانا لا عوض فيه. وفي ذكر هذه الآية امتنان على هذه الأمة حيث لم يعاملهم معاملة اليهود فيحرم عليهم في الدنيا الطيبات عقوبة لهم بذنوبهم.(2)

وتنكير (ظلم) للتعظيم.

وفائدة الإتيان به أن يظهر تعلقه بقوله:﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء:160] (3) إذ بعد ما بينه وبين متعلقه، وهو قوله:(فبما نقضهم ميثاقهم) ليقوى ارتباط الكلام.

ونلاحظ :الإبهام في قوله:(فبظلم): بالتنوين ليعلم القارئ أو السامع أن أيّ نوع من أنواع الظلم يكون سببا للعقاب في الدنيا قبل الآخرة.وتكرار باء السببية مع المصدر.

أي أنهم نقضوا العهد بكل صورة من صوره، فنقض العهد والميثاق له صور متعددة فـ:(ما) هنا استفهامية جاءت للتعجيب أي على أية صورة من صور نقض ونكث العهد لعناهم؟ لعناهم لكثرة ما نقضوا من العهود والمواثيق.(4)

لقد ارتكبوا أربعة أفعال جسيمة: نقضوا الميثاق، وكفروا بآيات الله، وقتلوا الأنبياء بغير حق، وادعوا أن الله طبع على قلوبهم.وحين جعل هذا الأفعال الأربعة جريمة واحدة فهذا فضل ورحمة منه.

وهكذا نرى عظمة القرآن الذي يأتي بالمعنى الدقيق ويجب أن نفكر فيه ونتدبر كل كلمة منه.وتذوّق الأوائل بلاغة القرآن التي تحدت الثقلين على الإتيان به؛ وفقهوا أسرار حروف الجر وما تعطيه من إيحاءات دلالية ، وإشعاعات نورانية في ثنايا النص المقدس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

1.سورة النساء، الآية:155

2. البحر المحيط في التفسير 133/4

3. سورة النساء، الآية:160

4. تفسير الشعراوي 2783/5

الباء بين السبب والمقابلة

وفي قوله تعالى:﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:32](1)
قال البدر القرافي في حاشيته: وليست (الباء) للسببية كما قالته المعتزلة؛ لأن المسبب لا يوجد بلا سببه، وما يعطى بمقابلة وعوض قد يعطى بغيره مجانا تفضلا وإحسانا..
فـ(الباء) في الآية للمقابلة؛. (2)

بينما يرى صاحب التحرير عكس ذلك وله تخريج يستحق أن يكتب بماء الذهب فقال "وفي قوله تعالى:﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:43] (3)

و(الباء) في قوله: (بما كنتم تعملون) سببية أي بسبب أعمالكم، وهي الإيمان والعمل الصالح، وهذا الكلام ثناء عليهم بأن الله شكر لهم أعمالهم، فأعطاهم هذا النعيم الخالد لأجل أعمالهم، وأنهم لما عملوا ما عملوه من العمل ما كانوا ينوون بعلمهم إلا السلامة من غضب ربهم وتطلب مرضاته شكرا له على نعمائه، وما كانوا يمتون بأن توصلهم أعمالهم إلى ما نالوه، وذلك لا ينافي الطمع في ثوابه والنجاة من عقابه، وقد دل على ذلك الجمع بين أورثتموها وبين (باء) السببية.

فالإيراث دل على أنها عطية بدون قصد تعاوض ولا تعاقد، وأنها فضل محض من الله تعالى؛ لأن إيمان العبد بربه وطاعته إياه لا يوجب عقلا ولا عدلا إلا نجاته من العقاب الذي من شأنه أن يترتب على الكفران والعصيان، وإلا حصول رضى ربه عنه، ولا يوجب جزاء ولا عطاء؛ لأن شكر المنعم واجب، فهذا الجزاء وعظمته مجرد فضل من الرب على عبده شكرا لإيمانه به وطاعته، ولكن لما كان سبب هذا الشكر عند الرب الشاكر هو عمل عبده بما أمره به، وقد تفضل الله به فوعد به من قبل حصوله.

1.سورة النحل، الآية:32
2. تاج العروس 399/40
3.سورة الأعراف، الآية:43

و(باء) السببية اقتضت الذي أعطاهم منازل الجنة أراد به شكر أعمالهم وثوابها من غير قصد تعاوض؛ ولا تقابل فجعلها كالشيء الذي استحقه العامل عوضا عن عمله فاستعار لها باء السببية.

واستعير أورثتموها لمعنى: أعطيتموها دون غيركم، بتشبيه إعطاء الله المؤمنين دون غيرهم نعيم الجنة بإعطاء الحاكم مال الميت لوارثه دون غيره من القرابة؛ لأنه أولى به وآثر بنيله.

و(الباء) في (بما كنتم تعملون) للسببية.

وهي سببية بجعل الله ووعده، ودل قوله كنتم تعملون على أن عملهم الذي استحقوا به الجنة أمر كائن متقرر، وأن عملهم ذلك متكرر متجدد، أي غير منقطع إلى وفاتهم.(1)

ويرى الزمخشري أنّ (الباء) تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع أخبار.

وفي الوجه الأول تتعلق: بأورثتموها.

وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة.

وقرئ:

ورثتموها منها تأكلون من للتبعيض، أي: لا تأكلون إلا بعضها، وأعقابها باقية في شجرها، فهي مزينة بالثمار أبدا موقرة بها، لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا.(2)

1.التحرير والتنوير 256/25

2.الكشاف263/4

دخول الباء للدلالة على شدة العناية

وفي قوله تعالى:﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص:11] (1)

وبصر بالشيء صار ذا بصر به، أي: باصرا له فهو يفيد قوة الإبصار، أي قوة استعمال حاسة البصر وهو التحديق إلى المبصر، فـ (بصر) أشد من (أبصر).

فالباء الداخلة على مفعوله (باء السببية) للدلالة على شدة العناية برؤية المرئي حتى كأنه صار باصرا بسببه.

إلا أن بصر بالشيء حقيقته صار بصيرا به أو بصيرا بسببه، أي شديد الإبصار، فهو أقوى من أبصرت؛ لأنه صيغ من فعل- بضم العين- الذي تشتق منه الصفات المشبهة الدالة على كون الوصف سجية.

ولما كان المعنى هنا جليا عن أمر مرئي تعين حمل اللفظ على المجاز باستعارة بصر الدال على قوة الإبصار إلى معنى العلم القوي بعلاقة الإطلاق عن التقييد.

ولك أن تجعل (الباء) زائدة لتأكيد الفعل فتفيد زيادة مبالغة في معنى الفعل.

والجنب: بضمتين البعيد.

وهو صفة لموصوف يعرف من المقام، أي عن مكان جنب.

و(عن) للمجاوزة

والمجرور في موضع حال من ضمير (بصرت) ؛لأن المجاوزة هنا من أحوال أخته لا من صفات المكان.(2)

والملاحظ في هذه الآية الكريمة أنّ الباء أفادت معنيين مختلفين وهما:السببية والثاني الزيادة للمبالغة في الفعل.

1.سورة القصص ، الآية:11

2.التحرير والتنوير 83/20

الباء بمعنى على

وفي قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 42] (1)

وقيل: الباء بمعنى على، أي لو تسوى عليهم أي تنشق فتسوى عليهم.(2) فالباء بمعنى على فسره ثعلب فقال: معناه يصيرون كالتراب.

واستوت به الأرض وتسوت وسويت عليه، كله: هلك فيها.

وقيل: لو تسوى بهم الأرض

أي تستوي بهم؛ وقوله:

طال على رسم مهدد أبده وعفا واستوى به بلده (3)

فأما القراءة الأولى فمعناها: أنهم يودون أن الله تعالى يسوي بهم الأرض: إما على أن الأرض تنشق وتبتلعهم، وتكون الباء بمعنى (على).(4)

ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود:80] (5)

و(الباء) في بكم للاستعلاء، أي: عليكم.

يقال: ما لي به قوة وما لي به طاقة.

ويقولون: ما لي بهذا الأمر يدان، أي قدرة أو حيلة عليه.

والمعنى:

ليت لي قوة أدفعكم بها، ويريد بذلك قوة أنصار؛ لأنه كان غريبا بينهم.

1.سورة النساء، الآية: 42

2. ينظر: تفسير القرطبي 198/5 وفتح القدير للشوكاني 539/1

3.لسان العرب 415/14

4.الدر المصون في 686/3

5.سورة هود، الآية:80

ومعنى أو آوي إلى ركن شديد أو أعتصم بما فيه منعة، أي بمكان أو ذي سلطان يمنعني منكم.
والركن: الشق من الجبل المتصل بالأرض. (1)

وشبيه بهذا قوله تعالى:﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾ [البقرة:137] (2)
وقرأ الجمهور: بمثل ما آمنتم به.
وقرأ عبد الله بن مسعود وابن عباس: بما آمنتم به.
وقرأ أبي: بالذي آمنتم به.
وقال ابن عباس: ليس لله مثل.
وهذا يدل على إقرار (الباء) على حالها في آمنت بالله، وإطلاق ما على الله تعالى؛ كما ذهب إليه بعضهم.
وأما قراءة الجمهور، فخرجت (الباء) على الزيادة.
والتقدير:
إيمانا مثل إيمانكم.
وقيل: ليست بزائدة، وهي بمعنى (على)، أي: فإن آمنوا على مثل ما آمنتم به.
وكون (الباء) بمعنى:(على)، قد قيل به.

وممن قال به ابن مالك، قال ذلك في قوله تعالى:﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران:75] (3) أي :على قنطار.
وقيل: هي للاستعانة، كقولك: عملت بالقدوم، وكتبت بالقلم، أي فإن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم، وذلك فرار من زيادة (الباء)؛ لأنه ليس من أماكن زيادة الباء قياسا.(4)

1.التحرير والتنوير 130/12
2.سورة البقرة، الآية:137
3.سورة آل عمران، الآية:75
4. البحر المحيط في التفسير 652/1 وشرح الأشمونى لألفية ابن مالك 88/2

ومنه قول أحدهم:
أرب يبول الثعلبان برأسه
بدليل تمامه
(1) لقد هان من بالت عليه الثعالب
وعليه: فالباء المتقدمة في البيت الشعري قد تأتي في بعض الأحيان مفيدة معنى الاستعلاء مقترضة هذا المعنى من (على) ومعلوم أن (على) تفيد معنى الاستعلاء.(2)

---

1. مغني اللبيب 142/1
2. ظاهرة التقارض 271/59

* قال أبو عبيد: من أمثالهم في الذليل: لقد ذل من بالت عليه الثعالبُ.
قال أبو عبيد: وأصل هذا فيما بلغنا أنَّ رجلاً من العرب كان يعبد صنماً، فنظر يوماً إلى ثعلب جاء حتى بال عليه فقال:
أربٌّ يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالبُ
ينظر:الأمثال لابن سلام 122/1 ومجمع الأمثال 181/2

الباء بمعنى (عن)

وفي قوله تعالى:﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان:59] (1)
والباء في به بمعنى (عن) أي: فاسأل عنه، كقول علقمة:
فإن تسألوني بالنساء فإنني خبير بأدواء النساء طبيب
ويجوز أن تكون الباء متعلقة بـ:(خبيرا).
وتقديم المجرور: للرعاية على الفاصلة وللاهتمام.(2)
قال الزجاج: المعنى فاسأل عنه.
وقد حكى هذا جماعة من أهل اللغة أن (الباء) تكون بمعنى:(عن)، كما قال تعالى:﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج:1] (3) وقال الشاعر:
هلا سألت الخيل يا بنةَ مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
وقال علقمة بن عبدة
أي: عن النساء وعما لم تعلمي.
وأنكره علي بن سليمان وقال: أهل النظر ينكرون أن تكون الباء بمعنى عن، لأن في هذا إفسادا لمعاني قول العرب: لو لقيت فلانا للقيك به الأسد، أي للقيك بلقائك إياه الأسد.
المعنى فاسأل بسؤالك إياه خبيرا. وكذلك قال ابن جبير: الخبير هو الله تعالى. فـ:(خبيرا): نصب على المفعول به بالسؤال.

قلت: قول الزجاج يخرج على وجه حسن، وهو أن يكون الخبير غير الله، أي فاسأل عنه خبيرا، أي عالما به، أي بصفاته وأسمائه. وقيل: المعنى فاسأل له خبيرا، فهو نصب. (4)

1.سورة الفرقان، الآية:59
2.التحرير والتنوير61/19
3.سورة المعارج ، الآية:1
4.تفسير القرطبي 63/13

وفي قوله تعالى:﴿ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [الحديد:12] (1)
و(الباء) : في وبأيمانهم بمعنى:(عن) واقتصر على ذكر الأيمان تشريفا لها وهو من الاكتفاء ،أي وبجانبهم.
ويجوز أن تكون الباء للملابسة، ويكون النور الملابس لليمين نور كتاب الحسنات.(2)
وتكون الباء بمعنى:(عن)
ومنه قول زيد الخير* رضي الله عنه:
سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم (3)
لزيد الخيل الذي سماه النبي ﷺ زيد الخير.
والباء بمعنى (عن)، أي: سلهم عن قوتنا.

1.سورة الحديد،الآية:12
2. التحرير والتنوير 380/27
3.ينظر: الكشاف 342/3
* زيد الخير (000 - 9 هـ = 000 - 630 م)
زيد بن مهلهل بن منهب بن عبدرضا، من طيِّئ، كنيته أبو مُكنف: من أبطال الجاهلية.
لقب (زيد الخيل) لكثرة خيله، أو لكثرة طراده بها. كان طويلا جسيما، من أجمل الناس.
وكان شاعرا محسنا، وخطيبا لسنا، موصوفا بالكرم. وله مهاجاة مع كعب بن زهير.
أدرك الإسلام ، ووفد على النبي صلّى الله عليه وسلم سنة 9 هـ في وفد طيِّئ، فأسلم وسر به رسول الله، وسماه (زيد الخير) وقال له: يا زيد، ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيته دون ما وصف لي، غيرك. وأقطعه أرضا بنجد، فمكث في المدينة سبعة أيام وأصابته حمى شديدة فخرج عائدا إلى نجد، فنزل على ماء يقال له (فردة) فمات هنالك.
وللمفجع البصري كتاب (غريب شعر زيد الخيل) وجمع معاصرنا الدكتور نوري حمودي القيسي العراقي، ما بقي من شعره في (ديوان - ط)
ينظر:أسد الغابة ط الفكر149/2 والأعلام للزركلي 61/3

تابع:

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم (1)

1.ينظر: الكشاف 342/3

سائل: فعل أمر بمعنى اسألهم وراجعهم في السؤال، لتتلقن حقيقة الحال.

ويربوع: أبو حي

ويروى:بشدتنا، بفتح الشين.

يقال: شد على قرنه في الحرب: حمل عليه، أي سلهم عن صولتنا عليهم، وجعل البصريون الباء بعد السؤال للسببية، لا بمعنى (عن)

ويجوز أن معناه: سلهم فقد رأونا.

والسفح: السطح أو أصل الجبل المنسطح

والقاع المستوى من الأرض.

والأكم- بالفتح-: واحده أكمة، وجمعه أكم بالضم، وهي التلول المرتفعة.

فإن قلت: فما تصنع بقول الشاعر

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القف ذي الأكم

ألا ترى إلى دخول همزة الاستفهام على هل، ولو كانت على ما فيها من الاستفهام لم تلاق همزته لاستحالة اجتماع حرفين لمعنى واحد، وهذا يدل على خروجها عن الاستفهام إلى معنى الخبر.

قيل: هذا قول يمكن أن يقوله صاحب هذا المذهب.

ومثله خروج الهمزة عن الاستفهام إلى التقرير.

ألا ترى أن التقرير ضرب من الخبر، وذلك ضد الاستفهام، ويدل على أنه قد فارق الاستفهام امتناع النصب بالفاء (في جوابه) والجزم بغير الفاء في جوابه، ألا تراك لا تقول: ألست صاحبنا فنكرمك؛ كما تقول: لست صاحبنا فنكرمك, ولا تقول في التقرير: أأنت في الجيش أثبت اسمك. كما تقول: ما اسمك أذكرك. أي: إن أعرفه أذكرك. ولأجل ما ذكرنا من حديث همزة التقرير ما صارت تنقل النفي إلى الإثبات والإثبات إلى النفي.

ينظر: الخصائص 465/2

الباء بمعنى في

ونعني بالظرفية أن تكون دالة على الظرفية، "أي: على أن شيئا يحويه آخر، كما يحوي الإناء ما في داخله، أو: كما يحوي الظرف وهو الغلاف المظروف، وهو الشيء الذي يوضع فيه" (1)
ومنه قوله تعالى"﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [آل عمران:123] (2) أي: في بدر
ومثال الباء للظرفية قوله تعالى:﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ.﴾ [الصافات:137] (3) أي: وفي الليل.(4)
والظرفية؛ نحو:﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ [القصص:44] (5)؛ أي: فيه.
ومنه قوله تعالى:﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [القمر:34] (6)

والباء للإلصاق، أو هي بمعنى (في) كشأنها إذا دخلت على أسماء المنازل. كقول امرئ القيس:
بسقط اللوى البيت.
(البـاء) بمعنى:(في) (7)

---

1. النحو الوافي 463/2
2.سورة آل عمران، الآية:123
3.سورة الصافات ، الآية:137
4. شرح ابن عقيل 21/3 وضياء السالك 280/2
5.سورة القصص ، الآية:44
6.سورة القمر ،الآية:34
7. ينظر:التحرير والتنوير 246/8

وفي قوله تعالى:﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ [البقرة:102] (1)
(ببابل) الباء بمعنى: في.
وهي متعلقة بأنزل
أو بمحذوف وقع حالا من الملكين.
أو من الضميرِ في أنزل وهي بابلُ العراق.
وقال ابن مسعود رضي الله عنه (بابل) أرض الكوفة.(2)

ومنه قوله تعالى:﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ [الفرقان:19] (3)
والباء في قوله: بما تقولون يجوز أن تكون بمعنى (في) للظرفية المجازية، أي كذبوكم تكذيبا واقعا فيما تقولون.
ويجوز أن تكون للسببية، أي كذبوكم بسبب ما تقولون.

و(ما) موصولة.

والذي قالوه هو ما يستفاد من السؤال والجواب وهو أنهم قالوا إنهم دعوهم إلى أن يعبدوهم. (4)

---

1. سورة البقرة، الآية:102
2.تفسير أبي السعود 138/1
3. سورة الفرقان، الآية:19
4.التحرير والتنوير 342/18

وفي قول الله تعالى:﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات:177] (1)
ومعنى: بساحتهم. أي: بدارهم.
والساحة والسحسة في اللغة فناء الدار الواسع.
والساحة:هي العرصة الواسعة عند الدور والمكان الواسع مطلقاً وتجمع على سوح قال الشاعر:
فكان سيان أن لا يسرحوا نعما أو يسرحوه بها واغبرت السوح *
ونزل بساحتهم، ونزل بهم سواء عن الفراء.

وإسناد النزول إلى العذاب، وجعله في ساحتهم استعارة تمثيلية مكنية.
شبهت هيئة حصول العذاب لهم بعد ما أنذروا به فلم يعبأوا بهيئة نزول جيش عدو في ساحتهم بعد أن أنذرهم به النذير العريان فلم يأخذوا أهبتهم حتى أناخ بهم.
وذكر الصباح ؛ لأنه من علائق الهيئة المشبه بها فإن شأن الغارة أن تكون في الصباح ولذلك كان نذير المجيء بغارة عدو ينادي: يا صباحاه! نداء ندبة وتفجع، ولذلك جعل جواب (إذا) قوله:(فساء صباح المنذرين) أي: بئس الصباح صباحهم.
وفي وصفهم بـ:(المنذرين) ترشيح للتمثيل.
وتورية في اللفظ ؛ لأن المشبهين منذرون من الله بالعذاب، والذين يسوء صباحهم عند الغارة هم المهزومون؛ فكأنه قيل: فإذا نزل بساحتهم كانوا مغلوبين.(2)

1.سورة الصافات، الآية:177
2. ينظر:تفسير القرطبي 140/15 وتفسير الألوسي 17/ 274
* والساحة الفناء الخالي من الأبنية وجمعها سوح فألفها عن واو فيصغر على سويحة.
قال الشاعر:
فكان سيان أن لا يسرحوا نعما أو يسرحوه بها واغبرت السوح
والراغب: ـ رحمه الله تعالى ـ عدّها من ذوات الياء حيث ذكرها في مادة سيح، ثم قال: الساحة المكان الواسع ومنه: ساحة الدر. والسائح الماء الجري في الساحة.
ينظر: اللباب في علوم الكتاب 359/16

وهذا التمثيل قابل لتفريق أجزائه في التشبيه بأن يشبه العذاب بالجيش، وحلوله بهم بنزول الجيش بساحة قوم وما يلحقهم من ضر العذاب بضر الهزيمة، ووقت نزول العذاب بهم بتصبيح العدو محلة قوم.(1)

وفي هذا يقول الزمخشري:" مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه؛ بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره، ولا أخذوا أهبتهم، ولا دبروا أمرهم تدبيرا ينجيهم، حتى أناخ بفنائهم بغتة، فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم، وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا، فسميت الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر، وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك، إلا لمجيئها على طريقة التمثيل.(2)

وكانوا إذا أرادوا الغارة سروا ليلا، ويأتون العدو صبحا؛ لأن ذلك وقت غفلة الناس.

وقيل: لعزهم أغاروا نهارا، وصبحا على هذا، أي علانية، تشبيها بظهور الصبح. (3)

وفي الضمير استعارة مكنية شبه العذاب بجيش يهجم على قوم وهم في ديارهم بغتة فيحل بها.

والنزول: تخييل .

والصباح: مستعار لوقت نزول العذاب.

أي: وقت كان من صباح الجيش المبيت للعدو وهو السائر إليه ليلاً ليهجم عليه وهو في غفلته صباحاً ، وكثيراً ما يسمون الغارة صباحاً لما أنها في الأعم الأغلب تقع فيه.

وهو مجاز مرسل أطلق فيه الزمان وأريد ما وقع فيه كما يقال أيام العرب لوقائعهم

وجوز حمل الصباح هنا على ذلك.(4)

وظاهره أن الكلام على الاستعارة التمثيلية وفضلها على غيرها أشهر من أن يذكر وأجل من أن ينكر.

1.التحرير والتنوير 23 /197

2.الكشاف 68/4

3.تفسير القرطبي 158/20

4.تفسير الألوسي 17/ 274

وقد التفت البيضاوي لهذه الاستعارة فجادت قريحنه بما يلي:فقال:"فإذا نزل العذاب بفنائهم. شبهه بجيش هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة.
و(اللام) للجنس.
والصباح: مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب، ولما كثر فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر. (1)
وعليه فالآية الكريمة تحمل استعارة تمثيلية فقد شبه العذاب النازل بهم بعد ما أنذروا به فلم يبالوا الانذار، وأصموا آذانهم عنه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يكترثوا لإنذاره ولم يتخذوا الأهبة والاحتياط وما عسى أن ينجيهم من هول الكارثة ويمكنهم من تفادي ويلاتها الطارئة وإنما خصص الصباح لأنه كان من عادة مساعيرهم وكماتهم الإغارة فسميت الغارة صباحا لأنها تقع فيه عادة ولهذا استفصح العرب هذه لآية
الكريمة.
واعلم أن في اختيار هذا التمثيل البديع معنى بديعا من الإيماء إلى أن العذاب الذي وعدوه هو ما أصابهم يوم بدر من قتل وأسر على طريقة التورية.
فألفاظ هذه الجملة كلها فرائد معدومة النظائر.(2) ولما فى ذلك من الملاءمة وشدة التناسب ، ومثل هذا محمود فى الكلام كله نثره، ونظمه، وهو فى كتاب الله تعالى: أكثر من أن يحصى، وما ذاك إلا لأن خير الكلام ما دل بعضه على بعض، وأحق الكلام بهذه الصفة هو كلام الله، فإنه البالغ فى الذروة العليا من الفصاحة فى ألفاظه،والبلاغة فى
معناه ، لما بينهما من شدة الملائمة وعظيم المناسبة، ومن هذا قوله عليه السلام لما سار لفتح خيبر، فلما رآها قال الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، فإن السامع إذا وقف على قوله: نزلنا بساحة قوم، عرف أن ما بعده، فساء صباح المنذرين؛ لأن قوله إذا نزلنا بساحة قوم فيه وعيد عظيم لهم بالبوار والإهلاك فهو دال على قوله:(فساء صباح المنذرين)؛ لأنه لا صباح أعظم فى البلاء من ذلك اليوم لما

---

1. تفسير البيضاوي 21/5
2. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر 577/1

اشتمل عليه من القتل والأخذ، ونهب المال، ولا بلاء مثل هذا، وهذا وإن كان قد سبق به القرآن لكنه قد تكلم به فى ذلك اليوم، فلا جرم أوردناه فى أمثلة السنة، وإنما عظم موقع الآية وكان لها من الفخامة وعلو الشأن فى البلاغة، لما كانت واردة على جهة التمثيل، مثل حالهم فى عدم التفاتهم إلى ما أنذروا من العذاب الأليم بحال من أنذر بحصول الجيش فلم يلتفتوا ولا أخذوا أهبة الحذر منه حتى نزل بدارهم فقطع دابرهم واستأصل شأفتهم ، فمن أجل هذا لاءم قوله فإذا نزل بساحتهم إلى آخر الآية، حتى فهم آخرها قبل ذكره.(1)

وقرأ ابن مسعود (نُزِلَ) : بالتخفيف والبناء للمجهول وهو لازم.
فالجار والمجرور نائب الفاعل.
وقرئ:(نُزِّلَ) بالتشديد والبناء للمجهول أيضا وهو متعد فنائب الفاعل ضمير العذاب.
(فَسَاء صَبَاحُ المنذرين) أي: فبئس صباح المنذرين صباحهم على أن ساء بمعنى: بئس
وقرأ ابن مسعود:(فبئس صباح).
وقرئ: نزل بساحتهم، على إسناده إلى الجار والمجرور كقولك: ذهب بزيد، ونزل على، ونزل العذاب.
والمعنى: فساء صباح المنذرين صباحهم.
والمخصوص بالذم محذوف.
تقديره: صباحهم
وقيل إن ضمير ساء يعود على المخصوص وان التمييز محذوف.
وإن المذكور مخصوص لا فاعل

وعليه فـ(الباء) في بساحتهم الدالة على الظرفية أبلغ من حرف الجر(في) ؛لأنّ (الباء) تعطي انزياحا يدلّ على الاستئصال والفناء والدمار؛ وذلك لأنّ العرب تقول: نزل بساحة فلان العذاب والعقوبة، وذلك إذا نزل به.(2)

---

1. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز 169/2
2.ينظر:تفسير الطبري132/21

باء المقابلة
المقابلة: قال ابن مالك: هي الباء الداخلة على الأثمان والأعواض. نحو: اشتريت الفرس بألف، وكافأت الإحسان بضعف. وقد تسمى باء العوض.(1)
ولصاحب التحرير يد بيضاء في تخريج معنى (باء العوض) ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة:41] (2)
وقد عدى الاشتراء هنا إلى الآيات بـ(الباء) فكانت الآيات هي الواقعة موقع الثمن؛ لأن الثمن هو مدخل الباء فدل دخول الباء على أن الآيات شبهت بالثمن في كونها أهون العوضين عند المستبدل.
وذكر الباء قرينة المكنية؛ لأنها تدخل على الثمن ولا يصح كونها تبعية إذ ليس ثم معنى حقه أن يؤدى بالحرف شبه بمعنى الباء، فها هنا يتعين سلوك طريقة السكاكي في رد التبعية للمكنية. ولا يصح أيضا جعل (الباء) تخييلا إذ ليست دالة على معنى مستقل يمكن تخيله.
وقد قيل إن قوله ثمنا قرينة الاستعارة في قوله ولا تشتروا ووجهه أنه لما أدخلت الباء على الآيات تعين أن الآيات هي ثمن الاشتراء فلما عبر بعده بلفظ ثمنا مفعولا لفعل تشتروا علم السامع أن الأول ليس بثمن حقيقي فعلم أن الاشتراء مجاز ثم هو يعلم أن المعبر عنه بالثمن بعد ذلك أيضا ليس بثمن حقيقي تبعا للعلم بالمجاز في الفعل الناصب له.
وقد قيل إن قوله:(ثمنا) تجريد. وتقريره مثل تقرير كونه قرينة إذا جعلنا القرينة قوله بآياتي.
وقيل: هو ترشيح؛ لأن لفظ الثمن من ملائم الشراء وهو قريب مما قدمناه في كونه استعارة لأن الترشيح في نفسه قد يكون استعارة من ملائم المشبه به لملائم المشبه على الاحتمالات كلها هي تدل على تجهيلهم وتقريعهم.
والآيات لا تستبدل ذواتها فتعين تقدير مضاف أي لا تشتروا بقبول آياتي ثمنا.

1.الجني الداني في حروف المعاني 40/1
2.سورة البقرة، الآية:41
وإضافة آيات إلى ضمير الجلالة للتشريف.
أي : وفي ذلك تعريض بغبن صفقتهم إذ استبدلوا نفيسا بخسيس.
قال الشيخ محمد بن عرفة: عظم الآيات بشيئين الجمع والإضافة إلى ضمير الجلالة وحقر العوض بتحقيرين التنكير والوصف بالقلة اهـ

وأقول وصف قليلا صفة كاشفة؛ لأن الثمن الذي تباع به إضاعة الآيات هو قليل ولو كان أعظم متمول بالنسبة إلى ما أضاعه آخذ ذلك الثمن وعلى هذا المراد ينبغي حمل كلام ابن عرفة.وقد أجمل العوض الذي استبدلوا به الآيات فلم يبين أهو الرئاسة أو الرشى التي يأخذونها ليشمل ذلك اختلاف أحوالهم فإنهم متفاوتون في المقاصد التي تصدهم عن اتباع الإسلام على حسب اختلاف همهم.(1)

والاشتراء هنا استعارة للاستبدال، والذي استبدل به الثمن القليل هو الإيمان بالآيات، والمراد بالآيات: البراهين المؤيدة لصدق النبي ﷺ وفي مقدمتها القرآن الكريم والتوراة.
والمراد بالثمن القليل: حظوظ الدنيا وشهواتها من نحو الرياسة والمال والجاه، وما إلى ذلك من الأمور التي خافوا ضياعها لو اتبعوا الرسول ﷺ.
والمعنى: لا تستبدلوا بالإيمان بما أنزلت مصدقا لما معكم شيئا من حطام الدنيا، ولا تختاروا على ثواب الله بديلا من الأموال، فإنها مهما كثرت فهي قليلة مسترذلة بالنسبة لما يناله أولو الإيمان الخالص من رعاية ضافية في الدنيا، وخيرات حسان في الأخرى.(2)

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران:91] (3) و(الباء) بعد مادة الفداء تدخل على العوض المبذول فمعنى الباء التعويض.(4)

1.التحرير والتنوير464/1
2. التفسير الوسيط لطنطاوي 108/1
3.سورة آل عمران، الآية:91
4.التحرير والتنوير161/29

باء المصاحبة

ومعنى المصاحبة في نحو خرج بعشيرته، ودخل عليه بثياب السفر، واشترى الفرس بسرجه ولجامه. ونحو: سافر برعاية الله، وارجع بعنايته، أي: مع رعاية الله مع عنايته.(1) و(بعتك الدار بأثاثها) ،وفي قوله تعالى :﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ [آل عمران:153] (2)

والباء في قوله: (بغم) للمصاحبة أي :غما مع غم، وهو جملة الغموم التي دخلت عليهم من خيبة الأمل في النصر بعد ظهور بوارقه، ومن الانهزام، ومن قتل من قتل، وجرح من جرح.

ويجوز كون الباء للعوض، أي: جازاكم الله غما في نفوسكم عوضا عن الغم الذي نسبتم فيه للرسول.

فالإثابة مجاز في مقابلة فعل الجميل بمثله أي جازاكم بغم. والغم الأول غم نفس الرسول، والغم الثاني غم المسلمين.

والمعنى: إن الرسول اغتم وحزن لما أصابكم، كما اغتممتم لما شاع من قتله فكان غمه لأجلكم جزاء على غمكم لأجله.

والمعنى: غما مصاحبا لغم، فيكون الغمان إذ ذاك لهم.

فالأول: هو ما أصابهم من الهزيمة والقتل.

والثاني: إشراف خالد بخيل المشركين عليهم، قاله: ابن عباس، ومقاتل. (3)

ومن هذا النوع قوله تعالى:﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام:153] (4)

والباء في قوله: (بكم) للمصاحبة.

أي: فتتفرق السبل مصاحبة لكم، أي تتفرقون مع تفرقها، وهذه المصاحبة المجازية تجعل الباء بمنزلة همزة التعدية كما قاله النحاة، في نحو: ذهبت بزيد، أنه بمعنى أذهبته، فيكون المعنى فتفرقكم عن سبيله.

---

1. ينظر:النحو الوافي492/2
2.سورة آل عمران ،الآية:153
3. ينظر: التحرير والتنوير 132/4 والبحر المحيط387/3
4.سورة الأنعام، الآية:153

وفي قوله تعالى:﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء:59] (1)

وحقيقة المنع : كف الفاعل عن فعل يريد فعله أو يسعى في فعله ، وهذا محال عن الله تعالى إذ لا مكره للقادر المختار .

فالمنع هنا: مستعار للصرف عن الفعل وعدم إيقاعه دون محاولة إتيَانِه .

والإرسال:

يجوز أن يكون حقيقة فيكون مفعول(أن نرسل):محذوفاً دل عليه فعل:نرسل.

والتقدير: أن نرسل رسولَنا.

فـ(الباء) في قوله:(بالآيات): للمصاحبة ، أي مصاحباً للآيات التي اقترحها المشركون .

ويجوز أن يكون الإرسال مستعاراً لإظهار الآيات وإيجادها، فتكون (الباء) مزيدة لتأكيد تعلق فعل:نرسل بالآيات.(2)

وتكون:(بالآيات) مفعولاً في المعنى.

و(أن نرسل..) المصدر المؤول مفعول ثان لمنع

وبالآيات الباء حرف جر زائد على حد زيادتها في قول عمرو بن كلثوم:

وقد علم القبائل من معد إذا قبب بأبطحها بنينا

بأنا المطعمون إذا أردنا وأنا النازلون بحيث شينا

ولك أن تجعلها أصلية فتكون للملابسة.

والمفعول محذوف أي في محل نصب حال.

والمعنى وما منعنا أن نرسل نبيا حالة كونه ملتبسا بالآيات.(3)

وعليه فالباء اشتملت على المصاحبة والملابسة والزيادة وترجع هذه المعاني على حسب المعنى لكل مفسر وكل هذه التخريجات صحيحة.

1.سورة الإسراء، الآية:59

2.التحرير والتنوير 259/8

3.إعراب القرآن وبيانه 463/5

وفي قوله تعالى:﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ [البقرة:30](1) فالباء للملابسة أي نسبح تسبيحا مصحوبا بالحمد لك وبذلك تنمحي جميع التكلفات التي فسروا بها هنا.
وتسمى هذه الباء بباء المصاحبة، وعلامتها أن يحسن في موضعها (مع) ويغني عنها، وعن مصحوبها الحال كقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَق ﴾ [النساء: 170] (2) أي: مع الحق ومحقا.(3)

والمصاحبة تكون حقيقة وتكون مجازا فمن الأمثلة التي تكون فيها مجازا قول الله تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آَمِنُونَ (89) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل:90] (4)
والمجيء مستعمل في حقيقته.

والباء في(بالحسنة) و(بالسيئة) للمصاحبة المجازية.
ومعناها : أنه ذو الحسنة أو ذو السيئة.
وليس هذا كقوله:﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: 160] (5)
فالمعنى هنا : من يجيء يومئذ وهو من فاعلي الحسنة ومن جاء وهو من أهل السيئة ، فالمجيء ناظر إلى قوله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل:87] (6)

1.سورة البقرة، الآية:30
2.سورة النساء،الآية:170
3.توضيح المقاصد 757/2
4.سورة النمل ،الآية:90
5.سورة الأنعام ،الآية:160
6.سورة النمل ،الآية:87

والحسنة والسيئة هنا للجنس وهو يحمل على أكمل أفراده في المقام الخطابي ، أي من تمحضت حالته للحسنات أو كانت غالب أحواله. (1)

ومن خلال الأمثلة تبيّن لنا أنّ الآية الأولى هي للمصاحبة المجازية ،بخلاف الآية الثانية فهي للمصاحبة الحقيقية.
والمصاحبة: وهي التي تفيد التلازم بين شيء وآخر،وهي بمعنى(مع) ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ﴾ [المائدة:61] (2) أي معه.

والشاهد: (بالكفر) حيث جاءت الباء بمعنى (مع).(3)

1.التحرير والتنوير52/20
2.سورة المائدة ،الآية:61
3.تسهيل شرح ابن عقيل 278

معاني الباء في ببدنك

وفي قوله تعالى :﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس:92](1)
(نُنَجِّيكَ) بالتشديد والتخفيف: نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر.
وقيل: نلقيك بنجوة من الأرض.
وقرئ:(ننحيك)، بالحاء: نلقيك بناحية مما يلي البحر.
وقرأ أبو حنيفة رحمه الله:(بأبدانك) وهو على وجهين:
إما أن يكون مثل قولهم: هوى بأجرامه.
يعنى: ببدنك كله وافيا بأجزائه. أو يريد: بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها.
(لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) لمن وراءك من الناس علامة، وهم بنو إسرائيل، وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأنا من أن يغرق.
وقرئ: لمن (خلقك)، بالقاف: أي لتكون لخالقك آية كسائر آياته.
ويجوز أن يراد: ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين؛ لئلا يشتبه على الناس أمرك، ولئلا يقولوا- لادعائك العظمة إنّ مثله لا يغرق ولا يموت- آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره، وليعلموا أنَّ ذلك تعمد منه لإماطة الشبهة في أمرك.(2)

والمعنى: فإن رمت بإيمانك بعد فوات وقته أن أنجيك من الغرق فاليوم ننجيك ببدنك، والكلام جار مجرى التهكم، فإطلاق الإنجاء على إخراجه من البحر استعارة تهكمية. وليس مسوغها التهكم المحض كما هو الغالب في نوعها، بل فيها علاقة المشابهة؛ لأن إخراجه إلى البر كاملا بشكته يشبه الإنجاء، ولكنه ضد الإنجاء، فكان بالمشابهة، استعارة، وبالضدية تهكما. به وتخييبا له وحسما لأطماعه بالمرة.(3)

1.سورة يونس، الآية:92
2. الكشاف 368/2
3.ينظر: التحرير والتنوير 278/11

والمراد فاليوم نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا ملابسا ببدنك عاريا عن الروح ؛ إلا أنه عبر عن ذلك بالتنجية مجازا. (1)
والمجرور في قوله: (ببدنك) حال.

والأظهر أن (الباء) من قوله: ببدنك مزيدة للتأكيد، أي تأكيد آية إنجاء الجسد، فيكون قوله: (بدنك) في معنى البدل المطابق من الكاف في ننجيك كزيادة الباء في قول الحريري:" فإذا هو أبو زيد بعينه ومينه".(2)
وجعل الباء للآلة ليكون على وزن قولك :(أخذته بيدك، ونظرته بعينك) إيذانا بحصول هذا المطلوب البعيد التناول وجه لكنه غير وجيه كما لا يخفى.
والباء في (بِبَدَنِكَ) للمصاحبة.
وقيل الباء سببية على سبيل المجاز؛ لأن بدنه سبب في تنجيته، وذلك على قراءة ابن مسعود وابن السميفع (بندائك) من النداء وهو الدعاء أي: بما نادى به في قومه من كفرانه في قوله: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ [الزخرف:51] (3)
والبدن: الجسم بدون روح، وهذا احتراس من أن يظن المراد الإنجاء من الغرق.(4)
فالبدن يطلق على الجسد، وعلى الدرع، وقد استعمله بمعنى الجسم وأهمل معنى الدرع ومراده ما أهمل، لأن نجاة فرعون - أي خروجه من البحر بعد الغرق - بدرعه، أعجب من خروجه مجردا.(5)
والمعنى:
ننجيك وأنت جسم. كما يقال: دخلت عليه فإذا هو جثة؛ لأنه لو لم يكن المقصود الاقتصار على تلك الحالة لما كان داع للبليغ أن يزيد ذلك القيد.

---

1. تفسير الألوسي 172/6
2. التحرير والتنوير 278/11
3.سورة الزخرف ،الآية:51
4. الدر المصون 264/6
5. خصائص التعبير القرآني 423/2

وقيل: التنجية الإلقاء على النجوة وهي المكان المرتفع.
"وقيل: نلقيك ببدنك عريانا ليس عليك ثياب ولا سلاح، وذلك أبلغ في إهانته.
وقيل:نخرجك صحيحا لم يأكلك شيء من الدواب". (1)
ففي الآية تورية إذا فسر البدن بالدرع أما إذا فسر بالجسم فيكون المعنى ننجيك في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء أما تفسير البدن بالدرع فيدل عليه قول عمرو بن معدي كرب:
أعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلّص سلس القياد (2)

والباء في الآية الكريمة تكون للأغراض التالية:
1.الحال
2. التوكيد
3.الآلة
4.المصاحبة

---

1. البحر المحيط101/6
2. إعراب القرآن وبيانه 293/4

وفي قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج:33] (1)
والقيام بالشهادة: الاهتمام بها وحفظها إلى أن تؤدى، وهذا قيام مجازي.
و(باء) بشهاداتهم للمصاحبة، أي يقومون مصاحبين للشهادة ويصير معنى (الباء) في الاستعارة معنى التعدية. (2)
فذكر القيام بالشهادة إتمام لخصال أهل الإسلام فلا يتطلب له مقابل من خصال أهل الشرك.
وقرأ الجمهور بشهادتهم بصيغة الإفراد، وهو اسم جنس يعم جميع الشهادات التي تحملوها. والإفراد أولى ؛ لأنه مصدر.
وقرأ حفص ويعقوب بشهاداتهم بصيغة الجمع؛وذلك على اعتبار جمع المضاف إليه.
ومن جمع ذهب إلى اختلاف الشهادات،وكثرت ضروبها فحسن الجمع من جهة الاختلاف، وأكثر المفسرين قالوا: يعني الشهادات عند الحكام يقومون بها بالحق، ولا يكتمونها وهذه الشهادات من جملة الأمانات إلا أنه تعالى خصها من بينها إبانة لفضلها؛ لأن في إقامتها إحياء الحقوق وفي تركها إبطالها وتضييعها.(3)
وعلق صاحب الجواهر على الآية الكريمة قائلا: "أنهم يحفظون ما يشهدون فيه، ويتيقنونه ويقومون بمعانيه حتى لا يكون لهم فيه تقصير، وهذا هو وصف من تمثيل قول النبي ﷺ:(على مثل الشمس فاشهد) .
وقال آخرون معناه الذين إذا كانت عندهم شهادة ورأوا حقا يدرس أو حرمة لله تنتهك قاموا بشهادهم." (4)
و(قائمون) يقيمونها عند الحكام بلا ميل إلى قريب وشريف وترجيح للقوي على الضعيف إظهار للصلابة في الدين ورغبة في إحياء حقوق المسلمين.(5)

1.سورة المعارج ،الآية:33
2. التحرير والتنوير 174/29
3. تفسير ابن عطية369/5
4.الجواهر الحسان في تفسير القرآن486/5
5. تفسير النسفي 539/3

وقيل: يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الأمانات إلا أنه خصها بالذكر لفضلها؛ لأن بها تحيا الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع. (1) ومن جمع فللنظر إلى اختلاف الشهادات وكثرة أنواعها.

وباء المصاحبة هي التي يحسن في موضعها (مع) وتغني عنها وعن مصحوبها الحال، كقوله تعالى:﴿ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ ﴾ [النساء:170] (2) أي مع الحق ومحقا ، وكقوله تعالى: ﴿ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ﴾ [هود:48] (3)
وأصل السلام: السلامة، فاستعمل عند اللقاء إيذانا بتأمين المرء ملاقيه وأنه لا يضمر له سوءا، ثم شاع فصار قولا عند اللقاء للإكرام. وبذلك نهى النبي ﷺ الذين قالوا: السلام على الله.
فقوله هنا: اهبط بسلام نظير قوله:﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر:46] (4)
فإن السلام ظاهر في التحية لتقييده بـ (آمنين) . ولو كان السلام مرادا به السلامة لكان التقييد بـ: (آمنين) توكيدا وهو خلاف الأصل.
و(منا) تأكيد لتوجيه السلام إليه لأن (من) ابتدائية، فالمعنى: بسلام ناشئ من عندنا ... وذلك كثير في كلامهم. وهذا التأكيد يراد به زيادة الصلة والإكرام فهو أشد مبالغة من الذي لا تذكر معه (من) .

والباء للمصاحبة، أي اهبط مصحوبا بسلام منا. ومصاحبة السلام الذي هو التحية مصاحبة مجازية. (5)

---

1. تفسير النيسابوري 359/6
2.سورة النساء، الآية:170
3.سورة هود،الآية:48
4.سورة الحجر، الآية:46
5.التحرير والتنوير89/12

وفي قوله تعالى: ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة:25] (1)
أي الواسعة
أي: مع اتساعها فصرتم لا ترون أن فيها مكاناً يحصنكم مما أنتم فيه لفرط الرعب، فما ضاق في الحقيقة إلا ما كان من الآمال التي سكنت إلى الأموال والرجال، ولعل عطفه لتوليهم بأداة التراخي.
ولعل العطف بـ:(ثم) إشارة إلى علو رتبة ذلك الثبات واستبعاد أن يقع مثله في مجاري العادات. (2)
و(الباء) بمعنى (مع) أي لا تجِدون فيها مفرّاً تطمئنُّ إليه نفوسُكم من شدة الرعبِ ولا تثبُتون فيها كمن لا يسعه مكان.
والباء للملابسة والمصاحبة. أي ضاقت، مع سعتها، عليكم.
والتقدير: ضاقت عليكم الأرض حالة كونها ملابسة لرحبها أي: سعتها: أي في حالة كونها لا ضيق فيها
وهي استعارة تبعية، إما لعدم وجدان مكان يقرّون به آمنين مطمئنين من شدة الرعب، أو أنهم لا يجلسون في مكان، كما لا يجلس في المكان الضيق.
وهذا التركيب تمثيل لحال المسلمين لما اشتد عليهم البأس واضطربوا ولم يهتدوا لدفع العدو عنهم، بحال من يرى الأرض الواسعة ضيقة.
فالضيق غير حقيقي بقرينة قوله: بما رحبت .
(وضاقت.....) استعارة تمثيلية تمثيلا لحال من لا يستطيع الخلاص من شدة بسبب اختلال قوة تفكيره.
وقيل: شبه ما حل بهم من الكرب والهزيمة بضيق الأرض على سعتها (3)
فهي استعارة.

1.سورة التوبة، الآية:25
2. البحر المحيط393/5 ونظم الدرر424/8
3. التفسير المنير للزحيلي155/10

حذف الباء

وفي قوله تعالى:﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ [الأنعام:57] (1)
وقوله:(إن الحكم إلا لله)
أي:الحكم لله على الإطلاق وهو الفصل بين الخصمين المختلفين بإيجاب الثواب والعقاب.
وقيل: القضاء بإنزال العذاب وفيه التفويض العام لله تعالى.
يقضي الحق: هي قراءة العربيين والأخوين أي: يقضي القضاء الحق في كل ما يقضي فيه من تأخير أو تعجيل.
وضمن بعضهم يقضي معنى: ينفذ فعداه إلى مفعول به.
وقيل: يقضي بمعنى: يصنع أي كل ما يصنعه فهو حق. قال الهذلي:
وعليهما مسدودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع
أي: صنعهما.
وقيل حذف الباء.
والأصل بالحق، ويؤيده قراءة عبد الله وأبي وابن وثاب والنخعي وطلحة والأعمش (يقضي بالحق) بياء الجر؛ وسقطت الباء خطا لسقوطها لفظا لالتقاء الساكنين.
وقرأ مجاهد وابن جبير (يقضي بالحق.)
وهو خير الفاصلين وفي مصحف عبد الله وهو أسرع الفاصلين.
وقرأ ابن عباس والحرميان وعاصم يقص الحق من قص الحديث كقوله نحن نقص عليك أحسن القصص (2)
أو من قص الأثر أي اتبعه.

1.سورة الأنعام، الآية:57
2.البحر المحيط في التفسير 531/4

وحكي أن أبا عمرو بن العلاء سئل أهو يقص الحق أو يقضي الحق؟
فقال: لو كان يقص لقال وهو خير القاصين أقرأ أحد بهذا وحيث قال وهو خير الفاصلين فإنما يكون الفصل في القضاء انتهى.
ولم يبلغ أبا عمرو أنه قرئ بها ويدل على ذلك قوله: أقرأ بها أحد ولا يلزم ما قال، فقد جاء الفصل في القول.
(يقص الحق) أي يقص القصص الحق، وبه استدل من منع المجاز في القرآن، وهي قراءة نافع وابن كثير وعاصم ومجاهد والأعرج وابن عباس.
قال ابن عباس: قال الله عز وجل:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:3] (1).
والباقون(يقض الحق) بالضاد المعجمة، وكذلك قرأ علي- رضي الله عنه- وأبو عبد الرحمن السلمي وسعيد بن المسيب، وهو مكتوب في المصحف بغير ياء، ولا ينبغي الوقف عليه، وهو من القضاء، ودل على ذلك أن بعده (وهو خير الفاصلين).
والفصل لا يكون إلا قضاء دون قصص، ويقوي ذلك قوله قبله:" إن الحكم إلا لله" ويقوي ذلك أيضا قراءة ابن مسعود (إن الحكم إلا لله يقضي بالحق)
فدخول الباء يؤكد معنى القضاء
قال النحاس: هذا لا يلزم، لأن معنى:(يقضي) يأتي ويصنع.
فالمعنى: يأتي الحق.
ويجوز أن يكون المعنى: يقضي القضاء الحق.
قال مكي: وقراءة الصاد أحب إلي، لاتفاق الحرميين وعاصم على ذلك، ولأنه لو كان من القضاء للزمت الباء فيه كما أتت في قراءة ابن مسعود. قال النحاس: وهذا الاحتجاج لا يلزم؛ لأن مثل هذه الباء تحذف كثيرا.
قال الفخر الرازي (يقض) بغير ياء لأنها سقطت لالتقاء الساكنين كما كتبوا (سندع الزبانية) (فما تغن النذر) .(2)

1.سورة يوسف، الآية:3
2.تفسير القرطبي 439/6

حذف باء فاصدع لدلالة بلاغية

في بعض الأحيان يحذف الجار لدلالة بلاغية لا يعرف سرّها إلاّ من أتاه الله بسطة في العلم ، ففي قول الله تعالى ذكره:﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر:94] (1) لم يقل: بما تؤمر به، والأمر يقتضي الباء؛ لأن معنى الكلام: فاصدع بأمرنا، فقد أمرناك أن تدعو إلى ما بعثناك به من الدين الخلقي وأذنَّا لك في إظهاره.

ومعنى (ما) التي في قوله (بِمَا تُؤْمَرُ) معنى المصدر، كما قال تعالى ذكره ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات:102](2) معناه: افعل الأمر الذي تؤمر به.

وكان بعض نحويّي أهل الكوفة يقول في ذلك: حذفت الباء التي يوصل بها تؤمر من قوله ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر:94] (3) على لغة الذين يقولون: أمرتك أمرا، وكان يقول: للعرب في ذلك لغتان:

إحداهما: أمرتك أمرا، والأخرى: أمرتك بأمر، فكان يقول: إدخال الباء في ذلك وإسقاطها سواء. واستشهد لقوله ذلك بقول حضين بن المنذر الرقاشي* ليزيد بن المهلَّب:

أَمَرْتُكَ أَمْرًا جازِما فَعَصَيْتَني فأَصْبَحْتَ مَسلُوبَ الإمارَةِ نادِما (4)

1.سورة الحجر، الآية:94

2.سورة الصافات، الآية:102

3.سورة الحجر، الآية:94

4. تفسير الطبري 152/17

* حضين بن المُنْذِر (18 - 97 هـ = 639 - 715 م)

حضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الذهليّ الشيبانيّ الرَّقاشي، أبو ساسان أو أبو اليقظان: تابعيّ، من سادات ربيعة وشجعانهم، ومن ذوي الرأي.

كان صاحب راية علي بن أبي طالب يوم صفين وفيه يقول الشاعر:

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قلتُ قدمها حُضينُ تقدمَّا

من أبيات تنسب للإمام عليّ ـ رضي الله عنه ـ وولاه إصطخر.

ولما استتب الأمر لمعاوية وفد عليه فأكرمه.

وكان قتيبة بن مسلم - وهو بمرو - يستشيره في أموره، قال قتيبة فيه: هو باقعة العرب وداهية الناس

ينظر: الأعلام للزركلي 263/2

* البيت شاهد على أنه يقال أمرتك أمرا، وأمرتك بأمر، فيجوز أن يتعدى الفعل بنفسه وبالباء.

ومنه قول الشاعر:
أَمَرْتُكَ أَمْرًا جازِما فَعَصَيْتَني فأصْبَحْتَ مَسلُوبَ الإمارَةِ نادِما *
فقال أمرتك أمرا، ولم يقل: أمرتك بأمر، وذلك كما قال تعالى: ذكره:﴿ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ [هود:60] (1) ولم يقل: بربهم، وكما قالوا: مددت الزمام، ومددت بالزمام، وما أشبه ذلك من الكلام.
هذا رأي وجيه للإمام الطبري رحمه الله وقاعدة جليلة بيّن فيها تخريجات العرب الذين هم المعوّل عليهم في فهم كتاب الله.

أماّ الزمخشري فقد تعرّض للآية السالفة الذكر فقال:﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر:94] (2) ؛فاجهر به وأظهره.
يقال: صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا، كقولك: صرح بها، من الصديع وهو الفجر، والصدع في الزجاجة: الإبانة. وقيل:
فَاصْدَعْ فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر.

1.سورة هود، الآية:60
2.سورة الحجر، الآية:94
* البيت شاهد على أنه يقال أمرتك أمرا، وأمرتك بأمر، فيجوز أن يتعدى الفعل بنفسه وبالباء.
فقال أمرتك أمرا، ولم يقل: أمرتك بأمر
وهذه أبيات من القصيدة قوله:
أمرتك أمرا حازما فعصيتني فأصبحت مسلوب الإمارة نادما
فما أنا بالباكي عليك صبابة وما أنا بالداعي لترجع سالما
أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
الأصل: أمرتهم بأمري، فحذف الجار ووصل الفعل بنفسه.
ويجوز أن يكون مصدر أمرت، وجاء به لتأكيد الفعل.
ينظر: شرح ديوان الحماسة 576/1

والمعنى:
بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجارّ، كقوله:
أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ (1)
ويقال:أمرتك كذا وبكذا. والشاعر: جمع بين الوجهين. (2)
ويجوز أن تكون بِما مصدرية، أي بأمرك مصدر من المبنى للمفعول.
ذكر أبو عبيدة أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر:94] (3) فسجد، وقال: سجدت لفصاحته، (وكان موضع التأثير في هذه الجملة هو كلمة اصدع في إبانتها عن الدعوة والجهر بها والشجاعة فيها، وكلمة بما تؤمر في إيجازها وجمعها) (4)

_____
1. الكشاف 590/2
2. شرح ديوان الحماسة 1159/1
3.سورة الحجر، الآية:94
4. التحرير والتنوير 107/1
* أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب
لخفاف بن ندبة، وقيل: لعباس بن مرداس. وقيل: لعمرو بن معديكرب.
وقيل: لإياس بن موسى، والمقدرة:
والنشب: المال الأصل صامتا أو ناطقا، فهو من عطف الخاص على العام.
ويروى: ذا نسب، بالمهملة: أي نسب عظيم.
وأمر: يتعدى للثاني بالباء.
ويقال: أمرتك الخير على التوسع، أو تضمين التكليف، وجمعهما الشاعر في البيت.
وحذف المتعلق بفعل تؤمر لظهور تقديره:
أي ما تؤمر به. وبقي الفعل كأنه من الأفعال المتعدية، وهذا الحذف يسمى بالحذف والإيصال
ينظر: التحرير والتنوير 152/23

والصدع: الجهر والإعلان.
وأصله الانشقاق.
ومنه انصداع الإناء، أي: انشقاقه.
فاستعمل الصدع في لازم الانشقاق وهو ظهور الأمر المحجوب وراء الشيء المنصدع
فالمراد هنا: الجهر والإعلان.
وما صدق (ما تؤمر) هو الدعوة إلى الإسلام.
وقصد شمول الأمر كل ما أمر الرسول- عليه الصلاة والسلام- بتبليغه هو نكتة حذف متعلق تؤمر، فلم يصرح بنحو بتبليغه أو بالأمر به أو بالدعوة إليه. وهو إيجاز بديع.
والإعراض عن المشركين: الإعراض عن بعض أحوالهم لا عن ذواتهم.(1)
والسرّ في عدم ظهور حرف الجر ومتعلقه بفعل (اصدع) كما يرى صاحب التنوير للإيجاز الذي هو لب البلاغة وسرها.
وقوله تعالى:﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر:94] (2) ولم يقل: بما تؤمر به- والله أعلم-
أراد: فاصدع بالأمر.
ولو كان مكان (ما) من أو ما مما يراد به البهائم لأدخلت بعدها الباء كما تقول: اذهب إلى من تؤمر به، واركب ما تؤمر به، ولكنه في المعنى بمنزلة المصدر ألا ترى أنك تقول: ما أحسن ما تنطلق ؛ لأنك تريد: ما أحسن انطلاقك، وما أحسن ما تأمر؛ إذا أمرت؛لأنك تريد ما أحسن أمرك.
ومثله قوله تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات:102] (3)
كأنه قيل له: افعل الأمر الذي تؤمر. ولو أريد به إنسان أو غيره لجاز وإن لم يظهر الباء_لأن العرب قد تقول: إني لآمرك وآمر بك وأكفرك وأكفر بك في معنى واحد.
واصدع: أظهر دينك. (4)

---

1. التحرير والتنوير 88/14
2. سورة الحجر، الآية:94
3. سورة الصافات ،الآية:102
4. معاني القرآن للفراء 94/2

قال أبو إسحاق: وقوله تعالى:﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر:94] (1)
أي: أبنه وأظهره.
مشتقّ من الصّديع وهو الصبح، والصّدع في الزجاجة أن يبين بعضها من بعض.
(بِما تُؤْمَرُ): مصدر عند البصريين أي بأمرنا.
وقال الكسائي:
التقدير:
بما تؤمر به مثل قوله تعالى:﴿ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ [هود:60] (2)
أي: بربّهم ثم حذفت الباء. قال أبو جعفر: لا يجوز حذف الباء عند البصريين في كلام ولا شعر، وقد أنشد الكوفيون لجرير: * [الوافر]
تمرّون الدّيار ولم تعوجوا كلامكم عليّ إذا حرام
وسمعت علي بن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: سمعت عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ينشد لجدّه: مررتم بالدّيار ولم تعوجوا (3)

1.سورة الحجر، الآية:94
2.سورة هود، الآية:60
3.إعراب القرآن للنحاس 246/2
* بلال بن جرير (نحو 140 هـ /757 م)
بلال بن جرير بن عطية بن الخطفي، أبو زافر، من بني كليب بن يربوع: شاعر، من شعراء المشهوري بالهجاء
قالوا: كان أفضل إخوته من أبناء (جرير) وأشعرهم
ينظر: الأعلام للزركلي 72/2
اللغة: " تعوجوا " يقال: عاج فلان بالمكان يعوج عوجا ومعاجا - كقال يقول قولا ومقالا - إذا أقام به، ويقال: عاج السائر بمكان كذا، إذا عطف عليه، أو وقف به، أو عرج عليه وتحول إليه، ورواية الديوان أتمضون الرسوم ولا نحيا.
الشاهد فيه: قوله " تمرون الديار " حيث حذف الجار، وأوصل الفعل اللازم إلى الاسم الذي كان مجرورا، فنصبه، وأصل الكلام " تمرون بالديار " ويسمى ذلك: الحذف والايصال " وهذا قاصر على السماع، ولا يجوز ارتكابه في سعة الكلام.
ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 151/2

وقوله تعالى:﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر:94] (1)
ثلاث كلمات تشتمل على أمر الرسالة وشرائعها وأحكامها على الاستقصاء؛ لما فى قوله (فاصدع) من الدلالة على التأثير، كتأثير الصدع.(2)
فالصدع: وهو كسر الزجاجة ببذل الإمكان وأنه أمر حسي مستعار لتبليغ الرسالة ببذل الإمكان وأنه أمر عقلي.(3)
فهاتان الكلمتان قد جمعتا معاني الرسالة كلها، واشتملت على كليات النبوة، وأجزائها، والصدع من صفات الأجسام.
يقال انصدع الإبريق والقارورة.
وقد استعير ههنا لوضوح أمر الرسول ﷺ فيما جاء به من الحق وإظهار النبوة، والجامع بينهما هو التفرقة بين الحق والباطل وإزالة التباس أحدهما بالآخر.(4)
فإن المستعار منه كسر الزجاجة، وهو أمر حسي، باعتبار متعلقة، والمستعار له التبليغ جهرا والجامع التأثير الذي لا يمكن معه رد كل منهما إلى ما كان عليه.
أي أظهر الأمر إظهارا لا ينمحي - كما أن صدع الزجاجة لا يلتئم
وإجراء الاستعارة:
شبه التبليغ جهرا بكسر الزجاجة، بجامع التأثير الشديد في كل واستعير المشبه به وهو (الصدع) للمشبه وهو التبليغ جهرا - واشتق منه إصدع بمعنى: بلغ جهرا، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. (5)

1.سورة الحجر، الآية:94
2. الصناعتين: الكتابة والشعر 176/1
3. مفتاح العلوم 390/1
4. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز188/3
5.جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع 269/1

وخلاصة القول أنّها استعارة محسوس لمعقول.

أي: بلغ الأمة الأحكام التي أمرت بتبليغها لهم تبليغا واضحا لا لبس فيه، ولا غموض.
فالمستعار منه كسر الزجاجة ونحوها مما لا يلتئم بعد الكسر، وهو حسي، والمستعار له تبليغ الرسالة للمرسل إليهم، وهو أمر عقلي.
والجامع بينهما التأثير في الشيء بحيث لا يعود إلى ما كان عليه، وهو عقلي.
والمعنى:

أبن الأمر إبانة لا يعود معها إلى الخفاء، كما أن كسر الزجاجة لا تعود معه إلى الالتئام.(1)
والفعل صدع يتعدى بالباء ،وبنفسه وفي تعديته بالباء فيه نوع من المبالغة في الصدع.

وصدع: صدعت الشيء فانصدع.
وصدع بالحق: تكلم به جهارا. (2)
وصدعته فانصدع، وكأنه صدع الزجاجة.
ومن المجاز: صدع البين شملهم. وصدع الظعائن يوم بن فؤاده.
وتصدع الحي. وتصدعوا عني. (3)

---

1. ينظر:المنهاج الواضح للبلاغة 249/3 وأنوار الربيع في أنواع البديع46/1
2.مجمل اللغة لابن فارس 552/1
3. أساس البلاغة 257/1

ومثله كثير، منه قولهم*:

إذا قالت حذام فأنصتوها فإن القول ما قالت حذام (1)

يريد: فأنصتوا لها

---

1. ينظر: معاني القرآن للفراء 94/2 والجمل في النحو 199/1 والخصائص 180/2

* هذا البيت قيل إنه لديسم بن طارق أحد شعراء الجاهلية، وقد جرى مجرى المثل، وصار يضرب لكل من يعتد بكلامه، ويتمسك بمقاله، ولا يلتفت إلى ما يقول غيره، وفي هذا جاء به الشارح، وهو يريد أن سيبويه هو الرجل الذي يعتد بقوله، ويعتبر نقله، لأنه هو الذي شافه العرب، وعنهم أخذ، ومن ألسنتهم استمد.

المفردات: " حذام " اسم امرأة، زعم بعض أرباب الحواشي أنها الزباء.

وقيل غيرها، ونقول: الذي عليه الأدباء أنها زرقاء اليمامة، وهي امرأة من بنات لقمان بن عاد، وكانت ملكة اليمامة، واليمامة اسمها، فسميت البلد باسمها، زعموا أنها كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام، وهي التي يشير إليها النابغة الذبياني في قوله:

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام سراع وارد الثمد

التمثيل به: قد جاء الشارح بهذا البيت وهو يزعم أن مذهب سيبويه أرجح مما ذهب إليه الناظم، وكأنه أراد أن يعرف الحق بأن يكون منسوبا إلى عالم جليل كسيبويه، وهي فكرة لا يجوز للعلماء أن يتمسكوا بها، ثم إن الأرجح في المسألة ليس هو ما ذهب إليه سيبويه والجمهور، بل الأرجح ما ذهب إليه ابن مالك، والرماني، وابن الطراوة من أن الاتصال أرجح في خبر كان.

وفي المفعول الثاني من معمولي ظن وأخواتها، وذلك من قبل أن الاتصال في البابين أكثر ورودا عن العرب.

والشاهد في البيت

أنصتوها:أي أنصتوا لها.

ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 105/1

وهذه أفعال توصل بحروف الإضافة فتقول: اخترت من الرجال وسميته بفلان كما تقول: عرفته بهذه العلامة وأستغفر الله من ذلك. فلما حذفوا حرف الجر عمل الفعل.

ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي124/9

زيادة باء بمن جاء

وفي قول الله تعالى: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى ﴾ [القصص:37] (1)

وقبل الجواب عن سبب اقتران اسم الموصول (من) بحرف الإلصاق نحاول إجمال معنى الآية حيث لخص الطبري معنى الآية الكريمة فقال:"يقول تعالى ذكره:(وقال موسى) مجيبا لفرعون: (رَبِّي أَعْلَمُ) بالمحق منا يا فرعون من المبطل، ومن الذي جاء بالرشاد إلى سبيل الصواب والبيان عن واضح الحجة من عنده، ومن الذي له العقبى المحمودة في الدار الآخرة منا.

وهذه معارضة من نبيّ الله موسى عليه السلام لفرعون، وجميل مخاطبة، إذ ترك أن يقول له: بل الذي غرّ قومه وأهلك جنوده، وأَضَلّ أتباعه أنت لا أنا. ولكنه قال: (رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) ثم بالغ في ذمّ عدوّ الله بأجمل من الخطاب فقال: (إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) يقول: إنه لا ينجح ولا يدرك طلبتهم الكافرون بالله تعالى، يعني بذلك فرعون إنه لا يفلح ولا ينجح لكفره به.(2)

وقد جاء هذا الفعل أي: (جاء) دون سواه مقترنا بحرف الجر (الباء) الذي يدلّ على التوكيد ، ففي قوله تعالى: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ﴾ [القصص:37] (3) وبعده (من جاء) بغير باء الأول هو أم الأوجه؛ لأن أفعل هذا فيه معنى الفعل.

ومعنى الفعل لا يعمل في المفعول به فزيد بعده باء تقوية للعمل.

حيث خص الأول بالأصل ثم حذف من الآخر الباء اكتفاء بدلالة الأول عليه ومحله نصب بفعل آخر.

1.سورة القصص، الآية:37

2. تفسير الطبري580/19

3.سورة القصص، الآية:37

أي: يعلم من جاء بالهدى ولم يقتض تغييرا... ؛لأن دلالة الأول قام مقام التغيير؛وخص الثاني به لأنه فرع.(1)

وعبر في جانب (بمن جاء بالهدى) بفعل المضي.
وفي جانب:(من تكون له عاقبة الدار) بالمضارع ؛ لأن المجيء بالهدى المحقق والمزعوم أمر قد تحقق ومضى سواء كان الجائي به موسى أم آباؤهم الأولون وعلماؤهم.
وأما كيان عاقبة الدار لمن فمرجو لما يظهر بعد. ففي قوله:﴿ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾ [القصص:37] (2) إشهاد الله تعالى وكلام منصف، أي: ربي أعلم بتعيين الجائي بالهدى أنحن أم أنتم على نحو قوله تعالى:﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [سبأ: 24] (3)
وفي قوله: ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ [القصص:37] (4) تفويض إلى ما سيظهر من نصر أحد الفريقين على الآخر وهو تعريض بالوعيد بسوء عاقبتهم.
وعاقبة الدار:
كلمة جرت مجرى المثل في خاتمة الخير بعد المشقة تشبيها لعامل العمل بالسائر المنتجع إذا صادف دار خصب واستقر بها.
فأصل عاقبة الدار:
الدار العاقبة. فأضيفت الصفة إلى موصوفها.

والعاقبة:
هي الحالة العاقبة، أي التي تعقب، أي: تجيء عقب غيرها، فيؤذن هذا اللفظ بتبدل حال إلى ما هو خير، فلذلك لا تطلق إلا على العاقبة المحمودة. (5)

---

1. البرهان في توجيه متشابه القرآن 195/1
2. سورة القصص، الآية:37
3. سورة سبأ ، الآية:24
4. سورة القصص، الآية:37
5. التحرير والتنوير 120/20

وشبيه بهذا قوله تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام:117] (1) ، وفى سورة النجم: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ [النجم:30] (2) بزيادة الباء فى (من) من قوله:(ضل عن سبيله)

وكذا فى سورة القلم في قوله تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القلم:7] (3) بخلاف الأخريين.

فالفعل:(ضلّ) ففى هذا سؤالان:

أحدهما: زيادة الباء فى آيتي النجم والقلم وسقوطها فى الأنعام .

والثانى: ورود الماضي في آيتي النجم والقلم وورود المضارع فى آية الأنعام.

والجواب عن الأول أن سقوط (الباء) الداخلة على (من) فى آية الأنعام إنما ذلك والله أعلم لاستثقال زيادتها مع الزيادة اللازمة للمضارع مع التقارب إيثارا للإيجاز.

أما آيتا النجم والقلم فلا زيادة فى الفعل لكونه ماضيا فزيد (باء) التأكيد الداخلة على (من) ويشهد لهذا اطراد زيادتها فى الآيتين لورود الماضي فيهما بخلاف آية الأنعام.

والجواب عن الثانى: أن آية الأنعام قد اكتنفها من غير الماضي من الأفعال والإعلام بما يكون قطعيا أو يتوقع فى المآل ما يقتضى المناسبة فى النظم ولو ورد غير الماضي هنا لما ناسب ولاءم.(4)

أما آية النجم فمبنية على مطلع السورة فى قوله تعالى:﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم:2] (5) فقال تعالى مشيرا إلى حالهم:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [النجم:30] (6) فبرأ نبيه ﷺ مما نسبوا إليه وأثبت ذلك بكناية وتعريض أوقع فى نفوسهم من الإفصاح بتعيينهم.

---

1. سورة الأنعام ، الآية:117
2. سورة النجم، الآية:30
3. سورة القلم، الآية:7
4. ملاك التأويل 169/1
5. سورة النجم، الآية:2
6. سورة النجم، الآية:30

وأما آية القلم فإنه لما تقدم فيها قوله تعالى:﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم:2] وقوله تعالى: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (1) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم:6] (1) تهديدا لهم وتعريفا بكذبهم فى قولهم حين نسبوه إلى الجنون أعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [القلم:8] (2) فسجلت هذه الكناية بضلالهم وكذبهم وتناسب هذا كله أوضح تناسب.(3)

وعليه ـ والله أعلم ـ فحذف (الباء) من الفعل المضارع الذي هو(يضل) أنسب لاستثقال زيادتها مع الزيادة اللازمة للمضارع مع التقارب وإيثارا للإيجاز، بخلاف سورتي النجم والقلم التي تبين لنا مكانة الرسول صلى الله عليه وسلّم بأنّه مرسل من ربه وهو على الحق ومناوئوه على الضلالة فناسبت الآية دخول الباء لأنّ الله هو أعلم بمن ضلّ عن السبيل لا غيره.

---

1. سورة القلم، الآية:6
2. سورة القلم، الآية:8
3. ملاك التأويل القاطع 169/1

الباء بين الإثبات والحذف لدلالة بلاغية

إنّ حرف الباء له دوره الأساسي في إجلاء بعض المعاني،وإعطائها صبغة جديدة تتمثّل في التوكيد،والمبالغة في الوصيّة والاعتناء بهذه الأمة المباركة التي يجب أن تكون كالجسد الواحد،حيث نرى ذلك جليا في بعض الآيات من كتاب الله عزّ وجلّ ؛ التي تحرص على أواصر القرابة بين المسلمين وذلك في قوله تعالى:﴿ وَبِذِي الْقُرْبَى ﴾ [النساء:36] (1) بإثبات (الباء) في سورة النساء.في لفظ (بذي) وفى البقرة: ﴿ وَذِي الْقُرْبَى﴾ [البقرة:83] (2) بغير (باء) في لفظ (ذي) ولمعرفة السر في ذلك والله أعلم أنّ " آية البقرة حكاية عما مضى من أخذ ميثاق بني إسرائيل، وآية النساء من أوله إلى هنا في ذكر الأقارب وأحكامهم في المواريث والوصايا والصلات، وهو مطلوب، فناسب التوكيد بالباء.(3)

ويضيف صاحب البحر في إعادة تكرار الباء فقال:"إلا أن هنا وبذي، وهناك وذي، وإعادة الباء تدل على التوكيد والمبالغة، فبولغ في هذه الآية؛ لأنها في حق هذه الأمة، ولم يبالغ في حق تلك؛ لأنها في حق بني إسرائيل. والاعتناء بهذه الأمة أكثر من الاعتناء بغيرها، إذ هي خير أمة أخرجت للناس. (4)

وعليه فإعادة الباء يحمل معنى خاصا لمكانة هذه الأمة،وتدل على زيادة في التأكيد فناسب ذلك هنا بخلاف آية البقرة فإنها في حق بني إسرائيل.

والمتتبع لآي الذكر الحكيم يرى أنّ حرف الجر الباء ذكرت مع (بالوالدين) وحذفت مع كلمة (ذي القربى)

فقد ذكرت الباء مع الوالدين ومع ذي القربى. وذلك؛ لأن السياق في سورة النساء والكلام عن القرابات من أول السورة إلى آخرها وليس فقط في الآية التي بين أيدينا.

إذن ذكر (الباء) مع ذي القربى في هذه الآية من سورة النساء كان لمراعاة التفضيل والتوكيد.

1.سورة النساء، الآية:36

2. سورة البقرة، الآية:83

3. كشف المعاني في المتشابه من المثاني 137/1

4. البحر المحيط 631/3

أما في آية سورة البقرة فليس السياق في القرابات فحذفت الباء في (ذي القربى) مراعاة للإيجاز. (1)

ولما كان مبنى السورة على الصلة لا سيما لذي الرحم، قال مفصلاً لما ذكر أول السورة تأكيداً له: (وبذي القربى) لتأكد حقهم بمزيد قربهم، ولاقتضاء هذه السورة مزيد الحث على التعاطف أعاد الجار، ثم أتبع ذلك من تجب مراعاته لله، أو لمعنى تفسد بالإخلال به ذات البين، وبدأ بما لله لأنه إذا صح تبعه غيره فقال:(واليتامى والمساكين) .
أي:وإن لم تكن رحمهم معروفة، وخصهم لضعفهم وقدم اليتيم لأنه أضعف، لأنه لصغره يضعف عن دفع حاجته ورفعها إلى غيره (والجار القربى) أي: لأن له حقين (2)
ولنترك أحد علماء العصر الحديث يبيّن النكتة في إعادة حرف الجر (الباء) فقال:" فأعيد الجار هنا ولم يعد هناك، قال بعض المفسرين: النكتة في ذلك أن الوصية بذي القربى مؤكدة في هذه الأمة زيادة عن تأكيدها في بني إسرائيل؛ لأن إعادة الجار للتأكيد، وعندي أنه يمكن أن تكون إعادة الجار لإفادة التنويع، فإن الإحسان بالوالدين غير الإحسان بالأقربين، إذ يجب للوالدين من الرعاية والتكريم والخضوع ما لا يجب لغيرهما، ومتى ارتقت الشرائع بارتقاء الأمة حسن فيها مثل هذا التحديد والتدقيق في الحدود والواجبات لاستعداد الأمة لها. (3)
وأكّد ذلك بإعادة حرف الجرّ بعد العاطف.

ومن أجل ذلك لم تؤكّد بالباء في حكاية وصية بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ....إلى: وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [البقرة:83] (4) .حيث ذكرت الباء مع (بالوالدين) وحذفت مع كلمة (ذي القربى).

1.لمسات بيانية
2.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 27/5
3. تفسير المنار 74/5
4.سورة البقرة، الآية:83

أما في سورة النساء﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:36] (1) ؛ لأنّ الإسلام أكّد على أواصر القرابة أكثر من غيره .

وفي الأمر بالإحسان إلى الأقارب تنبيه على أنّ من سفالة الأخلاق أن يستخفّ أحد بالقريب لأنّه قريبه ، وآمِن من غوائله ، ويصرف برّه وودّه إلى الأباعد ليستكفي شرّهم ، أو ليُذكر في القبائل بالذكر الحسن ، فإنّ النفس التي يطوّعها الشرّ ، وتَدينها الشدّة ، لنفس لَئيمة ، وكما ورد (شرّ الناس من اتّقاه الناس لشرّه)* (2) فكذلك نقول:(شرّ الناس من عَظَّم أحداً لشرّه) (3).

1.سورة النساء ، الآية:36

2. ينظر:موطأ مالك 1328/5 وجامع معمر بن راشد 141/11

3. التحرير والتنوير50/5

* جاء الحديث بصيغ متقاربة وهي:«إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة رجل اتقاه الناس لشره - أو قال: لفحشه» ينظر: جامع معمر بن راشد 141/11
وفي موطأ مالك 1328/5 «إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره» .

ومنه قوله تعالى:﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء:139] (1) ذكر الباء مع (أنّ) بخلاف قوله تعالى:﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة:25] (2)

ذكر الباء في الآية الأولى (بِأَنَّ) وحذفها في الثانية (أَنَّ) مع أن التقدير هو (بِأَنَّ) لماذا؟
لأن تبشير المنافقين آكد من تبشير المؤمنين ، ففي السورة الأولى أكّد وفصّل في عذاب المنافقين في عشرة آيات من قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:136] (3)
أما في الآية الثانية فهي الآية الوحيدة التي ذكر فيها كلاما عن الجزاء وصفات المؤمنين في كل سورة البقرة. إذن (بِأَنَّ) أكثر من (أَنَّ) فالباء الزائدة تناسب الزيادة في ذكر المنافقين وجزاؤهم.
وقال تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[الأحزاب:47] (4) ؛ لأنه تعالى فصّل في السورة جزاء المؤمنين وصفاتهم. (5)

1.سورة النساء، الآية:139
2.سورة البقرة، الآية:25
3.سورة النساء، الآية:136
4.سورة الأحزاب، الآية:47
5.لمسات بيانية فاضل السامرائي محاضرة صوتية

الباء بين الحذف والإثبات في بالزبر وبالكتاب

وفي قوله تعالى:﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران:184] (1)

حذف الباء مع كلمة (الزبر) وكلمة (الكتاب) أما في سورة فاطر﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [فاطر:25] (2)

ذكر الباء مع كلمتي الزبر والكتاب.

المقام في سورة فاطر مقام التوكيد والتفصيل بخلاف ما ورد في سورة آل عمران، والكلام في سورة فاطر للتوكيد والتفصيل في مقام الإنذار والدعوة والتبليغ.﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر:18] (3) إلى قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (23) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:24] (4)

فالسياق إذن في الإنذار والدعوة والتبليغ ويستمر السياق في الكلام عن الذين يستجيبون والذين لا يستجيبون وأن هذه الكتب التي ذكرت في الآية هي كتب الإنذار (الزبر، الكتاب المبين، البينات) .

أما في سورة آل عمران فالآية تعقيب على محادثة تاريخية معينة ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران:183] (5)

فالمقام هنا مقام حادثة معينة وليس في سياق الآيات فاختلف الأمر هنا ولهذا حذفت الباء لأنه مناسب للإيجاز.

1.سورة آل عمران ،الآية:184
2.سورة فاطر، الآية:25
3.سورة فاطر، الآية:18
4.سورة فاطر، الآية:24
5.سورة آل عمران ، الآية:183

فسورة فاطر فيها مقام التوكيد ومقام التفصيل:مقام التوكيد في سورة فاطر:﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [فاطر:25] (1) وجاء بصيغة الفعل المضارع في (يكذبوك) للدلالة على الاستمرارية ،وفيه التصديق والتكذيب مستمران (هو فعل شرط مضارع) أما في سورة آل عمران فقد جاء الفعل ماضيا في قوله تعالى:﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران:184] (2) وهذه قاعدة في القرآن إذا كان فعل الشرط مضارعا دل على استمرارية الحدث وإذا كان فعل الشرط ماضيا فهو يدل على الحدوث مرة واحدة.

وذكر تاء التأنيث في سورة فاطر:﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [فاطر:25] (3) يفيد التوكيد أيضا أما في سورة آل عمران فجاءت الآية والتذكير يدل على الكثرة كما في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ [يوسف:30] (4) فعل يدل على القلة بصيغة التذكير. وكذلك قول الله تبارك وتعالى:﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ [الحجرات:14] (5)، دلالة على الكثرة فجاء الفعل مؤنثا بتاء التأنيث. وعليه ففي سورة فاطر الآية (جاءتهم رسلهم) تدل على كثرة الرسل في سورة فاطر أما في سورة آل عمران فالتذكير يفيد أن الحادثة وقعت مرة واحدة.

مقام التخصيص في سورة فاطر: في سورة آل عمران الفعل مبني للمجهول (كذب رسل) في حين في سورة فاطر ذكر الفاعل (كذب الذين من قبلهم) وقال تعالى في سورة فاطر (جاءتهم رسلهم) بذكر الفاعل الظاهر أما في سورة آل عمران فقال تعالى (جاءوا) بدون ذكر الفاعل الظاهر.

1.سورة فاطر، الآية:25
2.سورة آل عمران ، الآية:184
3.سورة فاطر، الآية:25
4.سورة يوسف ، الآية:30
5.سورة الحجر ، الآية:14

إذن ذكر الباء مع كل معطوف في سورة فاطر وحذف الباء مع المعطوف في سورة آل عمران وكل ما سبق ذكره في سورة فاطر وآل عمران يقتضي ذكر الباء في آية سورة فاطر وحذفها في آية سورة آل عمران.(1)

وفي قوله تعالى:﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران:184] (2) ههنا بباء واحدة إلا في قراءة ابن عامر وفي فاطر ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [فاطر:25] (3) بثلاثة باءات؛ لأنه في هذه السورة وقع في كلام مبني على الاختصار وهو إقامة لفظ الماضي في الشرط مقام لفظ المستقبل، ولفظ الماضي أخف. وبني الفعل للمجهول فلا يحتاج إلى ذكر الفاعل وهو قوله تعالى:﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [آل عمران:184] (4) لذلك حذفت الباءات ليوافق الأول في الاختصار بخلاف ما في فاطر فإن الشرط فيه بلفظ المستقبل والفاعل مذكور مع الفعل وهو قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [فاطر:25] (5) ثم ذكر بعدها الباءات ليكون كله على نسق واحد. (6)

في الآية سؤال: وهو أن يقال: لم زاد في سورة فاطر "الباء"، فقال:(وبالزبر وبالكتاب)، وحذفها في هذه السورة؟

الجواب: لأن ما في سورة آل عمران وقع في كلام بني على الاختصار مع وضوح المعنى ، وأول الآية، (فإن كذبوك).

والأصل يكذبوك، فوضع الماضي - وهو أخف - موضع المستقبل - وهو أثقل – وبني الفعل للمجهول، ولم يسم فاعله - مع العلم به - تخفيفا، كذلك جعل آخر الكلام كأوله في الاختصار، مع وضوح المعنى.

وهذا الحرف في مصاحف أهل الحجاز والعراق:(والزبرِ) بغير(باء)، وهو في مصاحف

---

1. لمسات بيانية محاضرة
2.سورة آل عمران ، الآية:184
3.سورة فاطر، الآية:25
4.سورة آل عمران ،الآية:184
5.سورة فاطر،الآية:25
6. البرهان في توجيه متشابه القرآن94/1

أهل الشام:(وبالزُّبُرِ) بالباء، مثل الذي في"سورة فاطر. (1)
وقرأ الجمهور والزبر بعطف الزبر بدون إعادة باء الجر.
وقرأه ابن عامر: وبالزبر- بإعادة باء الجر بعد واو العطف- وكذلك هو مرسوم في المصحف الشامي.
وقرأ الجمهور: والكتاب- بدون إعادة باء الجر.
وقرأه هشام عن ابن عامر- وبالكتاب- بإعادة باء الجر- وهذا انفرد به هشام.
وقد قيل: إنه كتب كذلك في بعض مصاحف الشام العتيقة، وليست في المصحف الإمام.
ويوشك أن تكون هذه الرواية لهشام عن ابن عامر شاذة في هذه الآية، وأن المصاحف التي كتبت بإثبات الباء في قوله:و(بالكتاب) [فاطر:25] كانت مملاة من حفاظ هذه الرواية الشاذة.
وقد خولف أيضا في هذه الآية أسلوب آية آل عمران إذ قرن كل من (الزبر والكتاب المنير) هنا بالباء، وجردا منها في آية آل عمران وذلك لأن آية آل عمران جرت في
سياق زعم اليهود أن لا تقبل معجزة رسول إلا معجزة قربان تأكله النار، فقيل في التفرد ببهتانهم: قد كذبت الرسل الذين جاء الواحد منهم بأصناف المعجزات مثل عيسى عليه السلام ومن معجزاتهم قرابين تأكلها النار فكذبتموهم، فترك إعادة الباء هنالك إشارة إلى أن الرسل جاءوا بالأنواع الثلاثة.
ولما كان المقام هنا لتسلية الرسول ﷺ ناسب أن يذكر ابتلاء الرسل بتكذيب أممهم على اختلاف أحوال الرسل فمنهم الذين أتوا بآيات، أي خوارق عادات فقط مثل صالح وهود ولوط، ومنهم من أتوا بالزبر وهي المواعظ التي يؤمر بكتابتها وزبرها، أي تخطيطها لتكون محفوظة وتردد على الألسن كزبور داود وكتب أصحاب الكتب من أنبياء بني إسرائيل مثل أرمياء وإيلياء، ومنهم من جاءوا بالكتاب المنير، يعني كتاب الشرائع مثل إبراهيم وموسى وعيسى.(2)
فذكر الباء مشير إلى توزيع أصناف المعجزات على أصناف الرسل.

1.غرائب التفسير وعجائب التأويل 275/1
2.التحرير والتنوير298/22

زيادة الباء في الفعل تلقوا

ومن بين المواطن التي تزاد فيها الباء لدلالة بلاغية قوله تعالى: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:195] (1)
فإن قال قائل: فما وجه إدخال الباء في قوله:(ولا تلقوا بأيديكم)، وقد علمت أن المعروف من كلام العرب:"ألقيت إلى فلان درهما"، دون"ألقيت إلى فلان بدرهم"؟
قيل: قد قيل إنها زيدت نحو زيادة القائل"الباء" في قوله:"جذبت بالثوب، وجذبت الثوب،وتعلقت به وتعلقته"،﴿و تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون:20] (2) وإنما هو: تنبت الدهن.

وقال آخرون:"الباء" في قوله: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة:195] (3) " أصل للكنية*؛ لأن كل فعل واقع كني عنه فهو مضطر إليها، نحو قولك في رجل"كلمته" فأردت الكناية عن فعله، فإذا أردت ذلك قلت:"فعلت به" قالوا: فلما كان"الباء" هي الأصل، جاز إدخال"الباء" وإخراجها في كل"فعل" سبيله سبيل كنيته (4) .
* * *
وأما"التهلكة" فإنها"التفعلة" من"الهلاك".

1. سورة البقرة، الآية:195
2. سورة المؤمنون، الآية:20
3. سورة البقرة، الآية:195
4. تفسير الطبري 594/3

* أراد الطبري بالكناية عن الفعل: أن تستبدل به لفظ"فعل". و"الفعل": كناية عن كل عمل. تقول: "ضربت الرجل" ثم تريد الكناية عن الفعل فتقول: "فعلت به"، وهذا الذي تقوله هو"الكنية".
ينظر: تفسير الطبري 594/3

وسبب نزول هذه الآية المباركة ما روى في الأحاديث الصحيحة، أنّ رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس: ألقى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب الأنصاري: نحن أعلم بهذه الآية، وإنما أنزلت فينا، صحبنا رسول الله ﷺ فنصرناه، وشهدنا معه المشاهد، وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا، فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها، رجعنا إلى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها، فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد.(1)
فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية، فتوفي هناك ودفن في أصل سور القسطنطينية، وهم يستسقون به.(2)

والزمخشري ـ رحمه الله ـ من أنصار زيادة الباء في هذه الآية المباركة، فقال:"الباء في بأيديكم مزيدة مثلها في أعطى بيده للمنقاد.
والمعنى: ولا تقبضوا التهلكة أيديكم، أي: لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم.
وقيل: (بأيديكم) بأنفسكم.
وقيل تقديره:
ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم، كما يقال: أهلك فلان نفسه بيده، إذا تسبب لهلاكها.
والمعنى:
النهى عن ترك الإنفاق في سبيل الله ؛لأنه سبب الهلاك، أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله. أو عن الاستقتال والإخطار بالنفس، أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو، ولا تقربوا مما يهلككم؛ لأن من ألقى يده إلى الشيء فقد قرب منه.(3)

---

1. سنن أبي داود 12/3
2. تفسير البغوي 240/1
3. ينظر: الكشاف 237/1

وعن أبى عبيدة، التهلكة والهلاك والهلك واحد. قال: فدل هذا من قول أبى عبيدة على أن التهلكة مصدر.

وفرق بعضهم بين التهلكة والهلاك بأن الأول : ما يمكن التحرز عنه.

والثاني: ما لا يمكن.

وقيل:الهلاك مصدر والتهلكة نفس الشيء المهلك ، وكلا القولين خلاف المشهور.

ويجوز أن يقال: أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما، على أنها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة، كما جاء الجوار في الجوار.(1)

والتهلكة (بضم اللام) مصدر من هلك يهلك هلاكا وهلكا وتهلكة، أي: لا تأخذوا فيما يهلككم، قاله الزجاج وغيره. أي: إن لم تنفقوا عصيتم الله وهلكتم.

والمعنى: ولا تعطوا الهلاك أيديكم فيأخذكم أخذ الموثَق.

وجعل التهلكة كالآخذ والآسر استعارة بجامع الإحاطة بالملقى.

ويجوز أن تُجعل اليد مع هذا مجازا عن الذات بعلاقة البعضية؛ لأن اليد أَهم شيء في النفس في هذا المعنى.

يقال لكل من أخذ في عمل: قد ألقى يديه إليه وفيه.

وهذا مبالغة في الزجر، وتأكيد في النهي، وكأنّ المعنى: لا تقربوا من ترك الإنفاق في سبيل الله، أي: لا تمسكوا ولا تبخلوا، وهذا نهي عن ترك النفقة في الجهاد.

وقيل: هذا ضرب مثل، تقول: فلان ألقى بيده في أمر كذا إذا استسلم؛ لأن المستسلم في القتال يلقي سلاحه بيديه، فكذلك فعل كل عاجز في أي فعل كان، ومنه قول عبد المطلب : (والله إن إلقاءنا بأيدينا للموت لعجز) (2)

وعليه فالباء في(بأيديكم) زائدة.

والتقدير: تلقوا أيديكم، ونظيره:﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق:14] (3)

---

1. الكشاف 237/1
2. القرطبي 363/2
3.سورة العلق، الآية:14

وقال المبرد:(بأيديكم) أي: بأنفسكم، فعبر بالبعض عن الكل، كقوله تعالى:﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:30] (1) ، و﴿ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج:10](2)
ومعنى الهلاك: الضياع، وهو مصير الشيء بحيث لا يدري أين هو.
وقيل: إن معنى الآية لا تمسكوا أموالكم فيرثها منكم غيركم، فتهلكوا بحرمان منفعة أموالكم.
وقيل: ولا تمسكوا فيذهب عنكم الخلف في الدنيا والثواب في الآخرة.(3)
والإلقاء حقيقته رمي ما في اليد على الأرض. واستعير لإيقاع الشيء بدون تدبر في موقعه، أي تصرفون إليهم مودتكم بغير تأمل، قال تعالى:﴿ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل:86] (4)

والإلقاء: رمي الشيء من اليد وهو يتعدى إلى مفعول واحد بنفسه، وإلى المرمى إليه بـ(إلى)، وإلى المرمى فيه بـ(في)، وعدي بـ(إلى) لتضمين معنى: الإفضاء والانتهاء.
والفعل ألقى يتعدى بنفسه، كما قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ﴾ [الشعراء:45] (5)

وقال قوم:
التقدير: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم .
وذكر الأيدي إشعار بالاختيار.
وحذف المفعول أي: لا تجعلوا التهلكة آخذة بأيديكم.
والمراد بالأيد : الأنفس ، من باب ذكر الجزء وإرادة الكل ؛ لأن أكثر ظهور أفعال النفس تكون عن طريق اليد .

1.سورة الشورى، الآية:30
2.سورة الحج، الآية:10
3. تفسير القرطبي 363/2
4.سورة النحل، الآية:86
5.سورة الشعراء، الآية:45

وقال الشاعر: لبيد: *

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلاَمُهَا (1)

يعني: الشمس إذا بدأت في المغيب.

وألقى يتعدى بنفسه، كما في البيت.

---

1. جمهرة أشعار العرب 237/1

*لبيد (ت41 هـ /661 م)

لبيد بن ربيعة :أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية،أدرك الإسلام، ووفد على النبي صلّى الله عليه وآله ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم.

ترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتا واحدا.

قيل: هو:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

سكن الكوفة، وعاش عمرا طويلا، وهو أحد أصحاب المعلقات.

ومطلع معلقته:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

كان كريما: نذر أن لا تهب الصبا إلا نحر وأطعم.

ينظر: الأعلام للزركلي 240/5

الشرح: الكافر: الليل لأنه يستر كل شيء.

الثغر: موضع المخافة والجمع الثغور، وعورته أشده مخافة.

وأجن: ستر.

يقول: حتى إذا ألقت الشمس يدها في الليل أي: ابتدأت في الغروب، وعبر عن هذا المعنى بإلقاء اليد؛ لأن من ابتدأ بالشيء قبل ألقى يده فيه، وستر الظلام مواضع المخافة.

والمعنى: حتى إذا غربت الشمس وأظلم ليلها.

الشاهد: الفعل (ألقى) تعدى بنفسه في البيت

ينظر: شرح المعلقات التسع 295/1 ، والبحر المحيط في التفسير252/2

وجاء مستعملا بالباء ، ومنه قول الشاعر:
وَأَلْقَى بِكَفَّيْهِ الْفَتِيُّ اسْتِكَانَةً مِنَ الْجُوعِ وَهْنًا مَا يُمِرُّ وَمَا يُحْلِي (1)
وإذا كان ألقى على هذين الاستعمالين، فقال أبو عبيدة وقوم: الباء زائدة.

1.ينظر: البحر المحيط في التفسير 252/2
*عن الأَصمعي عن يونس قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، والله لقد أمسينا ومالنا بعير يئط ولا صبي يصطبح، ثم أَنشَدَه:

أتيناك والعذراء يدمي لبانها وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه الفتى لاستكانة من الجوع ضعفاً ما يمر ولا يحلى
ولا وزر إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا الرسـل

وفي الحماسة المغربية كالتالي:

وأنت لدنيانا وأنت لديننا تؤمل للدنيا وللموقف الفصل
لنا منك في يوم الحساب شفاعة تفرج عنا والشفاعة في الأهل
وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام النبي صلى الله عليه يجر رداءه، حتى صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: اللهم اسقنا غيثا مغيثا، مريئا غدقا طبقا، عجلا غير رائث، نافعا غير ضائر، تنبت به الزرع، وتملأ به الضرع ، وتحيي به الأرض بعد موتها. فو الله ما رد يده إلى نحره حتى ألقت السماء بأورامها ،وجاء أهل البطاح يصيحون، يا رسول الله، الغرق الغرق، فرفع يده إلى السماء، فقال: اللهم حوالينا ولا علينا، فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: لله أبو طالب، لو كان حيا قرت عيناه، من ينشدنا قوله؟ فقام علي - رضوان الله عليه - فقال: يا رسول الله، كأنك أردت:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نترك أحمدا ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن آبائنا والحلائل

الشرح:أي يدمى صدرها لامتهانها نفسها في الخدمة حيث لا تجد ما تعطيه من يخدمها من الجدب وشدة الزمان.
ينظر: أمالي ابن دريد 99/1 والحماسة المغربية 112/1 والتمهيد لما في الموطأ من المعاني64/22

والمتتبع لألفاظ للقرآن الكريم يجد آيات كثيرة قد دخل عليها حرف الجر الذي هو (الباء) وبعد الفحص تجد أنّ حرف الباء الذي يسمى عند النحاة بحرف الجرّ الزائد لم يأت اعتباطا بل لدلالة بلاغية يفقهها أصحاب البلاغة ،وأصحاب معاني النحو.

وشبيه بهذا قول الله تعالى:﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ [ق:28] (1)

أي: لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي فما تركت لكم حجة عليّ.

و(الباء): في بالوعيد مزيدة.

أو معدية على أن الفعل قدّم مطاوع بمعنى تقدم.

ومن هذا الباب قول الله تعالى: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة:1] (2)

والباء في (بالمودة) لتأكيد اتصال الفعل بمفعوله.وإما زائدة مؤكدة للتعدي.

فحذف المفعول للاختصار

وأما (تلقون إليهم بالمودة) فمعناه: تلقون إليهم النصيحة بالمودة

وقال ابن النحاس: معناه تخبرونهم بما يخبر به الرجل أهل مودته

وقال السهيلي: ضمن (تلقون): معنى ترمون من الرمي بالشيء يقال ألقى زيد إلي بكذا أي رمى به وفي الآية إنما هو إلقاء بكتاب أو برسالة فعبر عنه بالمودة؛ لأنه من أفعال أهل المودة فلهذا جيء بالباء.(3)

وأصل الكلام: تلقون إليهم المودة، كقوله تعالى:﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:195] (4) وقوله:﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ [المائدة:6] (5) وذلك تصوير لقوة مودتهم لهم.

---

1. سورة ق، الآية:28
2.سورة الممتحنة، الآية:1
3.البرهان في علوم القرآن 253/4
4.سورة البقرة، الآية:195
5.سورة المائدة، الآية:6

وزيد في تصوير هذه الحالة بجملة الحال التي بعدها وهي:﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة:1] (1) وهي حال من ضمير إليهم أو من عدوي.
وإما ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف.
ويرى الفراء أنّ "دخول الباء في: المودة، وسقوطها سواء، هذا بمنزلة قولك: أظن أنك قائم، وأظن (بأنك) قائم، وأريد بأن تذهب، وأريد بأن تقوم.
أنشدني أبو الجراح:
فَلَمَّا رَجَتْ بالشُّرْبِ هَزَّ لَها العَصَا شَحَيحٌ لهُ عِنْدَ الأدَاءِ نَهِيمُ (2)
وقال أمية بن أبي الصلت *
إذ يسفون بالدقيق وكانوا قبل لا يأكلون شيئا فطيرا (3)
نلاحظ في هذا البيت أنّ حرف الجار(الباء) في بالدقيق زائدة.
والظاهر أن الأيدي هي المفعول إذ لم يذكر غيره.
وأن الباء زائدة لتوكيد اتصال الفِعل بالمفعول كما قالوا للمنقاد "أَعطى بيده". أي أعطى يده لأن المستسلم في الحرب ونحوه يُشَد بيده ، فزيادة الباء كزيادتها في ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم:25] (4)

هذه بعض المعاني المنتقاة من الفعل (ألقى) التي تعرّض لها النحاة في من يرى أنّ الباء زائدة في الفعل (ألقى) وبين من يرى أنّ الباء على أصلها في بعض لغات العرب كقولهم: أريد بأن تذهب و أريد أن تذهب سواء.

1.سورة الممتحنة، الآية:1
2. معاني القرآن للفراء147/3
3. تأويل مشكل القرآن 157/1
4.سورة مريم، الآية:25

باء بإلحاد

وفي قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج:25] (1)
والإلحاد: الميل.
قال الراغب ألحد فلان مال عن الحق، لحد بلسانه إلى كذا: مال. (2)
والإلحاد ضربان : إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب.
فالأول: ينافى الإيمان ويبطله.
والثاني: يوهن عراه ولا يبطله،ومن هذا النحو الآية
والإلحاد: العدول عن القصد، وأصله إلحاد الحافر.(3)
والإلحاد :
أحدها: أنه الشرك، يعني من لجأ إلى حرم الله ليشرك به عذبه الله تعالى، وهو إحدى الروايات عن ابن عباس.
والثاني:
وهو قول المحققين: أن الإلحاد بظلم عام في كل المعاصي؛لأن كل ذلك صغر أم كبر يكون هناك أعظم منه في سائر البقاع حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه: لو أن رجلا بعدن هم بأن يعمل سيئة عند البيت أذاقه الله عذابا أليما.
وقال مجاهد: تضاعف السيئات فيه كما تضاعف الحسنات..
وقيل:
الإلحاد: الانحراف عن الاستقامة وسواء الأمور، والظلم يطلق على الإشراك وعلى المعاصي ؛ لأنّها ظلم النفس.(4)

1.سورة الحج، الآية:25
2.المفردات في غريب القرآن 737/1
3.الكشاف 151/3
4.التحرير والتنوير236/17

والمعنى:
ومن يرد إيقاع إلحاد فيه، فالإضافة صحيحة على الاتساع في الظرف كمكر الليل والنهار، ومعناه: ومن يرد أن يلحد فيه ظالما.
ومفعول: يرد:
متروك ليتناول كل متناول، كأنه قال: ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما.
(نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ) يعنى: أنّ الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهمّ به ويقصده.(1)
و(الباء) في بظلم للملابسة.

وللطبري تخريج يستحق التنويه في سبب دخول (الباء) في قول الله تعالى: (بإلحاد بظلم)
فقال: وأما بعض نحويي الكوفيين فإنه كان يقول: أدخلت (الباء) فيه؛ لأن تأويله: ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم.
والمعنى فيه ما قلت: كما أدخلت في قوله:﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون:20] (2)
والمعنى: تنبت الدهن، كما قال الشاعر*:
بِوَادِ يَمَانٍ ينبت الشَّثَّ صَدْرُهُ وأسْفَلُهُ بالمَرْخِ والشَّبَهانِ
والمعنى: وأسفله ينبت المرخ والشبهان.(3)

ومثله: "زوجتك بفلانة" يريدون: "زوجتكها" ويجوز أن يكون على معنى "هزي رطبا بجذع النخلة. (4)

---

1. الكشاف 151/3
2. سورة المؤمنون ، الآية:20
3. تفسير الطبري179/18
4. معاني القرآن للأخفش438/2

قال الشاعر*:

بِوَادِ يَمَانٍ ينبت الشَّثَّ صَدْرُهُ وأسْفَلُهُ بالمَرْخِ والشَّبَهانِ (1)

1.تفسير الطبري179/18

* يعلى الأحول (90 هـ/710 م)

يعلى بن مسلم بن أبي قيس اليشكري الأزدي، الأحول: شاعر أموي. اشتهر بقصيدة قالها في مكة أولها:

ألا ليت حاجاتي اللواتي حبسنني لدى نافع، قضين منذ زمان

وما بي بغض للبلاد ولا قلى ولكن شوقا في سواه دعاني

وفد على " نافع بن علقمة الكناني " وهو على مكة، لعبد الملك بن مروان، وطالت إقامته، فنظم القصيدة يحن إلى دياره. وفي الأغاني وخزانة البغدادي أنه: كان فاتكا خليعا، من لصوص البادية، يجمع صعاليك الأزد ويغير بهم على أحياء العرب، فشكاه الناس إلى نافع بن علقمة " الفقيمي " فقبض عليه وقيده، فقال قصيدته وهو سجين.

ينظر: الأعلام للزركلي204/8

المفردات:

المرخ: شجر كثير الورى سريعه.

الشث: الكثير من كل شيء.والشث: ضرب من الشجر، كذا حكاه ابن دريد.

وقيل: الشث: شجر طيب الريح، مر الطعم، يدبغ به. قال أبو الدقيش: وينبت في جبال الغور وتهامة ونجد.

قال الشاعر يصف نساء.

فمنهن مثل الشث تعجبك ريحه وفي غيبه سوء المذاقة والطعم

والشبهان: نبت يشبه الثمام، ويقال له الشبهان. قال ابن سيده: والشبهان (بالتحريك) والشبهان (بضمتين) : ضرب من العضاه؛ وقيل: هو الثمام، يمانية، حكاها ابن دريد.

وفي الصحاح: الشبهان: هو الثمام من الرياحين.

وإن شئت قدرته: وينبت أسفله بالمرخ، فتكون الباء للتعدية. لما قدرت الفعل ثلاثيا.

والهز: تحريك الشيء، كما تهز القناة، فتضطرب وتهز. وهزه يهزه هزا وهز به، وفي التنزيل العزيز:(وهزي إليك بجذع النخلة) أي حركي.

والعرب تقول: هزه وهز به إذا حركه. ومثله: خذ الخطام، وخذ بالخطام، وتعلق زيدا وتعلق بزيد.

تابع:
بِوَادِ يَمَانٍ ينبت الشَّثَّ صَدْرُهُ وأسْفَلُهُ بالمَرْخِ والشَّبَهانِ
وكما قال أعشى بني ثعلبة*
ضَمِنَتْ بِرزْقِ عِيالِنا أرْماحُنا بينَ المَرَاجِلِ والصَّرِيحِ الأجْرَد
و(الباء) في بإلحاد زائدة للتوكيد مثلها في قوله تعالى:﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾
[المائدة:6] (1) أي: من يرد إلحادا وبعدا عن الحق والاستقامة وذلك صدهم عن زيارته.
وكان يقول: دخول الباء في (أنْ) أسهل منه في (إلحاد) وما أشبهه؛ لأن أن تضمر الخوافض معها كثيرا، وتكون كالشرط، فاحتملت دخول الخافض وخروجه؛ لأن الإعراب لا يتبين فيها، وقال في المصادر: يتبين الرفع والخفض فيها. (2)

1.سورة المائدة، الآية:6
2.تفسير الطبري 599/18
قال ابن سيده: وإنما عداه بالباء؛ لأن في هزي معنى جري: (أمر من الجر).
وهذا البيت من قصيدة ليعلى الأحول مطلعها في رواية أبي عمرو الشيباني:
أويحكما يا واشيي أم معمر بمن وإلى من جئتما تشيان
بمن لو أراه عانيا لفديته ومن لو رآني عانيا لفداني
أرقت لبرق دونه شدوان يمان وأهوى البرق كل يمان
فبت لدى البيت الحرام أشيمه ومطواي من شوق له أرقان
إلى أن قال بعد أربعة أبيات:
ألا ليت حاجات اللواتي حبستني لدى نافع قضين منذ زمان
وما بي بغض للبلاد ولا قلى ولكن شوقا في سواه دعاني
والبيت شاهد على أن الباء في قوله " بالمرخ " زائدة، دخولها كخروجها وهي مثل الباء في قوله تعالى:(وهزي إليك بجذع النخلة) .
وتقديره: وينبت أسفله المرخ.
والباء زائدة.
ينظر: الطبري 179/18 وأدب الكتاب1/ 522 والمحكم 611/7 وخزانة الأدب 275/5

قال أعشى بني ثعلبة*

ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيالِنا أرْماحُنا بينَ المَرَاجِلِ والصَّرِيحِ الأجْرَد (1)

1.تفسير الطبري 599/18

هذا البيت ينسب لأعشى بني قيس بن ثعلبة، ولم يوجد في ديوانه قصيدة دالية مكسورة من بحر الكامل ، ووجد البيت في دالية منصوبة باختلاف في رواية وهذا هو البيت مع البيتين قبله

جعل الإله طعامنا في مالنا رزقا تضمنه لنا لن ينفدا

مثل الهضاب جزارة لسيوفنا فإذا تراع فإنها لن تطردا

ضمنت لنا أعجازهن قدورنا وضروعهن لنا الصريح الأجردا

ومعنى الأبيات:

جعل الله طعامنا في الإبل، نرحلها حيث نشاء رزقا لا ينفد. وهي ضخمة كالهضاب نعقرها بسيوفنا للضيفان، لا يطردها مروع أو مغير، وقد ضمنت أعجازها لنا قدورنا أن تفرغ، لسمنها وكثرة لحمها، وضمنت ضروعها لنا اللبن خالصا صافيا.

وفي اللسان رواية أخرى للبيت، مع نسبته للأعشى (في: جرد) قال: ألبن وجرد لا رغوة قال الأعشى:

ضمنت لنا أعجازه أرماحنا ملء المراجل والصريح الأجردا

وعلى هاتين الروايتين لا شاهد في البيت؛ لأن المؤلف إنما ساقه شاهدا على زيادة (الباء) في قوله " برزق " ولا باء زائدة في هاتين الروايتين.

اللغة: ضمنت: تكفلت. العيال: حشم الرجل.

المعنى: إنهم شديدو البأس، ويغنمون في الوقائع، ويؤمنون رزق عيالهم برماحهم.

الشاهد: قوله: "ضمنت برزق" حيث وردت "ضمن" بمعنى "تكفل" فعديت(بالباء)، وأصله أن يتعدى بنفسه، فيقال: "ضمنته.

وقد جعل الباء في قوله (برزق) نظير الباء التي في الآية: ومن يرد فيه بإلحاد بظلم أي على تقدير ومن يرد فيه إلحادا بظلم.

ينظر:الطبري179/18 وأدب الكتاب522/1 والأشمونى لألفية 447/1

قال: وأنشدني أبو الجَرَّاح:
فَلَمَّا رَجَتْ بالشُّرْبِ هَزَّ لَها العَصَا شَحَيحٌ لهُ عِنْدَ الأدَاءِ نَهِيمُ (1)
قال: فأدخل الباء على أن وهي في موضع رفع كما أدخلها على إلحاد، وهو في موضع نصب، قال: وقد أدخلوا الباء على ما إذا أرادوا بها المصدر، كما قال الشاعر:

1.تفسير الطبري 599/18
هذا البيت من شواهد الفراء تلميذ الكسائي وهما زعيما نحاة أهل الكوفة وهو مما أنشده إياه أبو الجراح أحد الأعراب الذين كان يأخذ عنهم اللغة.
ينظر: معاني القرآن للفراء.
والنهيم كما في (اللسان: نهم) : صوت كأنه زحير.
وقيل صوت فوق الزئير.
والنهيم صوت وتوعد وزجر.
والضمير في لها: لعله راجع إلى الإبل التي أرادت الشرب، حتى إذا كادت تبلغ الماء، هز لها العصا، وردها عنه، رجل له صوت شديد منكر.
والشاهد في البيت أن الباء الزائدة في قوله (بالشرب) داخلة على مصدر صريح، وأن الفراء يرى أن دخولها على المصدر المؤول بأن أو بما والفعل، أحسن من دخولها على المصدر الصريح.
وقال الفراء: قوله:"ومن يرد فيه بإلحاد بظلم" دخلت الباء في الإلحاد؛ لأن تأويله: ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم، ودخول (الباء) في (أن) أسهل منه في الإلحاد، وما أشبه، لأن " (أن) تضمر الخفوض معها كثيرا (يريد حروف الخفض) فاحتملت دخول الخافض وخروجه؛ لأن الإعراب لا يتبين فيها، وقل في المصادر (أي الصريحة) لتبين الخفض والرفع فيها؛ أنشدني أبو الجراح:
فلما رجت بالشرب هز لها العصا البيت
رجل مزحور: به زحير، وقد زحر وتزحر وهو إخراج النفس بأنين، وسمعت له زفيراً وزحيراً وزفرة وزحرة. ويقال للمرأة إذا ولدت: زحرت به وتزحرت عنه. وتقول: تزحر فلان حتى تسحر، ثم قرع سنّه وتحسر.
ومن المجاز: فلان يزاحر فلاناً: يعاديه ويحبنطئ له.
ينظر: أساس البلاغة 410/1

قال امرؤ القيس:
ألا هَلْ أتاها والحَوَادِثُ جَمَّةٌ بأنَّ أمرأ القَيْسِ بنَ تَمْلِكَ بَيْقَرَا (1)
وقول الآخر*:
أَلَمْ يَأْتِيكَ والأنْباءُ تَنْمي بِمَا لاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيادِ (2)
وقال: وهو في "ما" أقل منه في "أن"، لأن "أن" أقلّ شبها بالأسماء من "ما". قال: وسمعت أعرابيا من ربيعه، وسألته عن شيء، فقال: أرجو بذاك: يريد أرجو ذاك.

---

1. تفسير الطبري599/18
2. ينظر:العمدة في محاسن الشعر وآدابه 275/2 والصناعتين: 150/1
البيت لامرئ القيس بن حجر
والبيت شاهد كالذي قبله على أن الباء في قوله (بأن) زائدة في المصدر المؤول المرفوع وهي أحسن منها في المصدر الصريح لخفاء الإعراب معها. وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن، ساقه مع الشاهد الذي قبله.
قال: أدخل الباء على (أن) وهي في موضع رفع كما أدخلها على الإلحاد بظلم، وهو في موضع نصب.
يحتمل جميع ذلك. وبيقر: أعيا.
وبيقر: هلك. وبيقر: مشى مشية المنكس. وبيقر: أفسد؛ عن ابن الأعرابي، وبه فسر قوله:
وقد كان زيد، والقعود بأرضه كراعي أناس أرسلوه فبيقرا
والبيقرة الفساد. وقوله: كراعي أناس أي ضيع غنمه للذئب؛ وكذلك فسر بالفساد قوله:
ألا هل أتاها والحوادث جمة بأن امرأ القيس بن تمِلكَ بيقرا
الأصمعي: بيقر هاجر من أرض إلى أرض غيره.وبيقر أقام بالعراق. غيره بيقر: أعيا
ينظر: لسان العرب 75/4 والمعاني الكبير في أبيات المعاني 875/2
* قيس بن زهير 631م
قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي: أمير عبس، وداهيتها، وأحد السادة القادة في عرب العراق، كان يلقب بقيس الرأي، لجودة رأيه. ويكنى أبا هند. وهو معدود في الأمراء والدهاة والشجعان والخطباء والشعراء. ورث الإمارة عن أبيه. واشتهرت وقائعه في حروبه مع بني فزارة وذبيان. وحكمته في مأثور كلامه مستفيضة، وخطبه غير قليلة، وشعره جيد فحل زهد في أواخر عمره فرحل إلى عمان. وعف عن المآكل حتى أكل الحنظل. وما زال في عمان إلى أن مات.
ويضرب بدهائه المثل.
ينظر: الأعلام للزركلي206/5

وقوله:
أَلَمْ يَأْتِيكَ والأنْباءُ تَنْمي بِمَا لاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيادِ (1)

---

1. تفسير الطبري599/18
* قيس بن زهير
البيت لقيس بن زهير العبسي كما في (النوادر لأبي زيد الأنصاري)
ولم تحذف الياء: في قوله (يأتيك) للجازم، للضرورة.
والبيت من شواهد الفراء في (معاني القرآن) على أنهم قد يدخلون الحرف الزائد على المصدر المؤول بما وما بعدها.

ويشذ جر الفاعل بالباء فيما عدا أفعل في التعجب وفاعل كفى، وذلك نحو قول الشاعر:
ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد
فالباء في " بما " زائدة.
وما: موصول اسمي فاعل يأتي، في بعض تخريجات هذا البيت.
ينظر:الطبري 18/ 600 وابن عقيل 75/2 والصناعتين: 150/1 وشرح المعلقات 156/1 وسمط اللآلي في شرح أمالي القالي 63/2.

ولابن العربي تخريج يستحق التنويه في انتقاء معاني حروف الصفات في هذه الآية المباركة فقال: قوله:﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج:25] (1)

تكلم الناس في دخول الباء هاهنا، فمنهم من قال: إنها زائدة، كزيادتها في قوله: ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون:20] (2)، وعليه حملوا قول الشاعر:

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج (3)

أراد ونرجو الفرج.

وهذا مما لا يحتاج إليه في سبيل العربية؛ لأن حمل المعنى على الفعل أولى من حمله على الحرف.(4)

فيقال المعنى:

ومن يهم فيه بميل يكون ذلك الميل ظلما؛ لأن الإلحاد هو الميل في اللغة، إلا أنه قد صار في عرف الشريعة ميلا مذموما، فرفع الله الإشكال، وبين أن الميل بالظلم هو المراد هاهنا.

والظلم في الحقيقة لغة وشرعا وضع الشيء في غير موضعه، وذلك يكون بالذنوب المطلقة بين العبد ونفسه، وبالذنوب المتعدية إلى الخلق، وهو أعظم.

---

1. سورة الحج، الآية:25
2. سورة المؤمنون ، الآية:25
3. أدب الكتاب لابن قتيبة522/1
4.أحكام القرآن لابن العربي2774/3

* من شواهد زيادتها مع المفعول قول الشاعر:

نحن، بني ضبة، أصحاب الفلج نضرب بالسيف، ونرجو بالفرج

أي: نرجو الفرج.

والمختار أن ما أمكن تخريجه، على غير الزيادة، لا يحكم عليه بالزيادة، وتخريج كثير من هذه الشواهد ممكن، على التضمين، أو حذف المفعول. وقد خرج عليهما قوله تعالى " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " فقيل: لا تلقوا مضمن معنى: لا تفضوا.

وقيل: حذف المفعول.

والباء للسببية، أي: لا تلقوا أنفسكم بسبب أيديكم، كما تقول: لا تفسد حالك برأيك. قاله المبرد.

وقوله:﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ [الحج:25] (1)
وقال أهل اللغة إن معنى (الباء) الطرح.
والمعنى: ومن يرد فيه إلحادا بظلم.
وأنشدوا قول الشاعر:
هن الحرائر لا ربات أحمرة سود المحاجر لا يقرأن بالسور (2)
المعنى عندهم لا يقرأن السور، وأنشدوا:
بواد يمان ينبت الشث فرعه وأسفله بالمرخ والشبهان
أي: وينبت أسفله المرخ والشبهان.
والذي يذهب إليه أصحابنا أن (الباء) ليست بملغاة.
والمعنى عندهم ومن إرادته فيه بأن يلحد بظلم وهو مثل قوله:
أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل
المعنى أريد، وإرادتي لهذا.
والآية السالفة الذكر فيها أربعة أوجه.
أحدها:
أن مفعول (يرد) محذوف.
وقوله: (بإلحاد بظلم) : حالان مترادفتان.
والتقدير:
ومن يرد فيه مرادا ما، عادلا عن القصد ظالما، نذقه من عذاب أليم، وإنما حذف ليتناول كل متناول.
قال معناه الزمخشري.
والثاني: أن المفعول أيضا محذوف تقديره: ومن يرد فيه تعديا.
وبإلحاد: حال أي: ملتبسا بإلحاد.

---

1. سورة الحج، الآية:25
2. معاني القرآن وإعرابه للزجاج 421/3

و(بظلم): بدل بإعادة الجار.
الثالث: أن يكون (بظلم) متعلقا بـ (يرد).
والباء للسببية أي بسبب الظلم.
و(بإلحاد) مفعول به.
والباء: مزيدة فيه.
ويؤيده قراءة الحسن (ومن يرد إلحاده بظلم).
قال الزمخشري:
أراد إلحاده فيه فأضافه على الاتساع في الظرف كـ:(مكر الليل).
ومعناه: ومن يرد أن يلحد فيه ظالما.
الرابع: أن يضمن (يرد) معنى: يتلبس، فلذلك تعدى بالباء أي: ومن يتلبس بإلحاد مريدا له.
والعامة على (يرد) بضم الياء من الإرادة.
وحكى الكسائي والفراء أنه قرئ (يرد) بفتح الياء.
وقال الزمخشري: من الورود.
ومعناه: من أتى فيه بإلحاد ظالما . (1)

وقد ذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ ذلك (ومن يَرِد فيه) بفتح الياء بمعنى: ومن يرده بإلحاد من وردت المكان أرده. وذلك قراءة لا تجوز القراءة عندي بها لخلافها ما عليه الحجة من القراء مجمعة مع بعدها من فصيح كلام العرب، وذلك أن (يرد): فعل واقع، يقال منه: وهو يرد مكان كذا أو بلدة كذا، ولا يقال: يرد في مكان كذا.(2)

1.ينظر: الدر المصون 261/8
2. تفسير الطبري602/18

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر اعلم أن الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا إلا بمكة ؛لأن الشرع قد ورد أن الله يؤاخذ فيه من يريد فيه بإلحاد وبظلم وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالطائف احتياطا لنفسه لأنه ليس فى قدرة الإنسان أن يدفع عن قلبه الخواطر.

وفى الآية إشارات منها أن من حال النفوس المتمردة والأرواح المرتدة مع إنكارهم وإعراضهم عن الحق يصدون الطالبين عن طريق الله بالإنكار والاعتراضات الفاسدة على المشايخ ويقطعون الطريق على أهل الطلب ليردوهم عن طلب الحق وعن دخول مسجد حرم القلب فإنه حرم الله تعالى.

ومنها أنه يستوي فى الوصول إلى مقام القلب الذي سبق إليه بمدة طويلة والذي يصل إليه فى الحال ليس لأحد فضل على الآخر إلا بالسبق إلى مقامات القلب قال فى الحقائق المقيم بقلبه هناك من أول عمره إلى آخره والطارئ لحظة من المكاشفين والمشاهدين ينكشف له ما انكشف للمقيمين لأنّه وهاب كريم يعطى للتائب من المعاصي ما يعطى المطيع المقيم فى طاعته طول عمره. (1)

---

1. روح البيان 22/6

باء بجذع لتوكيد اللصوق

وفي قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [مريم:25] (1)
و(الباء) في بجذع النخلة لتوكيد لصوق الفعل بمفعوله مثل:﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة:6] (2) وقوله تعالى:﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:195] (3)

وضمن وهزي معنى: قربي أو أدني، فعدي بـ: (إلى) ، أي: حركي جذع النخلة وقربيه يدن إليك، ويلن بعد اليبس، ويسقط عليك رطبا.(4)

وأدخلت الباء في قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [مريم:25] (5) كما يقال: زوجتك فلانة، وزوّجتك بفلانة؛ وكما قال ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون:20] (6) بمعنى: تنبت الدهن.

1.سورة مريم، الآية:25
2.سورة المائدة ، الآية:6
3.سورة البقرة، الآية:195
4.التحرير والتنوير 88/16
5.سورة مريم، الآية:25
6.سورة المؤمنون ، الآية:20

وإنما تفعل العرب ذلك؛ لأن الأفعال تكنى عنها بالباء، فيقال إذا كنيت عن ضربت عمرا: فعلت به، وكذلك كلّ فعل، فلذلك تدخل الباء في الأفعال وتخرج، فيكون دخولها وخروجها بمعنى، فمعنى الكلام: وهزِّي إليك جذع النخلة، وقد كان لو أن المفسرين كانوا فسروه وكذلك: وهزِّي إليك رطبًا بجذع النخلة، بمعنى: على جذع النخلة، وجها صحيحا، ولكن لست أحفظ عن أحد أنه فسره كذلك. ومن الشاهد على دخول الباء في موضع دخولها وخروجها منه سواء قول الشاعر:

بِوَادٍ يَمانٍ يُنْبِتُ السِّدْرَ صَدْرُهُ وأسْفَلُهُ بالمَرْخِ والشَّبَهانِ (1)

---

1. تفسير الطبري 179/18

* وفي (اللسان: سدر) السدر: شجر النبق، واحدتها سدرة. . . والمرخ: شجر كثير الورى سريعه. وفي (اللسان: شبه) الشبهان: نبت يشبه الثمام، ويقال له الشبهان. قال ابن سيده: والشبهان (بالتحريك) والشبهان (بضمتين) : ضرب من العضاه؛ وقيل: هو الثمام، يمانية، حكاها ابن دريد. قال رجل من عبد القيس * بواد يمان ينبت الشث صدره *

البيت. قال ابن بري قال أبو عبيدة: البيت للأحول اليشكري. واسمه يعلى. قال: وتقديره:

وينبت أسفله المرخ. على أن تكون الباء زائدة.

وإن شئت قدرته: وينبت أسفله بالمرخ، فتكون الباء للتعدية. لما قدرت الفعل ثلاثيا. وفي الصحاح: الشبهان: هو الثمام من الرياحين. و (في اللسان: شث) الشث: ضرب من الشجر عن ابن دريد، وأنشد البيت: * بواد يمان ينبت الشث فرعه *

إلخ. وقيل: الشث: شجر طيب الريح، مر الطعم، يدبغ به. قال أبو الدقيش: وينبت في جبال الغور وتهامة ونجد. والبيت شاهد على أن الباء في قوله " بالمرخ " زائدة، دخولها كخروجها وهي مثل الباء في قوله تعالى: (وهزي إليك بجذع النخلة) . قال في (اللسان: هز) الهز: تحريك الشيء، كما تهز القناة، فتضطرب وتهز. وهزه يهزه هزا وهز به، وفي التنزيل العزيز: (وهزي إليك بجذع النخلة) أي حركي. والعرب تقول: هزه وهز به إذا حركه. ومثله: خذ الخطام، وخذ بالخطام، وتعلق زيدا وتعلق بزيد. قال ابن سيده: وإنما عداه بالباء، لأن في هزي معنى جري، (أمر من الجر) .

ينظر:تفسير الطبري 179/18

تكرار الباء فبذلك

وتكرير الباء في برحمته على سائر الأوجه للإيذان باستقلالها في استيجاب الفرح، والذي لا حظته في هذه الآية المباركة أنّ حرف الجر الباء تكرر ثلاث مرات هذا والله أعلم لعناية الله بهذه الأمة التي أنزل عليها القرآن الكريم ، وتعددت دلالات معنى: الفضل والرحمة على أقوال علمائنا الأجلاء ففي قول الله تعالى:﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:58] (1)

وفضل الله: "هو هداية الله تعالى إلى دينه والتوفيق إلى إتباع الشرع، و(الرحمة) هي عفوه وسكنى جنته التي جعلها جزاء على التشرف بالإسلام والإيمان به

ومعنى الآية:

قل يا محمد لجميع الناس بفضل الله وبرحمته فليقع الفرح منكم، لا بأمور الدنيا وما جمع من حطامها، فالمؤمنون يقال لهم: فلتفرحوا، وهم متلبسون بعلة الفرح وسببه، ومحصلون لفضل الله منتظرون الرحمة.(2)

أي: قل لهم: ليفرحوا بفضل الله وبرحمته أي إن كان شيء في الدنيا يستحق أن يفرح به فهو فضل الله ورحمته. (3)

أماّ الجانب النحوي لهذه الآية المباركة ،فقد تعرّض له الزمخشري قائلا:" أصل الكلام: بفضل الله وبرحمته فليفرحوا، فبذلك فليفرحوا.

والتكرير للتأكيد والتقرير، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا، فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه.

والفاء داخلة لمعنى الشرط، كأنه قيل:إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح، فإنه لا مفروح به أحق منهما.

1.سورة يونس ،الآية:58

2. تفسير ابن عطية 126/3

3. تفسير المراغي 123/11

ويجوز أن يراد: بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا.
ويجوز أن يراد: قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته، فبذلك: فبمجيئها فليفرحوا.

ونوجز مقولة الزمخشري بما يلي:
1.تقدير فعل محذوف يفسره(فليفرحوا) للدلالة على التوكيد.
2. تقدير فعل آخر وهو (فليعتنوا)، بدل فليفرحوا
3. تعليق المجرور بالفعل جاء.
4. تقديم الجار والمجرور على الفعل للاهتمام بالمسلمين، ولإفادة الحصر.

وأدخلت الفاء لإفادة معنى السببية، فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا.
والإشارة (فبذلك) فليفرحوا للتأكيد والتقرير، وهو مجموع الفضل والرحمة.
واختير للتعبير عنه اسم الإشارة لما فيه من الدلالة على التنويه والتعظيم مع زيادة التمييز والاختصار.
ولما قصد توكيد الجملة كلها بما فيها من صيغة القصر قرن اسم الإشارة بالفاء تأكيدا لفاء التفريع التي في فليفرحوا ؛لأنه لما قدم على متعلقه قرن بالفاء لإظهار التفريع في ابتداء الجملة.
وقد حذف فعل (ليفرحوا) فصار مفيدا مفاد جملتين متماثلتين مع إيجاز بديع.
وتقدير معنى الكلام: قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته لا سواهما فليفرحوا بذلك لا سواه.
ولما قدم المجرور وهو:(بفضل الله وبرحمته) حصل بتقديمه معنى الشرط فقرنت الجملة بعده بالفاء التي تربط الجواب لقصد إفادة معنى الشرط. كقوله تعالى:﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:26] (1) ، وقول النبي ﷺ:(ففيهما فجاهد) (2)

1.سورة المطففين، الآية:26
2.رواه البخاري 59/4
الحديث هو: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فاستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك؟ ، قال: نعم، قال:" ففيهما فجاهد" ينظر: صحيح البخاري 59/4

وقوله: ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ [يونس:58] (1) دلّ على الحصر. يعني: يجب أن لا يفرح الإنسان إلا بذلك.أي: يفيد الحصر.
والفاء في قوله: فبذلك رابطة للجواب.والثانية :(فليفرحوا) مؤكدة للربط.
وقيل: الفاء الأولى جزائية والثانية للسببية.
وتكرير الباء في برحمته، "ودخولها على كل من الفضل والرحمة هنا يدل على استقلال كل منهما بالفرح به فهو يرد ما روي عن مجاهد من أن المراد بهما واحد وهو القرآن.(2)

والتعبير في غاية البلاغة لما فيها من التأكيد والمبالغة في التقرير، فإن أصل المعنى بدونهما: قل ليفرحوا بفضل الله وبرحمته، فأخر الأمر وقدم عليه متعلقه لإفادة الاختصاص، كأنه قال: إن كان في الدنيا شيء يستحق أن يفرح به فهو فضل الله ورحمته، وأدخل عليه (الفاء) لإفادة معنى السببية فصار فيهما (فليفرحوا) دون ما يجمعون
من متاع الدنيا المبين في آخر الآية ثم أدخل على الأمر (فبذلك) لزيادة التأكيد والتقرير.
وفضل الله القرآن. ورحمته أن جعلكم من أهله.
وقيل :فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام
وقيل: فضله: الإسلام ، ورحمته: ما وعد عليه.
وفضل الله الإسلام، ورحمته القرآن.
وفضل الله: هو توفيقهم لتزكية أنفسهم بالموعظة والهدى، ورحمته: هي الثمرة التي نتجت من ذلك، وبها فضلوا على جميع الناس. والرحمة: الإحسان.(3)

أمّا الإمام الرازي فقد اقتدى بالزمخشري في تأويلاته النحوية فقال:"وتقديره: بفضل الله وبرحمته فليفرحوا، ثم يقول مرة أخرى: فبذلك فليفرحوا ، والتكرير للتأكيد.

1.سورة يونس ،الآية:58
2.تفسير المنار 334/11
3. تفسير المراغي 122/11

قال القشيري أشهد الله بني إسرائيل فضل أنفسهم فقال: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة:47] (1) وأشهد محمدا ﷺ فضل ربه فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ [يونس:58] (2) وشتان بين من مشهوده فضل نفسه، وبين من مشهوده فضل ربه، وشهوده فضل نفسه قد يورث الإعجاب، وشهوده فضل ربه يورث الإيجاب.
قال بعض الكبار فضل الله إيصال إحسانه إليك، ورحمته ما سبق لك منه من الهداية ولم تك شيئا فكأن الله تعالى يقول عبدي لا تعتمد على طاعتك وخدمتك واعتمد على فضلى ورحمتي ، فان رأس المال ذلك. (3)

1.سورة البقرة ، الآية:47
2.سورة يونس ، الآية:58
3. روح البيان 126/1

إيثار الباء على الحرف (على)

وفي قوله تعالى:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلى شَيْءٍ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم :18] (1)
والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة.
أي: صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد، كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول.
(فِي يَوْمٍ عاصِفٍ): جعل العصف لليوم.
وهو لما فيه، وهو الريح أو الرياح، كقولك: يوم ماطر وليلة ساكرة. وإنما السكور لريحها.
وقرئ:(في يوم عاصف) بالإضافة.
وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم، من صلة الأرحام وعتق الرقاب، وفداء الأسارى، وعقر الإبل للأضياف، وإغاثة الملهوفين، والإجارة، وغير ذلك من صنائعهم، شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به، وكونها لوجهه: برماد طيرته الريح العاصف(لا يَقْدِرُونَ يوم القيامة مِمَّا كَسَبُوا من أعمالهم عَلى شَيْءٍ) أي: لا يرون له أثرا من ثواب، كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب بِالْحَقِّ بالحكمة والغرض الصحيح.(2)
وشبهت أعمال الكفرة ومساعيهم في فسادها وقت الحاجة وتلاشيها بالرماد الذي تذروه الريح، وتفرقه بشدتها حتى لا يبقى أثر، ولا يجتمع منه شيء.
ووصف (اليوم) بـ:(العصوف) وهي من صفة الريح بالحقيقة- لما كانت في اليوم، ومن هذا المعنى قول الشاعر جرير :
لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم (3)

1.سورة إبراهيم، الآية:18
2. الزمخشري 547/2
3. تفسير ابن عطية 331/3

وقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عاصِفٍ﴾ [إبراهيم:18] (1)
العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم: نهاره صائم وليله قائم.
شبه الله تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف.
فشبه سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلا كالهباء المنثور، لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان، وكونها لغير الله عز وجل، وعلى غير أمره: برماد طيرته الريح العاصف. فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه. فلذلك قال:(لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلى شَيْءٍ) لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء. فلا يرون له أثرا من ثواب، ولا فائدة نافعة، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه، موافقا لشرعه.

وفي تشبيهها بالرماد سرّ بديع. وذلك للتشابه بين أعمالهم وبين الرماد، في إحراق النار وإذهابها لأصل هذا وهذا. فكانت الأعمال التي لغير الله، وعلى غير مراده: طعمة للنار، وبها تسعّر النار على أصحابها.
وينشئ الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة نارا وعذابا، كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره ونهيه التي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيما وروحا، فأثرت النار في أعمال أولئك حتى جعلتها رمادا. فهم وأعمالهم وما يعبدون من دون الله وقود النار. (2)
و(اشتدت به الريح) أي: أسرعت بالحركة على عظم القوة.
وفيه تهكم بهم.
وفي توصيف الضلال بالبعد، إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب.
(واشتد به) من (شد) بمعنى عدا.
و(الباء): للتعدية أو ملابسة،أي: حملته وأسرعت في الذهاب به
أو من (الشدة) بمعنى القوة أي: قويت بملابسة حمله.

1.سورة إبراهيم، الآية:18
2. ينظر:التفسير القيم 339/1 ونظم الدرر401/10

شبهت أعمالهم المتجمعة العديدة برماد مكدس فإذا اشتدت الرياح بالرماد انتثر وتفرق تفرقا لا يرجى معه اجتماعه.

ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من اضمحلال شيء كثير بعد تجمعه، والهيئة المشبهة معقولة.

ووصف اليوم بالعاصف مجاز عقلي، أي عاصف ريحه، كما يقال: يوم ماطر، أي سحابه.

والرماد: ما يبقى من احتراق الحطب والفحم

ومن لطائف هذا التمثيل أن اختير له التشبيه بهيئة الرماد المتجمع؛ لأن الرماد أثر لأفضل أعمال الذين كفروا وأشيعها بينهم وهو قرى الضيف حتى صارت كثرة الرماد كناية في لسانهم عن الكرم.

وقرأ نافع وأبو جعفر اشتدت به الرياح.

وقرأه البقية اشتدت به الريح بالإفراد، وهما سواء؛ لأن التعريف تعريف الجنس.(1)

وقيل: معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح؛ لأنها قد ذكرت من قبل، وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار يريد أنهم لا ينتفعون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ لأنهم أشركوا فيها غير الله كالرماد الذي ذرته الريح لا ينتفع به، فذلك قوله تعالى:(لا يقدرون) يعني: الكفار مما كسبوا، في الدنيا، على شيء، في الآخرة، ذلك هو الضلال البعيد.(2)

وحاصل التمثيل تشبيه أعمالهم في حبوطها وذهابها هباء منثوراً لابتنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى ، والإيمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاطف وفرقته.(3)

---

1. التحرير والتنوير 212/13
2. تفسير البغوي 34/3
3. تفسير الألوسي343/9

وقد التفت أحد علمائنا الأجلاء لمعنى: (الباء) في هذه الآية الكريمة فقال:"فذكر الرماد، وهو مثل في الهوان ،والذّلة ،وقلّة الشأن ، وذكر أنّ الريح اشتدت به ،فاقتلعته من مكانه ، وذهبت به في الآفاق بددا.و(الباء) الجارة هنا أقوى من (على) الجارة ؛ لأنّه لو قال :اشتدت عليه" لكان من المحتمل أن تكون الريح هبّت عليه،واشتدّت عليه وهو قار في مكانه.ولكن (الباء) خيّلت أنّ الريح اصطحبته وذهبت به في مهابها البعيدة ، ووصف اليوم بأنه عاصف.

والأصل عاصفة ريحه ؛ لأنّ العصف يقع فيه ولا يقع منه.وذلك للإشعار بعموم العصف وشموله وبقائه اليوم كلّ اليوم ، فالريح لا تخمد ولا تسكن نوكلّ إشارة ولفتة في صورة المشبّه به تعطينا معنى الضياع والبطلان في المشبّه الذي هو أعمال الكافرين ،هذه لطيفة من لطائف الفن البياني في القرآن ،فحاول أن تتدّبرها."(1)

وهذه التفاتة طيبة من أستاذنا أبي موسى حيث انتبه إلى الفرق الدقيق بين اشتدت به الرياح ، واشتدت عليه ،وبعد تفحصي لمجموعة من المفسرين لم أجد من توقف على دلالة هذا الفعل أو التفت إلى هذا التخريج بهذه الدقة العجيبة التي تنبئ عن مكانته العلمية.

وبعد المعالجة والفحص توصّل إلى أنّ حرف الجر (الباء) أقوى من (على) في هذه الآية المباركة. وفيه تهكم بهم.

---

1. د.محمد محمد أبو موسى من أسرار التعبير القرآني 63

الفرق بين حفي عنها وبها

وفي قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ الأعراف:187] (1)

وقوله: (كأنك حفي عنها)

يقول: لطيف بها.

فوجَّه هؤلاء تأويل قوله: (كأنك حفي عنها) ، إلى حفيّ بها.

وقالوا: تقول العرب: "تحفّيت له في المسألة"، و"تحفيت عنه".

قالوا: ولذلك قيل: "أتينا فلانا نسأل به"، بمعنى نسأل عنه.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: كأنك حفي بالمسألة عنها فتعلمها.

فإن قال قائل: وكيف قيل: (حفي عنها) ، ولم يقل: "حفي بها"، إن كان ذلك تأويل الكلام؟

قيل: إن ذلك قيل كذلك؛ لأن الحفاوة إنما تكون في المسألة، وهي البشاشة للمسئول عند المسألة، والإكثار من السؤال عنه، والسؤال يوصل بـ:(عن) مرة، وبـ:(الباء) مرة. فيقال: "سألت عنه"، و"سألت به". فلما وضع قوله: "حفي" موضع السؤال، وصل بأغلب الحرفين اللذين يوصل بهما "السؤال"، وهو "عن"، كما قال الشاعر:

سؤال حفي عن أخيه كأنه بذكرته وسنان أو متواسن (2)

والحفي المستقصي للشيء المحتفل به المعتني، وفلان حفي بي بار معتن. وقال الشاعر:

فلما التقينا بين السيف بيننا لسائلة عنا حفي سؤالها

والإحفاء الاستقصاء ومنه إحفاء الشارب، والحافي أي حفيت قدميه للاستقصاء في السير والحفاوة البر واللطف.(3)

1.سورة الأعراف، الآية:187

2.تفسير الطبري 300/13

3.البحر المحيط في التفسير 217/5

وأن (عن) بمعنى (الباء) كما أن الباء بمعنى عن كقوله تعالى:﴿ فسئل به خبيرا﴾ [الفرقان:59] (1) وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ [الفرقان:25] (2)؛ لأن حفي لا يتعدى بـ(عن) بل بـ(الباء) كقوله:﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[مريم:47] (3)
ويضمن معنى شيء يتعدى بـ:(عن) ، أي: كأنك كاشف بحفاوتك عنها.
والحفي: المستقصي عن الشيء، المهتبل به، المعتني بأمره.(4)

ومعنى (كأنك حفي عنها) كأنك عالم بها.
وحقيقته: كأنك بليغ في السؤال عنها ؛ لأن من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه، استحكم علمه فيه ورصن .
وهذا التركيب معناه المبالغة.
ومنه: إحفاء الشارب. واحتفاء البقل: استئصاله. وأحفى في المسألة، إذا ألحف،وحفى بفلان وتحفى به: بالغ في البر به.
وعن مجاهد: استحفيت عنها (5)
" وحفي: فعيل فيجوز أن يكون بمعنى فاعل مشتقا من حفي به، مثل غني فهو غني إذا أكثر السؤال عن حاله تلطفا، ويكون المعنى كأنك أكثرت السؤال عن وقتها حتى علمته، فيكون وصف حفي كناية عن العالم بالشيء؛ لأن كثرة السؤال تقتضي حصول العلم بالمسئول عنه.(6)

1.سورة الفرقان، الآية:59
2.سورة الفرقان، الآية:25
3.سورة مريم، الآية:47
4.الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 531/5
5.الكشاف 184/2
6.التحرير والتنوير204/9

إيثار من على الباء

وفي قوله تعالى:﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ [النبأ:14] (1) قيل:"هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولمَّا تمطر، كالمرأة المعصر التي قد دنا أوان حيضها ولم تحض.(2)
"والمعصرات: السحائب إذا أعصرت، أي : شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر، كقولك: أجز الزرع، إذا حان له أن يجز. ومنه: أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض.
وقرأ عكرمة: بالمعصرات.
وفيه وجهان:
أن تراد الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، وأن تراد السحائب؛لأنه إذا كان الإنزال منها فهو بها، كما تقول: أعطى من يده درهما، وأعطى بيده.
وعن مجاهد: المعصرات الرياح ذوات الأعاصير. وعن الحسن وقتادة: هي السماوات.
وتأويله: أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب، فكأن السماوات يعصرن، أي: يحملن على العصر ويمكن منه.
فإن قلت: فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الأعاصير، والمطر لا ينزل من الرياح؟
قلت: الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر أخلافه ، فصح أن تجعل مبدأ للإنزال وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب، فإن صح ذلك فالإنزال منها ظاهر.
فإن قلت: ذكر ابن كيسان أنه جعل المعصرات بمعنى المغيثات، والعاصر هو المغيث لا المعصر. يقال: عصره فاعتصر. قلت: وجهه أن يريد اللاتي أعصرن،أي حان لها أن تعصر، أي:تغيث ثجاجا منصبا بكثرة. (3)

1.سورة النبأ ، الآية:14
2.تفسير الطبري 154/24
3.الكشاف686/4

وإنما جعلت مبدأ للإنزال ؛ لأنها تنشئ السحاب وتدرأ خلافه، ويؤيده أنه قرئ (بالمعصرات) .
ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه.(1)
والمعصرات:
بضم الميم وكسر الصاد السحابات التي تحمل ماء المطر واحدتها معصرة اسم فاعل من: أعصرت السحابة، إذا آن لها أن تعصر، أي تنزل إنزالا شبيها بالعصر.
فهمزة (أعصر) تفيد معنى الحينونة وهو استعمال موجود وتسمى همزة التهيئة كما في قولهم: أجز الزرع، إذا حان له أن يجز (بزاي في آخره) وأحصد إذا حان وقت حصاده.
ويظهر من كلام صاحب الكشاف أن همزة الحينونة تفيد معنى التهيؤ لقبول الفعل وتفيد معنى التهيؤ لإصدار الفعل فإنه ذكر: أعصرت الجارية، أي حان وقت أن تصير تحيض، وذكر ابن قتيبة في أدب الكاتب : أركب المهر، إذا حان أن يركب، وأقطف الكرم، إذا حان أن يقطف. ثم ذكر: أقطف القوم: حان أن يقطفوا كرومهم، وأنتجت الخيل: حان وقت نتاجها.
وجيء بفعل لنخرج دون نحو: لننبت، لأن المقصود الإيماء إلى تصوير كيفية بعث الناس من الأرض إذ ذلك المقصد الأول من هذا الكلام ألا ترى أنه لما كان المقصد الأول من آية سورة (ق) هو الامتنان جيء بفعل (أنبتنا) (2)

1.تفسير البيضاوي 279/5
2.التحرير والتنوير25/30

دلالة وما هم بمؤمنين

وفي قوله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:8] (1)

(وما هم بمؤمنين) : فيجب أن يكون (الباء) صلة الإيمان وكررت مبالغة في الخديعة والتلبيس بإظهار أن إيمانهم تفصيلي مؤكد قوي (2) .

(وما هم بمؤمنين) : حيث قدم الفاعل وأولى حرف النفي ردا لدعوى أولئك المنافقين على أبلغ وجه؛ لأن انخراطهم في سلك المؤمنين من لوازم ثبوت الإيمان.

وقد بلغ في نفي اللازم بالدلالة على دوامة المستلزم لانتفاء حدوث الملزوم مطلقا، وأكد ذلك النفي بـ(الباء) أيضا وهذا سبب العدول عن الرد بما آمنوا المطابق لصدر الكلام.

وقد يقيد بما قيد به سابقه لأنه واقع في جوابه إلا أن نفي المطلق يستلزم نفي المقيد فهو أبلغ وأوكد.

وفي تكرير(الباء) أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام. فإن قلت:

كيف طابق قوله: (وما هم بمؤمنين) قولهم (آمنا بالله وباليوم الآخر)

والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل.

والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل؟

قلت: القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه، فسلك في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب.

وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره، وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين، لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان.

وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة، فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفى ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع.(3)

1.سورة البقرة، الآية:8

2.تفسير الألوسي147/1

3. الكشاف55/1

ونحوه قوله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة:37] (1) هو أبلغ من قولك: وما يخرجون منها.
وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص، ولما كان المؤمنون من الله بمكان، سلك بهم ذلك المسلك.....
ونظيره في كلامهم: علمت زيدا فاضلا، والغرض فيه ذكر إحاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لأنه كان معلوما له قديما كأنه قيل: علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله. (2)
وقوله: (وما هم بمؤمنين.)
جيء في نفي قولهم بالجملة الاسمية ولم يجيء على وزن قولهم: آمنا بأن يقال وما آمنوا لأنهم لما أثبتوا الإيمان لأنفسهم كان الإتيان بالماضي أشمل حالا لاقتضائه تحقق الإيمان فيما مضى بالصراحة ودوامه بالالتزام لأن الأصل ألا يتغير الاعتقاد بلا موجب كيف والدين هو هو، ولما أريد نفي الإيمان عنهم كان نفيه في الماضي لا يستلزم عدم تحققه في الحال بله الاستقبال
فكان قوله: وما هم بمؤمنين دالا على انتفائه عنهم في الحال؛ لأن اسم الفاعل حقيقة في زمن الحال وذلك النفي يستلزم انتفاءه في الماضي بالأولى؛ ولأن الجملة الفعلية تدل على الاهتمام بشأن الفعل دون الفاعل فلذلك حكى بها كلامهم لأنهم لما رأوا المسلمين يتطلبون معرفة حصول إيمانهم قالوا آمنا.
والجملة الاسمية تدل على الاهتمام بشأن الفاعل أي أن القائلين آمنا لم يقع منهم إيمان فالاهتمام بهم في الفعل المنفي تسجيل لكذبهم وهذا من مواطن الفروق بين الجملتين الفعلية والاسمية وهو مصدق بقاعدة إفادة التقديم الاهتمام مطلقا وإن أهملوا التنبيه على جريان تلك القاعدة عند ما ذكروا الفروق بين الجملة الفعلية والاسمية في كتب المعاني وأشار إليه صاحب "الكشاف" هنا بكلام دقيق الدلالة.

---

1. سورة المائدة، الآية:37
2. التحرير والتنوير 264/1

قد يقال: كان في أولئك القوم من كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر كمنافقي اليهود، فلم كذبهم ونفى عنهم الإيمان نفيا مطلقا مؤكدا بدخول الباء في خبر (ما) فقال: (وما هم بمؤمنين) أي بداخلين في جماعة المؤمنين الصادقين البتة، وهو أبلغ من نفي فعل الإيمان المطابق للفظ هم والمقيد بالإيمان بالله واليوم الآخر؟ (1)

وفي قوله تعالى:﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة:8] (2) ليس في القرآن غيره تكرار العامل مع حرف العطف لا يكون إلا للتأكيد وهذه حكاية كلام المنافقين وهم أكدوا كلامهم نفيا للريبة وإبعادا للتهمة فكانوا في ذلك كما قيل يكاد المريب يقول خذوني فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ فقال:﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:8] (3) ويكثر ذلك مع النفي وقد جاء في القرآن في موضعين في النساء في قوله تعالى :﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء:38] (4) وفي التوبة في قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة:29] (5)

وفي قوله تعالى:﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة:8] (6) كرر العامل مع حرف العطف في الإثبات؟ .

لأنه حكاية قول المنافق، أنه أكد ذلك نفيا للتهمة عن نفسه فأكذبهم الله تعالى بقوله:﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:8] (7) وأكده بالباء.

كيف طابق قوله تعالى: (وما هم بمؤمنين) وهو نفى الصفة لقوله:(آمنا) وطباقه: وما آمنوا؟ .إنّ الفعل المضارع مؤذن بالصفة في قول من يقول، فطابقه نفي الصفة التي ادعوها بقوله: (وما هم بمؤمنين).(8)

---

1. تفسير المنار 125/1
2.سورة البقرة، الآية:8
3.سورة البقرة، الآية:8
4.سورة النساء ، الآية:38
5.سورة التوبة ، الآية:29
6.سورة البقرة، الآية:8
7.سورة البقرة، الآية:8
8. ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن67/1 وكشف المعاني فى المتشابه من المثاني89/1

وفي قوله تعالى:﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور:29] (1)
والباء في(بكاهن): مزيدة للتأكيد
أي:
ما أنت كاهن وَلا مجنون.
واختلف في باء (بنعمة) فقال أبو البقاء: للملابسة.
والجار والمجرور في موضع الحال.
والعامل فيه:(كاهن)، أو: (مجنون).
والتقدير:
ما أنت كاهن ولا مجنون ملتبسا بنعمة ربك، وهي حال لازمة ؛لأنه عليه الصلاة والسلام ما زال ملتبسا بنعمة ربه عز وجل.
وقيل:
أن (الباء) متعلقة بما دل عليه الكلام، وهو اعتراض بين اسم (ما) وخبرها.
والتقدير:
ما أنت في حال إذكارك بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون، قاله الحوفي.
والأقرب:
أن الباء للسببية وهو متعلق بمضمون الكلام.
والمعنى:
انتفى عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله تعالى عليك، وهذا كما تقول ما أنا معسر بحمد الله تعالى وإغنائه. (2)
والمراد:
الرد على قائل ذلك، وإبطال مقالتهم فيه عليه الصلاة والسلام؛ وإلا فلا امتنان عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بانتفاء ما ذكر مع انتفائه عن أكثر الناس.

1.سورة الطور ،الآية:29
2.ينظر: تفسير الألوسي 266/15 والدر المصون 75/10

وقيل:
الامتنان بانتفاء ذلك بسبب النعمة المراد بها ما أوتيه صلى الله تعالى عليه وسلم من صدق النبوة ،ورجاحة العقل التي لم يؤتها أحد قبله،والقائلون بذلك هم الكفرة قاتلهم الله تعالى أنى يؤفكون.

والباء في قوله تعالى:﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم:2] (1) هي للملابسة. فقال:" إنّ (الباء) في (بنعمة ربك): للملابسة، وهي في موضع الحال من ضمير أنت.
ونفي هذين الوصفين عنه في خطاب أمثاله ممن يستحق الوصف بصفات الكمال يدل على أن المراد من النفي غرض آخر وهو هنا: إبطال نسبة من نسبه إلى ذلك؛ كما في قوله تعالى:﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير:22] (2) ، ولذلك حسن تعقيبه بقوله:﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ [الطور:30] (3) مصرحا فيه ببعض أقوالهم، فعلم أن المنفي عنه فيما قبله مقالة من مقالهم.
وقد اشتملت هاته الكلمة الطيبة على خصائص تناسب تعظيم من وجهت إليه وهي أنها صيغت في نظم الجملة الاسمية فقيل فيها :(ما أنت بكاهن) دون: (فلست بكاهن)؛ لتدل على ثبات مضمون هذا الخبر. (4)

وقدم فيها المسند إليه مع أن مقتضى الظاهر أن يقدم المسند وهو بكاهن أو مجنون؛ لأن المقام يقتضي الاهتمام بالمسند ولكن الاهتمام بالضمير المسند إليه كان أرجح هنا لما فيه من استحضار معاده المشعر بأنه شيء عظيم، وأفاد مع ذلك أن المقصود أنه متصف بالخبر لا نفس الإخبار عنه بالخبر كقولنا: الرسول يأكل الطعام ويتزوج النساء.

---

1. سورة القلم، الآية:2
2. سورة التكوير، الآية:22
3. سورة الطور، الآية:30
4. التحرير والتنوير 59/27

وأفاد أيضا قصرا إضافيا بقرينة المقام لقلب ما يقولونه أو يعتقدونه من قولهم: هو كاهن أو مجنون، على طريقة قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود:91] (1)

وقرن الخبر المنفي بـ:(الباء) الزائدة لتحقيق النفي فحصل في الكلام تقويتان.

وجيء بالحال قبل الخبر، أو بالجملة المعترضة بين المبتدإ والخبر، لتعجيل المسرة وإظهار أن الله أنعم عليه بالبراءة من هذين الوصفين.

وعدل عن استحضار الجلالة بالاسم العلم إلى تعريفه بالإضافة وبوصفه الرب لإفادة لطفه تعالى برسوله ﷺ لأنه ربه فهو يربه ويدبر نفعه، ولتفيد الإضافة تشريف المضاف إليه. (2)

وما: نافية حجازية

وأنت :اسمها

وبنعمة ربك:

يجوز في هذا الجار والمجرور أن يتعلق بما في ما من معنى النفي فتكون الباء للسببية وهذا أرقى الأوجه.

والمعنى:

انتفت عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة ربك عليك كما تقول: ما أنا بمعسر بحمد بالله وغناه.

وقال أبو البقاء إن الباء في موضع نصب على الحال.

والعامل: فيها بكاهن أو مجنون.

1.سورة هود، الآية:91

2.التحرير والتنوير 59/27

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ([الأحقاف:33] (1)
(بقادر):قال أبو عبيدة والأخفش: الباء زائدة للتوكيد كالباء في قوله تعالى:﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:79] ....(2)
وقال الكسائي والفراء والزجاج: (الباء) فيه خلف الاستفهام،والجحد في أول الكلام.
قال الزجاج: والعرب تدخلها مع الجحد تقول: ما ظننت أن زيدا بقائم؛ ولا تقول: ظننت أن زيدا بقائم. وهو لدخول" ما" ودخول" أن" للتوكيد.
والتقدير: أليس الله بقادر، كقوله تعالى:﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ [يس:81] (3)
فالباء في (بقادر) ، زائدة؛ لأنه خبر (أن) ، وجاءت زيادتها لإلحاق النفي أول الكلام.
وقيل: الباء بمعنى الصفة، أي: ليس كصاحب صفته شيء، وصاحب صفته هو هو.
ووقعت أن مع اسمها وخبرها سادة مسد مفعولي يروا. ودخلت الباء الزائدة على خبر أن وهو مثبت ومؤكد، وشأن الباء الزائدة أن تدخل على الخبر المنفي؛ لأن أن وقعت في خبر المنفي وهو أولم يروا.(4)

ومحل التعجيب هو خبر أن وأما ما قبله فالمشركون لا ينكرونه فلا تعجيب في شأنه.
ووقوع الباء في خبر أن وهو بقادر باعتبار أنه في حيز النفي لأن العامل فيه وهو حرف أن وقع في موضع مفعولي فعل يروا الذي هو منفي فسرى النفي للعامل ومعموله، فقرن بالباء لأجل ذلك.

---

1. سورة الأحقاف، الآية:33
2. سورة النساء ، الآية:79
3. سورة يس ، الآية:81
4. تفسير القرطبي 218/16

وفي (الكشاف): قال الزجاج لو قلت: ما ظننت أن زيدا بقائم جاز، كأنه قيل: أليس الله بقادر.
وقال أبو عبيدة والأخفش: الباء زائدة للتوكيد كالباء في قوله تعالى:﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:79] (1) يريدان أنها زائدة في الإثبات على وجه الندور.

وقيل: الباء بمعنى الصفة، أي: ليس كصاحب صفته شيء، وصاحب صفته هو هو.
وقيل: بل(المثل) زيادة.(2)

وأما موقع الجواب بحرف بلى فهو جواب لمحذوف دل عليه التعجيب من ظنهم أن الله غير قادر على أن يحيي الموتى، فإن ذلك يتضمن حكاية عنهم أن الله لا يحيي الموتى، فأجيب بقوله: (بلى) تعليما للمسلمين وتلقينا لما يجيبونهم به.
وحرف:(بلى) لما كان جوابا كان قائما مقام جملة تقديرها: هو قادر على أن يحيي الموتى. (3)

1.سورة النساء ، الآية: 79
2.إعراب القرآن للباقولي 673/2
3.التحرير والتنوير 64/26

زيادة الباء في الفعل كفى

وفي قوله تعالى:﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء:45] (1)
وفعل (كفى) مستعمل في تقوية اتصاف فاعله بوصف يدل عليه التمييز المذكور بعده، أي أن فاعل (كفى) أجدر من يتصف بذلك الوصف، ولأجل الدلالة على هذا غلب في الكلام إدخال (باء) على فاعل فعل كفى، وهي (باء): زائدة لتوكيد الكفاية، بحيث يحصل إبهام يشوق السامع إلى معرفة تفصيله، فيأتون باسم يميز نوع تلك النسبة ليتمكن المعنى في ذهن السامع.
وقد يجيء فاعل (كفى) غير مجرور بالباء، كقول عبد بني الحسحاس:
كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا
وجعل الزجاج الباء هنا غير زائدة.
وقال: ضمن فعل كفى معنى اكتف، واستحسنه ابن هشام.
وشذت (زيادة) الباء في المفعول، كقول كعب بن مالك أو حسان بن ثابت:
فكفى بنا فضلا على من غيرنا حب النبي محمد إيانا (2)
وجزم الواحدي في شرح قول المتنبي:
كفى بجسمي نحولا أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني
بأنه شذوذ.

---

1. سورة النساء ، الآية:45
2. التحرير والتنوير 73/5
البيت: لحسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبي ﷺ.
المعنى:
كفانا فضلا على من غيرنا حب النبي إيانا وهجرته إلينا.
"بنا" مفعوله. والباء فيه زائدة، ويقال: إن الباء زائدة مع المفعول.
وإنما تدخل الباء على الفاعل، وهذا أيضا شاذ أن تدخل الباء على الفاعل. ولكن قد حكى هذا على المفعول.
قال أبو العباس: وكل هذا غلط، العرب تقول كفى بزيد رجلا، ونعم بزيد رجلا، ونعم زيد رجلا.
ينظر: مجالس ثعلب59/1 والجنى الداني 53/1 وتوضيح المقاصد 431/1

ولا تزاد (الباء) في فاعل كفى بمعنى أجزأ، ولا التي بمعنى وقى، فرقا بين استعمال كفى المجازي واستعمالها الحقيقي الذي هو معنى الاكتفاء بذات الشيء نحو:
كفاني ولم أطلب قليل من المال (1)

1.التحرير والتنوير73/5
إن كفى مما غلب عليه زيادة (الباء) تارة مع فاعله وتارة مع مفعوله، ودخولها على مفعوله قليل، فزيادتها مع الفاعل مثل: كفى بالله.
المعنى: كفى الله، ويدلك على أنها مزيدة في (بالله) قول سحيم:
كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهيا.
وأما زيادتها مع المفعول فمنه ما أوردته من قول الأنصاري:
فكفى بنا فضلا على من غيرنا حب النبي محمد إيانا
ومنه: كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
و(كفى) بمعنى أجزأ وأغنى عن غيره.
وهو صيغة خبر مستعمل في إنشاء القسم.
والباء مزيدة للتأكيد.
وأصله كفى الله شهيدا.
(كفى) فعل ماض على الأصح تزاد الباء في فاعله، كما في هذه الآية. وقد تزاد في المفعول به كقول أبي الطيب المتنبي:
كفى بجسمي نحولا أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني
وقل أن يجيء فاعل كفى مجردا من الباء كقول سحيم:
عميرة ودع إن تجهزت غاديا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا
ولا تزاد الباء في فاعل كفى أو مفعولها إذا كانت بمعنى أجزأ أو أغنى كقوله:
قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل
ولا كفى التي بمعنى: وقى من الوقاية، كقوله تعالى:﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب:25]
هذا وقد انتقدوا على أبي الطيب زيادتها في فاعل كفى بمعنى أجزأ أو أغنى إذ قال:
كفى ثعلا فخرا بأنك منهم ودهر لأن أمسيت من أهله أهل
وقد أفاض النقاد في شرح هذا البيت، فارجع إليه في ديوانه.
ينظر:إعراب القرآن وبيانه 161/2

ومدار الفائدة على إثبات أو نفي، وكلاهما يقتضي شيئين: مثبت ومثبت له، ومنفي ومنفي عنه.

وأما وجوب الحكم بالزيادة لهذه الجهة، فكنحو قولهم: بحسبك أن تفعل، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:6] (1) ، وآيات أخر، إن لم تقض بزيادة(الباء)، لم تجد للكلام وجها تصرفه إليه، وتأويلا تتأوله عليه البتة، فلا بد لك من أن تقول إن الأصل حسبك أن تفعل، وكفى الله، وذلك أن (الباء) إذا كانت غير مزيدة، كانت لتعدية الفعل إلى الاسم، وليس في بحسبك أن تفعل فعل تعديه (الباء) إلى حسبك، ومن أين يتصور أن يتعدى إلى المبتدأ فعل، والمبتدأ هو المعرى من العوامل اللفظية؛ وهكذا الأمر في كفى أو أقوى، وذلك أن الاسم الداخل عليه (الباء) في نحو: كفى بزيد، فاعل كفى، ومحال أن تعدي الفعل إلى الفاعل بـ(الباء) أو غير (الباء)، ففي الفعل من الاقتضاء للفاعل ما لا حاجة معه إلى متوسط وموصل ومعد، فاعرفه، والله أعلم بالصواب. (2)

ولم يقتصر إمام النحاة في باب آخر عن معنى من المعاني الجديدة لحرف الباء إذ يشير صراحة أنها تكون للتوكيد ،حيث أصل لهذا المعنى الجديد قائلا:" فكأنه قال: فكفى بك فارسا، وإنما يريد كفيت فارسا...

ودخلته هذه الباء توكيدا..... وقد تكون باء الإضافة بمنزلتها في التوكيد.

والذي يهمنا في المثال الذي استشهد به إمام النحاة سيبويه أنّ (الباء) تزاد للتوكيد في باب التمييز نحو أكرم به رجلا. والمبتدأ والخبر وفي فاعل (كفى) وغيرها.ومثّل لذلك قائلا:" وذلك قولك: ما زيد بمنطلق، ولست بذاهب، أراد أن يكون مؤكدا حيث نفي الانطلاق والذهاب. (3)

وكذلك: كفى بالشيب لو ألقى الباء استقام الكلام.

وقال الشاعر، من عبد بني الحسحاس:

كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهيا

---

1 .سورة النساء، الآية:6

2. أسرار البلاغة 423/1

3. ينظر:الكتاب لسيبويه 175/2 و225/4

وزعم الخليل رحمه الله أن (به) ههنا منزلة هو، ولكن هذه الباء دخلت ههنا توكيدا كما قال:
كفى الشيب والإسلام وكفى بالشيب والإسلام. (1)

1.ينظر: الكتاب لسيبويه 26/2 وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 75/2
البيت: لسحيم الرياحي:
عميرة ودع إن تجهزت غازيا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا
فقد جاء بفاعل " كفى " وهو قوله " الشيب " غير مجرور بالباء.
ويشذ جر الفاعل بالباء فيما عدا أفعل في التعجب وفاعل كفى
اللغة:
عميرة: اسم امرأة. تجهز: تهيأ. ناهيا: مانعا.
المعنى: يدعو الشاعر إلى ترك مواصلة الغواني، والتخلي عن اللهو؛ لأن الشيخوخة والإسلام يردعان عن ذلك.
الإعراب: عميرة: مفعول به مقدم منصوب بالفتحة. ودع: فعل أمر مبني على السكون، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره "أنت". إن: حرف شرط جازم: تجهزت: فعل ماض مبني في محل جزم, والتاء ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل وهو فعل الشرط. غاديا: حال من الفاعل منصوب بالفتحة.
كفى: فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة على الألف للتعذر.
الشيب: فاعل مرفوع بالضمة.
والإسلام: الواو حرف عطف، "الإسلام": معطوف على "الشيب" مرفوع بالضمة.
للمرء: اللام حرف جر، "المرء": اسم مجرور بالكسرة، والجار والمجرور متعلقان بـ"ناهيا". ناهيا: حال من الشيب منصوب أو تمييز منصوب بالفتحة.
موطن الشاهد: "كفى الشيب".
وجه الاستشهاد: إسقاط الباء من فاعل "كفى"؛ وفي هذا دلالة على أن هذه الباء، ليست واجبة الدخول على فاعل هذا الفعل؛ بخلاف دخولها على فاعل فعل التعجب الذي على صورة الأمر؛ فاقترانه بالباء واجب.
ينظر:أوضح المسالك 229/3 و شرح الأشمونى لألفية ابن مالك 265/2

اختلاف حكم (الباء) مع (التاء) و(الياء)

وفي قوله تعالى:﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ [الفرقان:19] (1)

في الآية الكريمة: حذف القول، وهذا التعبير بليغ جدا.وهو إفصاح رائع وزاده الالتفات في قوله:(كذبوكم).

وفي الكلام حذف فعل قول يدل عليه المقام.

والتقدير:

إن قلتم هؤلاء آلهتنا فقد كذبوكم، وقد جاء التصريح بما يدل على القول المحذوف في قول عباس بن الأحنف:*

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا (2)

أي:إن قلتم ذلك فقد جئنا خراسان.

1.سورة الفرقان، الآية:19

2. ينظر: التحرير والتنوير 341/18 وحماسة القرشي446/1

* العباس بن الأحنف (192 هـ /808 م)

شاعر غزل رقيق، قال فيه البحتري: أغزل الناس.

أصله من اليمامة (في نجد) وكان أهله في البصرة، وبها مات أبوه. ونشأ هو ببغداد، وتوفي بها، وقيل بالبصرة. خالف الشعراء في طريقتهم فلم يمدح ولم يهج، بل كان شعره كله غزلا وتشبيبا.

له (ديوان شعر)

* المعنى العام للبيت:

أي أن هذه البلدة أبعد ما يراد بنا، وغاية سفرنا، ثم يكون القفول والرجوع.

وقوله:

فقد جئنا مرتب على محذوف.

أي إن صدقوا فقد جئنا خراسان فلم لم نتخلص من السفر.

ويجوز أنه عدل إلى الخطاب أي: فقولوا لهم اقطعوا السفر بنا وارجعوا فقد جئنا الموعد.

ينظر: الأعلام للزركلي 259/3

وفي حذف فعل القول في هذه الآية استحضار لصورة المقام كأنه مشاهد غير محكي وكأن السامع آخر الآية قد سمع لهذه المحاورة مباشرة دون حكاية فقرع سمعه شهادة الأصنام عليهم.

ثم قرع سمعه توجه خطاب التكذيب إلى المشهود عليهم، وهو تفنن بديع في الحكاية يعتمد على تخييل المحكي واقعا.

فجملة: فقد كذبوكم إلخ:

و(الباء) في قوله: (بما تقولون):

يجوز أن تكون بمعنى: (في) للظرفية المجازية، أي: كذبوكم تكذيبا واقعا فيما تقولون.

ويجوز أن تكون للسببية، أي: كذبوكم بسبب ما تقولون.

وقيل :هي مع المجرور بدل من الضمير.

و(ما) موصولة.

والذي قالوه هو ما يستفاد من السؤال والجواب وهو أنهم قالوا إنهم دعوهم إلى أن يعبدوهم. (1)

والمعنى:

فقد كذبكم المعبودون. بما تقولون في قولكم إنهم آلهة أو هؤلاء أضلونا(2).

والزمخشري كعادته ينوه بأسلوب القرآن ويلتفت إلى الفرق بين القراءتين: (تقولون ويقولون) في الالتفات للخطاب والغيبة فقال:

وقرئ: يقولون، بالتاء والياء.

فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم أنهم آلهة.

ومعنى من قرأ بالياء: فقد كذبوكم بقولهم سبحانك، ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء.

---

1. التحرير والتنوير 341/18
2. تفسير البيضاوي 120/4

فإن قلت:
هل يختلف حكم (الباء) مع (التاء) و(الياء) ؟
قلت:
إي والله، هي مع التاء كقوله:﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ ﴾ [ق:5] (1)

وهي مع (الياء) كقولك: كتبت بالقلم. (2)
والمراد بالحق هنا القرآن لأن فعل التكذيب إذا عدي بالباء عدي إلى الخبر وإذا عدي بنفسه كان لتكذيب المخبر. (3)

وهكذا أدرك الزمخشري السرّ في القراءتين ، وأدرك معنى (الباء) المتواري في كلّ قراءة فكشف عن معنى الباء لكلّ قراءة، وتوصّل أنّ الباء في (تقولون) بالخطاب هي للمصاحبة وللملابسة.
وفي (يقولون) للغيبة وهي مع (الياء) كقولك: كتبت بالقلم للاستعانة.

---
1. سورة ق ، الآية:5
2. الكشاف 271/3
3. التحرير والتنوير284/26

مميزات الباء

والباء لأصالتها تستبد عن غيرها بثلاثة أشياء بالدخول على المضمر كقولك به لأعبدنه وبك لأزورن بيتك وقال*:
فلا بك ما أبالي (1)
وبظهور الفعل معها كقولك حلفت بالله، وبالحلف على الرجل على سبيل الاستعطاف كقولك بالله لما زرتني وبحياتك أخبرني وقال ابن هرمة:
بالله ربك إن دخلت فقل له هذا ابن هرمة واقفاً بالباب

---

1. المفصل في صنعة الإعراب 485/1
* عوية ويقال غوية بغين معجمة. وهو عوية بن سلمى بن ربيعة .
يجوز أن يكون تحقير غاوية ويجوز أن يكون تحقير غية بعد التسمية بها ولو كانت غوية اسما لامرأة لصلح أن تكون تحقير غاو وجاز لحاق التاء له وإن كان غاو رباعيا من قبل انه لما حذفت لامه صار تحقيره إلى عدة تحقير بنات الثلاثة فلحقته الهاء كما تلحق آخر المؤنث الثلاثي إذا حقر ودليل ذلك قولهم في تحقير سماء سمية لما حذفوا من آخرها حرفا فصارت إلى مثال فعيل دخلتها الهاء.
ينظر: المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة 169/1
إذا نادت أمامة باحتمال لتحزننى فلا بك ما أبالى
فسيرى ما بدا لك أو أقيمي فأيا ما أتيت ففي نقالى
يقول: أظهرت هذه المرأة من نفسها ارتحالا عني لتجلب علي حزنا وغما، ونادت بالفراق وكثرته على ألسنة الناس. ثم انصرف عن الإخبار عنها وأقبل عليها يخاطبها فقال:
لا بك ما أبالي.
وهذه اليمين فيها تهكم وسخرية؛ لأن من يحل من قلبه امرأة محلها لا يجعلها أهلا للإقسام بها.
فقولك لا بك، كقولك لا بالله. وما أبالي جواب القسم.
وقيل: أراد لا بك أبالي، أي لا أبالي بك، ويكون ما صلة، والقسم في هذا الكلام على هذا.
ومعنى البيت:
خبرتني أمامة بارتحالها؛ لتجلب علي الحزن والغم، لكنني أدعو أن لا يقع ذلك.
* الشاهد فيه: (فلا بك) حيث جر الباء الكاف؛ فهي تجر الاسم الظاهر والمضمر؛ وهي هنا للقسم.
ينظر:شرح ديوان الحماسة 707/1 واللمحة في شرح الملحة 264/1 والتبريزي طبعة بولاق 3/ 3.

وأصل حروفه الباء الجارة لأن الفعل يظهر معها تقول أقسم بالله وحلفت بالله ولأن أفعال القسم كلها لازمة،والباء هي المعدية لها إلى ما بعدها وأيضا فإنها تدخل على كل محلوف به من ظاهر ومضمر نحو بالله لأفعلن وبك لأفعلن كقول الشاعر:

رأى برقا فأوضع فوق بكر فلا بك ما أسأل ولا أغاما

وقال الآخر:

ألا نادت أمامة بارتحال لتحزنني فلا بك ما أبالي

فبك في البيتين قسم بالضمير وهو الكاف، والباء باء القسم

وكذلك لو قيل لك: كيف تضمر اسم الله تعالى في قولك: والله لأقومن ونحوه، لم يجز لك حتى تأتي بالباء التي هي الأصل فتقول: به لأقومن.(1)

وقال المجنون:

بدينك هل ضممت إليك نعما

وأنشد أبو زيد:

ألا نادت أمامة باحتمال لتحزنني فلا بك ما أبالي (2)

حذف الباء:

وتحذف الباء فينتصب المقسم به بالفعل المضمر قال:

ألا رب من قلبي له الله ناصح

وقال:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا

وقال:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد (3)

---

1. ينظر:الخصائص 21/2 والفصول المفيدة في الواو المزيدة 239/1
2. اللمع في العربية لابن جني 183/1
3. المفصل في صنعة الإعراب 485/1

الفصل الثالث

معاني حرف الاستعلاء

معنى على عند النحاة

على: حرف جر أصلي يجر الظاهر والمضمر، وأشهر معانيه:

أولا:الاستعلاء

الاستعلاء وهو أكثر معانيه استعمالا، ويدل على أن الاسم المجرور به قد وقع فوقه المعنى الذي قبل (على) وقوعا حقيقيا مباشرا أو مجازيا.

فالحقيقي نحو:﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون:22] (1)

والمجازي، نحو قوله تعالى:﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة:253]

5وقوله تعالى:﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ ﴾ [الشعراء:14]

()، وقولهم: إن الدموع على الأحزان أعوان. وفلان علينا أمير لأنّه علا عليهم في المنزلة والرتبة.

وليس من الاستعلاء المجازي قولهم: توكلت على الله، واعتمدت عليه؛ لأن الله لا يعلو عليه شيء حقيقة أو مجازًا، وإنما هي بمعنى الاستناد له، والإضافة إليه "أي: النسبة إليه"؛ تريد: أسندت توكلي واعتمادي إلى الله، وأضفتهما "أي: نسبتهما" إليه.

فإنّها لا تفيد هاهنا حقيقة ولا مجازا. (4)

وفي قوله تعالى:﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام:89] (5)

يقال: وكلته على الشيء ووكلته بالشيء فيتعدى بـ:(على) وبـ:(الباء).

وقد استعير في هذه الآية للتوفيق إلى الإيمان بالنبوءة والكتاب والحكم والنظر في ما تدعو إليه ورعايته تشبيها لتلك الرعاية برعاية الوكيل، وتشبيها للتوفيق إليها بإسناد النظر إلى الوكيل؛لأن الوكالة تقتضي وجود الشيء الموكل بيد الوكيل مع حفظه ورعايته، فكانت استعارة وكلنا لهذا المعنى إيجازا "(6)

1.سورة المؤمنون، الآية:22

2.سورة البقرة، الآية:253

3.سورة الشعراء، الآية:14

4.ينظر: شرح الألفية لابن معطي 408/1 والنحو الوافي 509/2

5. سورة الأنعام ،الآية:89

6. التحرير والتنوير 353/7

ولم يفت سيبويه الحديث عن معاني حروف الجر ،فأثناء حديثه عن حرف الاستعلاء (على) قال موضحا معنى الاستعلاء:"أما (على) فاستعلاء الشيء؛ تقول: هذا على ظهر الجبل، وهي على رأسه. ويكون أن يطوي أيضا مستعليا كقولك: مر الماء عليه؛ وأمررت يدي عليه.

وأما مررت على فلان ، فجرى هذا كالمثل. وعلينا أمير كذلك. وعليه مالٌ أيضا؛ وهذا لأنه شيءٌ اعتلاه ويكون: مررت عليه،أن يريد مروره على مكانه؛ ولكنه اتسع.

وتقول: عليه مالٌ؛ وهذا كالمثل؛ كما يثبت الشيء على المكان كذلك يثبت هذا عليه؛ فقد يتسع هذا في الكلام ويجيء كالمثل.

وهو اسمٌ لا يكون إلا ظرفا. ويدلك على أنه اسم قول بعض العرب: نهض من عليه. قال الشاعر:

غَدَتْ مِنْ عليه بعد ما تَمّ خِمْسُها تَصِلُّ وعن قيضٍ ببَيْداءَ مَجْهلِ (1)

أي من فوقه.

وهكذا من خلال الأمثلة التي ساقها سيبويه رحمه الله ، نرى شذرات المجاز موجودة في كلامه، فمن ذلك مثلا لفظ :(على الاتساع)؛ فهذه اللفظة وأمثالها هي التي أسّست للمجاز اللغوي في الحرف وغيره وقس على ذلك.

1.الكتاب لسيبويه 230/4

* شرح المفردات: الظمء: ما بين الشربتين.

تصل: تصوت.

القيض: قشرة البيضة العليا.

الزيزاء: ما غلظ من الأرض.

المجهل: القفر الخالي من الأعلام.

المعنى: يقول: إن القطاة قد تركت فراخها وقشر بيضها، وراحت تصوت في أرض خالية من الأعلام بعد أن اشتد بها الظمأ.

الشاهد فيه قوله: "من عليه" حيث جاءت (على) اسما مجرورا بـ:(من).

ينظر:شرح الأشموني 100/2 والمقتضب 53/3 والمقرب 196/1 وهمع الهوامع 36/2.

والكلام يكون له أصل ثم يتسع فيه فيما شاكل أصله فمن ذلك قولهم: زيد على الجبل، وتقول عليه دين فإنما أرادوا أن الدين قد ركبه وقد قهره، وقد يكون اللفظ واحدا ويدل على اسم وفعل نحو قولك زيد على الجبل يا فتى وزيد علا الجبل فيكون (علا) فعلا ويكون حرفا خافضا والمعنى قريب.... وإنما هذا بمنزلة قولك على زيد ثوب فإنما يريد أنه قد علاه ثم تقول عليه دين تريد أنه قد علاه وقهره.. (1)

واقتفى الزّمخشري أثر سيبويه ،وحذا حذوه ، فقال:"وعلى للاستعلاء تقول عليه دين، وفلان علينا أمير، وقال الله تعالى:﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي)2نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾" [المؤمنون:28] (
وتقول على الاتساع: مررت عليه إذا جزته... (3)

و(على) التي ينجر ما بعدها مشهور مذهب البصريين أنها حرف جر، وذهب ابن الطراوة وابن طاهر، وابن خروف، وأبو علي الرندي ، وأبو الحجاج بن معزوز، والأستاذ أبو علي في أحد قوليه إلى أنها اسم، ولا تكون حرفًا، وزعموا أن ذلك مذهب سيبويه، وكونها حرفًا هو مذهب الكوفيين، فإذا دخلت عليها (من)، ففيها خلاف.

وقد استدل الأخفش على اسمية (على) بقول العرب: (سويت علي ثيابي)
ولا يجوز: فرحت بي، إنما تقول: فرحت بنفسي، فسويت علي ثيابي، معناه: سويت فوق ثيابي...

---

1. ينظر: المقتضب 46/1 و340/4
2.سورة المؤمنون، الآية:28
3. المفصل في صنعة الإعراب 384/1

وعلى قول الأخفش مجيء قول الشاعر:
هون عليك فإن الأمور بكف الإله مقاديرها
لأنها لو جعلت حرفا في ذلك لأدى إلى تعدي فعل المخاطب إلى ضميره المتصل.
وذلك لا يجوز في غير أفعال القلوب. (1)

وهون عليك من هذا القبيل القليل. (2)
وعليه فالحرف (على) لها ثلاثة مواضع تكون اسما وفعلا وحرفا
فالفعل قولك علا فلان يا زيد
والحرف قولك على زيد مال
والاسم قولك جئت من عليه بمعنى: من فوقه (3)

---

1. ينظر:المفصل 384/1 والجني الداني 471/1
2.ارتشاف الضرب 1732/4
3.حروف المعاني والصفات 23/1
البيت قائله :الأعور الشني، وهو: من المتقارب.
الشرح: "هون" خفف، ويروى: "خفض"، "كف الإله" معناه عند أهل النظر: ملكه وسلطانه.
الشاهد:
في (عليك) على أن (على) تكون اسما إذا كان مجرورها وفاعل متعلقها ضميري مسمى واحد.
ينظر:المغني 128/1 والسيوطي في الهمع 29/2 وسيبويه 31/1 وتوضيح المقاصد 765/2

كما يرى أحد الباحثين أنّ "الزّمخشري" أوّل من التفت إلى الاستعارة في التركيب الحرفي؛ وإن وجدت هناك إشارات موجزة تومئ إليها في كتب التفسير واللغة. (1)
وممآ نلاحظه هنا أنّ"الزّمخشري" قد سجّل في هذا الموضوع نظرات صائبة، ومضى يمدّ أطناب الاستعارة التبعية في الحرف "إذ التبعية لا تقف عند حدود الفعل والمشتقات كما لاحظ عبد القاهر ،بل إنّها لتتسع فتشمل الحروف أيضا". (2)
على أنّ الزمخشري وهو يبحث في قضية استعارة التركيب الحرفي يظل متميزا من حيث قدرته المعرفية بمعاني خفية ودلائل كامنة يحويها العنصر التركيبي.
واستطاع "الزمخشري" أن يستبينها وأن يخرجها من حدّ الكمون إلى حدّ الظهور، بحيث يمكنني القول أنني وجدت "الزمخشري" يسجل تفوقا وقدرة على تلمح معاني الحروف،لم أكد أن أقف على مثلها عند غيره .
ولعلّه يكون تفوّق على السابقين في استعارة التركيب الحرفي حيث استفاد مما كتبه الأوائل ، وأضاف إليه إضافات تشهد له بالسبق في هذا الميدان.
والمتتبع لاستعارة الحرف في الكشاف يجد نماذج كثيرة من التطبيقات العملية التي أجراها الزمخشري ، كشاهد حي على نبوغه العلمي ، ووظفها مستلهما معاني الحروف الاستعارية التي ألبسها حلة أدبية من بنات أفكاره المتوارية في ظلال معاني الأحرف،وما تشيعه حولها من دلالات وإيحاءات فنية، لتكشف عن مواطن البلاغة، وضروب الإعجاز، فاستحسنها البلغاء والمفسرون الذين جاءوا من بعده ،وتهافت عليها الأتباع .فوشحوا بها كتبهم التي خلدت أعماله. واهتموا كثيرا بملاحظاته القيمة ، وتوجيهاته السديدة . لما فيها من مقدرة عجيبة على استنباط المعاني الإضافية واستكناه ظلالها والنظر إلى الدلالات الخفية التي تقتضيها سياقات الكلام وأحواله وتصاريفه.

1.ينظر:الوجوه والنظائر لهارون بن موسى (ت170 هـ) ص189 والأشباه والنظائر لمقاتل (150هـ) ص 187
2. ينظر: البلاغة تطور لضيف 155 وفنون التصوير ص241 والمنهاج الواضح للبلاغة 109/4

وهكذا حيث كان يحدد كنه كل حرف ووظيفته اللغوية والإعرابية مما يضفي على دراسته وتناوله لحروف المعاني شيئًا من التكامل بين اللغة والنحو والبلاغة.

وسنحاول في هذا البحث إعطاء نماذج حية لتكون أقرب للتطبيقات العملية التي أجراها الزمخشري في كشافه من أسرار استعارة التركيب الحرفي التي تضمنها كتاب الله عزّ وجلّ.

وأول صيغة تطالعنا من صيغ استعارة التركيب الحرفي التي تعرَض لها الزمخشري في كتابه:(الكشاف) ، في القرآن الكريم ، هي استعارة الحرف (على) الدال على الاستعلاء مجازا؛ ففي قول الله عزّ وجلّ: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة:5]:(1).

ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى:(على هدى) ، مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه ، وتمسكهم به ،شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه، ونحوه : هو على الحقّ وعلى الباطل...(2) "

قيل: في أداة (على) سر لطيف، وهو الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدى،وهو حق.... والله عز وجل هو الحق، وصراطه حق، ودينه حق. فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدى؛ فكان في أداة (على) على هذا المعنى ما ليس في أداة غيرها فتأمله، فإنه سريع بديع. (3)

1.سورة البقرة،الآية:5

2.تفسير الكشاف 142/1

3.ينظر: التفسير القيم لابن القيم ص16

* متعلق معنى الحرف

ومتعلق معنى الحرف :المقصود به المعنى الكلي الذي يستلزمه المعنى الجزئي للحرف فلفظ (في) مثلا موضوع لمعنى جزئي هو الظرفية الخاصة في قولك :(الماء في الكوز)

وهذا المعنى الجزئي يتعلق بمعنى كلي هو مطلق ظرفية شيء في شيء .ومعنى تعلقه به استلزامه له إذ الخاص يستلزم العام

ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة 109/4

فإن قلت: فما الفائدة في ذكر (على) في ذلك أيضا. وكيف يكون المؤمن مستعليا على الحق، وعلى الهدى؟.
قلت: لما فيه من استعلائه وعلوه بالحق والهدى، مع ثباته عليه واستقامته إليه. فكان في الإتيان بأداة (على) ما يدل على علوه وثبوته واستقامته. (1)
فالمتتبع للأمثلة التي ساقها الزمخشري يجد فيها استعارة ،حيث شبه كلاّ من (الحق ، والباطل) بمركوب يركب على سبيل الاستعارة المكنية.
ومن المزايا البارزة لأسماء الإشارة أنها تعين المتكلم على التركيز والإيجاز والإتيان بحرف الاستعلاء (على) تمثيل لحالهم بأن شبهت هيئة تمكنهم من الهدى وثباتهم عليه ومحاولتهم الزيادة به والسير في طريق الخيرات بهيأة الراكب في الاعتلاء على المركوب والتمكن من تصريفه والقدرة على إراضته، فشبهت حالتهم المنتزعة من متعدد بتلك الحالة المنتزعة من متعدد تشبيها ضمنيا دل عليه حرف الاستعلاء ؛ لأن الاستعلاء أقوى أنواع تمكن شيء من شيء، ووجه جعلنا إياها مؤذنة بتقدير مركوب دون كرسي أو مسطبة مثلا، لأن ذلك هو الذي تسبق إليه أفهامهم عند سماع ما يدل على الاستعلاء، إذ الركوب هو أكثر أنواع استعلائهم فهو الحاضر في أذهانهم، ولذلك تراهم حين يصرحون بالمشبه به أو يرمزون إليه ما يذكرون إلا المركوب وعلائقه، فيقولون جعل الغواية مركبا
وعليه: فتكون كلمة (على) هنا بعض المركب الدال على الهيأة المشبه بها على وجه الإيجاز.
ومنه قول النابغة يهجو عامر بن الطفيل الغنوي:
فإن يك عامر قد قال جهلا فإنّ مطية الجهل الشباب
وعليه فالآية الكريمة التي نحن بصدد الحديث عنها تتحدّث عن صفات المؤمنين الذين يؤمون بالغيب ويقيمون الصلاة ،ويمتثلون لأمر الله ، ويقفون عند حدوده ،فهم على هدى من ربهم." وكونهم على الهدى تمسكهم بموجب الدليل ؛لأنّ الواجب على المتمسك بالدليل أن يقوم على ذلك ،ويحرسه عن المطاعن والشبه ."(2)

1.التنوير والتحرير 132/1
2. تفسير الرازي 279/2

لذا فقد شبهت حالتهم المنتزعة من متعدد بتلك الحالة المنتزعة من متعدد تشبيها ضمنيا.
دلّ عليه حرف الاستعلاء (على) لأنّ الاستعلاء أقوى أنواع تمكن شيء من شيء .وهذا بتقدير مركوب يعتلى عليه ؛لأنّ ذلك هو الذي تسبق إليه أفهامهم عند سماع ما يدلّ على الاستعلاء ،إذ الركوب هو أكثر أنواع استعلائهم فهو الحاضر في أذهانهم .
وعليه فيلزم أن تكون كلمة:(على) هنا بعض المركب الدال على الهيأة المشبه بها على وجه الإيجاز .
وأصله أولئك على مطية الهدى فالاستعارة هي تمثيلية تصريحية إلاّ أنّ المصرح به بعض المركب الدال لا جميعه .
هذا ولم يقف السيد الجرجاني مكتوف الأيدي أمام هذه الآية ،فقد ذهب إلى أنّ كلمة (على) في الآية الكريمة استعارة تبعية مقيّدة بأن شبه التمسك بالهدى عند المتقين بالتمكن من الدابة للراكب، وسرى التشبيه إلى معنى الحرف وهو (على).
وجوز وجها آخر ، وهو أن يكون هنا استعارة مكنية مفردة بأن شبه الهدى بمركوب
وحرف الاستعلاء قرينة على ذلك على طريقة السكاكي في ردّ التبعية للمكنية .(1)
هذا ولم يقتصر بذكر الأمثلة السابقة بل وظف أمثلة من شواهد العرب تشهد لهم بالبلاغة في القول فمن ذلك تصريحهم مثلا : "جعل الغواية مركبا ، وامتطى الجهل، واقتعد غارب الهوى "(2) *

1.الكشاف 140/1

2. حاشية السيد الجرجاني على الكشاف 138/1

* الأمثلة التي ساقها تحتوي على الاستعارة .حيث شبه الهوى بالمطية على طريق الاستعارة المكنية. ورمز لها بإثبات (الغارب) ورشح بذكر الاقتعاد.

* (امتطى الجهل) استعارة تبعية حيث شبه اتصافه بالجهل واستقراره عليه بامتطاء المطية ، واستعير اسم المشبه به للمشبه وسرت الاستعارة إلى الفعل ،والجهل قرينة لها .

فهذه الأمثلة التي ساقها تحمل في طياتها استعارة مكنية ،حيث شبه كلاّ من "الغواية، والجهل" بمركوب يركب فحذف المركوب وترك شيئا من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

ينظر حاشية الكشاف للسيد الجرجاني ص 1/144

ونكر (هدى) للتعظيم، وليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه، ولا يقادر قدره كأنه قيل: على أي هدى، كما تقول: لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلا. وقال الهذلي:

فَلَا وَأَبِى الطّيْرِ المُرِبَّةِ بالضُّحَى عَلى خالِدٍ لَقدْ وَقَعْتِ على لَحَم

أي: لحم عظيم. أي لحم وأي لحم.

وأربّ بالمكان إذا أقام به.

وفي تكرير (أولئك): تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى، فهي ثابتة لهم بالفلاح (1)

وبعد عرض آراء العلماء تبيّن لنا أنّ الآية الكريمة التي تعرّض لها علماء التفسير والبلاغة فقد توصلوا على أن الآية الكريمة اشتملت على ثلاث استعارات مختلفة ،هي :

أن تكون استعارة تبعية .

أو استعارة مكنية.

أو استعارة تمثيلية.(2)

1.ينظر: تفسير البيضاوي 40/1

2.ينظر حاشية السيد الجرجاني 142/1

وشبيه بهذه الآية الكريمة التي تحمل معنى الاستعلاء أيضا، قول الله عزّ وجلّ:
﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة:157] (1) هذا وقد علّق أحد أعمدة التفسير على الآية المباركة مؤثرا حرف الاستعلاء (على) على حرف (اللام) قائلا:" وأتى بـ: (على) إشارة إلى أنهم منغمسون في ذلك ، وقد غشيهم وتجللهم ، فهو أبلغ من (اللام). " (2)
كما صرح به ابن القيم الجوزية قائلا:"والغرض بذلك كثرة الصلاة والرحمة ؛لأنّ ما علاك وجللك فقد أحاط بك"(3).
والتفت بعض العلماء الأجلاء إلى دلالة الحرف (على) في السياق القرآني ،فقال:"و(على) توحي بجعل الرحمة سياجا حول المؤمن وحصنا منيعا يحميه من عذاب الله فهو منها في غطاء يحول دون وصول غضب الله إليه ويحجب عنه سخطه وعقابه.(4)

وفي قول الله عزّ وجلّ:﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:7] (5)
الختم والكتم أخوان ؛ لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل إليه ولا يطلع عليه .
"والختم حقيقته السد على الإناء والغلق على الكتاب بطين ونحوه مع وضع علامة مرسومة في خاتَم ليمنع ذلك من فتح المختوم ، فإذا فتح علم صاحبه أنه فتح لفساد يظهر في أثر النقش."
قال بشار :
خَتَمَ الْحُبُّ لَهَا فِي عُنُقِي مَوْضِعَ الْخَاتَمِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَمِ

---

1. سورة البقرة ،الآية :157
2.الألوسي ،روح المعاني 23/2
3.ابن القيم ،الفوائد المشوق إلى علوم القرآن 39
4. من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ص118
5.سورة البقرة، الآية:7

والغشاوة :
الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه، وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة .
ومما يصاغ له وزن فِعالة بكسر الفاء معنى الاشتمال على شيء مثل العِمامة والعِلاوة واللِّفافة.(1)
"وقد قيل إن صوغ هذه الزنة للصناعات كالخِياطة لما فيها من معنى الاشتمال المجازي"

فإن قلت : ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار؟
قلت : لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة،وإنما هو من باب المجاز.
ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما: الاستعارة والتمثيل
أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم ؛ لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده ، وأسماعهم ؛ لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم ، وأبصارهم ؛ لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطي عليها وحجبت ، وحيل بينها وبين الإدراك.(2)

وأمّا التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية .

وبعد عرض آراء علمائنا الأجلاء تبيّن لنا استفادة الأواخر من الطرح الذي تبناه الزمخشري في كشافه.

---

1. التحرير والتنوير 254/1
2. الكشاف 48/1

والزمخشري يكشف الفائدة من سر تكرير حرف الجر (على) فقال:
فإن قلت:
أيّ فائدة في تكرير الجارّ في قوله:(وعلى سمعهم) ؟
قلت:
لو لم يكرّر لكان انتظاما للقلوب والأسماع في تعدية واحدة وحين استجدّ للأسماع تعدية على حدة، كان أدل على شدة الختم في الموضعين.
ووحد السمع كما وحد البطن في قوله: (كلوا في بعض بطنكم تعفوا) يفعلون ذلك إذا أمن اللبس.
وأعاد جل شأنه الجار لتكون أدل على شدة الختم في الموضعين فإن ما يوضع في خزانة إذا ختمت خزانته وختمت داره كان أقوى في المنع عنه وأظهر في الاستقلال؛ لأن إعادة الجار تقتضي ملاحظة معنى الفعل المعدى به حتى كأنه ذكر مرتين، ولذا قالوا في
مررت بزيد وعمرو: مرور واحد، وفي مررت بزيد وبعمرو: مروران، والعطف وإن كان في قوة الإعادة لكنه ليس ظاهرا مثلها في الإفادة لما فيه من الاحتمال.(1)

" وإعادة الجار للتأكيد والإشعار بتغاير الختمين؛ وتقديم ختم قلوبهم للإيذان بأنها الأصل في عدم الإيمان وللإشعار بأن ختمها ليس بطريق التبعية بختم سمعهم بناء على أنه طريق إليها فالختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله حسبما يفصح عنه.(2)

---

1. الكشاف52/1
2.إرشاد العقل السليم 38/1

وفي قول الله تعالى: ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه:10] (1) أي:هاديا يدلني على الطريق أو يهديني أبواب الدين، فإن أفكار الأبرار مائلة إليها في كل ما يعن لهم. ولما كان حصولهما مترتبا بني الأمر فيهما على الرجاء بخلاف الإيناس، فإنه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا أنفسهم عليه. (2)

ومعنى الاستعلاء في على النار أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها، كما قال سيبويه في مررت بزيد: أنه لصوق بمكان يقرب من زيد. أو لأن المصطلين بها والمستمتعين بها إذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها(3).

وحرف (على) في الآية السابقة مستعمل في الاستعلاء المجازي، أي شدة القرب من النار قربا أشبه الاستعلاء، وذلك أن مشعل النار يستدني منها للاستنارة بضوئها أو للاصطلاء بها.

وقد أجرى الله على لسان موسى معنى هذه الكلمة إلهاما إياه أنه سيجد عند تلك النار هدى عظيما، ويبلغ قومه منه ما فيه نفعهم.

وإظهار النار لموسى رمز رباني لطيف إذ جعل اجتلابه لتلقي الوحي باستدعاء بنور في ظلمة رمزا على أنه سيتلقى ما به إنارة ناس بدين صحيح بعد ظلمة الضلال وسوء الاعتقاد. (4)

1.سورة طه، الآية:10
2.تفسير البيضاوي24/4
3.الكشاف 53/3
4.التحرير والتنوير 195/16

ومنه قول الأعشى:
وبات على النار الندى والمحلق (1)

---

1. ينظر: الكشاف 53/3
* الأعشى سبقت ترجمته
من قصيدته الغالية التي رفعت المحلق وطارت بذكره في الآفاق، يقول له:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لبان ثدي أم تحالفا بأسحم عوض الدهر لا نتفرق
ترى الجود يجري ظاهرا فوق وجهه كما زان متن الهندواني رونق
يداه يدا صدق، فكف مفيدة وكف إذا ما ضن بالمال تنفق

للأعشى يمدح المحلق- بكسر اللام- سمى بذلك لأن بعيره عضه في وجهه فبقى أثر العضة مثل الحلقة، وهو من نبي عكاظ، كان فقيرا وله عشر بنات لا يرغب فيهن أحد لفقرهن، فانعزل بهن إلى بعض المهامه أي المفاوز البعيدة فنزل به الأعشى فنحر له ناقته ولم يكن عنده غيرها وأحسن قراه. فعظم عند الأعشى، فلما أصبح واستوى على راحلته قال له: ألك حاجة؟
قال: نعم، أن تسير بذكرى في بنى عكاظ، لعل أحدا يرغب في بناتي فقد مسهن العنس. فمدحه في عكاظ فلم يلبث حتى خطبت بناته.
ولاحت: لمحت وتشوفت، واليفاع: المشرف من الأرض. يخرق: أي يخترق ذلك الضوء وينتشر في الأرض. ويروى: تحرق، بالحاء المهملة، والضمير للنار.
وتشب. مبني للمجهول، يقال: شببت النار أشبها شبا وشبوبا: أو قدتها.
والمقروران: اللذان أصابهما القر أي البرد، وأراد بهما الندى والمحلق، يعنى أنه هو وكرمه ملازمان لنار القرى ملازمة المقرور لنار التدفؤ، وبين ذلك بقوله: وبات على النار الندى والمحلق.
ويجوز أن الأعشى أراد نفسه والمحلق، لكل الأول أوقع في المدح.
ومعنى كونهما عليها: أنهما على جانبيها ولأن المتدفئ يكون أعلى منها بحيث يمد يده فوقها.
وعطف المحلق على الندى دلالة على أنهما متلازمان متقارنان، وبين ذلك بقوله: رضيعي لبان : شبههما بالتوأمين دلالة على غاية التلازم حتى في الرحم بل وقبله. واللبان: لبن المرأة خاصة.
والمعنى : النار على مكان عال تتحرق، ولو قال: متحرقة، لأنكرته النفس كما قال عبد القاهر، وذلك؛ لأن قولنا في يفاع متحرقة يفيد أن النار متحرقة فقط، وليس هذا غرض الشاعر، وإنما غرضه أن النار تتحرق ويتجدد منها الإحراق، ويحدث شيئا فشيئا، وأن المحلق هناك يجدد ويعلي لهبها، واشتعالها

تابع:
وبات على النار الندى والمحلق

_____
لتكون ناره أهدى لسارب الليل، وأجلب لطالب المعروف، وفيه من الدلالة على تمكن طبيعة السخاء، والبذل ما ليس في غيره.

والشاهد:
أنّ (على) هنا للاستعلاء المجازي ؛لأن أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد: إنه لصوق في مكان يقرب من زيد. أو لأن المصطلين بها إذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها.
أقول: إن كلا من الإلصاق والاستعلاء إنما يكون حقيقيا إذا كان مفضيا إلى نفس المجرور كأمسكت بزيد وصعدت على السطح.

وفي قوله تعالى: ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾ [البروج:6] (1)
والأخدود: بوزن أفعول.
وهو صيغة قليلة الدوران غير مقيسة، ومنها قولهم:أفحوص مشتق من فحصت القطاة والدجاجة إذا بحثت في التراب موضعا تبيض فيه، وقولهم أسلوب اسم لطريقة، ولسطر النخل، وأقنوم اسم لأصل الشيء.
وقد يكون هذا الوزن مع هاء تأنيث مثل أكرومة، وأعجوبة، وأطروحة وأضحوكة.
والوقود: بفتح الواو اسم ما توقد به النار من حطب ونفط ونحوه.
ومعنى ذات الوقود: أنها لا يخمد لهبها ؛ لأن لها وقودا يلقى فيها كلما خبت.
و(على) للاستعلاء المجازي؛ لأنهم لا يقعدون فوق النار ولكن حولها، وإنما عبر عن القرب والمراقبة بالاستعلاء.
ومثله قوله تعالى:﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص:23] (2) ، أي: عنده.
وعلى احتمال أن يكون المراد بأصحاب الأخدود المؤمنين المعذبين فيه، فالقعود حقيقة.
و(على) للاستعلاء الحقيقي، أي: قاعدون على النار بأن كانوا يحرقونهم مربوطين بهيئة القعود؛ لأن ذلك أشد تعذيبا وتمثيلا.
أي: بعد أن يقعدوهم في الأخاديد يوقدون النار فيها وذلك أروع وأطول تعذيبا.(3)
ومعنى عَلَيْها على ما يدنو منها من حافات الأخدود، كقوله:
وبات على النّار النّدى والمحلّق
وكما تقول: مرت عليه، تريد: مستعليا لمكان يدنو منه، ومعنى شهادتهم على إحراق المؤمنين.

1.سورة البروج ،الآية:06
2.سورة القصص، الآية:23
3.التحرير والتنوير 242/30

وفي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون:6] (1)
من قولك: كان فلان على فلانة فمات عنها فخلّف عليها فلان.
ونظيره: كان زياد على البصرة، أي:واليا عليها.
ومنه قولهم: فلانة تحت فلان. ومن ثمة سميت المرأة فراشا.
والمعنى:

أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال، إلا في حال تزوّجهم أو تسريهم، أو تعلق (على):بمحذوف يدل عليه (غير ملومين)
كأنه قيل: يلامون إلا على أزواجهم، أي: يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم، فإنهم غير ملومين عليه.
أو تجعله صلة لحافظين، من قولك: احفظ عليّ عنان فرسي، على تضمينه معنى: النفي، كما ضمن قولهم: نشدتك بالله إلا فعلت معنى: ما طلبت منك إلا فعلك.
فإن قلت هلا قيل:
من ملكت؟
قلت: لأنه أريد من جنس العقلاء ما يجرى مجرى غير العقلاء وهم الإناث جعل المستثنى حدا أوجب الوقوف عنده، ثم قال: فمن أحدث ابتغاء وراء هذا الحدّ مع فسحته واتساعه، وهو إباحة أربع من الحرائر، ومن الإماء ما شئت فألئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه. (2)
والحفظ: الصيانة والإمساك. وحفظ الفرج معلوم، أي عن الوطء.

1.سورة المؤمنون،الآية:6
2.الكشاف176/3

والاستثناء في قوله:(إلا على أزواجهم إلخ) استثناء من عموم متعلقات الحفظ التي دل عليها حرف (على) أي:حافظونها على كل ما يحفظ عليه إلا المتعلق الذي هو أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم.

فضمن حافظون: معنى عدم البذل.

يقال: احفظ علي عنان فرسي كما يقال: أمسك علي كما في آية:﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب:37] (1)

وذهب الفراء إلى أن (على) بمعنى (من) أي إلا من أزواجهم كما جاءت (من) بمعنى (على) في قوله تعالى:﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ [الأنبياء:77] (2).

وأو حرف عطف وما عطف على أزواجهم.

وجملة ملكت أيمانهم صلة.

وعبر بما دون (من) وإن كان المقام لها لنقصهن لأنهن السراري.

والسرية: الأمة التي بوأتها بيتا وهي فعلية منسوبة إلى السر وهو الجماع أو الإخفاء؛ لأن الإنسان كثيرا ما يسرها ويسترها عن حرية.

وضمت السين؛ لأن الأبنية قد تغير في النسب كما قالوا في النسب إلى الدهر دهري والى الأرض السهلة سهلي بضم أولهما والجمع سراري.

وقال الأخفش هي مشتقة من السرور لأن الإنسان يسرّ بها، وعبارة المصباح:

والسرية فعلية قيل مأخوذة من السر بالكسر وهو النكاح ، فالضم على غير قياس فرقا بينها وبين الحرّة إذا نكحت سرا فإنه يقال لها سرية بالكسر على القياس.

وقيل من السر بالضم بمعنى: السرور لأن مالكها يسر بها فهو على القياس .(3)

ويرى الطبري أنّ (على) بمعنى (من) فقال:"إلا من أزواجهم اللاتي أحلهن الله للرجال بالنكاح.

قال الفراء: أي من أزواجهم اللاتي أحل الله لهم لا يجاوزون.

1.سورة الأحزاب ،الآية:37

2.سورة الأنبياء ،الآية:77

3.تفسير القرطبي 106/12

و(على) في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ [النساء:39] (1)

و(على) للاستعلاء المجازي بمعنى: الكلفة والمشقة، كقولهم: عليك أن تفعل كذا.

و(لو آمنوا): شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه.

وقد قدم دليل الجواب اهتماما بالاستفهام، كقول قتيلة بنت الحارث*:

مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُحْنَقُ

أي ما كان ضرك منك عليه بالعفو.(2)

1.سورة النساء، الآية:39

2.ينظر:التحرير والتنوير 54/5 وجامع الدروس العربية 263/3

*قتيلة بنت النضر (000 - نحو 20 هـ = 000 - نحو 640 م)

قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة، من بني عبد الدار، من قريش: شاعرة، من الطبقة الأولى في النساء. أدركت الجاهلية والإسلام. وأسر أبوها النضر في وقعة بدر، فأمر به النبي ﷺ فقتل، فرثته بقصيدة أنشدتها بين يدي رسول الله، تقول فيها:

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق

فنهى رسول الله عن قتل أسرى قريش بعد النضر. وأسلمت بعد مقتله، وروت الحديث. وتوفيت في خلافة عمر. وقصيدتها مما اختاره أبو تمام

ينظر: الأعلام للزركلي 190/5

وسبب قتل النبي - ﷺ - أباها، أنه كان يقرأ أخبار العجم على العرب، ويقول: محمد يأتيكم بأخبار عاد وثمود، وأنا آتيكم بخير الأكاسرة والقياصرة، يريد بذلك أذى النبي -ﷺ. فلما سمع النبي -ﷺ- هذا البيت، وهو من جملة أبيات أنشدتها بين يديه، قال: "لو سمعته قبل قتله ما قتلته، ولعفوت عنه". ثم قال: لا يقتل قرشي بعد هذا صبرا

المعنى: أي ضرر كان يلحقك يا رسول الله لو تفضلت وأنعمت على أبي بالعفو؟ وكثيرا ما يعفو الرجل الكريم وهو مملوء غيظا وغضبا.

الشاهد: في "لو مننت" فإن "لو" مصدرية وما بعدها في تأويل مصدر ولم تتقدمها "ود" ولا "يود" ونحوهما؛ وهذا قليل.

ينظر: شرح التصريح على التوضيح416/2 وضياء السالك إلى أوضح المسالك 63/4

وفي قول الله عزّ وجلّ:﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: 78] (1)

و(على) في قوله:(على لسان داود) للاستعلاء المجازي المستعمل في تمكن الملابسة.

وعليه فهي استعارة تبعية لمعنى باء الملابسة،فقد قصد منها المبالغة في الملابسة.

أي: لعنوا بلسان داوود، أي: بكلامه الملابس للسانه.

وقد أفاد اسم الإشارة مع (باء السببية)؛ ومع وقوعه في جواب سؤال مقدر أفاد مجموع ذلك مفاد القصر، أي: ليس لعنهم إلا بسبب عصيانهم كما أشار إليه في الكشاف وليس في الكلام صيغة قصر، فالحصر مأخوذ من مجموع الأمور الثلاثة.(2)

ومن هذا القبيل قول الله عزّ وجلّ :﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأنعام:71] (3) أي: نرجع إلى الضلالة بعد الهدى.

يقال: رجع فلان على عقبيه، إذا: أدبر.

قال أبو عبيدة: يقال لمن رد عن حاجته ولم يظفر بها: قد رد على عقبيه.

وقال المبرد: معناه تعقب بالشر بعد الخير.

وحرف (على) فيه للاستعلاء، أي: رجع على طريق جهة عقبه، كما يقال: رجع وراءه، ثم استعمل تمثيلا شائعا في التلبس بحالة ذميمة كان فارقها صاحبها ثم عاد إليها وتلبس بها، وذلك أن الخارج إلى سفر أو حاجة فإنما يمشي إلى غرض يريده فهو يمشي القدمية فإذا رجع قبل الوصول إلى غرضه فقد أضاع مشيه فيمثل حاله بحال من رجع على عقبيه.

وهذا أبلغ في تمثيل سوء الحالة من أن يقال: ونرجع إلى الكفر بعد الإيمان.(4)

1.سورة المائدة، الآية: 78

2. التحرير والتنوير 292/6

3.سورة الأنعام،الآية:71

4.التحرير والتنوير 300/7

وتأمل دلالة حرف الجر في قول الله عزّ وجلّ:﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء:194] (1)
وقوله: على قلبك يتعلق بفعل نزل.
وعلى للاستعلاء المجازي ؛لأن النزول وصول من مكان عال فهو مقتض استقرار النازل على مكان.

ومعنى نزول جبريل على قلب النبي عليهما السلام: اتصاله بقوة إدراك النبي لإلقاء الوحي الإلهي في قوته المتلقية للكلام الموحى بألفاظه، ففعل (نزل) حقيقة.
وحرف (على) مستعار للدلالة على التمكن مما سمي بقلب النبي صلى الله عليه وسلّم.

وفي قول الله عزّ وجلّ:﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر:12] (2)
و(على) للاستعلاء المجازي وهو التمكن كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون:28] (3) ؛وإلا فإن استقراره في السفينة كائن في جوفها كما قال تعالى: إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة:11] (4)
وفي قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا ﴾ [الحديد:27] (5) و(على) للاستعلاء.
وأصل (قفى على أثره) كما يقول صاحب التنوير يدل على قرب ما بين الماشيين، أي: حضر الماشي الثاني قبل أن يزول أثر الماشي الأول، وشاع ذلك حتى صار قولهم: على أثره، بمعنى: بعده بقليل أو متصلا شأنه بشأن سابقه.
وفي إعادة فعل قفينا وعدم إعادة على آثارهم إشارة إلى بعد المدة.

---

1. سورة الشعراء ،الآية:194
2.سورة القمر، الآية:12
3.سورة المؤمنون، الآية:28
4.سورة الحاقة،الآية:11
5.سورة الحديد، الآية:27

وفي قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثر: 30] (1)
ومعنى عليها على حراستها، فـ: (على) للاستعلاء المجازي بتشبيه التصرف والولاية بالاستعلاء كما يقال: فلان على الشرطة، أو على بيت المال، أي يلي ذلك والمعنى:
أن خزنة سقر تسعة عشر ملكا.(2)
ومنه قوله تعالى:﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير:24] (3)
وأصل ذلك أنهم يقولون: ظن به سوءا، فيتعدى إلى متعلقه الأول بحرف باء الجر فلما كثر استعماله حذفوا الباء.
ووصلوا الفعل بالمجرور فصار مفعولا فقالوا ظنه: بمعنى اتهمه.
يقال: سرق لي كذا وظننت فلانا.

وحرف (على) في هذا الوجه للاستعلاء المجازي الذي هو بمعنى الظرفية نحو: ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: 10] (4)
أي ما هو بمتهم في أمر الغيب وهو الوحي أن لا يكون كما بلغه، أي أن ما بلغه هو الغيب لا ريب فيه، وعكسه قولهم: ائتمنه على كذا.(5)
وعليه: فـ (على) هنا على بابها أي للاستعلاء المجازي

1.سورة المدثر، الآية:30
2. التحرير والتنوير312/29
3.سورة التكوير، الآية:24
4.سورة طه، الآية:10
5.التحرير والتنوير 163/30

وفي قوله تعالى:﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 108] (1)

ومعنى أن يأتوا بالشهادة: أن يؤدوا الشهادة.

جعل أداؤها والإخبار بها كالإتيان بشيء من مكان.

ومعنى قوله:(على وجهها)، أي: على سنتها وما هو مقوم تمامها وكمالها.

فاسم (الوجه) في مثل هذا مستعار لأحسن ما في الشيء وأكمله تشبيها بوجه الإنسان، إذ هو العضو الذي يعرف به المرء ويتميز عن غيره.

ولما أريد منه معنى الاستعارة لهذا المعنى، وشاع هذا المعنى في كلامهم، قالوا: جاء بالشيء الفلاني على وجهه، فجعلوا الشيء مأتيا به، ووصفوه بأنه أتي به متمكنا من وجهه، أي من كمال أحواله. (2)

فحرف (على) للاستعلاء المجازي المراد منه التمكن، مثل: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:5] (3)

والجار والمجرور في موضع الحال من بالشهادة، وصار ذلك قرينة على أن المراد من الوجه غير معناه الحقيقي.

ولقد أوقفني هذا التخريج الذي لم أجد له مثيلا في كتب التفسير فهو ـ والله أعلم ـ من اجتهادات شيخنا الطاهر ابن عاشور.

1.سورة المائدة، الآية:108

2. التحرير والتنوير93/7

3.سورة البقرة،الآية:5

معنى الإيعاء

إنّ أكثر الحروف التباسا بحرف الاستعلاء ، وأشدها قربا منه هو: حرف(الوعاء)، ولكثرة ما ورد من المواطن التي دقّ فيها الفرق بين المعنيين،صرّح كثير من اللغويين والنحاة بتداخل الحرفين.

قال البطليوسي:"(في) و(على) يتداخل معنياهما في بعض المواضع ؛ فلذلك يقع بعضهما موقع بعض ؛ لأنّ معنى (على) الإشراف والارتفاع ومعنى (في) الوعاء والاشتمال وهي خاصة بالأمكنة ، ومكان الشيء قد يكون عاليا مرتفعا ، وقد يكون مستفلا منخفضا وكثيرا ما لجأ المفسرون إلى مثل هذا الرأي حينما كان يستغلق عليهم سرّ إيثار (على) في موضع، واختصاص (في) بموضع آخر ...(1)

فإن قلت: لم قال:(لِتَرْكَبُوا مِنْها...)...، (ولتبلغوا عليها) [غافر: 79/78] (2) ، ولم يقل، لتأكلوا منها ، ولتصلوا إلى منافع؟ أو هلا قال: منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم؟

قلت: في الركوب: الركوب في الحج والغزو، وفي بلوغ الحاجة: الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو طلب علم، وهذه أغراض دينية إمّا واجبة أو مندوب إليها مما يتعلق به إرادة الحكيم.

وأما الأكل وإصابة المنافع: فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به إرادته.

ومعنى قوله: ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [غافر:80] (3)، وعلى الأنعام وحدها لا تحملون، ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر.

فإن قلت:

هلا قيل: وفي الفلك، كما قال:﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [هود:40] (4)

---

1. من أسرار الحروف ص57
2. سورة غافر ،الآية:79/78
3. سورة غافر ،الآية:80
4. سورة هود ،الآية:40

قلت : معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء : كلاهما مستقيم؛ لأنّ الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها ، فلما صحّ المعنيان صحت العبارتان؛ وأيضا فليطابق قوله:(وعليها) ويزاوجه.(1)
ويرى أحد الباحثين أنّ الاستعلاء هنا أنسب فقال:"والاستعلاء فيهما هو الأنسب معنى، الأوفق لفظا ،ذلك أنّ الغرض في الموضعين هو التذكير بنعمة الله تعالى في خلق الأنعام ،وما أودعه فيها من منافع للإنسان شربا من بطونها ،وأكلا من لحومها ، وحملا على ظهورها.

والأصل في الحمل أن يتعدى بـ:(على) ؛ لأنّ المحمول يستعلي ظهر الحامل ؛إلاّ إذا أريد الدلالة على أنّ الحامل صار وعاء للمحمول ،لغرض يستدعيه النظم... ، ثمّ جاء ذكر السفن تتميما وتبعا، والغرض من الحمل فيها هو بيان نعمة الله تعالى في اعتلاء ظهورها، والانتقال بها إلى حيث يريدون (2)

ولما ذكر تعالى ما امتن به من منة الركوب للإبل في البر، ذكر ما امتن به من نعمة الركوب في البحر فقال:(وعليها وعلى الفلك تحملون)؛ ولما كان الفلك يصح أن يقال فيه: حمل في الفلك، كقوله:(احمل فيها)، ويصح أن يقال فيه حمل على الفلك، اعتبر لفظ (على) لمناسبة قوله: (وعليها)، وإن كان معنى(في) صحيحا . (3)

ويرى صاحب التحرير أنّ اختلاف الحرفين (على) مكان (في) للمشاكلة فقال: وإنما قال: و(على) الفلك ولم يقل: و(في) الفلك، كما قال: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ ﴾ [العنكبوت:65] (4) فللمزاوجة والمشاكلة مع وعليها، وإنما أعيد حرف (على) في الفلك؛ لأنها هي المقصودة بالذكر وكان ذكر وعليها كالتوطئة لها فجاءت على مثالها.

---

1. الكشاف 181/4
2. من أسرار الحروف ص62
3. البحر المحيط في التفسير 276/9
4.سورة العنكبوت، الآية:65

وتقديم المجرورات في قوله: (ومنها تأكلون) وقوله:(وعليها وعلى الفلك) للرعاية على الفاصلة مع الاهتمام بما هو المقصود في السياق.
وتقديم (لكم) على (الأنعام) مع أن المفعول أشد اتصالا بفعله من المجرور لقصد الاهتمام بالمنعم عليهم.
وأما تقديم المجرورين في قوله: (ولكم فيها منافع) فللاهتمام بالمنعم عليهم. (1)
والمنعم بها ؛لأنه الغرض الأول من قوله:﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ ﴾ [غافر:79] (2)

ويقتدي الشيخ حقي بمقولة الزمخشري ويتبنى رأيه في مخالفة الحروف فقال: وانما لم يقل وفى الفلك كقوله (قلنا احمل فيها) ؛ لان معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضا هو يطابق قوله عليها ويزاوجه؛ فلما صح المعنيان صحت العبارتان. (3) وفي قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ [الانشقاق:23] (4)
ومعنى:(بما يوعون): بما يضمرون في قلوبهم من العناد مع علمهم بأن ما جاء به القرآن حق ولكنهم يظهرون التكذيب به ليكون صدودهم عنه مقبولا عند أتباعهم وبين مجاوريهم.
وأصل معنى الإيعاء: جعل الشيء وعاء الوعاء بكسر الواو الظرف ؛لأنه يجمع فيه، ثم شاع إطلاقه على جمع الأشياء لئلا تفوت فصار مشعرا بالتقتير. (5)
والإيعاء: جعل الشيء في وعاء والقلوب أوعية لما يجعل فيها من معرفة أو جهالة وعزم على خير أو شر.(6) ؛ وأوعيت الزاد والمتاع أي: جعلته في الوعاء.(7)

---

1. التحرير والتنوير217/24
2.سورة غافر،الآية:79
3. روح البيان 77/6
4.سورة الانشقاق ،الآية:23
5. التحرير والتنوير 234/30
6.تفسير ابن فورك 185/3
7. ينظر: الصحاح 2525/6 ومعجم ديوان الأدب 271/3

ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ [المعارج:18] (1)
وفي الحديث: (لا توعي فيوعي الله عليك) (2) واستعمل في هذه الآية في الإخفاء ؛ لأن الإيعاء يستلزم الإخفاء فهو هنا مجاز مرسل.(3)

1.سورة المعارج ،الآية:18
2. ينظر: صحيح البخاري 113/2
3. التحرير والتنوير 234/30
* الايعاء: جعل الشيء في الوعاء، أي لا تجمعي وتشحى بالنفقة فيشح عليك.
ينظر: تفسير القرطبي 253/1
عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقال:" لا توعي فيوعي الله عليك، ارضخي ما استطعت".

دلالة على الجارة مع أن المصدرية

وفي قوله تعالى:﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾الحجر:54](1)
والاستفهام في أبشرتموني للتعجب.
و(على) بمعنى (مع) : دالة على شدة اقتران البشارة بمس الكبر إياه.
والمس: الإصابة.
والمعنى تعجب من بشارته بولد مع أن الكبر مسه.
وأكد هذا التعجب بالاستفهام الثاني بقوله:(فبم تبشرون) ؟ استفهام تعجب.
نزّل الأمر العجيب المعلوم منزلة الأمر غير المعلوم ؛ لأنه يكاد يكون غير معلوم.
وقد علم إبراهيم- عليه السلام- من البشارة أنهم ملائكة صادقون فتعين أن الاستفهام للتعجب.
وحذف مفعول :(بشرتموني): لدلالة الكلام عليه.

وفي قوله تعالى:﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ﴾ [القصص:27] (2)
وقوله:(على أن تأجرني ثماني حجج)
حرف (على) من صيغ الشرط في العقود.
وتأجرني: مضارع أجره مثل نصره؛ إذا كان أجيرا له.(3)
(على أن تأجرني) أي: تجازيني عن التزويج.
والأجر من الله إنما هو: الجزاء على العمل.
والأصل من (التعدي)، وهو:الظلم.
كأنه قال: أي: الأجلين قضيت، فلا تعتد علي بأن تلزمني أكثر منه.

1.سورة الحجر،الآية:54
2.سورة القصص ،الآية:27
3. التحرير والتنوير 59/14

قال المفسرون. لا سبيل علي.(1) و(على أن تأجرني) : في موضع الحال، كقولك: أنكحتك على مائة؛ أي مشروطا عليك، أو واجبا عليك ونحو ذلك.
ويجوز أن تكون حالا من الفاعل (2) ، وعليه: فـ (على): بمعنى الشرط.(3)
والجملة: في موضع الحال من مفعول أنكحك أي مشروطا عليك أو واجبا
وتأجرني: من أجرته كنت له أجيرا كقولك أبوته كنت له أبا.
وهو بهذا المعنى يتعدى إلى مفعول واحد.
ويجوز أن يكون تأجرني بمعنى: تثيبني من أجره الله تعالى على ما فعل أي: أثابه فيتعدى إلى اثنين ثانيهما هنا ثماني حجج. (4)
فإن صيغة (على) من صيغ الاشتراط.
واتفق الفقهاء أنه لو قال: زوجتك بنتي على ألف: أو على أن تعطيها ألفا؛ أو على أن يكون لها في ذمتك ألف: كان ذلك شرطا ثابتا وتسميته صحيحة وليس في هذا خلاف (5) و"من الناس من يحتج بذلك في جواز عقد النكاح على منافع الحر وليس فيه دلالة على ما ذكروا لأنه شرط منافعه لشعيب عليه السلام..... (6)
ومن ذلك ورود (على) في المعاوضات المحضة، كالنكاح والبيع والإجارة.
وتقول: بعتك هذا الثوب على درهم . ونحو ذلك: أي: بدرهم، وذلك من باب تناوب حروف الجر.(7)

---

1. غريب القرآن لابن قتيبة ت أحمد صقر 332/1
2. التبيان في إعراب القرآن 1019/2
3. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر 442/1
4. تفسير الألوسي 276/10
5. مجموع الفتاوى 102/31
6. أحكام القرآن للجصاص215/5
7. القطعية من الأدلة الأربعة 28/1

دلالة على الله رزقها

وفي قول الله تعالى: ﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُها ﴾ [هود:6](1) وتقديم (على الله) قبل متعلقه وهو:(رزقها)؛ لإفادة القصر، أي: على الله لا على غيره؛
لإفادة تركيب (على الله رزقها) معنى: أن الله تكفل برزقها ولم يهمله؛ لأن (على) تدل على اللزوم والمحقوقية، ومعلوم أن الله لا يلزمه أحد شيئا، فما أفاد معنى اللزوم، فإنما هو التزامه بنفسه بمقتضى صفاته المقتضية ذلك له كما أشار إليه قوله تعالى:﴿ وَعْدًا عَلَيْنَا﴾ [الأنبياء: 104] (2)، وقوله:﴿ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ [يونس:103] (3)

فإن قلت:

كيف قال:(على الله رزقها) بلفظ الوجوب وإنما هو تفضل؟

قلت: هو تفضل إلا أنه لما ضمن أن يتفضل به عليهم، رجع التفضل واجبا كنذور العباد.

وقال ابن المنير: "كل ما يسديه الله تعالى من رزق لبهيمة أو مكلف في الدنيا أو ثواب في الآخرة، فذلك كله فضل ولا واجب على الله تعالى، وإن ورد مثل هذه الصيغة فمحمول على أن الله عز وجل لما وعدهم فضله. ووعده خبر، وخبره صدق- وجب وقوع الموعود: أي يستحيل في العقل أن لا يقع، للزوم الخلف في خبر الصادق، فعبر عن ذلك بما يعبر به عن وجوب التكليف، وبينهما هذا الفرق المذكور. (4)

والطبري يرى هذا تفضلا منه ، فيقول: إلا ومن الله رزقها الذي يصل إليها، هو به متكفل، وذلك قوتها وغذاؤها وما به عيشها.

1.سورة هود، الآية:6
2.سورة الأنبياء، الآية:104
3. يونس، الآية: 103
4. حاشية الكشاف 9/2

ويوضح الرازي معنى الوجوب في الآية فقال: إن كلمة (على) للوجوب، وهذا يدل على أن إيصال الرزق إلى الدابة واجب على الله.
والحق: "أنه واجب بحسب الوعد والفضل والإحسان." (1)
وإنما أتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه. (2)
و(على) ظاهرها الوجوب، وإنما هو تفضل، "ولكنه لما ضمن تعالى أن يتفضل به عليهم أبرزه في حيز الوجوب. (3)
و(إلا على الله رزقها) فالحرف (على) بمعنى:(من) أي: من الله رزقها، يدل عليه قول، مجاهد: كل ما جاءها من رزق فمن الله.
وقيل: وعدا منه حقا. (4)

وإنما جيء به على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله إليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والإعراض عن إتعاب النفس في طلبه.
فكلمة (على) المستعملة للوجوب مستعارة استعارة تبعية لما يشبهه ويكون من المجاز
وقد قيل:

مَثَلُ الرِّزْقِ الَّذِي تَطْلُبُهُ مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكْ
أَنْتَ لَا تُدْرِكُهُ مُتَّبِعًا وَإِذَا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبِعَكْ (5)

وعليه فالرزق تفضل من الله على العباد والدواب، ولا يجب على الله شيء ، وهذا رأي الجمهور، بخلاف المعتزلة.

1.تفسير الرازي318/17
2. تفسير البيضاوي 128/3
3.تفسير البحر المحيط124/6
4. تفسير القرطبي 6/9
5. تفسير المنار14/12

صيغة على الدالة على الوجوب

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران:97] (1) " يعنى أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته. ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع إليه سبيلا، وفيه ضربان من التأكيد: أحدهما أن الإبدال تثنية للمراد وتكرير له، والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين.

ومنها قوله: (ومن كفر) مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج.(2) ولذلك قال رسول الله ﷺ: "من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا"(3)

وفي قوله تعالى: (ولله) اللام في قوله(ولله) لام الإيجاب والإلزام، ثم أكده بقوله تعالى: (على) التي هي من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب، فإذا قال العربي: لفلان علي كذا، فقد وكده وأوجبه. فذكر الله تعالى الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب تأكيدا لحقه وتعظيما لحرمته. ولا خلاف في فريضته، وهو أحد قواعد الإسلام، وليس يجب إلا مرة في العمر.(4)

وحين تسمع (اللام) و(على) فافهم أن الفائدة تقع على ما دخلت عليه (اللام) ، والتبعة تقع على ما دخلت عليه(على) . فحين نقول:(لفلان على فلان كذا) فالنفعية لفلان الأول، والتبعة على فلان الثاني.

وحين يقول الحق سبحانه وتعالى: (ولله على الناس حج البيت) ؛ فعلى هذا فالنفعية هنا تكون لله، والتبعة هنا تكون على الناس، لكن لو فطنا إلى سر العبارة لوجدنا أن الله لا

1.سورة آل عمران ، الآية:97

2. الكشاف390/1

3.مصنف ابن أبي شيبة 305/3

4. تفسير القرطبي142/4

عن عبد الرحمن بن سابط قال: قال رسول الله ﷺ:"من مات ولم يحج حجة الإسلام لم يمنعه مرض حابس، أو حاجة ظاهرة، أو سلطان جائر، فليمت على أي حال شاء يهوديا أو نصرانيا"

رواه ابن أبي شيبة في مصنفه 305/3

ينتفع بشيء من تكليفه لنا، فالحج لله، ولكنه يعود إليك، فما لله عاد إليك، وما عليك عاد لك،وكل تكليف عليك فأثره لك، فإياك أن تفهم من ذلك القول الكريم: (ولله على الناس حج البيت) أن (اللام) الأولى للنفعية، وإياك أن تفهم أن (على) هي للتبعة، نعم إن الحج لله، ولكن الفائدة لا تعود إلا عليك، وهو تكليف عليك ، وفائدته تعود عليك، فالحق سبحانه وتعالى منزه عن أن يفيد من حكم من أحكامه، وهو سبحانه حين ينزل حكما تكليفيا فعلى العبد المؤمن أن يعرف أن فائدة الحكم عائدة عليه وعلى حياته، ولله يكون القصد والحج، لا لشيء سواه.(1)
قال علماؤنا:" هذا من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب، إذا قال العربي: لفلان علي كذا فقد وكده وأوجبه.
قال علماؤنا: فذكر الله سبحانه الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب؛ تأكيدا لحقه، وتعظيما لحرمته، وتقوية لفرضه.(2) ،ودلت هذه الآية على تأكيد فرض الحج، إذ جاء ذلك بقوله: ولله، فيشعر بأن ذلك له تعالى، وجاء بـ(على) الدالة على الاستعلاء، وجاء متعلقا بالناس بلفظ العموم وإن كان المراد منه الخصوص ليكون من وجب عليه ذكر مرتين. (3)
وفي هذه الآية من صيغ الوجوب صيغتان: (لام) الاستحقاق، وحرف (على) الدال على تقرر حق في ذمة المجرور بها. وقد تعسر أو تعذر قيام المسلمين بأداء الحج عقب نزولها، لأن المشركين كانوا لا يسمحون لهم بذلك، فلعل حكمة إيجاب الحج يومئذ أن يكون المسلمون على استعداد لأداء الحج مهما تمكنوا من ذلك، ولتقوم الحجة على المشركين بأنهم يمنعون هذه العبادة، ويصدون عن المسجد الحرام، ويمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه.
وقوله: (من استطاع إليه سبيلا): بدل من الناس لتقييد حال الوجوب.
ومعنى استطاع إليه سبيلا وجد سبيلا وتمكن منه، والكلام بأواخره. (4)
وبعد عرض أقوال علمائنا تبين لنا أنّ (على) للوجوب على من استطاع على ذلك سبيلا.

---

1. تفسير الشعراوي 1640/3
2.أحكام القرآن لابن العربي 374/1
3.البحر المحيط في التفسير 274/3
4.التحرير والتنوير 22/4

استعمال الحرف (على) مع سبق الضار

لاحظ اللغويون أنّ حرف الجر(على) يستعمل غالبا في الأفعال الشاقة،ومنه قول الله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة:286] (1)

وذلك أنه قد يستعمل في الأفعال الشاقة المستثقلة على قول من يقول: قد سرنا عشرا وبقيت علينا ليلتان؛ وقد حفظت القرآن وبقيت عليّ منه سورتان، وقد صمنا عشرين من الشهر وبقي علينا عشر.(2)

فالمتتبع لأمثلة ابن جني يرى أنّه قسّم الأعمال إلى أعمال بدنية كالسير والصوم ،والذهنية كالحفظ.

ويرى الزمخشري أنّ حرف الجر (على) يكون مع سبق الضار، بخلاف حرف الجر(اللام) فيكون بخلاف ذلك.أي يكون لسبق النافع.فقال:" جيء بـ:(على) مع سبق الضار، كما جيء باللام مع سبق النافع،قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ [الأنبياء:101] (3) ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:171] (4) ونحوه قوله تعالى:﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة:286] (5) وقول عمر رضى الله عنه: ليتها كانت كفافا، لا عليّ ولا لي. (6)

وكذلك يقال في الاعتداد على الإنسان بذنوبه وقبح أفعاله

1.سورة البقرة، الآية:286
2. الخصائص 272/2
3.سورة الأنبياء، الآية:101
4.سورة الصافات، الآية:171
5.سورة البقرة، الآية:286
6. الكشاف 184/3

وإنما اطردت (على) في هذه الأفعال من حيث كانت (على) في الأصل للاستعلاء والتفرع ، فلما كانت هذه الأحوال كلفا ومشاق تخفض الإنسان وتضعه وتعلوه وتتفرعه حتى يخضع لها ويخنع لما يتسداه منها كان ذلك من مواضع (على) ألا تراهم يقولون: هذا لك، وهذا عليك، فتستعمل اللام فيما تؤثره. و(على) فيما تكرهه، قالت الخنساء:

سأُحملُ نفسِي على آلةٍ فإمَّا عَلَيْها وإمَّا لَهَا (1)

وإنما اطردت (على) في الأفعال التي قدمنا ذكرها مثل: خربت عليه ضيعته، وبطلت عليه عوامله، ونحو ذلك من حيث كانت (على) في الأصل للاستعلاء؛ فلما كانت هذه الأحوال كلفا" احتيج لحرف الجر على. (2)

فمن هنالك دخلت (على) هذه الأفعال التي قدمنا ذكرها مثل: خربت عليه ضيعته.

وعليه فجيء بـ(على) مع سبق الضارّ ، كما جيء باللام مع سبق النافع.

ومن خلال الأمثلة اتضح لنا الفرق بين دخول حرف الجر:(اللام) ، وحرف الجر (على) الذي يكون في الأعمال الشاقة كما وضح هذه المسألة ابن جني، وتبعه الزمخشري وابن سيدة.

---

1. المحكم والمحيط الأعظم 244/2
2. الخصائص 273/2

ومنه قوله تعالى: ﴿ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد:10] (1)
دمره: أهلكه. ودمر عليه: أهلك عليه ما يختص به.
والمعنى: دمر الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما كان لهم وللكافرين أمثالها الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة؛ لأن التدمير يدل عليها.(2)
(دمر الله عليهم): أي أهلكهم واستأصلهم.
يقال: دمره تدميرا؛ ودمر عليه بمعنى.
وجاءت المبالغة من حذف المفعول دمر لقصد العموم،فجعله نسيا منسيا.
ثم توعد مشركي مكة فقال:(وللكافرين أمثالها) أي أمثال هذه الفعلة، يعني التدمير.
وقال الزجاج والطبري: الهاء تعود على العاقبة، أي وللكافرين من قريش أمثال عاقبة تكذيب الأمم السالفة إن لم يؤمنوا.(3)
دمر الله عليهم: أي أفسد عليهم ما اختصوا به من أنفسهم وأولادهم وأموالهم، وكل ما كان لهم وللكافرين أمثالها. تلك العاقبة والتدميرة التي يدل عليها دمر والهلكة؛ لأن التدمير يدل عليها، أو السنة....(4)
والتدمير: الإهلاك والدمار وهو الهلك، وفعل دمر متعد إلى المدمر بنفسه.
يقال: دمرهم الله.
وإنما عدي في الآية بحرف الاستعلاء (على) للمبالغة في قوة التدمير.
وجعل التدمير واقعا عليهم فأفاد معنى دمر كل ما يختص بهم، وهو المفعول المحذوف، وأن التدمير واقع عليهم فهم من مشموله.(5)
والإتيان بكلمة الاستعلاء (على) وهي لتضمين التدمير معنى: الإيقاع أو الهجوم أو نحوه.

1.سورة محمد، الآية:10
2.الكشاف 319/4
3.تفسير القرطبي 234/16
4.البحر المحيط في التفسير 464/9
5.التحرير والتنوير 87/26

على بين الاستعلاء والتضمين

وفي قول الله تعالى:﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [إبراهيم:3] (1)

و(يستحبون) بمعنى: يحبون.

فالسين والتاء للتأكيد مثل استقدم واستأخر.

والمعنى:

يعني هؤلاء الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة؛ هم في ذهاب عن الحق بعيد، وأخذ على غير هدى، وجور عن قصد السبيل...والذين يختارون الحياة الدنيا ومتاعها ومعاصي الله فيها، على طاعة الله

وللطبري توجيه سديد في اجتلاب الفعل (يستحبون)حرف الجر(على) فقال:وقد اختلف أهل العربية في وجه دخول (على) في قوله: (على الآخرة) ، فكان بعض نحويى البصرة يقول: أوصل الفعل بـ: (على) كما قيل: ضربوه في السيف.

يريد بالسيف، وذلك أن هذه الحروف يوصل بها كلها وتحذف، نحو قول العرب: (نزلت زيدا) ، ومررت زيدا، يريدون: مررت به، ونزلت عليه.

وقال بعضهم: إنما أدخل ذلك؛ لأن الفعل يؤدي عن معناه من الأفعال، ففي قوله: (يستحبون الحياة الدنيا) معناه:

يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، ولذلك أدخلت (على).(2)

وضمن (يستحبون) معنى : يؤثرون؛لأن المحبة تعدت إلى الحياة الدنيا عقب ذكر العذاب الشديد لهم.

فعدي إلى مفعول آخر بواسطة حرف (على) في قوله: (على الآخرة) :أي يؤثرونها عليها.

ودلّ حرف الظرفية(في) على أنّ الضلال محيط بهم ،فهم متمكنون منه.

1.سورة إبراهيم، الآية:3

2.تفسير الطبري516/16

دلالة على شفا جرف

وفي قوله تعالى:﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة:109] (1)

وشبه القصد الذي جعل البناء لأجله بأساس البناء، فاستعير له فعل أسس في الموضعين.
ولما كان من شأن الأساس أن تطلب له صلابة الأرض لدوامه جعلت التقوى في القصد الذي بني له أحد المسجدين، فشبهت التقوى بما يرتكز عليه الأساس على طريقة المكنية، ورمز إلى المشبه به المحذوف بشيء من ملائماته وهو حرف الاستعلاء.
وفهم أن هذا المشبه به شيء راسخ ثابت بطريق المقابلة في تشبيه الضد بما أسس على شفا جرف هار، وذلك بأن شبه المقصد الفاسد بالبناء بجرف جرف منهار في عدم ثبات ما يقام عليه من الأساس بله البناء على طريقة الاستعارة التصريحية.
وحرف الاستعلاء ترشيح.
وفرع على هذه الاستعارة الأخيرة تمثيل حالة هدمه في الدنيا وإفضائه ببانيه إلى جهنم في الآخرة بانهيار البناء المؤسس على شفا جرف هار بساكنه في هوة.

وجعل الانهيار به إلى نار جهنم إفضاء إلى الغاية من التشبيه. فالهيئة المشبهة مركبة من محسوس ومعقول وكذلك الهيئة المشبه بها.
ومقصود أن البنيان الأول حصل منه غرض بانيه؛ لأن غرض الباني دوام ما بناه. فهم لما بنوه لقصد التقوى ورضي الله تعالى ولم يذكر ما يقتضي خيبتهم فيه كما ذكر في مقابله علم أنهم قد اتقوا الله بذلك وأرضوه ففازوا بالجنة، كما دلت عليه المقابلة، وأن

1.سورة التوبة، الآية:109

البنيان الثاني لم يحصل غرض بانيه وهو الضرار والتفريق فخابوا فيما قصدوه فلم يثبت المقصد، وكان عدم ثباته مفضيا بهم إلى النار كما يفضي البناء المنهار بساكنه إلى الهلاك.
والشفا- بفتح الشين وبالقصر-: حرف البئر وحرف الحفرة.
والجرف- بضمتين-: جانب الوادي وجانب الهوة.
وهار: اسم مشتق من هار البناء إذا تصدع.
قيل: أصله هور بفتحتين كما قالوا خلف في خالف. وليست الألف التي بعد الهاء ألف فاعل بل هي عين الكلمة منقلبة عن الواو ؛ لأن الواو متحركة وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا.
وقيل هو اسم فاعل من هار البناء وأصل وزنه هاور، فوقع فيه قلب بين عينه ولامه تخفيفا.

وقد وقع ذلك في ألفاظ كثيرة من اللغة مثل قولهم: شاكي السلاح، أصله شائك. ورجل صات عالي الصوت أصله صائت. ويدل لذلك قولهم: انهار ولم يقولوا انهرى. وهر مبالغة في هار. (1)

---

1. ينظر: التحرير والتنوير 34/11 والطبري 429/14

وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:93] (1)
إنما هي للمبالغة في التوكيد.
والمعنى:
إنما السبيل في اللائمة والعقوبة والإثم على الذين يستأذنونك في التخلف عن الجهاد وهم قادرون عليه لغناهم، وكان خبر السبيل (على ..) وإن كان قد فصل بإلى كما قالت:
هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج
لأن (على) تدل على الاستعلاء....كما أنّ هناك فرقا بين لا سبيل لي على زيد، ولا سبيل لي إلى زيد.
وهذه الآية في المنافقين المتقدم ذكرهم: عبد الله بن أبي، والجد بن قيس، ومعتب بن قشير، وغيرهم.
وعليه فـ(إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء)
مستعار لمعنى السلطان والمؤاخذة بالتبعة، شبه السلطان والمؤاخذة بالطريق ؛لأن السلطة يتوصل بها من هي له إلى تنفيذ المؤاخذة في الغير.
ولذلك عدي بحرف (على) المفيد لمعنى الاستعلاء، وهو استعلاء مجازي بمعنى التمكن من التصرف في مدخول (على).
فكان هذا التركيب استعارة مكنية رمز إليها بما هو من ملائمات المشبه به وهو حرف (على) . وفيه استعارة تبعية. فدل ذلك على أن المراد بالسبيل: العذاب.
والمعنى:
ليست التبعة والمؤاخذة إلا على الذين يستأذنونك وهم أغنياء، الذين أرادوا أن يتخلفوا عن غزوة تبوك ولا عذر لهم يخولهم التخلف.(2)

1.سورة التوبة، الآية:93
2. ينظر: التحرير والتنوير59/14

على والمصاحبة

في قوله تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم:39] (1)

و(على) على بابها من الاستعلاء لكنه مجاز، إذ الكبر معنى لا جرم يتكون، وكأنه لما أسن وكبر صار مستعليا على الكبر.
و(على) في قوله: (عَلَى الْكِبَرِ) ؛للاستعلاء المجازي بمعنى: (مع)، أي: وهب ذلك تعليا على الحالة التي شأنها أن لا تسمح بذلك. (2)
ولذلك يفسرون (على) هذه بمعنى: (مع)، أي: مع الكبر الذي لا تحصل معه الولادة.
و(على)بمعنى: (مع)، كقوله:
إنّي عَلَى مَا تَرَيْنَ مِنْ كِبَرِى أَعْلَمُ مِنْ حَيْثُ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ
وهو في موضع الحال. (3)
وحرف الجر (على) وهي من ثلاثة حروف؛ بدلا من (مع) ولم يقل:(الحمد لله الذي وهب لي مع الكبر إسماعيل وإسحاق) ؛لأنّ (على) تفيد الاستعلاء، فالكبر ضعف، ولكن إرادة الله أقوى من الضعف؛ ولو قال (مع الكبر) فالمعيّة هنا لا تقتضي قوة.
أما قوله: ﴿ وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾ [إبراهيم: 39](4) فيجعل قدرة الله في العطاء فوق الشيخوخة.
وهكذا تأتي (على) بمعنى:(مع)، أي: كيف تُبشِّرونني بالغلام مع أنّي كبير في العمر، وقد قال قولته هذه مؤمنا بقدرة الله.(5)

1.سورة إبراهيم،الآية:39
2.البحر المحيط 449/6
3.الكشاف 561/2
4. سورة إبراهيم،الآية:39
5. تفسير الشعراوي 7583/12

وللشعراي رحمه الله له وقفة وملحظ في قوله تعالى :(على الكبر) حيث قال المفسرون: (على) هنا بمعنى (مع) و(على) ثلاثة أحرف و(مع) حرفان، فلماذا عدل الحق تبارك وتعالى عن الخفيف إلى الثقيل؟ لا بد أن وراء هذه اللفظ إضافة جديدة، وهي أن (مع) تفيد المعية فقط، أما (على) فتفيد المعية والاستعلاء، فكأنه قال: إن الكبر يا رب يقتضي ألا يوجد الولد، لكن طلاقة قدرتك أعلى من الكبر. (1)

1. تفسير الشعراوي 9030/15

وفي قوله تعالى:﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ [الجاثية:23] (1)

ومعنى أضله الله أنه حفهم بأسباب الضلالة من عقول مكابرة ونفوس ضعيفة، اعتادت اتباع ما تشتهيه لا تستطيع حمل المصابرة والرضى بما فيه كراهية لها. فصارت أسماعهم كالمختوم عليها في عدم الانتفاع بالمواعظ والبراهين، وقلوبهم كالمختوم عليها في عدم نفوذ النصائح ودلائل الأدلة إليها، وأبصارهم كالمغطاة بغشاوة فلا تنتفع بمشاهدة المصنوعات الإلهية الدالة على انفراد الله بالإلهية وعلى أن بعد هذا العالم بعثا وجزاء.
ومعنى:(على علم): أنهم أحاطت بهم أسباب الضلالة مع أنهم أهل علم، أي عقول سليمة أو مع أنهم بلغهم العلم بما يهديهم وذلك بالقرآن ودعوة النبي ﷺ إلى الإسلام.
فحرف (على) هنا معناه المصاحبة بمعنى (مع).

وأصل هذا المعنى استعارة معنى الاستعلاء للاستعلاء المجازي وهو التمكن بين الوصف والموصوف. وشاع ذلك حتى صار معنى من معاني (على) كما في قول الحارث بن حلزة:
فيقينا على الشناءة تنمينا حصون وعزة قعساء
والمعنى:

أنه ضال مع ما له من صفة العلم، فالعلم هنا من وصف من اتخذ إلهه هواه وهو متمكن من العلم لو خلع عن نفسه المكابرة والميل إلى الهوى.(2)

1.سورة الجاثية، الآية:23
2.التحرير والتنوير 358/25

ومنه قول الحارث بن حلزة:*
فبقينا على الشناءة تنمينا حصون وعزة قعساء (1)

1.ينظر: شرح المعلقات التسع 354/1
* الحارث بن حلزة (نحو 50 ق هـ / و570 م)
الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي: شاعر جاهلي، من أهل بادية العراق.
وهو أحد أصحاب المعلقات. كان أبرص فخورا، ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند الملك، بالحيرة، وفي الأمثال (أفخر من الحارث بن حلزة) إشارة إلى إكثاره من الفخر في معلقته هذه جمع بها كثيرا من أخبار العرب ووقائعهم.
ينظر:الأعلام للزركلي 154/2
ومطلع المعلقة هو:
آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء
آذنتنا بعهدها ثم ولت ليت شعري متى يكون اللقاء
بعد عهد لنا ببرقة شما ء فأذني ديارها الخلصاء
فالمحياة فالصفاح فأعنا ق فتاق فعاذب بالوفاء
فرياض القطا فأودية الشر بب فالشعبتان فالأبلاء
المعاني الكبير في أبيات المعاني873/2
وعلونا الشناءة ينميـ نا حصون وعزة قعساء
قبل ما اليوم بيصت بعيون الـ ناس فيها تعيط وإباء
علونا ارتفعنا على بغض الناس إيانا وغيظنا لهم بما يرون من ثبات عزنا ومكاننا من الملك، القعساء الثابتة الدائمة ويقال المتمنعة، بيضت هذه العزة عيون الناس وأقحم الباء كما قال الآخر وهو الراعي:
هن الحرائر لا بات أحمرة ... سود المحاجر لا يقرأن بالسور
التعيط الامتناع والإباء من قولهم تعيطت الناقة واعتاطت إذا امتنعت من الفحل فلم تحمل
الشناءة: البغض. تنمينا: ترفعنا.
يقول: فبقينا على بغض الناس إيانا وإغرائهم الملوك بنا ترفع شأننا وتعلي قدرنا حصون منيعة وعزة ثابتة لا تزول.
ينظر: المعاني الكبير1138/2 وشرح المعلقات السبع للزوزني 274/1 ومجاني الأدب 196/6

وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: 124](1)
نلاحظ كلمة (اختلفوا) تُوحي بوجود طائفتين متناقضتين في هذه القضية، والحقيقة أن الخلاف لم يكن بين اليهود بعضهم البعض، بل بينهم وبين نبيهم الذي اختار لهم يوم الجمعة، فخالفوه واختاروا السبت، فجعل الله الخلاف عليهم.
والمعنى:
إنما جُعل السبت حجّة على الذين اختلفوا فيه؛ لأنه أثبت عدوانهم على يوم العبادة، فبعد أن اقترحوه اختاروه انقلب حُجة عليهم، ودليلا لإدانتهم.
ولو تأملنا قوله:(على الذين اختلفوا فيه) نجد أن كلمة (على) تدلُّ على الفوقية أي: أن لدينا شيئاً أعلى وشيئاً أدنى؛ فكأن السبت جاء ضد مصلحتهم، وكأن خلافهم مع نبيهم انقلب عليهم،يؤولها بعضهم على معنى (مع ظلمهم)، ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ على ظُلْمِهِمْ.﴾ [الرعد:6] (2) حيث نلاحظ هنا قول الحق سبحانه:(على ظلمهم) ،وفي هذا القول يجد بعض العلماء أن الله قد استعمل حرفا بدلا من حرف آخر؛ فجاءت (على) بدلا من (مع).
ونلاحظ أن (على) هي ثلاثة حروف؛ و(مع) مكونة من حرفين؛ فلماذا حذف الحق سبحانه الأخف وأتى بـ: (على) ؟ لابد أن وراء ذلك غاية.
أقول: جاء الحق سبحانه بـ(على) في قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ على ظُلْمِهِمْ.﴾ [الرعد:6] (3) ليؤكد لنا أن ظلم الناس كان يقتضي العقوبة؛ ولكن رحمته سبحانه تسيطر على العقوبة.
وهكذا أدت كلمة (على) معنى (مع) ، وأضافت لنا أن الحق سبحانه هو المسيطر على العقوبة؛ وأن رحمة الله تطغى على ظلم العباد. (4)

1.سورة النحل، الآية:124
2.سورة الرعد،الآية:6
3.سورة الرعد،الآية:6
4.تفسير الشعراوي 8282/13

ومثل ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:8](1) خصص الإطعام بالذكر لما في إطعام المحتاج من إيثاره على النفس كما أفاد قوله على حبه.والتصريح بلفظ الطعام مع أنه معلوم من فعل يطعمون توطئة ليبنى عليه الحال وهو على حبه فإنه لو قيل: ويطعمون مسكينا ويتيما وأسيرا لفات ما في قوله على حبه من معنى إيثار المحاويج على النفس، على أن ذكر الطعام بعد يطعمون يفيد تأكيدا مع استحضار هيئة الإطعام حتى كأن السامع يشاهد الهيئة.

وعلى حبه في موضع الحال من ضمير يطعمون.

و(على) بمعنى: (مع) ، وضمير حبه راجع للطعام، أي يطعمون الطعام مصحوبا بحبه، أي مصاحبا لحبهم إياه وحب الطعام هو اشتهاؤه.

فالمعنى: أنهم يطعمون طعاما هم محتاجون إليه.

ومجيء (على) بمعنى:(مع) ناشئ عن تمازج في الاستعلاء، وصورته أن مجرور حرف (على) في مثله أفضل من معمول متعلقها فنزل منزلة المعتلي عليه.(2)

أي : أنهم يحبون الطعام حبا جما؛ لكن إرادة الحفاوة والكرم تطغى على حب الطعام.ولكن لا يجب أن يظن الناس أن رحمة الله تطغى على عقابه دائما؛ فلو ظن البعض من المجترئين هذا الظن؛ وتوهموا أنها قضية عامة؛ لفسد الكون؛ ولذلك ينهي الحق سبحانه الآية الكريمة بقوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد:6] (3)

أي: أنه سبحانه قادر على العقاب العظيم، وهكذا جمعت الآية بين الرجاء والتخويف.(4)

1.سورة الإنسان ،الآية: 8

2.التحرير والتنوير 384/29

3.سورة الرعد،الآية:6

4.تفسير الشعراوي 8282/13

وفي قوله تعالى:﴿ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة:61] (1)

ويجوز أن يكون (على أن نبدل أمثالكم) في موضع الحال من ضمير:(قدرنا)،أي: قدرنا الموت على أن نحييكم فيما بعد إدماجا لإبطال قولهم

فتكون (على) بمعنى: (مع).

وتكون حالا مقدرة، وهذا كقول الواعظ: (على شرط النقض رفع البنيان، وعلى شرط الخروج دخلت الأرواح للأبدان.

ويكون متعلق (مسبوقين) محذوفا دالا عليه المقام، أي: ما نحن بمغلوبين فيما قدرناه من خلقكم وإماتتكم، ويجعل الوقف على (مسبوقين) .

ومعنى: (أن نبدل أمثالكم): نبدل بكم أمثالكم، أي: نجعل أمثالكم بدلا.

وفعل (بدل) ينصب مفعولا واحدا ويتعدى إلى ما هو في معنى المفعول الثاني بحرف الباء، وهو الغالب أو بـ (من) البدلية فإن مفعول (بدل) صالح لأن يكون مبدلا ومبدلا منه.

فالتقدير هنا:

على أن نبدل منكم أمثالكم، فحذف، متعلق نبدل

وأبقي المفعول؛ لأن المجرور أولى بالحذف.(2)

1.سورة الواقعة، الآية:60

2. التحرير والتنوير 317/27

(على) بمعنى(اللام)

وفي قول الله تعالى:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء41] (1)

فإن قلت:

فهلا قيل: لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم ؟

قلت:

لما كان الشهيد: كالرقيب والمهيمن على المشهود له.

جيء بكلمة (الاستعلاء)،ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة:6] (2) وقوله تعالى:﴿ كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:117] (3) وقيل: ﴿تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة:143] (4) في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار،﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:143] (5) يزكيكم ويعلم بعدالتكم.

فإن قلت:

لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدّمت آخرا . ؟

قلت:

لأن الغرض في الأوّل إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة إنما هي ثاني مفعولي جعل:يريد (6)

1.سورة النساء،الآية:41

2.سورة المجادلة،الآية:6

3.سورة المائدة،الآية:117

4.سورة البقرة ،الآية:143

5.سورة البقرة ،الآية:143

6.الكشاف 199/1

والظاهر أن الشهادة تكون على المشهود عليهم.
وقيل: على بمعنى (اللام)، أي: وجئنا بك لهؤلاء، وهذا فيه بعد.
وقال الزجاجي: يشهد لهم وعليهم.
وحذف المشهود عليهم في قوله: إذا جئنا من كل أمة بشهيد لجريان ذكره في الجار والمجرور فاختصر.
والتقدير:
من كل أمة بشهيد على أمته.
وظاهر المقابلة يقتضي أن تكون الشهادة عليهم لا لهم، ولا يكون عليهم إلا والمشهود عليهم كانوا منكرين مكذبين بما شهد عليهم به.(1)

وذكر متعلق (شهيدا)
الثاني مجرورا بـ(على) لتهديد الكافرين بأن الشهادة تكون عليهم، لأنهم المقصود من اسم الإشارة.(2)

وبعد هذا التحليل توصل الزمخشري أن كلمة (على) تناسب الجو العام للصورة ؛لأن الشهيد كالرقيب لذا صلح الحرف (على).

---

1. البحر المحيط في التفسير 644/3
2. التحرير والتنوير 58/5

وللزمخشري نظرات صائبة في حروف الجر يوضح فيها دلالاتها الأدبية توضيح الناقد المتذوق وقد يمتد بصره فيحيط بالكتاب كله ليستنبط خصوصيات لهذه الحروف، وسوف نعرض صورا من هذه النظرات وهذه الاستنباطات فمن نظراته الصائبة في حروف الجر (1) قوله تعالى:﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (21) أَنُ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ [القلم:22] (2)

فإن قلت: هلا قيل: (اغدوا إلى حرثكم.) وما معنى (على)؟

قلت: لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه:كان غدوا عليه لا له ، كما تقول:غدا عليهم العدو.

ويجوز أن يضمن الغدو معنى الإقبال، كقولهم:

يغدى عليه بالجفنة ويراح.

أى: فأقبلوا على حرثكم باكرين يتخافتون يتسارون فيما بينهم.

وخفى، وخفت، وخفد: ثلاثتها في معنى الكتم، ومنه: الخفدود للخفاش أن لا يدخلنها أن مفسرة.

وقرأ ابن مسعود بطرحها بإضمار القول، أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها، والنهى عن الدخول للمسكين نهى لهم عن تمكينه منه، أي: لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل، كقولك: لا أرينك هاهنا.

الحرد: من حردت السنة إذا منعت خيرها، وحاردت الإبل إذا منعت درها.

والمعنى: وغدوا قادرين على نكد، لا غير عاجزين عن النفع، يعنى أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين ويحر.(3)

---

1. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وآثارها في الدراسات البلاغية
2. سورة القلم ،الآية:22
3. الكشاف590/4

وقد طالت وقفة الزمخشري مع كلمة (على) حين تقع في موقع يمكن أن يكون غيرها مكانها فيه. فالفعل غدا يتعدى بإلى ولكن إيثار كلمة (على) لشدة تمكن الوصول.
وعلى من قوله: (على حرثكم) مستعملة في تمكن الوصول إليه كأنه قيل:
اغدوا تكونوا على حرثكم، أي مستقرين عليه.
ويجوز أن يضمن فعل الغدو معنى: الإقبال كما يقال: يغدى عليه بالجفنة ويراح.
والتخافت: تفاعل من خفت إذا أسر الكلام.
وأن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين تفسير لفعل يتخافتون وأن تفسيرية؛ لأن التخافت فيه معنى القول دون حروفه.
وتأكيد فعل النهي بنون التوكيد لزيادة تحقيق ما تقاسموا عليه. (1)

---

1. التحرير والتنوير 83/29

على التعليلية

وفي قوله تعالى:﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [المائدة:4] (1)

وحرف (من) في قوله مما أمسكن عليكم للتبعيض، وهذا تبعيض شائع الاستعمال في كلام العرب عند ذكر المتناولات، كقوله:(كلوا من ثمره). وليس المقصود النهي عن أكل جميع ما يصيده الصائد، ولا أن ذلك احتراس عن أكل الريش، والعظم، والجلد، والقرون لأن ذلك كله لا يتوهمه السامع حتى يحترس منه.

وحرف (على) في قوله مما أمسكن عليكم بمعنى:(لام التعليل)، كما تقول: سجن على الاعتداء، وضرب الصبي على الكذب، وقول علقمة بن شيبان:

ونطاعن الأعداء عن أبنائنا وعلى بصائرنا وإن لم نبصر

أي: نطاعن على حقائقنا: أي لحماية الحقيقة، ومن هذا الباب قوله تعالى:﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ [الأحزاب:37](2) ،وقوله ﷺ:" أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك"(3) وأمسك عليك معناه: لازم عشرتها،فالإمساك مستعار لبقاء الصحبة تشبيها للصاحب بالشيء الممسك باليد.

وزيادة عليك لدلالة (على) على الملازمة والتمكن.

أو لتضمن: أمسك معنى: احبس.

أي ابق في بيتك زوجك، وأمره بتقوى الله تابع للإشارة بإمساكها، أي اتق الله في عشرتها كما أمر الله ولا تحد عن واجب حسن المعاشرة.

ومعنى الآية إباحة أكل ما صاده الجوارح: من كلاب، وفهود، وسباع طير:كالبزاة، والصقور، إذا كانت معلمة وأمسكت بعد إرسال الصائد. (4)

1.سورة المائدة،الآية:4

2.سورة الأحزاب،الآية:37

3.رواه البخاري 122/2

4.التحرير والتنوير 116/6

إيثار (على) الجارة على (اللام)

وفي قول الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [العنكبوت:8] (1) بـ(اللام) بخلاف سورة لقمان التي جاءت بـ(على)
ففي قوله تعالى:﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:15] (2)
وإنما قال في هذه السورة:(لتشرك)؛ لأنه وافق ما قبله لفظا، وهو قوله: ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت:6] (3) وفي لقمان محمول على المعنى؛ لأن التقدير: وإن حملاك على أنْ تشرك.
وقيل:
إن هذه الآية مبنية على الإيجاز، فناسب ذلك الاكتفاء بـ(اللام)، وآية لقمان مبنية على الإطالة، فناسب ذلك التعدية بـ:(على)، وإنما أمره بالرفق في آية لقمان بقوله:
﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان:15] (4)؛ لأن مبنى الآية على الأمر بما يفعل بهما ومعهما من غير تقدّم مطلبٍ لهما.
(جاهداك): أي: بذلا أقصى ما في وسعهما من أجل حملك على الإشراك بالله.
يقال:
جاهد أي: بذل جهده قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:68] (5)

---

1. سورة العنكبوت، الآية:8
2.سورة لقمان ،الآية:15
3. سورة العنكبوت، الآية:8
4. سورة لقمان، الآية:15
5.سورة العنكبوت، الآية:68

والجهاد: المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة، ولهذا يسمى المحارب (مجاهدا)؛ لأنه يبذل ماله ونفسه وروحه في سبيل الله. فهو قد بذل كل ما لديه قال الشاعر:

يقولونَ جاهدْ يا جميلُ بغزوةٍ وأي جهادٍ غيرهنّ أريد؟

وحين أمر سبحانه بشكر الوالدين قدّم شكره تعالى على شكرهما فقال:﴿ أَنِ اشكر لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ [لقمان:14] (1)

وفي هذا التقديم إشارة إلى أن حقّ الله أعظم من حق الوالدين، وشكره أوجب وألزم؛ لأنه تعالى هو المنعم الحقيقي، المتفضل على عباه بالنعم، وشكر الوالدين جزء من شكر المنعِم، والله جلّ وعلا هو السبب الحقيقي في الخلق والإيجاد، والوالدان سبب ظاهري، فينبغي أن يُقدَّم السبب الحقيقي على السبب الظاهري.

وتقديم ما حقّه التأخير يفيد الحصر فقوله تعالى:(إِلَيَّ المصير) ، وقول الله تعالى:﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ [لقمان:15] (2)

تقدّم الجار والمجرور على المتعلّق به فأفاد معنى الحصر.

والمعنى:

إليّ المرجع والمآب لا إلى غيري، وإليّ مرجع الخلائق جميعاً لا إلى أحدٍ سواي. (3)

وعليه: فأن في سورة العنكبوت:(لتشرك بي) بتعدية الفعل بـ(اللام)، وتعديته في آية لقمان بـ(على) فإنما ذلك لفرق ما بين الآيتين في السورتين، من حيث بناء آية العنكبوت على الإيجاز فناسب ذلك الاكتفاء بـ(اللام)، وبناء آية لقمان على الإطالة فناسب ذلك لتعدية بـ(على)، ولو قدرنا عكس الوارد لما ناسب، فجاء على ما يناسب.(4)

---

1. سورة لقمان، الآية:15
2. سورة لقمان، الآية:15
3. روائع البيان تفسير آيات الأحكام237/2
4. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل387/2

اللام بمعنى على

وفي قوله تعالى:﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود:119] (1)

عن ابن عباس قال: للرحمة خلقهم ولم يخلقهم للعذاب.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم؛ لأن الله جل ذكره ذكر صنفين من خلقه: أحدهما أهل اختلاف وباطل، والآخر أهل حق، ثم عقب ذلك بقوله: (ولذلك خلقهم) ، فعم بقوله: (ولذلك خلقهم) ، صفة الصنفين، فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميسر لما خلق له.

فإن قال قائل: فإن كان تأويل ذلك كما ذكرت، فقد ينبغي أن يكون المختلفون غير ملومين على اختلافهم، إذ كان لذلك خلقهم ربهم، وأن يكون المتمتعون هم الملومين؟

قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت، وإنما معنى الكلام: ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم ومللهم، (إلا من رحم ربك) ، فهداه للحق ولعلمه، وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم أنه يكون فيهم المؤمن والكافر، والشقي والسعيد خلقهم.

فمعنى:(اللام) في قوله: (ولذلك خلقهم) بمعنى:(على) كقولك للرجل: أكرمتك على برك بي، وأكرمتك لبرك بي.

وأما قوله: (وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) ، لعلمه السابق فيهم أنهم يستوجبون صليها بكفرهم بالله، وخلافهم أمره.

وقوله: (وتمت كلمة ربك) ، قسم كقول القائل: حلفي لأزورنك، وبدا لي لآتينك، ولذلك تلقيت بـ(لام اليمين).(2)

1.سورة هود، الآية:119

2. تفسير الطبري 537/15

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [يونس:12] (1) والدعاء: هنا الطلب والسؤال بتضرع.

واللام في قوله: (لجنبه): بمعنى (على) كقوله تعالى:﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدً ﴾ [الإسراء:107] (2) وقوله تعالى :﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات:103] (3)؛ ألا ترى أنه جاء في موضع(اللام) حرف (على) في قوله تعالى:﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء:103] (4) وقوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران:191] (5) ؛ونحوه قول جابر بن حني التغلبي*:

تناوله بالرمح ثم انثنى به فخر صريعا لليدين وللفم

1.سورة يونس،الآية:12
2.سورة الإسراء،الآية:107
3.سورة الصافات ،الآية:103
4.سورة النساء ،الآية:103
5.سورة آل عمران،الآية:191
* جابر بن حني التغلبي (ت 564م)
هو جابر بن حني بن حارثة بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب كان شاعرا نصرانيا مقدما وقد تفاخر بدينه في شعره فقال (من الكامل)
وقد زعمت بهراء أن رماحنا رماح نصارى لا تخوض إلى دم
وجابر بن جني كان مع امرئ القيس حين خرج إلى الروم مستنجدا بقيصر.
وله قصيدته الغراء التي قالها في قتل شرحبيل بن عمرو الكندي عم امرئ القيس لما قتل يوم الكلاب:
توفي جابر بعد حروب كلاب بزمان نحو سنة 564 م.
ينظر: شعراء النصرانية 188/2 والمفضليات 208/1

تناوله بالرمح ثم انثنى به فخر صريعا لليدين وللفم (1)

أي: على اليدين وعلى الفم، وهو متولد من معنى الاختصاص الذي هو أعم معاني اللام؛ لأن الاختصاص بالشيء يقع بكيفيات كثيرة منها استعلاؤه عليه.

وإنما سلك هنا حرف الاختصاص للإشارة إلى أن الجنب مختص بالدعاء عند الضر ومتصل به فبالأولى غيره.

وهذا الاستعمال منظور إليه في بيت جابر والآيتين الأخريين كما يظهر بالتأمل، فهذا وجه الفرق بين الاستعمالين.(2)

1.ينظر: شعراء النصرانية 188/2 والمفضليات 208/1

2.التحرير والتنوير 110/11

هذا البيت من قصيدته التي مطلعها:

ألا يا لقوم للجديد المصرم وللحلم بعد الزلة المتوهم

وللمرء يعتاد الصبابة بعدما أتى دونها ما فرط حول مجرم

فيا دار سلمى بالصريمة فاللوى إلى مدفع القيقاء فالمتثلم

وعمر بن همام صفقنا جبينه بشنعاء تشفي صورة المتظلم

ينظر:المفضليات 208/1

شرح المفردات

الخررو: السقوط.

وصريعا: طريحا على الأرض.

المعنى:

لقد غرزت نصل الرمح في صدره، فلصق قميصه بجسمه بسبب ما تدفق من الدماء، وهوى على الأرض على يديه وعلى فمه صريعا.

الشاهد فيه قوله:(لليدين وللفم) حيث جاءت (اللام) موافقة لـ(على).

فالمراد: خر على اليدين وعلى الفم.

ينظر: شرح الأشمونى لألفية ابن مالك81/2

وموضع المجرور(لجنبه) :
في موضع الحال، ولذلك عطف أو قاعدا أو قائما بالنصب.
وإنما جعل الجنب مجرورا بـ(اللام) ولم ينصب فيقال مثلا مضطجعا أو قاعدا أو قائما لتمثيل التمكن من حالة الراحة بذكر شق من جسده ؛ لأن ذلك أظهر في تمكنه، كما كان ذكر الإعطاء في الآيتين الأخريين وبيت جابر أظهر في تمثيل الحالة بحيث جمع فيها بين ذكر الإعطاء وذكر الأفعال الدالة على أصل المعنى للدلالة على أنه يدعو الله في أندر الأحوال ملابسة للدعاء، وهي حالة تطلب الراحة وملازمة السكون.
ولذلك ابتدئ بذكر الجنب، وأما زيادة قوله:(أو قاعدا أو قائما) فلقصد تعميم الأحوال وتكميلها؛ لأن المقام مقام الإطناب لزيادة تمثيل الأحوال، أي دعانا في سائر الأحوال لا يلهيه عن دعائنا شيء.(1)
والمجازي نحو:﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء:7] (2) أي: إن أسأتم فعليها، والأمر متوقف على موضوع معناها في السياق.
ونحو قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله تعالى عنها اشترطي لهم الولاء. (3)
وقال النحاس:
المعنى من أجلهم.
قال ولا نعرف في العربية (لهم) بمعنى: عليهم (4)

1.التحرير والتنوير 110/11
2.سورة الإسراء،الآية:7
3. ينظر: مسند إسحاق بن راهويه246/2
4.مغني اللبيب 280/1
* الحديث هو:
عن عائشة أنها أرادت أن تشتري بريرة، فاشترط أهلها الولاء، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «اشترطي لهم الولاء فإن الولاء لمن أعتق» قالت: ثم خطبهم، فقال: " ما بال الرجل يقول: اشتري فلانا والولاء لي، كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط "
ينظر: مسند إسحاق بن راهويه246/2

وقال آخر*:
كأنَّ مُخَوَّاها عَلَى ثَفِنَاتِها مُعَرَّسُ خَمْسٍ وَقعَتْ للجَنَاجِنِ
فاللام: بمعنى: (على)
أي: وقعت على الجناجن.
و(إلى): مكان (من) ، قال ابن أحمر*:
يُسَقَّى فَلا يُرْوَى إليَّ ابْنُ أَحْمَرا (1)
أي: مني.

---

1. ينظر: أدب الكتاب لابن قتيبة 511/1
* الطرماح بن حكم سبقت ترجمته.
وأنشد للطرماح بن حكم:
كأن مخواها على ثفناتها معرس خمس وقعت للجناحين
وقعن اثنتين واثنتين وفردة يبادرن تغليسا سمال المداهن
المعنى: المخوى موضع تخويها وهو ما تجافى منها عن الأرض إذا بركت.
والثفنات مواضع مباركها من قوائمها وكركرتها.
ومعرس حيث عرست. والتعريس النزول من آخر الليل. والخمس أي خمس ثفنات.
شبه آثار ثفناتها بآثار بلق حين وقعت على الجناجن وهي عظام الصدر وقعن اثنتين واثنتين يعني ركب اليدين والرجلين وفردة يعني: الكركرة فشبه آثار هذه المواضع بأفاحيص القطائم.
ينظر:شرح أدب الكاتب 262/1
عمرو بن أحمر (000 - نحو 65 هـ = 000 - نحو 685 م)
عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر الباهلي، أبو الخطاب: شاعر مخضرم. عاش نحو 90 عاما.
كان من شعراء الجاهلية، وأسلم. وغزا مغازي في الروم، وأصيبت إحدى عينيه. ونزل بالشام مع خيل خالد بن الوليد، حين وجهه إليها أبو بكر. ثم سكن الجزيرة. وأدرك أيام عبد الملك بن مروان. له مدائح في عمر وعثمان وعلي وخالد. ولم يلق أبا بكر.قال البغدادي: كان يتقدم شعراء زمانه.
وكان يكثر من الغريب في شعره. وله حسنات، منها:
متى تطلب المعروف في غير أهله تجد مطلب المعروف غير يسير
إذا أنت لم تجعل لعرضك جنة من الذم ، سار الذم كل مسير
واختار أبو تمام (في الحماسة) أبياتا من شعره. وله " ديوان شعر
ينظر: الأعلام للزركلي 72/5 ومعجم الشعراء العرب1800/1

اللام في موضع على

وقد جاء (اللام) في موضع (على) في بعض الآيات، كقوله تعالى:﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء:7](1)
وفي الآية محسن جناس الاشتقاق بين (البصائر) و(أبصر) ، وملاحظة مناسبة في الإبصار والبصائر.
وفيها محسن المطابقة بين قوله: أبصر وعمي، وبين (اللام) و(على) .

والكلام على قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام:104] (2) نظير الكلام على قول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾ [الأنعام:104] (3)
وعدي فعل عمي بحرف (على) ؛لأن العمى لما كان مجازا كان ضرا يقع على صاحبه.
ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة:233] (4)
وقوله: وتشاور هو مصدر شاور إذا طلب المشورة.
والمشورة قيل مشتقة من الإشارة؛ لأن كل واحد من المتشاورين يشير بما يراه نافعا فلذلك يقول المستشير لمن يستشيره: بماذا تشير علي كأن أصله أنه يشير للأمر الذي فيه النفع، مشتق من الإشارة باليد، لأن الناصح المدبر كالذي يشير إلى الصواب ويعينه له من لم يهتد إليه، ثم عدي بعلى لما ضمن معنى التدبير.
وقال الراغب: إنها مشتقة من شار العسل إذا استخرجه، وأيا ما كان اشتقاقها فمعناها إبداء الرأي في عمل يريد أن يعمله من يشاور.(5)

1.سورة الإسراء،الآية:7
2.سورة الأنعام ، الآية:104
3.سورة الأنعام ، الآية: 104
4.سورة البقرة ، الآية:233
5. ينظر: التحرير والتنوير 438/2

استعمال (على) بمعنى:(في)

وقد تأتي (على) بمعنى: (في) ،قال أبو كبير الهذلي*:

وَلَقَد سَرَيْتُ عَلى الظَّلامِ بِمِغْشَمٍ جَلْدٍ من الفِتْيانِ غَيرِ مُهْبَّلِ

أي: فِي الظلام. (1)

وفي قوله تعالى:﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ [النور:62] (2)

والأمر: الشأن والحال المهم.

---

1. ينظر: المحكم 581/6 وغريب الحديث لإبراهيم الحربي 319/1

2. سورة النور، الآية:62

* أبو كبير الهذلي سبقت ترجمته :

البيت من البحر الكامل

ولقد سريت على الظلام بمغشم جلد من الفتيان غير مثقل

ممن حملن به وهن عواقد حبك الثياب فشب غير مهبل

حملت به في ليلة مزؤودة هربا وعقد نطاقها لم يحلل

قوله: سريت: سرت ليلا.

بمغشم: رجل مغشم: ظلوم ممن حملت به أمه.

وإزارها مشدود لم تحله أي لم تمكن من نفسها كانت فزعة فهو أشد لولدها إذا كانت هذه حالها فشب غير مهبل: مثقل باللحم ، وحملت في خوف وهي مشمرة هاربة وهي مزؤودة: فزعة،وعقد إزارها لم تحله قال أبو إسحاق: وقال لي بعضهم في قوله: غير مهبل أي: مدعو على أمه بالهبل،وهو الثكل.

وعلى الظلام: أي في الظلام موضعه نصب على الظرف.

ويقال فعلته ظلاما وليلا في مقابلة فعلته نهارا.

ويقولون: عم ظلاما وعم صباحا، وهذا كما جعلوا في مقابلة اليوم الليلة.

ويجوز أن يكون على الظلام في موضع الحال، أي وأنا على الظلام، أي راكب له. يقول: ولقد سريت ليلا برجل غشوم قوي من الرجال غير منسوب إلى الثقل والكسل في الأمور.

والجلد: الصلب القوي؛ ومنه الجلد من الأرض. وإنما قال مغشم؛ لأنه جعله كالآلة في الغشم، ومفعل بناء لهذا المعنى، ويريد به تأبط شرا

ينظر:شرح ديوان الحماسة 64/1 وخزانة الأدب198/8

والجامع: الذي من شأنه أن يجتمع الناس لأجله للتشاور أو التعلم.

والمراد: ما يجتمع المسلمون لأجله حول الرسول عليه الصلاة والسلام في مجلسه أو في صلاة الجماعة. وهذا ما يقتضيه (مع) و(على) من قوله: معه على أمر جامع لإفادة (مع) معنى المشاركة وإفادة (على) معنى التمكن منه.(1)
ووصف الأمر بجامع على سبيل المجاز العقلي لأنه سبب الجمع.
ومنه قوله تعالى :﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر:12] (2)
وعلى من قوله: (على أمر): يجوز أن تكون بمعنى (في) كقوله تعالى:﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: 15] (3) ، وقول الفرزدق:
على حالة لو أن في البحر حاتما على جوده لضن بالماء حاتم
والظرفية مجازية.
أي: في حين غفلة، وقول الشاعر:
يا حبذا النيل على ضوء القمر وحبذا المساء فيه والسحر (4)
أي: في ضوء القمر.
ويجوز أن تكون على للاستعلاء المجازي، أي ملابسا لأمر قد قدر ومتمكنا منه.
ومعنى التمكن: شدة المطابقة لما قدر، وأنه لم يحد عنه قيد شعرة
والأمر: الحال والشأن وتنوينه للتعظيم.
ووصف الأمر بأنه قد قدر، أي أتقن وأحكم بمقدار، يقال: قدره بالتخفيف إذا ضبطه وعينه.(5)

1.التحرير والتنوير 307/18
2. سورة القمر، الآية:12
3. سورة القصص ، الآية:15
4. النحو الوافي 509/2
5. ينظر: التحرير والتنوير 27/ 183 والمزهر في علوم اللغة وأنواعها 459/1

وفي قوله تعالى:﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ [البقرة:102] (1)
والاتباع في الأصل هو المشي وراء الغير ويكون مجازا في العمل بقول الغير وبرأيه وفي الاعتقاد باعتقاد الغير تقول اتبع مذهب مالك واتبع عقيدة الأشعري، والاتباع هنا مجاز؛ لا محالة لوقوع مفعوله مما لا يصح اتباعه حقيقة.
والتلاوة: قراءة المكتوب والكتاب وعرض المحفوظ عن ظهر قلب، وفعلها يتعدى بنفسه ومنه قوله تعالى:﴿ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر:71] (2)
فتعديته بحرف (الاستعلاء) يدل على تضمنه معنى: تكذب أي: تتلو تلاوة كذب على ملك سليمان كما يقال يقول على فلان أي قال عليه ما لم يقله، وإنما فهم ذلك من حرف (على)
وقوله: تتلوا: جاء بصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية على ما قاله الجماعة، أو هو مضارع على بابه على ما اخترناه من أن الشياطين هم أحبارهم فإنهم لم يزالوا يتلون ذلك فيكون المعنى أنهم اتبعوا اعتقدوا ما تلته الشياطين ولم تزل تتلوه.(3)
والمراد- بالاتباع- التوغل والإقبال على الشيء بالكلية.
وقيل: الاقتداء، و(ما): موصولة.
وتَتْلُوا: صلتها.
ومعناه: تتبع أو تقرأ- وهو حكاية حال ماضية، والأصل:(تلت). وقول الكوفيين إن المعنى ما كانت تتلوا محمول على ذلك- لا أن كان هناك مقدرة.
و(على ملك سليمان): متعلق بـ:(تتلوا) وفي الكلام مضاف محذوف أي عهد ملكه وزمانه، أو الملك مجاز عن العهد، وعلى التقديرين:(على) بمعنى:(في)؛ كما أن(في) بمعنى:(على) في قوله تعالى:﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:71] (4)
وقد صرح في التسهيل بمجيئها للظرفية ومثل له بهذه الآية؛ لأن الملك وكذا العهد لا يصلح كونه مقروءا عليه، ومن الأصحاب من أنكر مجيء(على) بمعنى:(في)، وجعل هذا من تضمين تتلو معنى: تتقول، أو الملك عبارة عن الكرسي؛ لأنه كان من آلات ملكه.

1.سورة البقرة، الآية:102
2. سورة الزمر، الآية:71
3.التحرير والتنوير628/1
4. سورة طه ، الآية:71
فالكلام على حد قرأت على المنبر.

والمراد بما يتلونه السحر.
أي: ما تلت. وكما قال الشاعر*:
فقال بعضهم: يعني بقوله: (تتلو) ، تحدث وتروي، وتتكلم به وتخبر. نحو "تلاوة" الرجل للقرآن، وهي قراءته. ووجه قائلو هذا القول تأويلهم ذلك، إلى أن الشياطين هي التي علمت الناس السحر وروته لهم.
فـ(في) توضع موضع(على)، و(على) في موضع(في)، كل واحدة منهما تعاقب صاحبتها في الكلام، (1) ومنه قول الشاعر:
متى ما تنكروها تعرفوها على أقطارها علق نفيث
أي من أقطارها، والعلق: الدم الجامد. ونفيث: منفوخ. (2)
وقيل: أي في أقطارها. (3)

---

1. تفسير الطبري 201/11
2. ظاهرة التقارض في النحو العربي276/59
3. تفسير القرطبي 359/6
* قائله: هو رجل من بني سلول، وهو من الكامل. 359
اللغة: "اللئيم" الشحيح الدنيء النفس، وروي: فمضيت ثمت قلت.
المعنى:
يقول: والله إنني لأمر على الرجل الدنيء النفس الذي من عادته أن يسبني، فأتركه وأذهب عنه وأرضي نفسي بقولي لها: إنه لا يقصدني بهذا السباب.
الشاهد فيه: "اللئيم يسبني" حيث وقعت الجملة نعتا للمعرفة وهو "اللئيم" المقرون بأل. وإنما ساغ ذلك؛ لأن "أل" فيه جنسية، فهو قريب من النكرة.
وعليه: إن "يسبني" صفة لا حال؛ لأن المعنى: ولقد أمر على لئيم من اللئام،قلت: أما نعته بالجملة، فقد نص عليه في التسهيل وغيره.
كمعنى النكرة؛ لأنه لا يقصد به فرد معين.
وذهب أبو حيان في "الارتشاف": إلى أنه لا يجوز أن تكون الجملة صفة للاسم المقترن بأل.
ينظر: توضيح المقاصد948/2 والخصائص325/3 والإنصاف في مسائل الخلاف 88/1
تقديم على لإفادة الاختصاص

وفي قوله تعالى:﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [الروم:44] (1)

وقوله: (فعليه كفره): كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضارّ؛ لأنّ من كان ضاره كفره، فقد أحاطت به كلّ مضرّة .

(فلأنفسهم يمهدون) أي: يسوؤون لأنفسهم ما يسوّيه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه؛ لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغض عليه مرقده: من نتوء أو قضض*، أو بعض ما يؤذى الراقد.

ويجوز أن يريد: فعلى أنفسهم يشفقون، من قولهم في المشفق: أمّ فرشت فأنامت.

(وتقديم الظرف) في الموضعين للدلالة على أنّ ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعدّاه، ومنفعة الإيمان والعمل الصالح: ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزه.

"والذي يكشف هذا المعنى تقديم المسند في قوله:(فعليه كفره) فإنه يفيد تخصيصه بالمسند إليه، أي: فكفره عليه لا عليك ولا على المؤمنين، ولهذا ابتدئ بذكر حال من كفر ثم ذكر بعده من عمل صالحا؛ واقتضى حرف الاستعلاء أن في الكفر تبعة وشدة وضرا على الكافر؛ لأن (على) تقتضي ذلك في مثل هذا المقام،(2)؛ كما اقتضى (اللام) في قوله تعالى:(فلأنفسهم يمهدون) أنّ لمجرورها نفعا وغنما، ومنه قوله تعالى:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ [البقرة:286] (3)

1.سورة الروم، الآية:44

2.التحرير والتنوير116/21

3. سورة البقرة ، الآية:286

* النتوء: الارتفاع.

والقضض: صغار الحصى.

ينظر: الصحاح

وقال توبة بن الحمير*:

وقد زعمت ليلى بأني فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها (1)
أي : وعليها (2)

وأفرد ضمير كفره رعيا للفظ (من).
وهذا التركيب من جوامع الكلم لدلالته على ما لا يحصى من المضار في الكفر على الكافر وأنه لا يضر غيره، مع تمام الإيجاز، وهو وعيد؛ لأنه في معنى: (من كفر فجزاؤه عقاب الله)، فاكتفي عن التصريح بذلك اكتفاء بدلالة (على) من قوله فعليه كفره؛ وبمقابلة حالهم بحال من عمل صالحا بقوله ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله.
وتقديم:(فلأنفسهم على يمهدون) للاهتمام بهذا الاستحقاق وللرعاية على الفاصلة وليس للاختصاص.
ويمهدون: يجعلون مهادا.(3) والمهاد: الفراش.
مثلت حالة المؤمنين في عملهم الصالح بحال من يتطلب راحة رقاده فيوطئ فراشه ويسويه لئلا يتعرض له في مضجعه من النتوء أو اليبس ما يستفز منامه.

---

1. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة106/1
2. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع205/3
3.التحرير والتنوير116/21
* توبة بن الحمير (000 - 85 هـ = 000 - 704 م)
توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة العُقيلي العامري، أبو حرب: شاعر من عشاق العرب المشهورين. كان يهوى ليلى الأخيلية وخطبها، فرده أبوها وزوجها غيره، فانطلق يقول الشعر مشببا بها. واشتهر أمره، وسار شعره، وكثرت أخباره.
قتله بنو عوف ابن عقيل.
وفي كتاب (التعازي) للمبرد: كان سبب قتل توبة أنهم كانوا يطلبونه، فأحسوه وقد قدم من سفر، ومعه عبيد الله بن توبة وقابض، مولاه، وبينه وبين الحي ليلة، فأتوه طروقا، فهرب صاحباه ،وأسلماه فقتل.
قلت: لعل هذه الرواية أصح من أنه قتل في غزوة أغار بها.
ينظر: الأعلام للزركلي 89/2
على والتعدية

وفي قول الله تعالى:﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:13] (1) و(كبر) بمعنى: صعُب ، وقريب منه إطلاق ثقل ، أيْ عجزوا عن قبول ما تدعوهم إليه.

فالكبر مجاز استعير للشيء الذي لا تطمئن النفس لقبوله.

والكِبرُ في الأصل الدّال على ضخامة الذات ؛ لأن شأن الشيء الضخم أن يعسر حمله ولما فيه من تضمين معنى ثقل عدّي بـ:(على)

وعبر عن دعوة الإسلام بـ: (ما) الموصولة اعتبارا بنُكران المشركين لهذه الدعوة واستغرابِهم إيّاها.

وجيء بالفعل المضارع في (تدعوهم) للدلالة على تجدد الدعوة واستمرارها .

ولما فيه من تضمين معنى: ثقل عدي بـ(على).(2)

وفي قول الله تعالى:﴿ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [الزمر:40] (3) وتنوين عذاب في الموضعين للتعظيم المراد به التهويل.

وأسند فعل يأتيه إلى العذاب المخزي؛ لأن الإتيان مشعر بأنه يفاجئهم كما يأتي الطارق،وكذلك إسناد فعل يحل إلى العذاب المقيم؛ لأن الحلول مشعر بالملازمة والإقامة معهم، وهو عذاب الخلود، ولذلك يسمى منزل القوم حلة، ويقال للقوم القاطنين غير المسافرين هم حلال، فكان الفعل مناسبا لوصفه بالمقيم.(4)

وتعدية فعل يحل بحرف (على) للدلالة على تمكنه.

1.سورة الشورى ، الآية:13

2. التحرير والتنوير 54/25

3.سورة الزمر،الآية:40

4.التحرير والتنوير21/24

التعدية بـ(على) دون اللام

وفي قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المائدة:54] (1)
والأذلة والأعزة وصفان متقابلان وصف بهما القوم باختلاف المتعلق بهما، فالأذلة جمع الذليل وهو الموصوف بالذل.
والذل- بضم الذال وبكسرها- الهوان والطاعة، فهو ضد العز﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:123] (2)
وفي بعض التفاسير: الذل- بضم الذال- ضد العز- وبكسر الذال- ضد الصعوبة، ولا يعرف لهذه التفرقة سند في اللغة.
والذليل جمعه الأذلة، والصفة الذل:ومنه قوله تعالى:﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء:24] (3)
ويطلق الذل على لين الجانب والتواضع، وهو مجاز، ومنه ما في هذه الآية.
فالمراد هنا الذل بمعنى لين الجانب وتوطئة الكنف، وهو شدة الرحمة والسعي للنفع، ولذلك علق به قوله:(على المؤمنين)
ولتضمين أذلة معنى: مشفقين حانين عدي بـ:(على) دون اللام، أو لمشاكلة (على) الثانية في قوله: (على الكافرين).
والأعزة: جمع العزيز فهو المتصف بالعز، وهو القوة والاستقلال ، ولأجل ما في طباع العرب من القوة صار العز في كلامهم يدل على معنى الاعتداء، ففي المثل:(مَنْ عَزَّ بَزَّ)
وقد أصبح الوصفان متقابلين، فلذلك قال السموأل:

1.سورة المائدة، الآية:54
2.سورة آل عمران ، الآية:123
3.سورة الإسراء ، الآية:24

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل (1)
وإثبات الوصفين المتقابلين للقوم صناعة عربية بديعية، وهي المسماة الطباق، وبلغاء العرب يغربون بها، وهي عزيزة في كلامهم.(2)

وفي قوله تعالى:﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون:28] (3)
مجازه :إذا علوت على السفينة وفي آية أخرى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5] (4) " أي: علا.
وقال آخرون : حتى إذا كنت أنت ومن معك في الفلك "؛ لأن (في) و(على) واحد ،ومنه قوله تعالى:﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:71] (5) " أي على جذوع النخل.
والفلك هاهنا السفينة وقد يقع على الواحد والجمع بلفظ واحد .؟ الجميع (6)

---

1. ينظر:البيان والتبيين 128/3 وعيار الشعر107/1
2. التحرير والتنوير 237/6
3.سورة المؤمنون،الآية:28
4.سورة طه، الآية:5
5.سورة طه، الآية:71
6. مجاز القرآن 83/1

قال الله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم:83] (1)
وأرسلنا معناه: سلطنا أو لم نحل بينهم وبينهم، مثل قوله تعالى:﴿ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ [الزخرف:36] (2)
وتعديته: بـ:(على) دليل على أنه تسليط.
والأز:
الهز والاستفزاز الباطني، مأخوذ من أزيز القدر إذا اشتد غليانها.
وتؤزهم تحركهم إلى الكفر.
وقال قتادة: تزعجهم.
وقال ابن زيد: تشليهم.
وقال الزمخشري: تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات.

والمعنى:
خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم، والمراد تعجيب رسول الله ﷺ بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة من الكفار وأقاويلهم.

شبه اضطراب اعتقادهم وتناقض أقوالهم واختلاق أكاذيبهم بالغليان في صعود وانخفاض وفرقعة وسكون، فهو استعارة فتأكيده بالمصدر ترشيح.(3)
وإرسال الشياطين عليهم تسخيرهم لها وعدم انتفاعهم بالإرشاد النبوي المنقد من حبائلها، وذلك لكفرهم وإعراضهم عن استماع مواعظ الوحي.

1.سورة مريم ،الآية:83
2. سورة الزخرف ،الآية:36
3.ينظر: البحر المحيط في التفسير 297/7

وللإشارة إلى هذا المعنى عدل عن الإضمار إلى الإظهار في قوله:(على الكافرين) وجعل تؤزهم حالا مقيدا للإرسال ؛ لأن الشياطين مرسلة على جميع الناس ولكن الله يحفظ المؤمنين من كيد الشياطين على حسب قوة الإيمان وصلاح العمل.

وعبر بـ:(تعجل عليهم) معدى بحرف الاستعلاء إكراما للنبي ﷺ بأن نزل منزلة الذي هلاكهم بيده. فنهى عن تعجيله بهلاكهم.

وذلك إشارة إلى قبول دعائه عند ربه، فلو دعا عليهم بالهلاك؛ لأهلكهم الله كيلا يرد دعوة نبيه ﷺ لأنه؛ يقال: عجل على فلان بكذا، أي: أسرع بتسليطه عليه، كما يقال: عجل إليه إذا أسرع بالذهاب إليه، كقوله: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه:84] (1)

فاختلاف حروف تعدية فعل عجل ينبئ عن اختلاف المعنى المقصود بالتعجيل.

ولعل سبب الاختلاف بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ [الأحقاف:35] (2)

أن المراد هنا استعجال الاستئصال، والإهلاك وهو مقدر كونه على يد النبي صلى الله عليه وسلم، فلذلك قيل هنا:﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ [مريم:84] (3)

أي: انتظر يومهم الموعود، وهو يوم بدر، ولذلك عقب بقوله: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم:84] (4)

أي: ننظرهم ونؤجلهم، وأن العذاب المقصود في سورة الأحقاف هو عذاب الآخرة لوقوعه في خلال الوعيد لهم بعذاب النار.

1.سورة طه،الآية:84

2. سورة الأحقاف ،الآية:35

3. سورة مريم ،الآية:84

4. سورة مريم ،الآية:84

وعجلت عليه بكذا: إذا استعجلته منه. أي: لا تعجل عليهم؛ بأن يهلكوا فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم إلا أيام محصورة ،وأنفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت(1) ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف:35] (2)

وفي قول الله تعالى:﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (3) [النساء:141]
والمراد بالسبيل طريق الوصول إلى المؤمنين بالهزيمة والغلبة، بقرينة تعديته بعلى؛ ولأن سبيل العدو إلى عدوه هو السعي إلى مضرته، ولو قال لك الحبيب: لا سبيل إليك، لتحسرت. ولو قال لك العدو: لا سبيل إليك لتهللت بشرا، فإذا عدي بعلى صار نصا في سبيل الشر والأذى، فالآية وعد محض دنيوي.
و(على) هذه تحمل بشارة للمؤمنين بالنصر القريب بمشيئة الله.(4)

1.ينظر: التحرير والتنوير165/16
2. سورة الأحقاف ،الآية:35
3.سورة النساء ،الآية:141
4. التحرير والتنوير 237/5

وقد شاع تعدية الفعل أضلّ بحرف الجر (على) ففي قول الله تعالى:﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ:50] (1)

وتعدية (أَضل) بحرف (على) تتضمن استعارة مكنية إذ شُبه الضلال بجريرة عليه، فعدّاه بالحرف الشائع استعماله في الأشياء المكره عليها غير الملائمة، عكس اللام ، وذكر حرف الاستعلاء تخييل للمكنية ولا يُقال : ضُمِّن (أَضلّ) معنى أَجنِي ؛ لأن(ضللت) الذي هو فعل الشرط المفروض غير مضمن معنى فعل آخر .

واختير في جانب الهدى فعل (اهتديت) الذي هو مطاوع (هدى) لما فيه من الإيماء إلى أن له هاديا، وبيَّنه بقوله:(فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي) ليحصل شكره لله إجمالا ثم تفصيلا.

وفي قوله:(فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي) إيماء إلى أنه على هدى؛ لأنه أثبت أن وحيا من الله وارِد إليه.

وقد استفيد أن الضلال المفروض إن حصل فسببه من قبل نفسه، من إسناد فعل(أضل) إلى ضمير المتكلم ثم مما عقبه من قصر الضلال على الحصول من المتكلم، وهو أغرق في التعلق به.(2)

1.سورة سبأ ،الآية:50

2.ينظر: التحرير والتنوير 240/22

تعدية قائم بـ (على)

وفي قوله تعالى:﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ [آل عمران:75] (1)

وعدي (قائما):بحرف (على) ؛ لأن القيام مجاز على الإلحاح والترداد فتعديته بحرف الاستعلاء قرينة وتجريد للاستعارة. (2)

وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد:33] (3)

والقائم على الشيء:

الرقيب، فيشمل الحفظ والإبقاء والإمداد.

ولتضمنه معنى الرقيب عدي بحرف (على) المفيد للاستعلاء المجازي.

وأصله من القيام وهو الملازمة كقوله:﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران:75] (4)

ويجيء من معنى القائم أنه العليم بحال كل شيء لأن تمام القيومية يتوقف على إحاطة العلم.

فمعنى قائم على كل نفس متوليها ومدبرها في جميع شؤونها في الخلق والأجل والرزق، والعالم بأحوالها وأعمالها، فكان إطلاق وصف قائم هنا من إطلاق المشترك على معنييه.

إيثار كلمة في للدلالة على إبقائهم عليها (5)

وليس هذا القيام القيام الذي هو ضد القعود، بل هو بمعنى التولي لأمور الخلق، كما يقال: قام فلان بشغل كذا، فإنه قائم على كل نفس بما كسبت أي: يقدرها على الكسب، ويخلقها ويرزقها ويحفظها ويجازيها على عملها، فالمعنى: أنه حافظ لا يغفل، والجواب محذوف.

والمعنى: أفمن هو حافظ لا يغفل كمن يغفل.

1.سورة آل عمران، الآية:75

2. التحرير والتنوير287/3

3.سورة الرعد، الآية:33

4.سورة آل عمران، الآية:75

5. ينظر:التحرير والتنوير 150/13 والقرطبي 322/9

تعدية يحل بـ: (على) للدلالة على التمكن

وفي قوله تعالى: ﴿ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ [الزمر:40] (1)
والعذاب المخزي هو عذاب الدنيا.
والمراد به هنا عذاب السيف يوم بدر.
والعذاب المقيم هو عذاب الآخرة، وإقامته خلوده.
وتنوين عذاب في الموضعين للتعظيم المراد به التهويل.
وأسند فعل يأتيه إلى العذاب المخزي؛ لأن الإتيان مشعر بأنه يفاجئهم كما يأتي الطارق.
وكذلك إسناد فعل يحل إلى العذاب المقيم ؛لأن الحلول مشعر بالملازمة والإقامة معهم، وهو عذاب الخلود، ولذلك يسمى منزل القول حلة.
ويقال للقوم القاطنين غير المسافرين هم حلال، فكان الفعل مناسبا لوصفه بالمقيم.
وتعدية فعل يحل بحرف (على) للدلالة على تمكنه.(2)

1.سورة الزمر،الآية:40
2.التحرير والتنوير 21/24

التعدية لإفادة التمكن

وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ [الفرقان:27] (1)
والعض:الشد بالأسنان على الشيء ليؤلمه أو ليمسكه، وحقه التعدية بنفسه إلا أنه كثرت تعديته بـ(على)؛ لإفادة التمكن من المعضوض إذا قصدوا عضا شديدا كما في هذه الآية.
والعض على اليد كناية عن الندامة ؛ لأنهم تعارفوا في بعض أغراض الكلام أن يصحبوها بحركات بالجسد مثل التشذر، وهو رفع اليد عند كلام الغضب.
ومثل وضع اليد على الفم عند التعجب، قال تعالى:﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [إبراهيم:9] (2)، ومنه في الندم قرع السن بالأصبع، وعض السبابة، وعض اليد.
ويقال: حرق أسنانه وحرق الأرم (بوزن ركع) الأضراس أو أطراف الأصابع، وفي الغيظ عض الأنامل قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران:119] (3) ، وكانت كنايات بناء على ما يلازمها في العرف من معان نفسية، وأصل نشأتها عن تهيج القوة العصبية من جراء غضب أو تلهف.
والرسول: هو المعهود وهو محمد ﷺ.
والإضلال مستعار هنا للصرف عن الحق لمناسبة استعارة السبيل لهدي الرسول وليس مستعملا هنا في المعنى الذي غلب على الباطل بقرينة تعديته بحرف (عن) في قوله:
وفي قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ ﴾ [الفرقان:29] (4)، فإنه لو كان الإضلال هو تسويل الضلال لما احتاج إلى تعديته، ولكن أريد هنا متابعة التمثيل السابق.
ففي قوله: أضلني مكنية تقتضي تشبيه الذكر بالسبيل الموصل إلى المنجى، وإثبات الإضلال عنه تخييل كإثبات الأظفار للمنية، فهذه نكت من بلاغة نظم الآية.(5)

1.سورة الفرقان، الآية:27
2.سورة إبراهيم، الآية:9
3.سورة آل عمران ، الآية:119
4.سورة الفرقان، الآية:29
5. التحرير والتنوير 15/19

تعدية أهش بـ:(على)

وفي قوله تعالى:﴿ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴾ [طه:18] (1)

والتوكؤ: الاعتماد على شيء من المتاع، والاتكاء كذلك، فلا يقال: توكأ على الحائط ولكن يقال: توكأ على وسادة، وتوكأ على عصا.
والهش: وهشّ الرجل هشّا من باب رد: صال بعصاه.
والهش: الخبط، وهو ضرب الشجرة بعصا ليتساقط ورقها، وأصله متعد إلى الشجرة فلذلك ضمت عينه في المضارع، ثم كثر حذف مفعوله.
وعدي إلى ما لأجله يوقع الهش بعلى لتضمين (أهش) معنى: أسقط على غنمي الورق فتأكله، أو استعملت (على) بمعنى الاستعلاء المجازي كقولهم: هو وكيل على فلان.
ومن لطائف معنى الآية ما أشار إليه بعض الأدباء من أن موسى أطنب في جوابه بزيادة على ما في السؤال لأن المقام مقام تشريف ينبغي فيه طول الحديث. (2)
وما أجراه الله على عصا موسى لم يكن سحرا ولكنه نقلها من جنس إلى جنس في عصر نبغ فيه الناس في السحر، ونعلم أن موسى أنس إلى ربه فقال وأطنب وأسهب وأطال:(هي عصاي .... إلى على غنمي) ،وعرف موسى من بعد مقام الأنس والانجذاب مقام الخشية فأوجز قائلا: ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: 18] (3)
إذن فكلام الله والنظر إليه سبحانه أفضل النعم التي ينعم الله بها على المؤمنين يوم القيامة.(4)

---

1. سورة طه، الآية:18
2.التحرير والتنوير 206/16
3. سورة طه، الآية:18
4.تفسير الشعراوي 3454/6

تعدية الإتيان بـ (على)

وفي قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ [الفرقان:40] (1)

والإتيان : المجيء . وتعديته بـ (على) لتضمينه معنى : مروا ؛ لأن المقصود من التذكير بمجيء القرية التذكير بمصير أهلها فكأن مجيئهم إياها مرور بأهلها ، فضمن المجيء معنى المرور لأنه يشبه المرور ، فإن المرور يتعلق بالسكان والمجيء يتعلق بالمكان فيقال : جئنا خراسان ، ولا يقال : مررنا بخراسان .

وقال تعالى:﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات:138] (2)

ووصف القرية بـ(التي أمطرت مطر السوء ؛ لأنها اشتهرت بمضمون الصلة بين العرب وأهل الكتاب)

وهذه القرية هي المسماة (سدوم) بفتح السين وتخفيف الدال وكانت لقوم لوط قرى خمس أعظمها (سدوم).(3)

الإتيان بحرف على

ومنه قوله تعالى:﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:78] (4)

والإتيان بحرف (على) للدلالة على تمكن آبائهم من تلك الأحوال وملازمتهم لها.(5)

1.سورة الفرقان،الآية:40
2.سورة الصافات، الآية:138
3.التحرير والتنوير30/19
4.سورة يونس، الآية:78
5.التحرير والتنوير 252/11

تعدية طمس بـ(على)

وفي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس:88] (1)

والطمس: المحو والإزالة.

وفعله يتعدى بنفسه كما في قوله تعالى﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ [النساء:47] (2) ، ويعدى بحرف (على) كما هنا.

ولعل تعديته بـ (على) لإرادة تمكن الفعل من المفعول، أو لتضمين الطمس معنى الاعتلاء بآلة المحو والإزالة، فطمس الأموال إتلافها وإهلاكها.

وأما قوله: واشدد فأحسب أنه مشتق من الشد، وهو العسر.

ومنه الشدة للمصيبة والتحرج، ولو أريد غير ذلك لقيل: واطبع، أو واختم، أو نحوهما، فيكون شد بمعنى أدخل الشد أو استعمله مثل جد في كلامه، أي استعمل الجد.

وحرف (على) مستعار لمعنى الظرفية استعارة تبعية لإفادة تمكن الشدة.

والمعنى:

أدخل الشدة في قلوبهم.(3)

ومن هذا القبيل قول الله عزّ وجلّ:﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ ﴾ [يس:66] (4)

حيث علّق الشيخ ابن عاشور على هذه الآية قائلا:"وحرف الاستعلاء للدلالة على تمكن الطمس وإلاّ فإنّ (طمس) يتعدى بنفسه."

والطمْس:المَحو والإزالة: وفعله يتعدى بنفسه ، ويعدى بحرف (على) ولعل تعديته بـ: (على) لإرادة تمكن الفعل من المفعول. أو لتضمين الطمس معنى الاعتلاء بآلة المحو والإزالة ، فطمس الأموال إتلافها وإهلاكها .

1.سورة يونس ،الآية:88

2.سورة النساء،الآية:47

3.التحرير والتنوير 270/11

4.سورة يس ،الآية:66

وعليه فحرف الاستعلاء (على) للدلالة على تمكن الطمس، وإلا فإن الفعل طَمسَ يتعدى بنفسه.
وعليه فحرف (على) مستعار لمعنى الظرفية استعارة تبعية لإفادة تمكن الشدة .
والمعنى : أدخل الشدة في قلوبهم .
"وهكذا يتضرّع سيدنا موسى عليه السلام لصدّ هذه النعمة ولوقف "هذا الضلال ، ولتجريد القوة الباغية المضلة من وسائل البغي والإغراء ، أن يطمس الله على هذه الأموال بتدميرها والذهاب بها ، بحيث لا ينتفع بها أصحابها." (1)

وهكذا فالمتتبع للمعاني التي أشار إليها "الزّمخشري"يلاحظ الفروق الدقيقة للفعل طمس وأنّ الفعل يتعدى بنفسه ويتعدى إذ أشار إلى المعاني الحقيقية والمجازية في أساسه.
ب-:(على) التي تلقي بظلالها على معنى الفعل. حيث تكسبه معنى الاستعلاء للدلالة على تمكن الطمس.
وقد أدرك الشيخ ابن عاشور في تفسيره بعض أسرار معاني تناوب الحروف، حيث أفاد حرف:(على) معنى بلاغيا فيه من الإيضاح في الجملة ما لا يخفى على أصحاب البيان.
وحرف الاستعلاء هنا له إشعاعه البلاغي بحيث عمّ الطمس على الجميع. وهذا للإشارة إلى القهر والغلبة ، وأنّهم أخذوا أخذ عزيز مقتدر؛كما لا يمكن الاستغناء هنا عن هذا الحرف رغم أنّ الفعل يتعدى بنفسه.
ويمكن القول:إنّ الشيخ "ابن عاشور" لازم قراءة الكشّاف فأتاحت له هذه الدراسة فهما عميقا للخوض في معاني الحروف التي ساقها في تفسيره كاشفا عن معان خفية لأسرار معاني الحروف الذي هو سر من أسرار التنزيل.
ولعل القرآن الكريم حين أشار إلى الطمس الحقيقي الذي أصيب به قوم لوط فقد تجرّد الفعل من حرف الاستعلاء؛ لأنّ الطمس تمكّن من أعينهم واستحكم فيها،بخلاف إن كان المعنى على المُضيِّ الدال على عدمَ الطَّمس على أعينهم لاستمرار عدمِ المشيئة.

---

1. ظلال القرآن179/4

دلالة ربطنا على قلوبهم

وفي قوله تعالى:﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف:15](1)

وتعدية فعل (ربطنا): بحرف الاستعلاء للمبالغة في الشد ؛لأن حرف الاستعلاء مستعار لمعنى التمكن من الفعل .
"وقد ظنّ الواحدي أنّ (على) زائدة.
والمعنى:
يربط قلوبكم ، وليس كما ظنّ؛بل بين ربط الشيء وربط عليه فرق ظاهر.فإنّه يقال:ربط الفرس والدّابة،ولا يقال ربط عليها.فإذا أحاط الربط بالشيء وعمّه.
قيل:ربط عليه كأنّه أحاط عليه بالربط؛ فلهذا قيل:ربط على قلبه،وكان أحسن أن يقال:ربط قلبه.
والمقصود:
أنّ هذا الربط يكون معه الصبر أشدّ وأثبت بخلاف الختم.
والربط على القلب مستعار إلى تثبيت الإيمان وعدم التردد فيه ، فلما شاع إطلاق القلب على الاعتقاد استعير الربط عليه للتثبيت على عقده.
ومنه قولهم : هو رابط الجأش.

وفي ضده يقال:اضطرب قلبه ، وقال تعالى:﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب:10](2)
استعير الاضطراب ونحوه للتردد والشك في حصول شيء .

1.سورة الكهف،الآية:15
2.سورة الأحزاب،الآية:10

وقيل: ثبتناها وقوّيناها على الصبر على هجرة الوطن والنعيم والفرار بالدين إلى غار في مكان قفر لا أنيس به ولا ماء ولا طعام ، ولما كان الفزع وخوف النفس يشبه بالتناسب الانحلال حسن في شدة النفس وقوّة التصميم أن تشبه الربط ، ومنه فلان رابط الجأش إذا كانت نفسه لا تتفرق عند الفزع والحرب

ويحتمل القيام أن يكون مقامهم بين يديّ الملك الكافر دقيانوس ، فإنه مقام محتاج إلى الربط على القلب حيث صلبوا عليه، وخلعوا دينه ورفضوا في ذات الله هيبته ، ويحتمل أن يكون عبارة عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب إلى الله ومنابذة الناس كما يقال : قام فلان إلى كذا إذا اعتزم عليه بغاية الجد. (1)

ومعنى الربط على القلوب:(قويناها بالصبر فلم تزحزحها عواصف فراق الأوطان، وترك الأهل والنعيم والإخوان، ولم يزعجها الخوف من ملكهم الجبار ولم يرعها كثرة الكفار.

وأصل الربط الشد المعروف واستعماله فيما ذكر مجاز كما قال غير واحد .

وفي الأساس ربطت الدابة شددتها برباط والمربط الحبل ، ومن المجاز ربط الله تعالى على قلبه: صبره ورابط الجاش .

وفي (الكشف) لما كان الخوف والتعلق يزعج القلوب عن مقارها... قيل في مقابله ربط قلبه إذا تمكن وثبت وهو تمثيل

وجوز بعضهم أن يكون في الكلام استعارة مكنية تخييلية.

وعدي الفعل بـ(على) وهو متعد بنفسه لتنزيله منزلة اللازم كقوله: يجرح في عراقيبها نصلي والمراد بقيامهم انبعاثهم بالعزم على التوجه إلى الله تعالى ومنابذة الناس كما في قولهم: قام فلان إلى كذا إذا عزم عليه بغاية الجد، وقريب منه ما قيل المراد به انتصابهم لإظهار الدين.(2)

1.ينظر: البحر المحيط 149/7

2. تفسير الألوسي208/8

تعدية أفتمارونه

لقد تعددت دلالة فعل (تمارون) ففي قوله تعالى:﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[النجم:12](1) قال الفراء (أَفَتُمْرُونه) معناه: أفتجحدونه؟ ومن قرأ (أفتمارونه) فمعناه: أفتجادلونه؟

قال: وهي قراءة العوام؛ونحو ذلك قال الزجاج في تفسير(تُمرونه) و(تُمارونه).

وعن المبرد، أنه قال في قوله: (أَفَتُمْرُونه على ما يَرَى) أي أتدفعونه عما يرى؟ قال: و(على) في موضع(عن).

قال: ويقال مراه مائة سوط، ومراه مائة درهم، إذا نقده إياها.(2)

قال: والمري: مسح ضرع الناقة لتدرّ.

ويقال: مَرى الفرس والناقة، إذا قام أحدهما على ثلاث ثم مسح الأرض باليد الأخرى؛ وأنشد:

إذا حُطّ عنها الرَّحْلُ أَلْقَت برَأْسها إلى شَذَبِ العِيدان أو صَفَنت تَمْرِي*

وعن الكسائي: المريّ: الناقة التي تدرّ على من يمسح ضرعها.وقد أمرَت: وجمعها:مرايا

وقال ابن الأنباري: في قولهم: مارَى فلان فلاناً: معناه: قد استخرج ما عنده من الكلام والحجة، مأخوذ من قولهم: مَريت الناقة، إذا مسحت ضرعها لتَدِرّ. ومرت الريح السَّحاب، إذا أَنزلت منه المطر.قال: وماريت الرجل، ومارَرته، إذا خالفته وتلوَّيت عليه.

وهو مأخوذ من (مرار) " الفتل، و(مرار) السلسلة، تلوّي حلقها إذا جُرّت على الصفا؛ وفي الحديث: سمعت الملائكة مثل مِرَار السلسلة على الصَّفا.(3)

1.سورة النجم ، الآية:12

2.ينظر: الكامل في اللغة والأدب 140/2

3.ينظر:غريب الحديث لابن قتيبة 365/2

* معنى: صفنت: قامت على ثلاث.

قيل:وهذا من أحسن أوصافها.ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس 100/2

ومعناه: أن السلسلة إذا جرت على الصفا تلوى حلقها واختلف. والصفا: الحجارة الصلبة، واحدها: صفاة. أي صوت انجرارها واطرادها على الصخر. ينظر: الفائق في غريب الحديث 361/3

ولا تكون مرِيًّا ومعها ولدها؛ وجمعها: مرايا.
والمِراء أيضا، من الافتراء والشك؛ومنه قوله تعالى:﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ [الكهف:22] (1)
قال: وأصله في اللغة: الجدال وأن يستخرج الرجل من مناظره كلاما ومعاني الخصومة وغيرها، من (مريت الشاة) ، إذا حلبتها واستخرجت لبنها.
قال الليث: المِرْية: الشكّ؛ ومنه: الامتراء والتمَّاري في القرآن.
يقال: تمارى يتمارى تمارياً، وامترى امتراء، إذا شكّ. (2)
ويرى الراغب أنّ لفظ المرية له معان متقاربة فقال: المرية: التّردّد في الأمر، وهو أخصّ من الشّكّ. ومنه قول الله تعالى:﴿ وَلا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ﴾ [الحج: 55] (3).

أما الزمخشري فله وجهة نظر أخرى في معنى هذه الآية الكريمة فقال:(أفتمارونه) من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة ، كأن كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه.
وقرئ:(أفتمرونه): أفتغلبونه في المراء ، من ماريته فمريته ، ولما فيه من معنى الغلبة عدّى بـ(على) ، كما تقول : غلبته على كذا :
وقيل:أفتمرونه:أفتجحدونه. وأنشدوا :
لَئِنْ هَجَوْتَ أَخَا صِدْقٍ وَمَكْرُمَةٍ لَقَدْ مَرَيْتَ أخاً مَا كَانَ يَمْرِيكا (4)
وقالوا :
يقال مريته حقه إذا جحدته،وتعديته بـ(على) لا تصح إلا على مذهب التضمين.(5)
فيرى أنّ سبب تعدية الفعل بحرف الاستعلاء (على) لما فيه من الغلبة

---

1. سورة الكهف، الآية:22
2. ينظر:تهذيب اللغة 204/15 والعين295/8
3. سورة الحج ، الآية:55
4.الكشف والبيان عن تفسير القرآن 141/9
5. تفسير الزمخشري 421/4

الرأي الأول تعديته بـ(على) للاستعلاء.
والثاني: التضمين
وعدى الفعل بـ(على) وكان حقه أن يعدي بـ(في) لتضمينه معنى: المغالبة فإن المجادل والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم.
والتعبير بالمضارع استحضارا للصورة الماضية لما فيها من الغرابة.
وقرأ الجمهور:(أفتمارونه). أي: أتجادلونه على شيء رآه ببصره وأبصره.
أو: من المماراة وهي الملاحاة والمجادلة في الإبطال .
وعدى بـ(على) لما في الجدال من المغالبة.
وجاء يرى بصيغة المضارع ، وإن كانت الرؤية قد مضت ، إشارة إلى ما يمكن حدوثه بعد..
وعدى بـ(على) على معنى التضمين .(1)
و(على) لتضمين الفعل:الغلبة؛ فإن المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم (2)
وتعدية الفعل فيهما بحرف (الاستعلاء) لتضمنه معنى الغلبة ، أي: هَبْكُم غالبتموه على عبادتكم الآلهة ، وعلى الإعراض عن سماع القرآن ونحو ذلك أتغلبونه على ما رأى ببصره.
وتعدية الفعل فيهما بحرف (الاستعلاء) لتضمنه معنى الغلبة. (3)
أما أستاذنا محمد الأمين فيرى عكس ذلك فيقول:"وهذا أحد المواطن التي يقحم فيها تضمين الفعل معنى هو انعكاس لدلالة الحرف الذي تعدى به ، فالمراء ما هو إلا محاجة ومجادلة ، وقد سرى إليه هنا معنى المغالبة من طبيعة حرف الاستعلاء ،وما يوحي به من محاولة الخصم رفع صوته على من يجادله ،والتغلب عليه بكل ما يملكه من وسائل
الإقناع حينا ،والمغالطة أحيانا ،بدليل أنّه لو تعدى الفعل بحرف (الوعاء) فقيل :"أفتمارونه

1.تفسير الألوسي 485/19 والبحر المحيط 157/10
2. تفسير البيضاوي 239/5
3.ينظر: التحرير والتنوير171/14

فيما يرى" لما كان فيه شيء من معنى المغالبة ، وبدلا من أن يجعل هذا غرضا توخاه النظم من العدول عن تعدية الفعل بحرف (الوعاء) إلى حرف (الاستعلاء).

قيل إنّ الفعل: مضمن معنى: المغالبة مع أنّ المراء بحكم أصله المأخوذ منه يدل على الجدل المصحوب بالمداهنة والمصانعة ؛ لا على العنف والمغالبة ؛ لأنه مأخوذ من مري الناقة ،وهو مسح ضرعها لاستدرار لبنها وقد جاء في لسان العرب عن ابن الأنباري في قولهم مارى فلان فلانا معناه: قد استخرج ما عنده من الكلام والحجة ،مأخوذ من قولهم مريت الناقة :إذا مسحت ضرعها لتدر "(1) ...فالمماراة في ذاتها ليست مصحوبة بالمغالبة،وإنما سرى إليها هذا المعنى بحكم العدوى الناشئة من اتصاله بحرف (الاستعلاء) بدليل قوله تعالى:﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ﴾ [الكهف:23] (2)

أي فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف؛ إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه ، وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب، ولا تزيد ،من غير تجهيل لهم ولا تعنيف في الرد عليهم (3)

ولما كان المشركون قد استقبلوا ما قصه الرسول عليهم من حادث الإسراء بالتسفيه والتكذيب ووصفه بأوصاف لا تليق بأدب المجادلة مستعلين عليه بكثرتهم ،محاولين إسكاته وتعجيزه ، عدي الفعل : بـ(على) إشعار بأنها مماراة سفيه جاهل يبغي التغلب على خصمه بالقوة والقهر لا بالحجة والإقناع، وحسبك تصويرا لحمقهم أن يماروا على ما رآه

ولم يروه، والمعروف أنّ من شاهد حجة على من لم يشاهد ،وفي مجيء الفعل بصيغة المضارع "يرى" زيادة تجهيل وتسفيه لأحلامهم ،حيث يجادلونه فيما يراه واقعا أمام عينيه وهم عمى عنه ، وكأنه يقول لهم:متى كان الأعمى حجة على المبصر فيما يشاهده؟" (4)

هذه آراء علمائنا الأجلاء الذين فقهوا أسرار الحروف ومعانيها المتوارية في ثنايا النص حيث تعدى الفعل (مارى) بـ:(على) الدالة على الاستعلاء والغلبة، وتولدت عنه هذه المعاني ،بخلاف حرف الوعاء.

1.لسان العرب مادة مرى

2.سورة الكهف، الآية:23

3.الكشاف 479/2

4. من أسرار حروف الجر ص66

مجيء (على) بمعنى (عن)

ومن معاني (على) المجاوزة كـ:(عن) كقوله:
إذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها (1)
أي:(عني)، ويحتمل أن رضي ضمن معنى: عطف.
وقال الكسائي حمل على نقيضه وهو سخط
ومن مجيء (على) بمعنى (عن) قول عدي بن زيد*:
في ليلة لا نرى بها أحدا يحكي علينا إلا كواكبها
أي : يحكى عنا إلا كواكبها، وقال بعضهم أن (يحكي) ضمن معنى: ينم ولذلك عداه بـ:(على)
فهو من باب إعطاء الشيء حكم ما أشبهه في المعنى.
و(عن) تفيد (معنى المجاوزة) ولا تفيد سواه عند البصريين قد تخرج عن هذا المعنى فتفيد (معنى الاستعلاء) مقترضة إياه من (على) وذلك على رأي غير
أي : (عنا) وقد يقال ضمن يحكي معنى: ينم
و(على): هنا بمعنى: (عن) أو ضمن يحكي معنى: ينم أو يشنع

---

1. ينظر:مغني اللبيب عن كتب الأعاريب191/1 والإنصاف في مسائل الخلاف 516/2
*عدي بن زيد
(نحو 35 ق هـ/590 م)
علي بن زيد حماد بن زيد العبادي التميمي: شاعر، من دهاة الجاهليين. كان قريبا، من أهل الحيرة، فصيحا، يحسن العربية والفارسية ورمي النشاب، ويلعب لعب العجم بالصوالجة على الخيل. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، اتخذ في خاصته وجعله ترجمانا بينه وبين العرب. فسكن المدائن. ولما مات كسرى أنو شروان وولي ابنه " هرمز " أقر عديا ورفع منزلته ووجهه رسولا إلى ملك الروم في القسطنطينية، بهدية، فزار بلاد الشام، وعاد إلى المدائن بهدية قيصر. ثم تزوج هندا بنت النعمان ابن المنذر ووشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة.
وقال ابن قتيبة: كان يسكن الحيرة ويدخل الأرياف فثقل لسانه، وعلماء العربية لا يرون شعره حجة. وجمع ما بقي من شعره " ديوان - ط " ببغداد.
ينظر: الأعلام للزركلي 220/4

ولهذا تعدت رضي بـ(على) في البيت المتقدم لما كان (رضي عنه) بمعنى: أقبل عليه بوجه.
وعليه فـ:(عن) تفيد (معنى المجاوزة) ولا تفيد سواه عند البصريين قد تخرج عن هذا المعنى فتفيد (معنى الاستعلاء) مقترضة إياه من (على) وذلك على رأي غير البصريين. يشهد لذلك قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [محمد:38] (1)
أي يبخل على نفسه. وقول ذي الأصبع العدواني*:

1.سورة محمد، الآية: 38
* ذو الاصبع العدواني (نحو 22 ق هـ/600 م)
حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة، من عدوان، ينتهي نسبه إلى مضر: شاعر حكيم شجاع جاهلي. لقب بذي الإصبع؛ لأن حية نهشت إصبع رجله فقطعها، ويقال: كانت له إصبع زائدة. وعاش طويلا حتى عد في المعمرين. له حروب ووقائع وأخبار. وشعره مليء بالحكمة والعظة والفخر، قليل الغزل والمديح، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي يقول في أولها:
أأسيد إن مالا ملكت فسر به سيرا جميلا
هذا البيت للشاعر يقوله في مزين بن جابر؛والبيت من قصيدة له مشهورة؛ مطلعها قوله:
يا من لقلب شديد الهم محزون أمسى تذكر ريا أم هارون
وبعد الشاهد قوله:
ولا تقوت عيالي يوم مسغبة ولا بنفسك في الضراء تكفيني
فإن ترد عرض الدنيا بمنقصتي فإن ذلك مما ليس يشجيني
ومنها:
إن الذي يقبض الدنيا ويبسطها إن كان أغناك عني سوف يغنيني
الله يعلمني والله يعلمكم والله يجزيكم عني ويجزيني
ماذا علي وإن كنتم ذوي رحمي أن لا أحبكم إذ لم تحبوني
ولي ابن عم لو أن الناس في كبد لظل محتجرا بالنبل يرميني
يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة أسقونى
عني إليك فما أمي براعية ترعى المخاض ولا رأيي بمغبون
ينظر: أمالي القالي 256/1 والمفضليات162/1 ومنتهى الطلب من أشعار العرب 85/1 وتاريخ الأدب الجاهلي 430/1

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت ديانى فتخزوني

وقد فسر البيت ابن هشام بقوله: أي لله در ابن عمك لا أفضلت في حسب على ولا أنت مالكي فتسوسني، وذلك لأن المعروف أن يقال: أفضلت عليه.(1)

---

1. ينظر: ظاهرة التقارض في النحو العربي274/59 وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 42/3

* المفردات الغريبة:

لاه: أصله: لله، حذفت لام الجر، واللام الأولى من لفظ الجلالة شذوذا. أفضلت: زدت وصرت صاحب فضل. حسب: هو كل ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه ومآثرهم.

دياني: مالك أمري، وهو صيغة مبالغة من دان فلان فلانا، أخضعه وملك أمره. تخزوني: تسوسني وتقهرني.

المعنى:

لله در ابن عمك -يعني نفسه- فقد حاز من الصفات السامية ما يتعجب منه، وأنت لم تفضلني في المفاخر ولست القائم على أمري وبيدك مصيري، حتى تسوسني وتقهرني وتذلني.

= موطن الشاهد: "لا أفضلت في حسب عني".

وجه الاستشهاد: مجيء (عن) في الشاهد بمعنى:(على) مفيدة الاستعلاء؛ لأن السائغ في اللغة أن يقال: أفضلت عليه؛ وجوز الرضي أن تكون (عن) باقية على أصلها؛ وضمن الشاعر "أفضلت" معنى : تجاوزت في الفضل؛ والأول أفضل، وقد سبق ابن هشام إليه ابن السكيت في "إصلاح المنطق"، وابن قتيبة في "أدب الكاتب".

وعليه : ففي قوله: "أفضلت عني" حيث جاءت (عن) للاستعلاء بمعنى:(على)؛ لأن (رضي)بتعدي بـ:(على)

وفي البيت شاهد آخر على حذف حرف الجر وبقاء عمله -على مذهب سيبويه- كما أسلفنا وعلى حذف (اللام) الأولى من لفظ الجلالة شذوذا.

ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 42/3 وشرح الأشمونى لألفية ابن مالك 95/2 والتصريح ومغني اللبيب:191/1.

دلالة على بمعنى:(من)

وقد تأتى (على) لما مفيدة معنى ابتداء الغاية مقترضة هذا من (من) نحو قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين:2] (1) أي: إذا اكتالوا من الناس. وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِم﴾ [المؤمنون:5] (2) أي إلا من أزواجهم بدليل: "احفظ عورتك إلا من زوجتك وما ملكت يمينك ".

وقوله تعالى:﴿ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ﴾ [المائدة:107] (3) أي استحق منهم الأوليان. وقول أبى المثلم الهذلى يصف كتيبة:

متى ما تنكروها تعرفوها على أقطارها علق نفيث

أي من أقطارها.

والعلق: الدم الجامد. ونفيث: منفوخ.(4)

وهكذا جاءت (على) في الأساليب بمعنى (من) أي مفيدة معنى ابتداء الغاية، وجاءت (من) بمعنى (على) أي مفيدة معنى الاستعلاء وكل ذلك على سبيل التقارض بينهما في المعاني

---

1. سورة المطففين،الآية:2
2. سورة المؤمنون ، الآية:5
3. سورة المائدة ، الآية:107
4. ظاهرة التقارض في النحو العربي 277/59

على بمعنى عند

و(على) بمعنى (عند) و(في) ظرفا ،في قول الفرزدق:

تَمِيم بن زيد لَا تكونن حاجتي بِظهْر فَلَا يخفى عَلَيْك جوابها

أي:عندك.

وقوله:

على سَاعَة لَو أَن فِي الْقَوْم حاتما على جوده ضنت بِهِ نفس حَاتِم

أي: في كل موطن ،أو عند كلّ موطن. (1)

و(على) بمعنى(مع) في قول الفرزدق:

وَلَو ضنت يداي بهَا وَنَفْسِي لَكَانَ عَليّ للقدر الْخِيَار (2)

ولكان علي للقدر بمعنى:(مع القدر)

ومنه قول النابغة الذبياني في قوله:

فلست بمستبقٍ أخاً لا تُلمُّه على شعَثٍ أيُّ الرجال المهذَّبُ (3)

" فهذا أجلُّ كلام وأحسنه، ألا ترى أن قوله: فلست بمستبق أخا لا تلمه، كلام قائم بنفسه. فإن زدت فيه على شعث كان أيضا مستغنيا. ولو قلت أي الرجال المهذب، وهو آخر البيت، مبتدئا به كمثل أردته، كنت قد أتيت بأحسن ما قيل فيه.

و(على) بمعنى(مع)

و(على) بمعنى(من أجل) في قول عوف بن الخرع:

هلا غضبت على ابن أمك معبد والعامري يقوده بصفاد

أي: هلا غضبت من أجله.(4)

---

1. ينظر:طبقات فحول الشعراء 316/2
2.شرح ديوان المتنبي للعكبري 197/2
3. طبقات فحول الشعراء 318/2
4. ينظر: المصون في الأدب 9/1 والفاخر 286/1

اختلاف الحرفين على وفي

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:24] (1)

وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك، وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ: دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين، ولكن التعريض والتورية أنضل* بالمجادل إلى الغرض، وأهجم به على الغلبة، مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه: علم الله الصادق منى ومنك، وإن أحدنا لكاذب ومنه بيت حسان:

أتهجوه ولست له بكفء فشر كما لخير كما الفداء

فإن قلت:

كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال؟

قلت: لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدرى أين يتوجه.

ويثني ابن المنير على تعليق الزمخشري في فهمه العميق للبلاغة فقال:" وهذا تفسير مهذب وافتنان مستعذب، رددته على سمعي فزاد رونقا بالترديد، واستعاده الخاطر كأني بطيء الفهم حين يفيد، ولا ينبغي أن ينكر بعد ذلك على الطريقة التي أكثر تعاطيها متأخرو الفقهاء في مجادلاتهم ومحاوراتهم، وذلك قولهم: أحد الأمرين لازم على الإبهام، فهذا المسلك من هذا الوادي غير بعيد، فتأمله والله الموفق. (2)

1.سورة سبأ، الآية:24

2. ينظر حاشية الكشاف لابن المنير 581/3

* حسان بن ثابت (54 هـ /674 م)

قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام. وكان شديد الهجاء، فحل الشعر.

الأعلام للزركلي 175/2

واستفاد المفسرون والبلاغيون كثيرا من طرح الزمخشري فجعلوه شعارهم في هذه الآية المباركة وغيرها من الآيات.

والبيضاوي رحمه الله يقول:"واختلاف الحرفين ؛لأن الهادي كمن صعد منارا ينظر الأشياء ويتطلع عليها؛ أو ركب جوادا يركضه حيث يشاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا أو محبوس في مطمورة لا يستطيع أن يتفصى منها.(1)

وإيثار (على) في الهدى و(في) في مقابله، للدلالة على استعلاء صاحب الهدى وتمكنه واطلاعه على ما يريد، كالواقف على مكان عال، أو الراكب على جواد. وانغماس الضال في ضلاله حتى كأنه في مهواة مظلمة.(2)

وجاء في الهدى ب(على)؛ لأن صاحبه ذو استعلاء، وتمكن مما هو عليه، يتصرف حيث شاء. وجاء في الضلال بـ :(في) ؛لأنه منغمس في حيرة مرتبك فيها لا يدري أين يتوجه.

وجيء في جانب أصحاب الهدى بحرف الاستعلاء المستعار للتمكن تمثيلا لحال المهتدي بحال متصرف في فرسه يركضه حيث شاء فهو متمكن من شيء يبلغ به مقصده.

وهي حالة مماثلة لحال المهتدي على بصيرة فهو يسترجع مناهج الحق في كل صوب، متسع النظر، منشرح الصدر: ففيه تمثيلية مكنية وتبعية. (3)

وجيء في جانب الضالين بحرف الظرفية (في) المستعار لشدة التلبس بالوصف تمثيلا لحالهم في إحاطة الضلال بهم بحال الشيء في ظرف محيط به لا يتركه يفارقه ولا يتطلع منه على خلاف ما هو فيه من ضيق يلازمه.

وفيه أيضا تمثيلية تبعية.

1.تفسير البيضاوي 247/4

2.تفسير النسفي 62/3

3.تفسير القاسمي 146/8

فحصل في الآية أربع استعارات وثلاثة محسنات من البديع وأسلوب بياني، وحجة قائمة، وهذا إعجاز بديع.(1)
وأدخل (على) الجارة على الهدى للدلالة على استعلاء صاحبه وتمكنه واطلاعه على ما يريد كالواقف على مكان عال أو الراكب على جواد يركضه حيث شاء، وفِي (على) الضلال للدلالة على انغماس صاحبه في ظلام حتى كأنه في مهواة مظلمة لا يدري أين يتوجه ففي الكلام استعارة مكنية أو تبعية.(2)
" ألا ترى إلى بداعة هذا المعنى المقصود لمخالفة حرفي الجر ههنا، فإنه إنما خولف بينهما في الدخول على الحق والباطل؛ لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركض به حيث شاء، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض فيه: لا يدري أين يتوجه، وهذا معنى دقيق، قلما يراعى مثله في الكلام.
وكثيرا ما سمعت إذا كان الرجل يلوم أخاه، أو يعاتب صديقه على كل أمر من الأمور، فيقول له: أنت على ضلالك القديم كما أعهدك، فيأتي بـ:(على) في موضع (في)، وإن كان هذا جائزا إلا أن استعمال (في) ههنا أولى، لما أشرنا إليه. ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة يوسف:﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف:95] (3) وهذه لطائف ودقائق لا توجد إلا في هذا الكلام الشريف، فاعرفها، وقس عليها. (4)
والمتأمل في الآية يرى:" أن طريق الحق تأخذ علوا صاعدة بصاحبها إلى العلي الكبير، وطريق الضلال تأخذ سفلا، هاوية بسالكها في أسفل سافلين." (5)
وأما حروف الجر فإن الصواب يشذ عن وضعها في مواضعها، وقد علم أن (في) للوعاء، و(على) للاستعلاء، كقولهم: زيد في الدار، وعمرو على الفرس، لكن إذا أريد استعمال ذلك في غير هذين الموضعين مما يشكل استعماله عدل فيه عن الأولى.

1.التحرير والتنوير193/22
2.تفسير الألوسي314/11
3. سورة يوسف، الآية 95
4.المثل السائر في أدب الكاتب 190/2
5.مدارج السالكين 40/1

وللزمخشري مقدرة عجيبة في لمح ما رواء الحروف من تصوير وتجسيد. وهذا ومثله إنما يكشف لنا جوانب من دقة اللغة، واستخدام القرآن الكريم لكلماتها، وحروفها استخداما بلغ الغاية في دقة التعبير، كما أنه كشف عن طاقة عجيبة تكمن في كلمات اللغة تراكيبها.

ونحن وإن كنا نقع على أمثال هذه الفروق في الشعر، والكلام المختار إلا أنها لا تطرد، ولا تسخو كما تطرد وتسخو في القرآن.

وهذا الفرق الكائن في أصل الدلالة كما ترى، هو الذي تتفرع عنه الدلالات البلاغية لهاتين الأداتين، ويظهر ذلك في تحليل الشواهد. (1)

وهذا منتهى الحيدة في الجدل، فلم يصرح بأن منهجهم هو الضلال وأن منهجه هو الصواب المستقيم ثقة منه أنهم حين يستعرضون منهجه ويستعرضون منهجهم سيحكمون بأنه ﷺ على هدى وأنهم على ضلال. وهذا هو الجدل الارتقائي، مثلما

يعلم الحق رسوله ليقول لخصومه:﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:25] (2) هل يفعل الرسول جرائم؟ حاشا لله أن يفعل ذلك فهو المعصوم، وكأن الرسول ﷺ يقول لهم: اسألوا عني إن كنت أجرمت؛ ولم يقل لهم وصفا لأعمالهم : "ولا نسأل عما تجرمون" بل قال:(ولا نسأل عما تعملون)؛ فلم يأت بمسألة الإجرام بالنسبة لهم؛ وجاء بها بالنسبة له، لأنه واثق أنهم إن أعادوا دراسة القضية فكريا وعقديا وعاطفيا فسينتهون إلى الإيمان بمنهجه. وهذا منتهى اللطف في الجدل.(3)

"وهذا كلام من نظر لنفسه وغيره، وتبين ما عليه وله، فأثبت ما أثبت في أحسن معرضٍ، ودفع ما دفع بألطف تعريضٍ." (4)

---

1. ينظر:خصائص التراكيب 321/1
2. سورة سبأ، الآية:24
3.تفسير الشعراوي 3757/6
4 شرح ديوان الحماسة 202/1

استعارة الخلق بـ (على)

وفي قوله تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:4] (1)
قيل : هو الإسلام والدين ، حكى هذا الواحدي عن الأكثرين .
وقيل : هو القرآن ، روي هذا عن الحسن والعوفي .
وقال قتادة : هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه من نهي الله .
قال الزجاج :
المعنى إنك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن.
وقيل : هو رفقه بأمته وإكرامه إياهم.
وقيل المعنى: إنك على طبع كريم .
قال الماوردي :
وهذا هو الظاهر ، وحقيقة الخلق في اللغة ما يأخذ الإنسان نفسه به من الأدب .
وقد ثبت في الصحيح عن عائشة أنها سئلت عن خلق النبيّ ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن. (2)
وفي الحديث الذي رواه مالك في:(الموطأ) بلاغا أن رسول الله ﷺ قال: بعثت لأتمم مكارم حسن الأخلاق (3)
فجعل أصل شريعته إكمال ما يحتاجه البشر من مكارم الأخلاق في نفوسهم، ولا شك أن الرسول ﷺ أكبر مظهر لما في شرعه قال تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ [الجاثية:18] (4)

1.سورة القلم،الآية:4
2. فتح القدير 7/ 274
3.ينظر: مسند البزار364/15
4.سورة الجاثية ،الآية:18
عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.
رواه البزار في مسنده 364/15

وهذا المقصد قد فهمه عامة العرب بله خاصة الصحابة، وقال أبو خراش الهذلي* مشيرا إلى ما دخل على العرب من أحكام الإسلام بأحسن تعبير:

فليس كعهد الدار يا أم مالك ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل سوى العدل شيئا فاستراح العواذل (1)

أراد بإحاطة السلاسل بالرقاب أحكام الإسلام.

والشاهد في قوله وعاد الفتى كالكهل.(2) فكما جعل الله رسوله ﷺ على خلق عظيم جعل شريعته لحمل الناس على التخلق بالخلق العظيم بمنتهى الاستطاعة.

---

1. نظر:الاختيارين المفضليات 682/1

2. التحرير والتنوير 40/1

أبو خراش الهذلي الشاعر:(نحو 15 هـ/ 636 م)

واسمه: خويلد بن مرة،من بني هذيل. وكان ممن يعدو على قدميه فيسبق الخيل، وكان في الجاهلية من فتاك العرب، ثم أسلم فحسن إسلامه ،شاعر مخضرم، وفارس فاتك مشهور.

أدرك الجاهلية والإسلام.أسلم وهو شيخ كبير، وعاش إلى زمن عمر رضي الله عنه وله معه أخبار.

نهشته أفعى فقتلته.

وكان جميل بن معمر الجمحي قد قتل أخاه زهير المعروف بالعجوة يوم فتح مكة مسلما، وكان جميل كافرا، وقيل: كان زهير بن عمه.

وذكر ابن هشام: أن زهيرا أسر يوم حنين وكتف، فرآه جميل بن معمر، وكان مسلما، فقال: أنت الماشي لنا بالمعايب، فضرب عنقه، فقال أبو خراش يرثيه

فجع أضيافي جميل بن معمر بذي فجر تأوي إليه الأرامل

طويل نجاد السيف ليس بجيدر إذا اهتز واسترخت عليه الحمائل

إلى بيته يأوي الغريب إذا شتا ومهتلك بالي الدريسين عائل

ومن جيد شعره قوله في أخيه: تقول:

أراه بعد عروة لاهيا وذلك رزء، ما علمت، جليل

فلا تحسبي أني تناسيت عهده ولكن صبري يا أميم جميل

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء: مالك وعقيل

ولأبي خراش أيضا في المراثي أشعار حسان، فمن شعر له:

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا خراش وبعض الشر أهون من بعض

ينظر: أسد الغابة ط العلمية 83/6 والأعلام للزركلي 325/2

وفي قوله تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:4] (1) فسياق الحديث في معرض المدح دال على إفادة الاستمرار والدوام.
فالجملة الاسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت الحكم فحسب، بلا نظر إلى تجدد ولا استمرار(2) وبهذا يزداد وضوحا معنى التمكن الذي أفاده حرف الاستعلاء في الآية السابقة
"فهو متمكن منه الخلق العظيم في نفسه، ومتمكن منه في دعوته الدينية."
واعلم أن جماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدين، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والجمود، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة ، وحسن المعاملة والمعاشرة.
والأخلاق كامنة في النفس ومظاهرها تصرفات صاحبها في كلامه، وطلاقة وجهه، وثباته، وحكمه، وحركته وسكونه، وطعامه وشرابه، وتأديب أهله ومن لنظره، وما يترتب على ذلك من حرمته عند الناس، وحسن الثناء عليه والسمعة.
وأما مظاهرها في رسول الله ﷺ ففي ذلك كله وفي سياسته أمته، وفيما خص به من فصاحة كلامه وجوامع كلمه.. (3)

وفي قوله تعالى: ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج:67] (4)
وجملة:(إنك لعلى هدى مستقيم): تعليل للدوام على الدعوة وأنها قائمة مقام فاء التعليل لا لرد الشك.
و(على) مستعارة للتمكن من الهدى.
ووصف الهدى بالمستقيم استعارة مكنية.
شبه الهدى بالطريق الموصل إلى المطلوب.

1.سورة القلم، الآية:4
2.علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع 56/1
3.التحرير والتنوير 65/29
4.سورة الحج، الآية:67

ورمز إليه بالمستقيم ؛ لأن المستقيم أسرع إيصالا، فدين الإسلام أيسر الشرائع في الإيصال إلى الكمال النفساني الذي هو غاية الأديان.
وفي هذا الخبر تثبيت للنبي ﷺ، وتجديد لنشاطه في الاضطلاع بأعباء الدعوة.(1)
وعليه فالخطاب موجه للرسول صلى الله عليه وسلّم ، أي: وادع هؤلاء المنازعين أو الناس كافة على أنهم داخلون فيهم دخولاً أوليا
و(إلى رَبّك): إلى توحيده وعبادته حسبما بين في منسكهم وشريعتهم.
وقوله تعالى:(إنّك لعلى هدى)
أي: طريق موصل إلى الحق.
ففيه استعارة مكنية وتخييليتها (على)
وقوله تعالى: (مستقيم) أي: سوي أو أحدهما تخييل.
والآخر ترشيح ، ثم المراد بهذا الطريق إما الدين والشريعة أو أدلته.
والجملة استئناف في موضوع التعليل.(2)
و(على): مستعارة للتمكن من الهدى.
ووصف الهدى بالمستقيم استعارة مكنية شبه الهدى بالطريق الموصل إلى المطلوب ورمز إليه بالمستقيم؛ لأن المستقيم أسرع إيصالا، فدين الإسلام أيسر الشرائع في الإيصال إلى الكمال النفساني الذي هو غاية الأديان.
وفي هذا الخبر تثبيت للنبي ﷺ وتجديد لنشاطه في الاضطلاع بأعباء الدعوة.(3)

---

1. التحرير والتنوير 330/17
2. تفسير الألوسي 131/13
3.التحرير والتنوير 330/17

دلالة على الحق المبين

وفي قوله تعالى:﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل:79] (1)
أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين، وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به الشك والظن. وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته.وأن مثله لا يخذل. (2)

وقد وقعت جملة:(إنك على الحق المبين) : موقعا لم يخاطب الله تعالى أحدا من رسله بمثله فكان ذلك شهادة لرسوله بالعظمة الكاملة المنزهة عن كل نقص، لما دل عليه حرف (على) من التمكن، وما دل عليه اسم الحق من معنى جامع لحقائق الأشياء.
وجيء في فعل التوكل بعنوان اسم الجلالة (الله) ؛ لأن ذلك الاسم يتضمن معاني الكمال كلها، ومن أعلاها العدل في القضاء ونصر المحق.
وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي اقتضاه وجود مقتضي جلب حرف التوكيد؛ لإفادة التعليل فلا يفيد التقديم تخصيصا ولا تقويا.
و(المبين): الواضح الذي لا ينبغي الامتراء فيه ولا المصانعة للمحكوم له.
وفي الآية إشارة إلى أن الذي يعلم أن الحق في جانبه حقيق بأن يثق بأن الله مظهر حقه ولو بعد حين. (3) وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره. (4)
وحرف (على) للاستعلاء المجازي المراد به التمكن.
وهذا تثبيت للرسول ﷺ وثناء عليه بأنه ما زاغ قيد أنملة عما بعثه الله به.

1.سورة النمل، الآية:79
2.الكشاف383/3
3. ينظر: التحرير والتنوير33/20
4. تفسير البيضاوي 167/4

دلالة هذا صراط علي

ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب فالطرق عليهم مسدودة والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد فإنه متصل بالله موصل إلى الله قال الله تعالى:
﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر:41] (1)
قال الحسن معناه صراط إلي مستقيم وهذا يحتمل أمرين أن يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض فقامت أداة (على) مقام (إلى).
والثاني أنه أراد التفسير على المعنى وهو الأشبه بطريق السلف أي: صراط موصل إلي.
وقال مجاهد الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه لا يعرج على شيء.
وقيل:(عليّ) فيه للوجوب.
أي: علي بيانه وتعريفه والدلالة عليه.
والقولان نظير القولين في آية النحل وهي قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ [النحل:9] (2)

والصحيح فيها كالصحيح في آية الحجر أن السبيل القاصد وهو المستقيم المعتدل يرجع إلى الله ويوصل إليه قال طفيل الغنوي

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال تشقلب (3)

أي: مررنا عليهم وإليهم وصولنا.
وقال الآخر

فهن المنايا أي واد سلكته عليها طريقي أو علي طريقها (4)

1.سورة الحجر،الآية:41
2.سورة النحل، الآية: 9
3.ينظر:عيون الأخبار77/3
4.ينظر: مدارج السالكين39/1

فإن قيل لو أريد هذا المعنى لكان الأليق به أداة (إلى) التي هي للانتهاء لا أداة (على) التي هي للوجوب.

ألا ترى أنه لما أراد الوصول قال:﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [الغاشية: 26] (1) وقال:﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُم﴾ [يونس: 70] (2) قال:﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ [الأنعام: 108] (3) وقال لما أراد الوجوب﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [الغاشية:26] (4)

وقال:﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (17) [القيامة: 17] (5)

وقال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6] (6) ونظائر ذلك.

قيل في أداة (على) سر لطيف وهو الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدى وهو حق. كما قال في حق المؤمنين﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:5] (7)

وقال لرسوله،﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل:79] (8) والله عز وجل هو الحق، وصراطه حق، ودينه حق، فمن استقام على صراطه فهو على الحق، والهدى. فكان في أداة (على)هذا المعنى ما ليس في أداة (إلى) فتأمله فإنه سر بديع.

1.سورة الغاشية، الآية:26
2.سورة يونس ،الآية:70
3.سورة الأنعام ،الآية:108
4. سورة الغاشية، الآية:26
5. سورة القيامة، الآية:17
6.سورة هود، الآية:6
7. سورة البقرة، الآية:5
8.سورة النمل ،الآية:79

فإن قلت فما الفائدة في ذكر (على) في ذلك أيضا وكيف يكون المؤمن مستعليا على الحق وعلى الهدى.
قلت: لما فيه من استعلائه، وعلوه بالحق، والهدى مع ثباته عليه، واستقامته إليه. فكان في الإتيان بأداة (على) ما يدل على علوه وثبوته واستقامته. وهذا بخلاف الضلال، والريب، فإنه يؤتى فيه بأداة (في) الدالة على انغماس صاحبه وانقماعه وتدسسه فيه. كقوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:45] (1)
وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾[الأنعام: 39] (2) وقوله: ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾ [المؤمنون: 54] (3) وقوله:﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: 110] (4) .وتأمل قوله تعالى:﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (24) [سبأ: 24] (5)، فإن طريق الحق تأخذ علوا صاعدة بصاحبها إلى العلي الكبير. وطريق الضلال تأخذ سفلا هاوية بسالكها في أسفل سافلين.وفي قوله تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: 41] (6) قول ثالث وهو قول الكسائي إنّه على التهديد والوعيد، نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: 14] (7) كما يقال طريقك علي، وممرك علي، لمن تريد إعلامه بأنه غير فائت لك، ولا معجز. (8)
والسياق يأبى هذا ولا يناسبه لمن تأمله فإنه قاله مجيبا لإبليس الذي قال: ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص:83] (9)

---

1. سورة التوبة ،الآية:45
2. سورة الأنعام،الآية:39
3. سورة المؤمنون ،الآية:54
4. سورة هود،الآية:110
5. سورة سبأ،الآية:24
6. سورة الحجر،الآية:41
7. سورة الفجر، الآية:14
8. التفسير القيم لابن القيم 13/1
9. سورة ص ، الآية: 83

دلالة ولتصنع على عيني

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:39] (1)
معناه: ولتغذى وتربى على محبتي وإرادتي.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنت بعيني في أحوالك كلها.
ولتعمل على عيني.(2)
روى أنه كانت على وجهه مسحة جمال، وفي عينيه ملاحة، لا يكاد يصير عنه من رآه على عيني لتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك وراقبك، كما يراعى الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به، وتقول للصانع: اصنع هذا على عينى أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادى وبغيتي.(3)
والصنع: مستعار للتربية والتنمية، تشبيها لذلك بصنع شيء مصنوع، ومنه يقال لمن أنعم عليه أحد نعمة عظيمة: هو صنيعة فلان.
وقوله على عيني (على) منه للاستعلاء المجازي، أي المصاحبة المتمكنة، فـ(على) هنا بمعنى (باء) المصاحبة قال تعالى:﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور:48] (4)
والعين: مجاز في المراعاة والمراقبة، كقوله تعالى:﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[هود:37](5)
وقول النابغة:
عهدتك ترعاني بعين بصيرة وتبعث حراسا علي وناظرا (6)
وفي (تصنع):استعارة تمثيلية للحفظ والصون فإن المصون يجعل بمرأى والصنع: الإحسان.

1.سورة طه، الآية:39
2.تفسير الطبري304/18
3.الكشاف 63/3
4.سورة الطور،الآية:48
5.سورة هود، الآية:37
6.التحرير والتنوير 219/16

قال النحاس: يقال صنعت الفرس إذا أحسنت إليه .
والمعنى وليفعل بك الصنيعة والإحسان وتربى بالحنو والشفقة وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به .
ويجعل ذلك تمثيلاً يندفع ما قاله الواحدي من أن تفسير(ولتصنع على عيني): بما تقدم صحيح ولكن لا يكون في ذلك تخصيص لموسى عليه السلام فإن جميع الأشياء بمرأى من الله تعالى على أنه قد يقال : هذا الاختصاص للتشريف كاختصاص عيسى عليه السلام بكلمة الله تعالى، والكعبة ببيت الله تعالى مع أن الكل موجود بكن وكل البيوت بيت الله سبحانه.
وقال قتادة : المعنى لتغدى على محبتي وإرادتي وهو اختيار أبي عبيدة (1)
ويرى أبوحيان وجمهور العلماء أن تفسر آيات الصفات على قوانين اللغة والمجاز في قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:39] (2) وقوله تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:14] (3) وقوله تعالى: ﴿ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص:88] (4)، ونحوها. فجمهور الأمة أنها تفسر على قوانين اللغة ومجاز الاستعارة وغير ذلك من أفانين الكلام. (5)
ويعلق السيد قطب على الاية الكريمة قائلا: "وكيف يصف لسان بشري، خلقا يصنع على عين الله؟ إن قصارى أي بشري أن يتأمله ويتملاه..
إنها منزلة وإنها كرامة أن ينال إنسان لحظة من العناية. فكيف بمن يصنع صنعا على عين الله؟ إنه بسبب من هذا أطاق موسى أن يتلقى ذلك العنصر العلوي الذي تلقاه.
ولتصنع على عيني. تحت عين فرعون- عدوك وعدوي- وفي متناول يده بلا حارس ولا مانع ولا مدافع.
ولكن عينه لا تمتد إليك بالشر؛ لأني ألقيت عليك محبة مني. ويده لا تنالك بالضر وأنت تصنع على عيني.

1.تفسير الألوسي 152/12
2. سورة طه ، الآية:39
3. سورة القمر، الآية:14
4. سورة القصص ، الآية:88
5. البحر المحيط في التفسير 315/4

ولم أحطك في قصر فرعون، بالرعاية والحماية وأدع أمك في بيتها للقلق والخوف، بل جمعتك بها وجمعتها بك....ومع التوجيه إلى الصبر إيذان بالإعزاز الرباني، والعناية الإلهية، والأنس الحبيب الذي يمسح على مشقات الطريق مسحا، ويجعل الصبر عليها أمرا محببا، وهو الوسيلة إلى هذا الإعزاز الكريم:﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:48] (1)
ويا له من تعبير! ويا له من تصوير! ويا له من تقدير! إنها مرتبة لم يبلغها قط إنسان. هذه المرتبة التي يصورها هذا التعبير الفريد في القرآن كله. حتى بين التعبيرات المشابهة.
لقد قيل لموسى عليه السلام:﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ [طه:13] (2).
وقيل له: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:39] (3) .
وقيل له:﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:41] (4) وكلها تعبيرات تدل على مقامات رفيعة....
ولكنه قيل لمحمد- ﷺ-: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:48] (5) وهو تعبير فيه إعزاز خاص، وأنس خاص. وهو يلقي ظلا فريدا أرق وأشف من كل ظل.. ولا يملك التعبير البشري أن يترجم هذا التعبير الخاص. فحسبنا أن نشير إلى ظلاله، وأن نعيش في هذه الظلال....ومع هذا الإيناس هداية إلى طريق الصلة الدائمة به: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ [الطور:49] (6) .... فعلى مدار اليوم. عند اليقظة من النوم. وفي ثنايا الليل. وعند إدبار النجوم في الفجر.
هنالك مجال الاستمتاع بهذا الإيناس الحبيب. والتسبيح زاد وأنس ومناجاة للقلوب. فكيف بقلب المحب الحبيب القريب.؟ (7)

---

1. سورة الطور ، الآية:48
2. سورة طه ، الآية:13
3. سورة طه ، الآية:39
4. سورة طه ، الآية:41
5. سورة الطور ، الاية:48
6. سورة الطور ، الآية:49
7. في ظلال القرآن 2335/4

" ومن فوائد هذه المسألة أن نسأل كيف وردت الآية الأولى بـ(على) والآية الثانية (بالباء) الجواب لا بد أن نسأل عن المعنى الذي لأجله قال تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:39] (1) بحرف (على) وقال تعالى:﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:14] (2) وقوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود:37] (3) بحرف الباء وما الفرق؟
إن الفرق أن الآية الأولى وردت في إظهار أمر كان خفيا وإبداء ما كان مكتوما فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يغذون ويصنعون سرا فلما أراد أن يصنع موسى عليه السلام ويغذى ويربى على حال أمن وظهور لا تحت خوف واستتار دخلت (على) في اللفظ تنبيها على المعنى ؛ لأنها تعطي الاستعلاء والاستعلاء ظهور وإبداء فكأنه يقول سبحانه وتعالى ولتصنع على أمن لا تحت خوف وذكر(العين) لتضمنها معنى الرعاية والكلاءة.
وأما قوله تعالى:﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:14] (4) ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود:37] (5) فإنه إنما يريد برعاية منا وحفظ ، ولا يريد إبداء شيء ولا إظهاره بعد كتم فلم يحتج في الكلام إلى معنى (على) بخلاف ما تقدم هذا كلامه.

ولم يتعرض رحمه الله تعالى لوجه الإفراد هناك والجمع هنا وهو من ألطف معاني الآية والفرق بينهما يظهر من الاختصاص الذي خص به موسى في قوله تعالى:
﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:41] (6) فاقتضى هذا الاختصاص الاختصاص الآخر في قوله:﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:39] (7) ؛فإن هذه الإضافة إضافة تخصيص ، وأما

---

1. سورة طه ، الآية:39
2. سورة القمر، الآية:14
3. سورة هود ، الآية:37
4. سورة القمر، الآية:14
5. سورة هود ، الآية:37
6. سورة طه ، الآية:41
7. سورة طه ، الآية:39

قوله تعالى:﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:14] (1) ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود:37] (2)
فليس فيه من الاختصاص ما في صنع موسى على عينه سبحانه وتعالى واصطناعه إياه لنفسه؛ وما يسنده سبحانه إلى نفسه بصيغة ضمير الجمع قد يريد به ملائكته كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة:18] (3)،وقوله:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [يوسف:3] (4) ونظائره فتأمله.
قال: وأما النفس فعلى أصل موضوعها إنما هي عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد وقد استعمل أيضا من لفظها النفاسة والشيء النفيس فصلحت للتعبير عنه سبحانه وتعالى بخلاف ما تقدم من الألفاظ المجازية ؛ وأما الذات فقد استهوى أكثر الناس ولا سيما المتكلمين القول فيها أنها في معنى النفس والحقيقة ويقولون ذات الباري هي نفسه ويعبرون بها عن وجوده وحقيقته.(5)

وقوله على عيني (على) منه للاستعلاء المجازي، أي المصاحبة المتمكنة، فـ(على) هنا بمعنى باء المصاحبة قال تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:48] (6)
" والاصطناع: صنع الشيء باعتناء. واللام للأجل، أي لأجل نفسي.
والكلام تمثيل لهيئة الاصطفاء لتبليغ الشريعة بهيئة من يصطنع شيئا لفائدة نفسه فيصرف فيه غاية إتقان صنعه.(7)

---

1. سورة القمر، الآية:14
2. سورة هود ، الآية:37
3. سورة القيامة،الآية:18
4. سورة يوسف ، الآية:3
5. بدائع الفوائد 3/2
6. سورة الطور،الآية:48
7. التحرير والتنوير223/16

الفصل الرابع

معاني حرف الوعاء

معنى (في) الظرفية

وأما (في) فهي للوعاء، تقول: هو في الجراب، وفي الكيس، وهو في بطن أمه، وكذلك: هو في الغل؛ لأنه جعله إذ أدخله فيه كالوعاء له. وكذلك: هو في القبة، وفي الدار. وإن اتسعت في الكلام فهي على هذا، وإنما تكون كالمثل يجاء به يقارب الشيء وليس مثله.(1)

في للظرفية حقيقة نحو: المال في الكيس، أو مجازًا نحو: زيد ينظر في العلم هذا مذهب سيبويه، والمحققين في معنى (في) أنها لا تكون إلا للوعاء حقيقة أو مجازًا..
وأما (في) فإنما هي للوعاء نحو زيد في الدار واللص في الحبس فهذا أصله.
وقد يتسع القول في هذه الحروف وإن كان ما بدأنا به الأصل نحو قولك زيد ينظر في العلم فصيرت العلم بمنزلة المتضمن؛ وإنما هذا كقولك: قد دخل عبد الله في العلم وخرج مما يملك.
ومثل ذلك في يد زيد الضيعة النفيسة وإنما قيل ذلك؛ لأن ما كان محيطا به ملكه بمنزلة ما أحيطت به يده. (2)
والظرف وعاء كل شيء حتى إن الإبريق ظرف لما فيه، والصفات في الكلام التي تكون مواضع لغيرها تسمى ظروفا من نحو أمام وقدام، وأشباه ذلك تقول: خلفك زيد، إنما انتصب لأنه ظرف لما فيه، وهو موضع لغيره.(3)
وقال غيره من النحويين: الخليل يسميها ظروفا، والكسائي يسميها المحال، والفراء يسميها الصفات، والمعنى واحد.
ومن خلال الأمثلة التي ساقها كل من سيبويه والمبرد تبين لنا أنّ (في) الجارة تكون حقيقة كالمال في الكيس، ومجازا كزيد ينظر في العلم.

---

1. الكتاب لسيبويه 226/4
2. المقتضب 139/4
3. ينطر: العين 157/8 وتهذيب اللغة 268/14 والزاهر في معاني كلمات الناس

وهي حقيقة في احتواء جرم على جرم :كقولك :"المال في الكيس ،وزيد في الدار، ومنه قوله تعالى:﴿ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الزمر:19] (1) فالمتتبع للأمثلة السابقة يجد أنّ حرف (في): يفيد الظرفية المكانية بخلاف قولك: جئت في يوم الجمعة فتفيد الظرفية الزمانية.

ويأتي مجازا في غير ذلك .

أولا:

أن يجعل المعنى ظرفا لتعلق معنى آخر ،كقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة:41] (2) جعل سبيل الله ، وهي طاعته واجتناب معصيته ، أو القتال في سبيله ، ظرفا لتعلّق الجهاد ، والجهاد قائم بالمجاهد. (3)

ثانيا:

أن يجعل الجرم محلا لتعلق المعنى ومنه قوله تعالى:﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران:191] (4)

حيث "جعلت الأجرام محلا لتعلق الفكر ، لا لنفس الفكر ، فإنّ الفكر قائم بالمتفكر"

ثالثا:

وهو أن يجعل المعنى محلا للجرم ، وهو من باب مجاز التشبيه إذ يتجوّز به عن كثرة ما جعل ظرفا مجازيا . و"لماّ كان الحاوي أعظم من المحوي ،شبّه به ما توالى أو كثر من المعاني ." (5)

1.سورة الزمر ،الآية:19

2.سورة التوبة ،الآية: 41

3. مجاز القرآن ص 153

4.سورة آل عمران، الآية:191

5. مجاز القرآن ص155

ومنه:﴿ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر:2] (1) فالدخول والمدخول فيه مجازيان .
والدخول في الدين :مستعار للنطق بكلمة الشهادة والتزام أحكام الدين الناشئة عن تلك الشهادة، فشبه الدين ببيت أو حظيرة على طريقة المكنية ورمز إليه بما هو من لوازم المشبه به وهو الدخول ،على تشبيه التلبس بالدين بتلبس المظروف بالظرف ،ففيه استعارة أخرى تصريحية" (2)

ويرى العز أنّ الآية الكريمة في قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام:3] (3) فليس الظرف ههنا متعلقا بجوهر ولا عرض ، وإنّما هذا من مجاز التشبيه ،عبّر بكونه في السماوات والأرض عن علمه بما فيهنّ ؛لأنّ من حضر مكانا لم يخف عليه ما فيه." (4)
وعلّق الزمخشري على الآية قائلا:(في السماوات): ويجوز أن يكون الله في السماوات خبرا بعد خبر، على معنى أنّه الله ، وأنه في السماوات والأرض بمعنى أنّه عالم بما فيهما لا يخفى عليه شيء كأنّ ذاته فيهما "(5)

وأشاد "ابن المنير" بما كتب الزمخشري فقال:" وهذه الوجوه كلها كأن التعبير وقع فيها بالملزوم عن لوازمه المشهورة به كما وقع ذلك في قول أبي النجم:

1.سورة النصر ،الآية:2
2. التنوير والتحرير 592/30
3. سورة الأنعام، الآية:3
4. مجاز القرآن ص155
5. الكشاف 6/2

أنا أبو النجم وشعري شعري *

أي المعروف المشهور؛ لأنه بنى على أنه متى ذكر شعره فهم السامع عند ذكره خواصه من الجودة والبلاغة وسلامة النسج لاشتهاره بذلك ،فاقتصر على قوله : شعري اتكالا على فهم السامع." (1)، ومنه قول الله عزّ وجلّ :﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:202] (2) حيث يرى صاحب التحرير أنّ في الآية استعارة جميلة فقال: " و(في) من قول الله:(يمدونهم في الغي) على قراءة نافع وأبي جعفر استعارة تبعية حيث شبّه الغي بمكان المجاورة.وأما على قراءة الجمهور فالمعنى :

وإخوانهم يمدون لهم في الغي من مد للبعير في الطول .

أي: يطيلون لهم الحبل في الغي ، تشبيها لحال أهل الغواية وازدياد هم فيها بحال النعم المطال لها الطول في المرعى وهو الغي ، وهو تمثيل صالح لاعتبار تفريق التشبيه في أجزاء الهيئة المركبة ، وهو أعلى أحوال التمثيل ويقرب من هذا التمثيل.

1.ابن المنير ،حاشية الكشاف 6/3

2. سورة الأعراف،الآية:202

*أبو النجم الراجز (130 هـ /747 م)

الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم، من بني بكر بن وائل، من أكابر الرجاز ومن أحسن الناس إنشادا للشعر. نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام.

قال أبو عمرو بن العلاء: كان ينزل سواد الكوفة، وهو أبلغ من العجاج في النعت .

ينظر: الأعلام للزركلي151/5

* المعنى: شعري الآن هو شعري المشهور المعروف بنفسه لا شيء آخر.
والشاهد فيه:(وشعري شعري)
حيث وقع المبتدأ والخبر معرفتين؛ فأنت مخير في جعلك أيهما شئت المبتدأ.
ينظر هذا البيت في: إيضاح الشعر 353، والخصائص 337/3، والمقتصد 307/1، وأمالي ابن الشجري 373/1 ، والمرتجل 377، وشرح المفصل 98/1 ،والإرشاد إلى علم الإعراب 123

ومنه قول طرفة:
لعمرك إنّ الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد (1)
وعليه جرى قولهم:مد الله لفلان في عمره ، أو في أجله ، أو في حياته .(2)

---

1. ينظر: إسفار الفصيح 555/1
2.التنوير والتحرير232/9

* شرح المفردات:
العَمْر والعُمْر والعُمُر بمعنى،ولا يستعمل في القسم إلا بفتح العين والطول الحبل، وثنياه ما ثني منه، ويقال طرفاه؛ لأنهما يثنيان.
أي إن عمره بمنزلة حبل ربطت به دابة يطول لها في الكلأ حتى ترعاه، فيقول الإنسان: قد مد له في أجله، وهو آتية لا محالة.
وهو في يدي من يملك قبض روحه كما أن صاحب الفرس الذي قد طول له إذا شاء جذبه.
يقول: أقسم بحياتك أن الموت في مدة إخطائه الفتى، أي: مجاوزته إياه، بمنزلة حبل طول للدابة ترعى فيه وطرفاه بيد صاحبه، يريد أنه لا يتخلص منه، كما أن الدابة لا تفلت ما دام صاحبها آخذا بطرفي طولها، لما جعل الموت بمنزلة صاحب الدابة التي أرخى طولها، قال: متى شاء الموت قاد الفتى لهلاكه، ومن كان في حبل الموت انقاد لقوده.

وبيت طرفة أحسن وأمتن؛ حيث شبه الإنسان بدابة، وحبلها بيد الموت يرخي لها فيه.
وإذا شاء جذبها إليه فتقضي العمر، وأما أن الأيام منازل، وأنا فيها على سفر فمعنى قديم مطروق، وقد تكررت في الأحاديث النبوية، وفي أقول الزهاد والوعاظ.
وعليه:
فإن الإنسان في قبضة الموت كالفرس يكون في الطول، وهو الحبل، يرخى له صاحبه فيرعى، وإذا أراده جذبه إليه.
ينظر:شرح المعلقات التسع 68/1 ، وفي الأدب الحديث196/1

في غفلة

وفي قوله تعالى:﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء:1](1)

والإعراض:

صرف العقل عن الاشتغال بالشيء.

ودلت (في) على الظرفية المجازية التي هي شدة تمكن الوصف منهم، أي وهم غافلون أشد الغفلة حتى كأنهم منغمسون فيها أو مظروفون في محيطها، ذلك أن غفلتهم عن يوم الحساب متأصلة فيهم بسبب سابق كفرهم.

والمعنى: أنهم غافلون عن الحساب وعن اقترابه.

وإعراضهم هو إبايتهم التأمل في آيات القرآن التي تذكرهم بالبعث وتستدل لهم عليه، فمتعلق الإعراض غير متعلق الغفلة لأن المعرض عن الشيء لا يعد غافلا عنه، أي أنهم لما جاءتهم دعوة الرسول ﷺ إلى الإيمان وإنذارهم بيوم القيامة استمروا على غفلتهم عن الحساب بسبب إعراضهم عن دلائل التذكير به. فكانت الغفلة عن الحساب منهم غير مقلوعة من نفوسهم بسبب تعطيلهم ما شأنه أن يقلع الغفلة عنهم بإعراضهم عن الدلائل المثبتة للبعث.(2)

"إنّ أكثر الحروف التباسا بحرف الاستعلاء ،وأشدها قربا منه هو حرف الوعاء ،ولكثرة ما ورد من المواطن التي دقّ فيها الفرق بين المعنيين ،صرّح كثير من اللغويين والنحاة بتداخل الحرفين قال البطليوسي :"في" و"على"يتداخل معنياهما في بعض المواضع ،فلذلك يقع بعضهما موقع بعض ،لأنّ معنى "على" الإشراف والارتفاع ،ومعنى "في" الوعاء والاشتمال ، وهي خاصة بالأمكنة ،ومكان الشيء قد يكون عاليا مرتفعا ، وقد يكون مستفلا" (3)

1.سورة الأنبياء، الآية:1

2. التحرير والتنوير 10/17

3.ينظر:من أسرار الحروف ص: 57 والاقتضاب 282/2

وفي قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾ [ق:5] (1)
و(بل كذبوا):إضراب أتبع الإضراب الأوّل، للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم، وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوّة الثابتة بالمعجزات في أوّل وهلة من غير تفكر ولا تدبر.
و(مريج): مضطرب.(2)
يقال:" مرج الخاتم في أصبعه وجرج، فيقولون تارة:شاعر، وتارة: ساحر، وتارة: كاهن، لا يثبتون على شيء واحد.
وقال أبو هريرة: فاسد، ومنه مرجت أمانات الناس أي فسدت، ومرج الدين والأمر اختلط، قال أبو دواد:

مرج الدين فأعددت له مشرف الحارك محبوك الكتد

وقال ابن عباس: المريج الأمر المنكر.
وقال عنه عمران بن أبي عطاء: (مريج) مختلط.
وأصل المرج الاضطراب والقلق، يقال: مرج أمر الناس ومرج أمر الدين ومرج الخاتم في إصبعي إذا قلق من الهزال. وفي الحديث*: (كيف بك يا عبد الله إذا كنت في قوم قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا) وشبك بين أصابعه.(3)

1.سورة ق،الآية:5
2.الكشاف 380/4
3. تفسير القرطبي5/17
* عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «كيف بكم وبزمان» أو «يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة، تبقى حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم، وأماناتهم، واختلفوا، فكانوا هكذا» وشبك بين أصابعه، فقالوا: وكيف بنا يا رسول الله؟ قال: «تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم ، وتذرون أمر عامتكم» قال أبو داود: «هكذا روي عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، من غير وجه»
رواه أبو داود في سننه 123/4

والمعنى:
أنهم بادروا بالتكذيب دون تأمل ولا نظر فيما حواه من الحق بل كذبوا به من أول وهلة فكذبوا بتوحيد الله، وهو أول حق جاء به القرآن.....وفرع على الخبر المنتقل إليه بالإضراب وصف حالهم الناشئة عن المبادرة بالتكذيب قبل التأمل بأنها أمر مريج أحاط بهم وتجلجلوا فيه كما دل عليه حرف الظرفية.
و(أمر): اسم مبهم مثل شيء، ولما وقع هنا بعد حرف (في) المستعمل في الظرفية المجازية تعين أن يكون المراد بالأمر الحال المتلبسون هم به تلبس المظروف بظرفه وهو تلبس المحوط بما أحاط به فاستعمال(في) استعارة تبعية.
والمريج: المضطرب المختلط، أي لا قرار في أنفسهم في هذا التكذيب، اضطربت فيه أحوالهم كلها من أقوالهم في وصف القرآن فإنهم ابتدروا فنفوا عنه الصدق فلم يتبينوا بأي أنواع الكلام الباطل يلحقونه فقالوا: سحر مبين... وقالوا أساطير الأولين ..وقالوا بقول شاعر ...وقالوا: بقول كاهن وقالوا: مجنون.(1) ،وكلها أقوال كاذبة في حقه عليه السلام؛لأن الله نفى عنه هذه الأوصاف.

1.التحرير والتنوير 284/26

معاني (في) الاستعارية

رحم الله الرضي ،أدلى فأروى ، ورمى فأصاب،حيث ردّ كلّ ما قيل عن تناوب هذا الحرف مع غيره ،وأرجعه إلى معنى الظرفية في صورتها الحقيقية والمجازية.
ولعلنا حين تقارن بين سعيت في حاجتك وسعيت لحاجتك يلوح لك الفرق واضحا كما أشار إليه الرضي ،فالأول أظهر مجرد الاهتمام بالسعي لإنجاز هذه الحاجة ،والثاني تفرّغ لها تفرغا كاملا،وطرح كلّ ما سواها ،وانشغل بها انشغالا ملك عليه فكره ووجدانه ،فهو يعيش فيها ،ويتحرك من خلالها ..... (1)

واهتم كثير من البلاغيين بهذا المثل حيث يقول أحدهم:" تقول أنا سعيت في حاجتك تريد دعوى الانفراد بذلك وتقريرا للاستبداد وترد بذلك على من زعم أن ذلك كان من غيرك أو غيرك فعل فيه ما فعلت ولذلك التأكيد... وهو من صور التخصيص.(2) وهذا "ما يفيد تخصيصه بالمسند للرد على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه.
وهذا ردّا على من زعم أنه انفرد بالفعل، أو شارك فيه.... وأن يُقصد تخصيص الحكم بالمسند إليه - نحو أنا سَعيت في حاجتك (أي السّاعي فيها أنا لا غيري) إذا قصد قصر الحكم وتخصصه بالمسند.
وأن يكون المسند إليه معرفة والمسند فعلا مثبتا، كأن تقول: "أنا قمت - أنا سعيت في حاجتك". بين المقصور والمقصور عليه وأداة القصر....(3)

1.ينظر: من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ص:122
2. ينظر: دلائل الإعجاز192/1 ومفتاح العلوم 231/1
3. ينظر: جواهر البلاغة137/1 والبلاغة العربية 540/1

ومن بين الآيات التي شدّت انتباه البلغاء قول الله عزّ وجلّ: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأعراف:60] (1) مبالغة في كثرة ضلاله ،وقصدا إلى تمكنه فيه ، وإغراقه في الالتصاق به ،وجاء جوابه لهم (بالباء) عدولا عن حرف الوعاء ،مبالغة في نفي اقترابه من الضلال وتلبسه به:﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:60] (2) ، ولم يقل لست (في) ضلالة ؛لأنه حينئذ يكون نفيا لكثرة الضلال والإغراق فيه ،لا نفيا لتلبسه به وهو ما أكده بإفراد الضلالة .

واطرادا لهذا الغرض ودليلا على القصد إليه جاء خطاب الملإ من قومه هود لنبيهم: ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ [الأعراف:66] (3) ،وجاء رده عليهم :﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ﴾ [الأعراف:67] (4) ، وهذا من دقائق لسان العرب وأسرار الإعجاز في الكتاب العزيز.

إنّ أكثر الحروف قربا من (في) وتداخلا معها هو حرف الاستعلاء (على) مما جعل الكوفيين وكثيرا من المفسرين يذهبون إلى جعل (في) بمعنى:(على) في كثير من آي الذكر الحكيم.

ومن المواطن الشهيرة التي خاض فيها النحاة والمفسرون وأرباب البيان قول الله عزّ وجلّ :﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:71] (5) حيث يرى مقاتل بن سليمان البلخي رحمه الله المتوفى في 150هـ في كتابه: (الأشباه والنظائر) أن (في) للوعاء والظرفية وقد تأتي مكان (على) إذ وضع في مصنفه السابق بابا خاصا لمعنى (في) الظرفية فقال : تفسير (في) على سبعة وجوه: ....

---

1. سورة الأعراف ،الآية:60
2. سورة الأعراف ،الآية:60
3. سورة الأعراف ،الآية:66
4. سورة الأعراف ،الآية:67
5. سورة طه،الآية:71

والوجه الثاني:(في) يعني: (على) فذلك قوله تعالى: في طه:﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه:71] (1)،كقوله تعالى في الكهف:﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف:42] (2) يعني عليها وقال في طه: ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ﴾ [طه:128] (3) يعني يمرون على قراهم ، كقوله تعالى في السجدة: ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ﴾ [السجدة:26] (4) يعني يمرون على قراهم. (5)

وهكذا أدرك الأوائل معاني حروف الجر ووشحوا بها كتبهم ومن بين العلماء الذين تعرضوا لمعاني حروف الجر العالم النحوي والقارئ المتميز هارون بن موسى المتوفى في 170 هـ قبل سيبويه رحمه الله تعالى، وهذا في كتابه:(الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) (6)

ويرى أبو القاسم الزجاجي (في) تدل على الظرفية والوعاء ،تنوب عن معنى (على) كآية :(ولأصلبنكم في جذوع النخل) أي (على) .
ومقتضى كلام الفراء أنّ لكل من الظرفية والاستعلاء وجها،فالجذع يصلح مكانا للصلب كما يصلح مكانا للاستعلاء عليه،ولكن لماذا أوثر حرف الظرفية على حرف الاستعلاء ؟ هذا ما لم يصل إليه ،ولا جواب له عنده.
والزمخشري نفسه في هذه الآية الكريمة يقتدي بمقولة السابقين ولا جديد يكاد يذكر في هذه الآية المباركة حيث قال: شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه، فلذلك قيل في جذوع النخل. (7)

---

1. سورة طه،الآية:71
2. سورة الكهف ،الآية:42
3. سورة طه،الآية:128
4. سورة السجدة، الآية:26
5. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ص:187
6. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ص:189
7. تفسير الزمخشري 76/3

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه:71] (1) شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو أولَ من صلب.(2)
يعني به: على جذوع النخل، وكما قالوا:"فعلت كذا في عهد كذا، وعلى عهد كذا"، بمعنى واحد. كما قال الشاعر:
هم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا (3)
وقوله:(في جذوع النخل):اتساع من حيث هو مربوط في الجذع وليست على حد قولك (4).ركبت على الفرس
وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه:71] (5) مثل قوله تعالى:﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور:38] (6) يعنى عليه (7).
وكلمة (في) تفيد الظرفية، ومعنى الظرفية أن شيئا يحتوي شيئا، مثال ذلك الكوب الذي يحتوي الماء فنقول: الماء في الكوب ، وكذلك المسجد يحتوي المصلين فنقول: المصلون في المسجد .

---

1. سورة طه، الآية:71
2.تفسير البيضاوي33/4
3. تفسير الطبري 412/2
4. المحرر الوجيز 53/4
5. سورة طه، الآية:71
6. سورة الطور ، الآية:38
7.تفسير مقاتل 33/3

* البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري (اللسان: عبد) قال: قال سيبويه: النسبة إلى عبد القيس عبدي، وهو من القسم الذي أضيف فيه الأول، لأنهم لو قالوا: قيسي، لالتبس بالمضاف إلى قيس عيلان ونحوه، قال سويد بن أبي كاهل: " وهو صلبوا. . . البيت ". قال ابن بري: قوله بأجدعا، أي بأنف أجدع، فحذف الموصوف، وأقام صفته مكانه. واستشهد المؤلف بقوله: صلبوا العبدي في جذع نخلة أي على جذع نخلة، كقول القرآن: ولأصلبنكم في جذوع النخل.
وإنما ذلك على الاستعارة التبعية في الحرف (في) بتشبيه الاستعلاء بالظرفية، بجامع التمكن في كل منهما.

والظرفية تدل على إحاطة الظرف بالمظروف، ومادام الظرف قد أحاط بالمظروف إذن فلا جهة يفلت منها المظروف من الظرف. ولذلك يعطينا الحق سبحانه وتعالى صورة التمكن من مسألة الظرفية.

" وإيضاحه أنه شبه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة بجامع التمكن فسرى التشبيه بجزئيات كل فاستعار لفظ (فى) لمعنى :(على) وهو استعلاء جزئي وهو استعارة تبعية تحقيقية هذا مذهب الكوفيين .

وقال البصريون (فى) هنا : للظرفية .

شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحالّ فيه ، على طريق الاستعارة بالكناية ، أو شبه الجذوع بالظروف بجامع التمكن فى كل على طريق الاستعارة بالكناية.

و(فى) على الوجهين تخييل.(1)

وعن أبى حِبان : حفر لهم فى الجذوع فالظرفية حقيقة

وقد يقال حقيقة بلا حفر باعتبار أن الجذوع قد ألصقوا بها ، وفضلت عنهم أطرافها بل أو لم تفضل فافهم .

وأراد بالتقطيع والتصليب في الجذوع التمثيل بهم، ولما كان الجذع مقرا للمصلوب واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف عدي الفعل بـ:(في) التي للوعاء.

وقيل:(في) بمعنى:(على).

وقيل: نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله فصار ظرفا لهم حقيقة حتى يموتوا فيه جوعا وعطشا.(2)

ومن تعدية صلب بفي قول الشاعر:

وهم صلبوا العبدي في جذع نخلة

وفرعون أول من صلب، وأقسم فرعون على ذلك وهو فعل نفسه وعلى فعل غيره.

1.همیان الزاد إباضي 254/8

2.البحر المحيط في التفسير358/7

والتصليب: مبالغة في الصلب.
والصلب: ربط الجسم على عود منتصب أو دقه عليه بمسامير.
والمبالغة راجعة إلى الكيفية أيضا بشدة الدق على الأعواد.
ولذلك عدل عن حرف الاستعلاء إلى حرف الظرفية تشبيها لشدة تمكن المصلوب من الجذع بتمكن الشيء الواقع في وعائه.
والجذوع:
جمع جذع- بكسر الجيم وسكون الذال- وهو عود النخلة.
وتعدية فعل ولأصلبنكم بحرف (في) مع أن الصلب يكون فوق الجذع ؛ لا داخله ليدل على أنه صلب متمكن يشبه حصول المظروف في الظرف، فحرف (في) استعارة تبعية تابعة لاستعارة متعلق معنى (في) لمتعلق معنى (على) (1)
وإيثار كلمة (في) للدلالة على إبقائهم عليها زماناً مديداً تشبيهاً لاستمرارهم عليها باستقرار الظرف في المظروف المشتمل عليه...وفيه استعارة تبعية . والكلام في ذلك شهير.(2)
وعليه فإن الصلب دائما يكون على شيء، وتشاء الآية الكريمة أن تشرح لنا كيف يمكن أن يكون الصلب متمكنا من المصلوب. فأنت إذا أردت أن تصلب شيئا على شيء فأنت تربطه على المصلوب عليه، فإذا ما بالغت في ربطه كأنك أدخلت المصلوب داخل المصلوب عليه. ومثال ذلك، هات عود كبريت وضعه على إصبعك ثم اربطه بخيط ربطا جيدا، ستلاحظ أن العود قد غاص في جلدك.
هل كان فرعون سيصلب السحرة في داخل الجذوع أم على الجذوع؟ وإن كان أهل اللغة قد قالوا: إن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض. فإننا لا نرضى هذا الجواب؛ لأننا إن رضيناه في أساليب البشر، لا يمكن أن نقبله في أساليب كلام الله؛ لأن هناك معنى (في) الظرفية؛ ومعنى آخر في استخدام حرف (على) .

1.التحرير والتنوير 265/16
2.الألوسي 219/12

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه:71] (1) معناه: أن عملية الصلب ستتم بقوة بحيث تدخل أجزاء من جسم المصلوب في المصلوب فيه، أي: أن جنود فرعون كانوا سيدقون على أجساد السحرة حتى تدخل في جذوع النخل، وتصبح هذه الأجساد وجذوع النخل، وكأنها قطعة واحدة، هذه صورة لقسوة الصلب وقوته.
لكن إذا قلنا: على جذوع النخل لكان المعنى أخف، ولكان الصلب أقل قسوة، فكأن القرآن الكريم قد استعمل ما يعطينا دقة المعنى. بحيث إذا تغير حرف اختل المعنى.
جاء الحق سبحانه بالحرف (في) بدلا من (على) ؛ ليدل على أن عملية الصلب ستكون تصليبا قويا، بحيث تدخل أجزاء المصلوب في المصلوب فيه.
والصلب إنما يكون على جذوع النخل؛ ولكن الحق سبحانه جاء بـ (في) بدلا من (على) ليدل على أن الصلب سيكون عنيفا، بحيث تتدخل الأيدي والأرجل المصلوبة في جذوع النخل...ولذلك حاول بعض المفسرين الخروج من هذا الإشكال فقالوا: (في) هنا بمعنى (على) . لكن هذا تفسير لا يليق بالأسلوب الأعلى للبيان القرآني، ويجب أن نتفق أولا على معنى التصليب: وهو أن تأتي بالمصلوب عليه وهو الخشب أو الحديد مثلا، ثم تأتي بالشخص المراد صلبه، وتربطه في هذا القائم رباطا قويا، ثم تشد عليه بقوة (2) ؛إذن فقوله تعالى:﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه:71] (3) فـ:(في) هنا على معناها الأصلي للدلالة على المبالغة في الصلب تصليبا قويا، بحيث يدخل المصلوب في المصلوب فيه، كأنه ليس عليه، بل داخل فيه.
إنّ أكثر الحروف قربا من (في) وتداخلا معها هو حرف الاستعلاء مما جعل الكوفيين وكثيرا من المفسرين يذهبون إلى جعل (في) بمعنى (على) في كثير من الذكر الحكيم.
قال المبرد:(في) بمعنى:(على) ، وقال الحذاق: على حقيقتها؛ لأن الجذع يصير مستقرا لهذا الفعل

---

1. سورة طه، الآية:71
2.ينظر: تفسير الشعراوي 878/2
3. سورة طه، الآية:71

وفي الظرفية شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف في الظرف وهو متعلق بأصلبنكم ففي الكلام استعارة مكنية تبعية وتقريرها أنه شبّه استعلاء المصلوب على الجذع بظرفية المقبور في قبره ثم استعمل في المشبه (في) الموضوعة للمشبه به أعني الظرفية فجرت الاستعارة في الاستعلاء والظرفية وبتبعيتها في على وفي واذن، ففي على بابها من الظرفية وهذا أصح الأقوال فيها.
وقيل: إن (في) بمعنى:(على) فلا يكون في الكلام استعارة. (1)

ويرى صاحب أسرار حروف الجر فقال: "والذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أنّ للظرفية في النظم الكريم ظلالا وإيحاءات يعجز حرف الاستعلاء عن الوفاء بها ، ففرعون يعبر بقوله هذا عن غيظ بلغ مداه ،وثورة غاضبة عاصفة ،وهو يرى عرشه يهتز من تحت قدميه بعد هزيمة من ظنهم سيقهرون خصمه ، ويثبتون دعائم ملكه ، وتحولهم من جند يدافعون عنه إلى عدو يحاربه ويناصر خصمه، فأطلق هذه الكلمات منذرا بأقصى العقوبة تنكيلا بالسحرة ،وتمثيلا بهم معلنا أنّه سيقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ،وهو القتل صبرا ثم يمثل بهم إعلاما لغيرهم ،وتهديدا لمن يسول له نفسه أن يحذو حذوهم.
وتعبيرا عن شدّة الأخذ وعدم الرحمة بالمصلوبين جاء حرف (الوعاء) ، دالا على أنهم سيشدون إلى الجذع شدا بالغ القوّة والقسوة،حتى ليكاد المصلوب يواريه الجذع ويشتمله وذلك يتناغم مع صيغة التضعيف في الفعل (أصلّب) ويجسد لك حالة الغيظ التي تموج بها نفس فرعون ،كما يكشف لك تفلت أعصابه ،وما أثاره الموقف في نفسه من هلع،وكأنّه يخشى تفلت هذا الجسد الميت ، وروغانه من الجذع المصلوب فيه "(2)
وقال الأصفهاني: الذي يظهر من كلام الأدباء أنها حقيقة في الظرفية المحققة مجاز في غيرها سوى الزمخشري، فإنه قال ما يدل على أنها على بابها قال: والمختار أنه كان بين المحقق والمقدر قدر مشترك فهي للمشترك دفعا للاشتراك، وإلا فهي حقيقة في المحقق مجاز في المقدر؛ لأن الأصل وضع اللفظ بإزاء المحقق.(3)

1.إعراب القرآن وبيانه221/6
2. من أسرار حروف الجر الأمين ص: 128
3.البحر المحيط في أصول الفقه 197/3

وفي قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:137] (1)
وجاء الشرط هنا بحرف (إن) المفيدة للشك في حصول شرطها إيذانا بأن إيمانهم غير مرجو.
والباء في قوله: (بمثل ما آمنتم به) للملابسة، وليست للتعدية. أي: إيمانا مماثلا لإيمانكم، فالمماثلة بمعنى: المساواة في العقيدة والمشابهة فيها باعتبار أصحاب العقيدة وليست مشابهة معتبرا فيها تعدد الأديان؛ لأن ذلك ينبو عنه السياق.
وقيل لفظ (مثل) زائد.
وقيل: الباء للآلة والاستعانة.
وقد قيل: إن الباء بمعنى:(على)
والمعنى: فإن آمنوا على مثل إيمانكم.
وقيل: الباء زائدة، وكلها وجوه متكلفة.
والسين: في (فسيكفيكهم):حرف يمحض المضارع للاستقبال فهو مختص بالدخول على المضارع وهو كحرف سوف.
والأصح أنه لا فرق بينهما في سوى زمان الاستقبال.
وقيل: إن (سوف) أوسع مدى واشتهر هذا عند الجماهير...وأحسب أنه لا محيص من التفرقة بين السين وسوف في الاستقبال ليكون لموقع أحدهما دون الآخر في الكلام البليغ خصوصية ثم إن كليهما إذا جاء في سياق الوعد أفاد تحقيق الوعد.
وعليه فالمجيء بـ:(السين) يدل على قرب الاستقبال، إذ السين في وضعها أقرب في التنفيس من سوف، والذوات ليست المكفية، فهو على حذف مضاف، أي فسيكفيك شقاقهم.
والمعنى:
فإن آمنوا مثل إيمانكم، وصدقوا مثل تصديقكم فقد اهتدوا، فالمماثلة وقعت بين الإيمانين.
وقوله: (وإن تولوا)
أي: فقد تبين أنهم ليسوا طالبي هدى ولا حق؛ إذ لا أبين من دعوتكم إياهم ولا إنصاف

1.سورة البقرة ،الآية:137

أظهر من هذه الحجة.
والشقاق:العصيان.
وقيل: شدة المخالفة، مشتق من الشق وهو الفلق وتفريق الجسم.
والمراد:
عصيان أمر الله لظهور أن القرآن من عنده على هذا الفرض بيننا.
والبعيد: الواسع المسافة.
وقد يوصف الشقاق بالبعيد ومنه قوله تعالى:﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة:176] (1)
ووصف الشقاق بالبعيد مجاز عقلي.
واستعير هنا: للشديد في جنسه، ومناسبة هذه الاستعارة للضلال؛ لأن الضلال أصله عدم الاهتداء إلى الطريق، وأن البعد مناسب للشقاق؛ لأن المنشق قد فارق المنشق عنه فكان فراقه بعيدا لا رجاء معه للدنو.(2)
وقيل:
الشقاق المجادلة والمخالفة والتعادي.
وأصله:
من الشق وهو الجانب، فكأن كل واحد من الفريقين في شق غير شق صاحبه. قال الشاعر:
إلى كم تقتل العلماء قسرا وتفجر بالشقاق وبالنفاق
وقال آخر:
وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق
وقيل: إن الشقاق مأخوذ من فعل ما يشق ويصعب، فكأن كل واحد من الفريقين يحرص على ما يشق على صاحبه.(3)

1.سورة البقرة ،الآية:176
2. التحرير والتنوير 741/1
3.ينظر:تفسير القرطبي 142/2

إنها هوة واسعة يسقطون فيها، فالشقاق في القيم المنهجية السماوية هو هوة كبيرة، فلو كان الخلاف في أمور مادية لأمكن للبشر أن يتحملوها فيما بينهم، ولكانت مسألة سهلة. ولكن الخلاف في أمر قيمي لا يقدر البشر على أن يصلحوه فيما بينهم، من هنا فإن شقة الخلاف واسعة، ولا يقوى على حلها إلا الله. (1)

وجيء بـ:(في) للدلالة على تمكن الشقاق منهم حتى كأنه ظرف محيط بهم.

والإتيان بـ: (إن) هنا مع أن توليهم هو المظنون بهم لمجرد المشاكلة.

وأكدت الجملة الواقعة شرطا بـ(إن)، وتأكد معنى الخبر بحيث صار ظرفا لهم، وهم مظروفون له.

فالشقاق مستول عليهم من جميع جوانبهم، ومحيط بهم إحاطة البيت بمن فيه.

وهذه مبالغة في الشقاق الحاصل لهم بالتولي، وهذا كقوله:﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف:60] (2)، وكقوله تعالى:﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف:66] (3) وهو أبلغ من قولك: زيد مشاق لعمرو، وزيد ضال، وبكر سفيه.

والشقاق هنا:

الخلاف، قاله ابن عباس، أو العداوة، أو الفراق، أو المنازعة، قاله زيد بن أسلم، أو المجادلة، أو الضلال والاختلاف، أو خلع الطاعة، قاله الكسائي أو البعاد والفراق إلى يوم القيامة.

وهذه تفاسير للشقاق متقاربة المعنى، ومدار ذلك في المفردات على معنيين: إما من المشقة، وإما أن يصير في شق وصاحبه في شق، أي يقع بينهم خلاف.

قال القاضي: ولا يكاد يقال في العداوة على وجه الحق شقاق؛ لأن الشقاق في مخالفة عظيمة توقع صاحبها في عداوة الله وغضبه، وهذا وعيد لهم.

وتضمنت هاتان الصفتان الوعيد؛ لأن المعنى، وهو السميع العليم، فيجازيكم بما يصدر منكم، وكان ابن عباس يقرأ فيما حكى الطبري:(فإن آمنوا بالذي آمنتم به فقد اهتدوا)

---

1. تفسير الشعراوي 727/2
2.سورة الأعراف ،الآية:60
3.سورة الأعراف ،الآية:66

وهذا هو معنى القراءة. وإن خالف المصحف، فـ:(مثل) زائدة كما هي في قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11] (1)
قيل: إن الكاف زائدة للتوكيد، أي: ليس مثله شيء
عن ابن عباس قال: لا تقولوا فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فإن الله ليس له مثل، ولكن قولوا: بالذي آمنتم به.
والذي روي عن ابن عباس من نهيه عن القراءة العامة شيء ذهب إليه للمبالغة في نفي التشبيه عن الله عز وجل. (2)
وقال ابن عطية: هذا من ابن عباس على جهة التفسير، أي: هكذا فليتأول.
وحكاهما أبو عمرو الداني قراءتين عن ابن عباس فالله أعلم.(3)
وقيل:(مثل) على بابها أي بمثل المنزل.
ومن هذا القبيل قول الله تعالى:﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص:2] (4)
وإنما قيل: الذين كفروا دون (الكافرون)؛ لما في صلة الموصول من الإيماء إلى الإخبار عنهم بأنهم في عزة وشقاق.
والعزة تحوم إطلاقاتها في الكلام حول معاني المنعة والغلبة والتكبر فإن كان ذلك جاريا على أسباب واقعة فهي العزة الحقيقية وإن كان عن غرور وإعجاب بالنفس فهي عزة مزورة قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ [البقرة:206] (5)
أي:أخذته الكبرياء وشدة العصيان، وهي هنا عزة باطلة أيضا؛ لأنها إباء من الحق وإعجاب بالنفس.
وضد العزة الذلة قال تعالى:﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:54] (6)

1.سورة الشورى ،الآية:11
2.ينظر:تفسير القرطبي 142/2
3. تفسير ابن عطية 216/1
4.سورة ص ، الآية:2
5.سورة البقرة ،الآية:206
6. سورة المائدة ،الآية:54

وقال السموأل:

وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ (1)

و(في) للظرفية المجازية مستعارة لقوة التلبس بالعزة.

والمعنى:

متلبسون بعزة على الحق.

والشقاق:العناد والخصام.

والمعنى: متلبسون بعزة على الحق.

والمراد: وشقاق لله بالشرك ولرسوله ﷺ بالتكذيب.

أن الحائل بينهم وبين التذكير بالقرآن هو ما في قرارة نفوسهم من العزة والشقاق.

وكنى بالشقاق عن العداوة، ووصف الشقاق بالبعد، إما لكونه بعيدا عن الحق، أو لكونه بعيدا عن الألفة. أو كنى به عن الطول، أي في معاداة طويلة لا تنقطع.

ولفظ الشقاق يحمل معانٍ مجازية فمن ذلك قول الله تعالى:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء:35] (2)

وشق: أي أبعد شيئا عن شيء، شققت اللوح: أي أبعدت نصفيه عن بعضهما، إذن فكلمة (شقاق بينهما) تدل على أنهما التحما بالزواج وصارا شيئا واحدا، فأي شيء يبعد بين الاثنين يكون (شقاقاً) إذ بالزواج والمعاشرة يكون الرجل قد التحم بزوجه هذا ما قاله الله:

وهذا يعني أن المرأة مظروفة في الرجل والرجل مظروف فيها.فالرجل ساتر عليها وهي ساترة عليه.(3)

1.ينظر:البيان والتبيين 128/3 وعيار الشعر107/1

2.سورة النساء، الآية:35

3. تفسير الشعراوي 2203/4

وفي قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ [النبأ:35] (1)

يجوز أن يكون الضمير المجرور عائدا إلى الكأس، فتكون (في) للظرفية المجازية بتشبيه تناول الندامى للشراب من الكأس بحلولهم في الكأس على طريق المكنية.

وحرف (في) تخييل أو تكون (في) للتعليل كما في الحديث: دخلت امرأة النار في هرة (2) أي: من أجل هرة.

والمعنى:

لا يسمعون لغوا ولا كذابا منها أو عندها، فتكون الجملة صفة ثانية لـ: «كأسا» . والمقصود منها أن خمر الجنة سليمة مما تسببه خمر الدنيا من آثار

ويجوز أن يعود ضمير فيها إلى مفازا باعتبار تأويله بالجنة لوقوعه في مقابلة جهنم من قوله: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [النبأ:21] (3)، أو لأنه أبدل حدائق من مفازا وهذا المعنى نشأ عن أسلوب نظم الكلام حيث قدم حدائق وأعنابا إلخ، وأخر وكأسا دهاقا حتى إذا جاء ضمير (فيها) بعد ذلك جاز إرجاعه إلى الكأس وإلى المفاز كما علمت.

وهذا من بديع الإيجاز مع وفرة المعاني مما عددناه من وجوه الإعجاز من جانب الأسلوب

أي لا يسمعون في الجنة الكلام السافل ولا الكذب، فلما أحاط بأهل جهنم أشد الأذى بجميع حواسهم من جراء حرق النار وسقيهم الحميم والغساق لينال العذاب بواطنهم كما نال ظاهر أجسادهم، كذلك نفى عن أهل الجنة أقل الأذى وهو أذى سماع ما يكرهه الناس فإن ذلك أقل الأذى.

1.سورة النبأ، الآية:35

2. صحيح البخاري 130/4

3.سورة النبأ، الآية:21

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» قال: وحدثنا عبيد الله، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ مثله.

رواه البخاري ومسلم

وكني عن انتفاء اللغو والكذاب عن شاربي خمر الجنة بأنهم لا يسمعون اللغو والكذاب فيها لأنه لو كان فيها لغو وكذب لسمعوه وهذا من باب قول امرئ القيس:
على لاحب لا يهتدي بمناره
أي: لا منار به فيهتدى به.
وهو نوع من لطيف الكناية، والذي في الآية أحسن مما وقع في بيت امرئ القيس ونحوه لأن فيه إيماء إلى أن أهل الجنة منزهة أسماعهم (1)

ويلتفت صاحب العمدة لهذا النوع فيطلق عليه :باب نفي الشيء بإيجابه
ويضيف قائلا:" وهذا الباب من المبالغة، وليس بها مختصاً، إلا أنه من محاسن الكلام، فإذا تأملته وجدت باطنه نفياً، وظاهره إيجاباً.. قال امرؤ القيس:
على لاحب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود النباطي جرجرا
فقوله " لا يهتدى بمناره " لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به، ولكن أراد أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار.
وكذلك قول زهير:
بأرض خلاء لا يسد وصيدها علي، ومعروفي بها غير منكر
فأثبت لها في اللفظ وصيداً، وإنما أراد ليس لها وصيد فيسد علي. (2)

ومن هذا قول امرئ القيس :
على لاحب لا يهتدى بمناره ...
لم يرد أن فيه منارا لا يهتدى به ولكنه نفى أن يكون به منار
والمعنى:
لا منار به يهتدى به؛ومثله قول الآخر فى وصف مفازة
لا تفزع الأرنب أهوالها ولا ترى الضب بها ينجحر

---

1. التحرير والتنوير 110/1
2.العمدة في محاسن الشعر وآدابه 80/2

لم يرد أن بها أرنبا لم يفزع ولا ضبا ولكنه نفى أن يكون فيها حيوان.(1)
ومن هذا النوع قول الله تعالى:﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة:273] (2)
فإن ظاهره نفى الإلحاف في المسألة، لا نفي المسألة، والباطن نفي المسألة بتة، وعليه إجماع المفسرين، وهو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وكقوله تعالى:﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر:18] (3)
فالظاهر نفى شفيع يطاع.
والمراد نفي الشفيع مطلقا.
ومن خلال عرض الآراء :
تكون (في) للظرفية المجازية أي: الملابسة أو السببية أي لا يسمعون في ملابسة شرب الكأس ما يعتري شاربيها في الدنيا من اللغو واللجاج، وأن يعود إلى مفازا بتأويله باسم مؤنث وهو الجنة؛ وتكون (في) للظرفية الحقيقة أي لا يسمعون في الجنة كلاما لا فائدة فيه ولا كلاما مؤذيا.(4)
وهذه المعاني لا يتأتى جميعها إلا بجمل كثيرة لو لم يقدم ذكر جهنم ولم يعقب بكلمة مفازا. ولم يؤخر وكأسا دهاقا ولم يعقب بجملة: لا يسمعون فيها لغوا إلخ.
ومما يجب التنبيه له أن مراعاة المقام في أن ينظم الكلام على خصوصيات بلاغية هي مراعاة من مقومات بلاغة الكلام وخاصة في إعجاز القرآن.

---

1. شرح ديوان المتنبي للعكبري 4/1
2.سورة البقرة، الآية:273
3.سورة غافر، الآية:18
4. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر 377/1
واللاحب بالحاء المهملة: الطريق الواضح.
والمنار: جمع منارة وأصلها منورة مفعلة من النور، وسمي بذلك لأنها في الأصل كل مرتفع عليه نار ولذلك قالوا في جمعها: مناور.

وفي قول الله تعالى:﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم:8] (1)

و(في أنفسهم): يحتمل أن يكون ظرفا، كأنه قيل: أو لم يحدثوا التفكر في أنفسهم، أي:في قلوبهم الفارغة من الفكر.

والتفكر لا يكون إلا في القلوب، ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين، كقولك: اعتقده في قلبك، وأضمره في نفسك.

وأن يكون صلة للتفكر، كقولك:تفكر في الأمر وأجال فيه فكره.

والباء في قوله:(إلاّ بالحق) مثلها في قولك: دخلت عليه بثياب السفر، واشترى الفرس بسرجه ولجامه.

تريد: اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام، غير منفك عنهما.

وكذلك المعنى ما خلقها إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به.

فإن قلت: إذا جعلت (في أنفسهم) صلة للتفكر، فما معناه؟

قلت:

معناه: أو لم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات، وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها، فتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها (2)

1.سورة الروم، الآية:8

2. الكشاف 469/3

والتفكر:
التأمل ، والنظر العقلي، وأصله إعمال الفكر.

والمتأخرون يقولون الفكر في الاصطلاح حركة النفس في المعقولات . وأما حركتها في المحسوسات فهو في الاصطلاح تخييل .(1)

والاستفهام في نظره يحمل معنيين وهما :التوبيخ.
وقيل: التحريض على التأمل.
والظاهر أن يتفكروا معلق عن الجملة المنفية وهي في موضع نصب بـ: (يتفكروا) بعد إسقاط حرف الجر؛ لأن التفكر من أعمال القلوب. فيجوز تعليقه.
والمعنى:
أو لم يتأملوا ويتدبروا في انتفاء هذا الوصف عن الرسول فإنه منتف لا محالة ولا يمكن لمن أنعم الفكر في نسبة ذلك إليه.
وقيل ثم مضمر محذوف أي: فيعلموا ما بصاحبهم من جنة. قاله الحوفي، وزعم أن يتفكروا لا تعلق لأنه لا يدخل على الجمل.
قال: ودل التفكر على العلم.
وقال أصحابنا: إذا كان فعل القلب يتعدى بحرف جر قدرت الجملة في موضع جر بعد إسقاط حرف الجر.
ومنهم من زعم أنه يضمن الفعل الذي تعدى بنفسه إلى واحد أو بحرف جر إلى واحد معنى ما يتعدى إلى اثنين فتكون الجملة في موضع المفعولين فعلى هذين الوجهين لا حاجة إلى هذا المضمر الذي قدره الحوفي.(2)

1.أضواء البيان 252/6
2. البحر المحيط في التفسير 234/5

وقيل تم الكلام على قوله: يتفكروا. ثم استأنف إخبارا بانتفاء الجنة وإثبات النذارة.
وقال أبو البقاء:في(ما) وجهان.
أحدهما: أنها نافية ،وفي الكلام حذف تقديره: أو لم يتفكروا في قولهم به جنة.
والثاني أنها استفهام أي: أو لم يتفكروا أي شيء بصاحبهم من الجنون مع انتظام أقواله وأفعاله.(1)

قال الزجاج: في الكلام حذف، أي: فيعلموا، لأن في الكلام دليلا عليه. (إلا بالحق) قال الفراء: معناه إلا للحق، يعني الثواب والعقاب.
وقيل: إلا لإقامة الحق. وقيل:(بالحق) بالعدل.
وقيل: بالحكمة، والمعنى متقارب.
وقيل:(بالحق) أي: أنه هو الحق وللحق خلقها، وهو الدلالة على توحيده وقدرته.(2)
ٍلكن أبا السعود يرى أنّ همزة الاستفهام تحمل معان ثلاث فقال:"
والهمزةُ للإنكار والتعجيبِ والتوبيخ.
و(ما) إما استفهامية إنكارية في محل الرفِع بالابتداء.
والخبر: بصاحبهم.
وإما نافية: اسمها (جِنةٌ).
وخبرها: بصاحبهم.

وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى:(أولم يتفكروا) ، أي: أكذّبوا بها ولم يفعلوا التفكر.

ثم ابتدئ فقيل: أيُّ شيءٍ بصاحبهم من جنة ما على طريقة الإنكار والتعجيب والتبكيت. أو قيل ليس بصاحبهم شيءٌ منها.(3)

---

1. البحر المحيط في التفسير 234/5
2. تفسير القرطبي 8/14
3. تفسير أبي السعود298/3

والتعبير عنه ﷺ بصاحبهم للإيذان بأن طولَ مصاحبتهم له ﷺ مما يطلعهم على نزاهته ﷺ عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيدٌ للنكير وتشديدٌ له والتعرضُ لنفي الجنونِ عنه ﷺ مع وضوح استحالةِ ثبوتِه له ﷺ. (1)

وقوله:(أو لم يتفكروا): إنكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة.
وقوله تعالى:(فى أنفسهم): ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه في غيرها لتحقيق أمره وتصوير حال المتفكرين.
والاستفهام تعجيبي من غفلتهم وعدم تفكرهم.
والتقدير: هم غافلون وعجيب عدم تفكرهم.
والتفكر: إعمال الفكر، أي: الخاطر العقلي للاستفادة منه، وهو التأمل في الدلالة العقلية.
وحرف (في) من قوله (في أنفسهم).
يجوز أن يكون للظرفية الحقيقية الاعتبارية فيكون ظرفا لمصدر يتفكروا، أي: تفكرا مستقرا في أنفسهم. وموقع هذا الظرف مما قبله موقع معنى الصفة للتفكر.
وإذ قد كان التفكر إنما يكون في النفس فذكر في أنفسهم لتقوية تصوير التفكر وهو كالصفة الكاشفة لتقرر معنى التفكر عند السامع.

ويجوز أن يكون(في) للظرفية المجازية متعلقة بفعل يتفكروا تعلق المفعول بالفعل، أي يتدبروا ويتأملوا في أنفسهم.
وعلى الاحتمالين وقع تعليق فعل(يتفكروا) عن العمل في مفعولين لوجود النفي بعده.(2)

1.تفسير أبي السعود 298/3
2.التحرير والتنوير 51/21

والتفكر تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب وهو قبل أن يتصفى اللب والتذكر بعده ولذا لم يذكر في كتاب الله تعالى مع اللب إلا التذكر قال بعض الأدباء الفكر مقلوب الفرك لكن يستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها.

قوله (في أنفسهم) ظرف للتفكر. وذكره في ظهور استحالة كونه في غيرها لتصوير حال المتفكر فهو من بسط القرآن نحو يقولون بأفواههم والمعنى اقصر كفار مكة نظرهم على ظاهر الحياة الدنيا ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا أنه تعالى ما خلق الله السماوات الأجرام العلوية وكذا سموات الأرواح والأرض الأجرام السفلية وكذا أرض الأجسام وما بينهما من المخلوقات والقوى ملتبسة بشيء من الأشياء إلا ملتبسة بالحق والحكمة والمصلحة ليعتبروا بها ويستدلوا على وجود الصانع ووحدته ويعرفوا أنها مجال صفاته ومرائي قدرته وإنما جعل متعلق الفكر والعلم هو الخلق دون الخالق لان الله تعالى منزه عن أن يوصف بصورة في القلب.(1)، ولهذا روى (تفكروا في آلاء الله تعالى ولا تتفكروا في ذات الله).(2)

---

1. روح البيان9/7

2.ينظر:المعجم الأوسط 250/6

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في الله"

تفكروا في آلاء الله - يعني عظمته.

ينظر: شعب الإيمان لأحمد بن الحسين 262/1

وفي قوله تعالى:﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:3] (1) ،اخترنا حذف الخبر بعد لا ريب.

و(في) : الثانية تنزيل المعاني منزلة الأجسام، إذ جعل القرآن ظرفا والهدى مظروفا، فألحق المعنى بالعين، وأتى بلفظة (في) التي تدل على الوعاء كأنه مشتمل على الهدى ومحتو عليه احتواء البيت على زيد في قولك: زيد في البيت.

وضمن معنى الاعتراف أو الوثوق فعدي بـ(الباء)، وهو يتعدى بـ(الباء واللام) ومنه قوله تعالى:﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى ﴾ [يونس:83] (2)

والتعدية بـ(اللام) في ضمنها تعد بـ(الباء)، فهذا فرق ما بين التعديتين. (3)

واستعارة (في) لمعنى الملابسة شائعة في كلام العرب، وفي القرآن الكريم ومنه قول الله تعالى:﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[البقرة: 22] (4) .

ووجه الإتيان بفي الدالة على الظرفية الإشارة إلى أنهم قد امتلكهم الريب وأحاط بهم إحاطة الظرف بالمظروف... وأتى بفعل نزل دون أنزل؛ لأن القرآن نزل نجوما.

وعليه فاستعارة (في) لمعنى الملابسة شائعة في كلام العرب كقولهم: هو في نعمة؛ فمن ذلك وصف عيش الناعم المغبوط فيقولون: فلان في عيشة ندي ظلها، وسح وابلها وطلها. هو في عيش رقيق الحواشي، مثمر النواحي. هو في نعمة صافية، ومنحة ضافية،وعيشة راضية. (5)

والظرفية المفادة بـ: (في) مجازية،شبهت ملابسة الريب إياهم بإحاطة الظرف بالمظروف.

---

1. سورة البقرة، الآية:3
2. سورة يونس ، الآية:83
3. البحر المحيط في التفسير 65/1
. سورة البقرة، الآية:422
5. سحر البلاغة وسر البراعة179/1

وفي قوله تعالى:﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [يونس:94] (1)

إن الآية تحتمل معنيين لا يستقيم ما سواهما أولهما: أن تبقى الظرفية التي دلت عليها (في) على حقيقتها، ويكون الشك قد أطلق وأريد به أصحابه، أي فإن كنت في قوم أهل شك مما أنزلنا إليك، أي يشكون في وقوع هذه القصص، كما يقال: دخل في الفتنة، أي في أهلها.
ويكون معنى فسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك فاسأل أهل الكتاب سؤال تقرير وإشهاد عن صفة تلك الأخبار يخبروا بمثل ما أخبرتهم به، فيزول الشك من نفوس أهل الشك إذ لا يحتمل تواطؤك مع أهل الكتاب على صفة واحدة لتلك الأخبار. فالمقصود من الآية إقامة الحجة على المشركين بشهادة أهل الكتاب من اليهود والنصارى قطعا لمعذرتهم.

وثانيهما: أن تكون (في) للظرفية المجازية كالتي في قوله تعالى:﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ [هود:109] (2) ويكون سوق هذه المحاورة إلى النبي ﷺ على طريقة التعريض لقصد أن يسمع ذلك المشركون فيكون استقرار حاصل المحاورة في نفوسهم أمكن مما لو ألقي إليهم مواجهة. وهذه طريقة في الإلقاء التعريضي يسلكها الحكماء وأصحاب الأخلاق متى كان توجيه الكلام إلى الذي يقصد به مظنة نفور.(3)

1.سورة يونس، الآية:94
2.سورة هود ، الآية:109
3.التحرير والتنوير284/11

وفي قول الله تعالى:﴿ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ [الأحزاب:5] (1)
أي: فإن لم تعلموا آباءهم فادعوهم إن شئتم بإخوان، وإن شئتم ادعوهم موالي إن كانوا كذلك. وهذا توسعة على الناس.
وفي للظرفية المجازية، أي: إخوانكم أخوة حاصلة بسبب الدين كما يجمع الظرف محتوياته، أو تجعل (في) للتعليل والتسبب، أي: إخوانكم بسبب الإسلام مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ [العنكبوت: 10] (2)، أي: لأجل الله.
وعليه فالظرفية (في الدين) مجازية تشبيها للملابسة القوية بإحاطة الظرف بالمظروف زيادة في الدلالة على التمكن من الإسلام وأنه يجب ما قبله.
وليس في دعوتهم بوصف الأخوة ريبة أو التباس مثل الدعوة بالبنوة لأن الدعوة بالأخوة في أمثالهم ظاهرة لأن لوصف الأخوة فيهم تأويلا بإرادة الاتصال الديني بخلاف وصف البنوة فإنما هو ولاء وتحالف فالحق أن يدعوا بذلك الوصف، وفي ذلك جبر لخواطر الأدعياء من تبنوهم.

والمراد بالولاء في قوله ومواليكم ولاء المحالفة لا ولاء العتق، فالمحالفة مثل الأخوة. وهذه الآية ناسخة لما كان جاريا بين المسلمين ومن النبي ﷺ من دعوة المتبنين إلى الذين تبنوهم فهو من نسخ السنة الفعلية والتقريرية بالقرآن. وذلك مراد من قال: إن هذه الآية نسخت حكم التبني. (3)

1.سورة الأحزاب ،الآية:5
2.سورة العنكبوت ،الآية:10
3.التحرير والتنوير 263/21

دلالة في سبيل الله

وفي قوله تعالى:﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:195] (1)

و(سبيل الله) طريقه.
والطريق إذا أضيف إلى شيء فإنما يضاف إلى ما يوصل إليه.
ولما علم أن الله لا يصل إليه الناس تعين أن يكون المراد من الطريق العمل الموصل إلى مرضاة الله وثوابه، فهو مجاز في اللفظ، ومجاز في الإسناد.
وقد غلب (سبيل الله) في اصطلاح الشرع في الجهاد.
أي: القتال للذب عن دينه وإعلاء كلمته.
و(في) للظرفية ؛لأن النفقة تكون بإعطاء العتاد، والخيل، والزاد، وكل ذلك مظروف للجهاد على وجه المجاز وليست (في) هنا مستعملة للتعليل.(2)

وفي قول الله تعالى:﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال:66] (3)
والضعف: عدم القدرة على الأعمال الشديدة والشاقة، ويكون في عموم الجسد وفي بعضه وتنكيره للتنويع، وهو ضعف الرهبة من لقاء العدد الكثير في قلة، وجعله مدخول (في) الظرفية يومئ إلى تمكنه في نفوسهم فلذلك أوجب التخفيف في التكليف. (4)
ويجوز في ضاد (ضعف) الضم والفتح، كالمكث والمكث، والفقر والفقر.

1.سورة البقرة، الآية:195
2. التحرير والتنوير 213/2
3.سورة الأنفال،الآية:66
4.التحرير والتنوير70/10

انغماس الكفار في التكذيب

وقد التفت صاحب التنوير لمعنى دلالة حرف الجر(في) ففي قول الله تعالى:
﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (19) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ [البروج:20] (1) أنّ الكفار قد انغمسوا في الكفر فقال:" الاعتبار بحال الأمم الذين كذبوا الرسل وهو أنهم مستمرون على التكذيب منغمسون فيه انغماس المظروف في الظرف فجعل تمكن التكذيب من نفوسهم كتمكن الظرف بالمظروف.

وفيه إشارة إلى أن إحاطة التكذيب بهم إحاطة الظرف بالمظروف لا يترك لتذكر ما حل بأمثالهم من الأمم مسلكا لعقولهم، ولهذا لم يقل بل الذين كفروا يكذبون كما قال في سورة الانشقاق.

وحذف متعلق التكذيب لظهوره من المقام.

إذ التقدير: أنهم في تكذيب بالنبي ﷺ وبالوحي المنزل إليه وبالبعث.

أي: هم متمكنون من التكذيب والله يسلط عليهم عقابا لا يفلتون منه. (2)

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ [البروج:20] (3) تمثيل لحال انتظار العذاب إياهم وهم في غفلة عنه بحال من أحاط به العدو من ورائه وهو لا يعلم حتى إذا رام الفرار والإفلات وجد العدو محيطا به، وليس المراد هنا إحاطة علمه تعالى بتكذيبهم إذ ليس له كبير جدوى.

وعليه ففي الآية الكريمة مجاز مرسل علاقته الحالية؛ لأن التكذيب معنى من المعاني ولا يحلّ الإنسان فيه؛ وإنما يحلّ في مكانه فاستعمال التكذيب في مكانه مجاز أطلق فيه الحال وأريد المحل فعلاقته الحالية.

وعدل عن يكذبون إلى جعلهم في التكذيب وأنه لشدته أحاط بهم إحاطة البحر بالغريق والسوار بالمعصم وفي الوقت نفسه جاء بالتكذيب نكرة للدلالة على تعظيمه وتهويل أمره.

1.سورة البروج، الآية:20
2.التحرير والتنوير252/30
3.سورة البروج، الآية:20

وقوله: (فِي تكذيبٍ) المفيد لإحاطة التكذيب بهم إحاطة الظرف بمظروفه أو البحر بالغريق فيه مع ما في تنكيره من الدلالة على تعظيمه وتهويله.(1)

وفي قول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾ [سبأ:18](2)

ويكون في قوله : (ظاهرةً) على ذلك كناية عن وفرة المدن حتى إن القرى كلها ظاهرة منها .
وضمير (فيها) عائد إلى القرى.
والظرفية المستفادة من حرف الظرف تخييل لمكنيةٍ ، شبهت القُرى لشدة تقاربها بالظرف وحذف المشبه به ورُمز إليه بحرف الظرفية .
والمعنى : سيروا بينها .
وتقديم الليالي على الأيام للاهتمام بها في مقام الامتنان؛ لأن المسافرين أحوج إلى الأمن في الليل منهم إليه في النهار؛لأن الليل تعترضهم فيه القُطاع والسباع.(3)

---

1. تفسير الألوسي 303/15
2.سورة سبأ، الآية:18
3. التحرير والتنوير 374/11

دلالة والذين جاهدوا فينا

وفي قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69] (1) أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول، ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين فينا في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا.(2)

والذين جاهدوا في الله هم المؤمنون الأولون، فالموصول بمنزلة المعرف بلام العهد.

وهذا الجهاد هو الصبر على الفتن والأذى ومدافعة كيد العدو.. .وجيء بالموصول للإيماء إلى أن الصلة سبب الخبر.

ومعنى جاهدوا فينا جاهدوا في مرضاتنا، والدين الذي اخترناه لهم. والظرفية مجازية، يقال: هي ظرفية تعليل تفيد مبالغة في التعليل.

وسبل الله: الأعمال الموصلة إلى رضاه وثوابه، شبهت بالطرق الموصلة إلى منزل الكريم المكرم للضيف.

والمراد بالمحسنين جميع الذين كانوا محسنين، أي كان عمل الحسنات شعارهم وهو عام.

وفيه تنويه بالمؤمنين بأنهم في عداد من مضى من الأنبياء والصالحين.

وهذا أوقع في إثبات الفوز لهم مما لو قيل: فأولئك المحسنون لأن في التمثيل بالأمور المقررة المشهورة تقريرا للمعاني

والمعية: هنا مجاز في العناية والاهتمام بهم. والجملة في معنى التذييل بما فيها من معنى العموم. وإنما جيء بها معطوفة للدلالة على أن المهم من سوقها هو ما تضمنته من أحوال المؤمنين، فعطفت على حالتهم الأخرى وأفادت التذييل بعموم حكمها.(3)

وفي قوله:(لنهدينهم سبلنا): إيماء إلى تيسير طريق الهجرة التي كانوا يتأهبون لها أيام نزول هذه السورة.

---

1. سورة العنكبوت، الآية:69
2. تفسير الزمخشري 465/3
3. ينظر:التحرير والتنوير 36/21

وأما (الذات) ، فقد استهوى أكثر الناس - ولا سيما المتكلمين - القول فيها، إنها في معنى النفس والحقيقة، ويقولون: (ذات الباري هي نفسه) ، ويعبرون بها عن وجوده وحقيقته، ويحتجون في إطلاق ذلك بقوله عليه السلام في قصة إبراهيم:
" ثلاث كذبات كلها في ذات الله ".
وقول خبيب*:
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع
وليست هذه اللفظة إذا استقريتها في اللغة والشريعة كما زعموا، ولو كان كذلك لجاز أن يقال: " عبدت ذات الباري سبحانه "، و"احذر ذاته ".
كما قال تعالى:﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:28] (1) ، أو: " فعلت ذاته ".
وذلك غير مسموع، ولا يقول إلا بحرف (في) الجارة، وحرف " في " للوعاء، وهو معنى مستحيل على نفس الباري سبحانه، إذا قلت:
" جاهدت في الله "، وأحببتك في الله " محال أن يكون هذا اللفظ حقيقة، لما يدل عليه هذا الحرف من معنى الوعاء، وإنما هو على حذف المضاف، أي: في مرضاة الله وطاعته، فيكون الحرف على بابه ومعناه، كأنك قلت: فعلى هذا محسوب في الأعمال التي فيها مرضاة الله - تعالى - وطاعة له.
وأما أن تدع اللفظ على ظاهره فمحال، وإذا ثبت هذا فقوله:" في ذات الله " و" في ذات الإله "، إنما يريد في الديانة أو الشريعة التي هي ذات الله، فذات وصف للديانة.

---

1. سورة آل عمران ، الآية:28
خبيب بن عدي الأنصاري أحد المأسورين في وقعة الرجيع، وأول من صلب في ذات الله في الإسلام، وأول من سن الصلاة عند الصلب، بدري قاتل الحارث بن عامر بن نوفل كان الله عز وجل يطعمه، وهو في الإسار إكراما له أطيب الثمار.
ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان في الله مصرعي
اللهم إنا قد بلّغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يصنع بنا؛ ثم قال: اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا. ثم قتلوه، رحمه الله ورضي عنه.
قال ابن هشام: أقام خبيب فى أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم، ثم قتلوه.
ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم 986/2

وكذلك هي في أصل موضوعها نعت لمؤنث، ألا ترى أن فيها " تاء " التأنيث؟
وإذا كان الأمر كذلك فقد صارت عبارة عما تشرف بالإضافة إلى الله - عز وجل - لا عن نفسه، وهذا هو المفهوم من كلام العرب، ألا ترى إلى قول النابغة:
مجلتهم ذات الإله ودينهم قويم. (1)
إنّ عبارة (جاهدوا في الله): وذلك غير مسموع، ولا يكون إلا بحرف (في) الجارة، وحرف (في) للوعاء، وهو معنى مستحيل على نفس الباري سبحانه، إذا قلت: " جاهدت في الله ، وأحببتك في الله " محال أن يكون هذا اللفظ حقيقة، لما يدل عليه هذا الحرف من معنى الوعاء، وإنما هو على حذف المضاف، أي: في مرضاة الله وطاعته، فيكون الحرف على بابه ومعناه، كأنك قلت: فعلى هذا محسوب في الأعمال التي فيها مرضاة الله - تعالى - وطاعة له.
وأما أن تدع اللفظ على ظاهره فمحال، وإذا ثبت هذا فقوله:" في ذات الله و في ذات الإله" إنما يريد في الديانة أو الشريعة التي هي ذات الله، فذات وصف للديانة.(2)

---

1. نتائج الفكر في النحو 231/1
2. ينظر: بدائع الفوائد 245/2

دلالة في خوضهم

وفي قوله تعالى:﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام:91] (1)
يقول لنبيه محمد ﷺ: ثم ذر هؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام، بعد احتجاجك عليهم في قيلهم.....يعني: فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته (2)
والخوض:
حقيقته الدخول في الماء مشيا بالرجلين دون سباحة.
ثم استعير للتصرف الذي فيه كلفة أو عنت، كما استعير التعسف وهو المشي في الرمل لذلك.
واستعير الخوض أيضا للكلام الذي فيه تكلف الكذب والباطل؛ لأنه يتكلف له قائله، قال الراغب:
وأكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يذم الشروع فيه، قال تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ [الأنعام:68] (3) وقوله تعالى:﴿ نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة:65](4)
وغيرها من الآيات التي تدل على الخوض..فمعنى يخوضون في آياتنا يتكلمون فيها بالباطل والاستهزاء.
والخطاب للرسول ﷺ مباشرة وحكم بقية المسلمين كحكمه، كما قال في ذكر المنافقين ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء:140] (5)
والإعراض عنهم هنا هو ترك الجلوس إلى مجالسهم، وهو مجاز قريب من الحقيقة لأنه يلزمه الإعراض الحقيقي غالبا، فإن هم غشوا مجلس الرسول- عليه الصلاة والسلام-

---

1.سورة الأنعام، الآية:91
2.تفسير الطبري 529/11
3.سورة الأنعام، الآية:68
4.سورة التوبة،الآية:65
5.سورة النساء،الآية:140

فالإعراض عنهم أن يقوم عنهم وعن ابن جريج: فجعل إذا استهزأوا قام فحذروا وقالوا لا تستهزئوا فيقوم.
وفائدة هذا الإعراض زجرهم وقطع الجدال معهم لعلهم يرجعون عن عنادهم.
و(حتى): غاية للإعراض ؛ لأنه إعراض فيه توقيف دعوتهم زمانا أوجبه رعي مصلحة أخرى هي من قبيل الدعوة فلا يضر توقيف الدعوة زمانا، فإذا زال موجب ذلك عادت محاولة هديهم إلى أصلهم لأنها تمحضت للمصلحة.
وإنما عبر عن انتقالهم إلى حديث آخر بالخوض لأنهم لا يتحدثون إلا فيما لا جدوى له من أحوال الشرك وأمور الجاهلية. (1)

وفي قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود:110] (2) ، وقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [فصلت:45] (3) وآيتا هود وفصلت متشابهتان ....
فجمعت هذه المعاني جمعا بديعا في تعدية الاختلاف بحرف (في) الدالة على الظرفية المجازية وهي كالملابسة، أي فاختلف اختلافا يلابسه، أي يلابس الكتاب.
ولأن الغرض لم يكن متعلقا ببيان المختلفين ولا بذمهم ؛ لأن منهم المذموم وهم الذين أقدموا على إدخال الاختلاف، ومنهم المحمود وهم المنكرون على المبدلين.... بل كان للتحذير من الوقوع في مثله.
بني فعل (اختلف) للمجهول إذ لا غرض إلا في ذكر الفعل لا في فاعله.(4)

---

1. التحرير والتنوير 289/7
2.سورة هود،الآية:110
3.سورة فصلت ،الآية:45
4.التحرير والتنوير 170/12

وفي قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف:101] (1) ، "نظروا بأعين رءوسهم ؛ لأنهم فقدوا نظر القلب من حيث الاعتبار والاستدلال، ولم يكن لهم سمع الإجابة لما فقدوا من التوفيق، فتوجه عليهم التكليف ولم يساعدهم التعريف؛ لأنهم فقدوا من قبله- سبحانه- الإسماع فلم يستطيعوا لهم القبول.(2)
" والغطاء ما يغطي الشيء ويستره، عن ذكري، عن الإيمان والقرآن. وعن الهدى والبيان. وقيل: عن رؤية الدلائل. وكانوا لا يستطيعون سمعا، أي سمع القبول، والإيمان لغلبة الشقاوة عليهم.(3)
وبين تعالى أنه يكشفه للكافرين الذين عموا وصموا، أما العمى فهو المراد من قوله: كانت أعينهم في غطاء عن ذكري.
والمراد منه شدة انصرافهم عن قبول الحق، وأما الصمم فهو المراد من قوله: وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني أن حالتهم أعظم من الصمم؛ لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء زالت عنهم تلك الاستطاعة واحتج الأصحاب بقوله: وكانوا لا يستطيعون سمعا على أن الاستطاعة مع الفعل وذلك ؛ لأنهم لما لم يسمعوا لم يستطيعوا.(4)
أي هم بمنزلة من عينه مغطاة فلا ينظر إلى دلائل الله تعالى. (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي: لا يطيقون أن يسمعوا كلام الله تعالى، فهم بمنزلة من صم.(5)
وقوله تعالى:(الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري) أي: عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتوحيد والتعظيم.

1.سورة الكهف، الآية:101
2.لطائف الإشارات 4142/2
3.تفسير البغوي 220/3
4.تفسير الرازي 500/21
5. 5.تفسير القرطبي 65/11

وكانوا لا يستطيعون سمعا: استماعا لذكري وكلامي؛ لإفراط صممهم عن الحق، فإن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصمت مسامعهم بالكلية.(1)
وهذا يتضمن معنيين:
أحدهما: أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله، وأدلة توحيده، وعجائب قدرته.
والثاني: أن أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره، والاهتداء به. وهذا الغطاء للقلب أولا، ثم يسري منه إلى العين. (2)
وتخصيص العرض بهم مع أنها بمرأى من أهل الجمع قاطبة؛ لأن ذلك لأجلهم خاصة الذين كانت أعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب عن ذكري عن الآيات المؤدية لأولي الأبصار المتدبرين فيها إلى ذكرى بالتوحيد والتمجيد.
فالذكر مجاز عن الآيات المذكورة من باب إطلاق المسبب وإرادة السبب.
وفيه أن من لم ينظر نظرا يؤدي به إلى ذكر التعظيم كأنه لا نظر له البتة وهذا فائدة التجوز.(3)
وحرف (في) للظرفية المجازية، وهي تمكن الغطاء من أعينهم بحيث كأنها محوية للغطاء.
و(عن) للمجاوزة، أي عن النظر فيما يحصل به ذكري.(4)

1.تفسير البيضاوي 294/3
2.التفسير القيم 368/1
3. تفسير الألوسي 365/8
4. االتحرير والتنوير42/16

دلالة يسارعون في الخيرات

وفي قول الله تعالى:﴿ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون:61] (1)
ومعنى:(يسارعون في الخيرات)
يسارعون إليها أي: يرغبون في الاستكثار منها.
والمسارعة:
مستعارة للاستكثار من الفعل، والمبادرة إليه، تشبيها للاستكثار والاعتناء بالسير السريع لبلوغ المطلوب.
و(في) للظرفية المجازية.
وهي تخييلية تؤذن بتشبيه الخيرات بطريق يسير فيه السائرون، ولهؤلاء مزية السرعة في قطعه.

ولك أن تجعل مجموع المركب من قوله:(ويسارعون في الخيرات) تمثيلا لحال مبادرتهم وحرصهم على فعل الخيرات بحال السائر الراغب في البلوغ إلى قصده يسرع في سيره.
والإشارة بـ(أولئك) إلى الأمة القائمة الموصوفة بتلك الأوصاف.
وموقع اسم (الإشارة) التنبيه على أنهم استحقوا الوصف المذكور بعد اسم الإشارة بسبب ما سبق اسم الإشارة من الأوصاف.
فهي استعارة متكررة في القرآن وكلام العرب.(2)
والمسارعة: التعجيل.
وهي هنا: مستعارة لتوخي المرغوب والحرص على تحصيله.

1.سورة المؤمنون ،الآية:61
2. التحرير والتنوير 75/18

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ (ما أرى ربك إلا يسارع في هواك) (1)

أي: يعطيك ما تحبه؛ لأن الراغب في إرضاء شخص يكون متسارعا في إعطائه مرغوبه.

ويقال: فلان يجري في حظوظك.

ومتعلق (نسارع): محذوف.

تقديره:

نسارع لهم به، أي: بما نمدهم به من مال وبنين.

وحذف لدلالة نمدهم به عليه.

وظرفية (في) مجازية.

جعلت الخيرات بمنزلة الطريق يقع فيه المسارعة بالمشي فتكون (في) قرينة مكنية.

والخيرات:

جمع خير بالألف والتاء، وهو من المجموع النادرة مثل سرادقات.

والسرعة المشتق منها(سارعوا) مجاز في الحرص والمنافسة والفور إلى عمل الطاعات التي هي سبب المغفرة والجنة، ويجوز أن تكون السرعة حقيقة، وهي سرعة الخروج إلى الجهاد عند النفير كقوله:في الحديث: (وإذا استنفرتم فانفروا) (2)

والمسارعة:

على التقادير كلها تتعلق بأسباب المغفرة وأسباب دخول الجنة، فتعليقها بذات المغفرة والجنة من تعليق الأحكام بالذوات على إرادة أحوالها عند ظهور عدم الفائدة في التعلق بالذات.(3)

---

1. صحيح البخاري 117/6 ومسند أحمد مخرجا 297/43
2. صحيح البخاري 15/4
3. ينظر:التحرير والتنوير88/4

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا " رواه البخاري 15/4

وجيء بصيغة المفاعلة، مجردة عن معنى حصول الفعل من جانبين، قصد المبالغة في طلب الإسراع، والعرب تأتي بما يدل في الوضع على تكرر الفعل وهم يريدون التأكيد والمبالغة دون التكرير، ونظيره التثنية في قولهم: لبيك وسعديك، وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك:4] (1)

وتنكير (مغفرة) ووصلها بقوله: (من ربكم) مع تأتي الإضافة بأن يقال إلى مغفرة ربكم، لقصد الدلالة على التعظيم، ووصف الجنة بأن عرضها السماوات والأرض على طريقة التشبيه البليغ، بدليل التصريح بحرف التشبيه في نظيرتها في آية سورة الحديد.

والعرض في كلام العرب يطلق على ما يقابل الطول، وليس هو المراد هنا، ويطلق على الاتساع ؛لأن الشيء العريض هو الواسع في العرف بخلاف الطويل غير العريض فهو ضيق.

وذكر السماوات والأرض جار على طريقة العرب في تمثيل شدة الاتساع.

وتشبيه عرض الجنة بعرض السماء والأرض، أي مجموع عرضيهما لقصد تقريب المشبه بأقصى ما يتصوره الناس في الاتساع، وليس المراد تحديد ذلك العرض، ولا أن الجنة في السماء حتى يقال: فماذا بقي لمكان جهنم.(2)

وهذا الأمر شامل لجميع المسابقات إلى أفعال البر الموجبة للمغفرة ونعيم الجنة، وشامل للمسابقة الحقيقية مع المجازية على طريقة استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه؛ وهي طريقة شائعة في القرآن إكثارا للمعاني، ومنه الحديث:(لو يعلم الناس ما في الصف الأول لا ستبقوا إليه أو استهموا إليه)(3)

فكان مقتضى الظاهر أن يقال: سابقوا إلى المغفرة، أي: أكثروا من أسبابها ووسائلها: فالمسابقة إلى المغفرة هي المسابقة في تحصيل أسبابها.

1.سورة الملك، الآية:4

2. التحرير والتنوير 408/27

3.صحيح البخاري 126/1

والحديث هو: عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح، لأتوهما ولو حبوا) رواه البخاري 126/1

وهذا كقول العديل:*

ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط بأيدي الناعجات عريض (1)

والعرض: مستعمل في السعة وليس مقابل الطول لظهور أنه لا طائل في معنى ما يقابل الطول.

---

1. شرح ديوان الحماسة للتبريزي303/1

* العديل بن الفرخ (نحو 100 هـ/718 م)

العديل بن الفرخ العجليّ، من رهط أبي النجم، ويلقب بالعبّاب: شاعر فحل. اشتهر في العصر المرواني. وهجا الحجاج بن يوسف، وهرب منه إلى بلاد الروم، فبعث الحجاج إلى قيصر: لترسلنّ به أو لأجهزن إليك خيلا يكون أولها عندك وآخرها عندي، فبعث به إليه، فأنشده شعرا في مدحه يقول فيه: "

بنى قبة الإسلام حتى كأنما عدى الناس من بعد الضلال رسول

فعفا عنه وأطلقه.

ينظر: الأعلام للزركلي 222/4

ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط بأيدي الناعجات عريض

مهامة أشباه كأن سرابها ملاء بأيدي الغانيات رحيض

فقال أنا القائل

بني قبة الإسلام حتى كأنما هدى الناس من بعد الضلال رسول

فعفا عنه وأطلقه.

ينظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي303/1

المفردات:

الناعجات: الإبل السراع وقد نعجت وقيل الكرام الحسان الألوان من النعج

والنواعج من الإبل: السراع، نعجت الناقة في سيرها: أسرعت.

وإبل نواعج : سراع

والناعجات المسرعات بالنجا

يعني الخفاف من الإبل.

ينظر: مقاييس اللغة 5/ 448 وأساس البلاغة 2/ 284 والفائق في غريب الحديث 194/1

ومنه قوله تعالى:﴿ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران:133] (1)
وهذه السرعة من المؤمنين في تنفيذ التكاليف، دليل على عشق التكليف ؛لأنك تسارع لتفعل ما يطلبه منك من تحبه. .
أي: أن سرعتنا في العمل الصالح تنتهي بنا إلى المغفرة، إذن: فنحن قبل أن نسرع إلى الصالح من الأعمال لم نكن في المغفرة، وعندما نسارع نصل إليها.
وجاء مرة بقول (إلى) ، ومرة بقول (في) ؛ لأن كلا منها مناسبة ومفصلة حسب موقعها.
فالمسارعة إلى المغفرة تعني أن من يسارع إليها موجود خارجها، وهي الغاية التي سيصل إليها، أما من يسارع في الخيرات؛ فهو يحيا في الخير الآن، ونطلب منه أن يزيد في الخير. (2)
والمسارعة ترد في كتاب الله على معان: مرة يتعدى الفعل بإلى، مثل:قوله تعالى: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران:133] (3) ومرة يتعدى بـ(في) ، مثل قوله تعالى:﴿ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ [المؤمنون:61] (4)
فما الفرق بين المعنيين؟
سارع إلى كذا: إذا كنت خارجا عنه، وتريد أن تخطو إليه خطى عاجلة، لكن إن كنت في الخير أصلا وتريد أن ترتقي فيه تقول: سارع في الخيرات.
فالأولى : يخاطب بها من لم يدخل في حيز الخير، والأخرى لمن كان مظروفا في الخير، ويريد الارتقاء.
والغاية هنا هي المغفرة من الله وعلى المؤمن أن يسارع إليها، أما عندما يقال: (يسارع في كذا) أي: أنه كان في الأصل منغمسا في هذا الموضوع. وعندما يقول الحق: (يسارعون فيهم) أي: كأنهم كانوا مع هؤلاء الكفار من البداية، ولذلك فالمسارعة في ظرفيتهم. وبذلك يتهافتون عليهم.(5)

---

1. سورة آل عمران ،الآية:133
2. تفسير الشعراوي 7145/12
3. سورة آل عمران ،الآية:133
4. سورة المؤمنون ،الآية:61
5. تفسير الشعراوي 3198/5

وضد المسارعة إلى الإيمان المسارعة إلى الكفر،ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ [المائدة:41] (1)، فكأن المسارعة إما أن تكون بـ (إلى) وإما أن تكون بـ(في) . فإن كانت بـ(إلى) فهي انتقال إلى شيء لم يكن فيه ساعة بدْء السرعة ، وإن كانت بـ(في) فهي انتقال إلى عمق الشيء الذي كان فيه قبل أن يبدأ المسارعة.
يقال: أسرع فيه الشيب، وأسرع فيه الفساد، بمعنى: وقع فيه سريعا، فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم وتهافتهم فيه، أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها.(2)
"أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها، وتكون (من) الأولى والثانية على هذا تنبيها وتقسيما للذين يسارعون في الكفر، ويكون سماعون خبر مبتدأ محذوف أي: هم سماعون، ويسارعون، فقيل: ذلك من التضمين ضمن: يسارعون معنى: يقعون.
فعدي بـ(في)، وهي طريقة (الكشاف) وشروحه، وعندي أن هذا استعارة تمثيلية.
شبه حال حرصهم وجدهم في تفكير الناس وإدخال الشك على المؤمنين وتربصهم الدوائر وانتهازهم الفرص بحال الطالب المسارع إلى تحصيل شيء يخشى أن يفوته وهو متوغل فيه متلبس به، فلذلك عدي بـ(في) الدالة على سرعتهم سرعة طالب التمكين، لا طالب الحصول،إذ هو حاصل عندهم ولو عدي بـ(إلى) لفهم منه أنهم لم يكفروا عند المسارعة.
قيل: هؤلاء هم المنافقون." (3)
وقيل:
قوم أسلموا ثم خافوا من المشركين فارتدوا.
ويقول الحق لرسوله محمد ﷺ:﴿ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة:41] (4) وهذه ربوبية التعبير، فنحن نعلم أن السرعة تكون إلى الشيء، لا في الشيء كما قال الحق: ﴿ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران:133] (5)

1.سورة المائدة، الآية:41
2. الكشاف 632/1
3. البحر المحيط في التفسير 260/4
4.سورة المائدة، الآية:41
5.سورة آل عمران، الآية:133

ولكن هنا نجده يقول: ﴿ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [آل عمران:176] (1)، ولو قال الحق: (يسارعون إلى الكفر) لكان قد ثبت لهم إيمان وبعد ذلك يذهبون إلى الكفر، لا الحق يريد أن يوضح لنا: أنهم يسارعون في دائرة الكفر. ويعلمنا أنهم في البداية في الكفر، ويسارعون إلى كفر أشد.

ومن هذا القبيل قول الله تعالى:﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:62] (2)

والعدوان: الظلم.

وقيل: الإثم كلمة الشرك. وقولهم عزيز ابن الله.

وقيل: الإثم: ما يختص بهم.

والعدوان: ما يتعداهم إلى غيرهم.

والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة.

(لبئس ما كانوا يصنعون) كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكر ؛ لأن كل عامل لا يسمى صانعا، ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه، وكأن المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها، وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره، فإذا فرط في الإنكار كان أشد حالا من المواقع.(3)

ولعمري إن هذه الآية مما يقذ* السامع؛ وينعى على العلماء توانيهم.

1.سورة آل عمران، الآية:176

2.سورة المائدة، الآية:62

3. الكشاف 653/1

* (يقذ السامع) يعنى يخففه وينشطه. وهذا إن كان مشدد الذال من القذ. أو يضربه حتى يسترخى ويشرف على الموت. وهذا إن كان مخففا من الوقد.

(قَذَّ) القاف والذال قريب من الذي قبله، يدل على قطع وتسوية طولا وغير طول. من ذلك القذذ: ريش السهم، الواحدة قذة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي أشد آية في القرآن.
وعن الضحاك: ما في القرآن آية أخوف عندي منها.
يعنى أنه لما عبر عن الواقع المذموم من مرتكبي المناكير بالعمل في قوله: (لبئس ما كانوا يعملون) وعبر عن ترك الإنكار عليهم حيث ذمه بالصناعة في قوله:(لبئس ما كانوا يصنعون) كان هذا الذم أشد؛ لأنه جعل المذموم عليه صناعة لهم وللرؤساء، وحرفة لازمة هم فيها أمكن من أصحاب المناكير في أعمالهم. وهذا مراده والله أعلم.(1)

ونلاحظ أن كلمة (سارع) مثلها مثل كلمة (نافس) تدل على أن هناك أناسا في سباق؛ كأنهم يتسابقون على الإثم والعدوان، كأن الأثم والعدوان غاية منصوبة في أذهانهم، ومتفقة مع قلوبهم.
وأكثر استعمال المسارعة في الخير، فكأن هذه المعاصي عندهم من قبيل الطاعات، فلذلك يسارعون فيها.
والإثم يتناول كل معصية يترتب عليها العقاب، فجرد من ذلك العدوان وأكل السحت، وخصا بالذكر تعظيما لهاتين المعصيتين وهما: ظلم غيرهم، والمطعم الخبيث الذي ينشأ عنه عدم قبول الأعمال الصالحة. (2) ثم تتجلى دقة الأداء القرآني - كما هو دائما - في قوله الحق:﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة:63] (3) فتذييل الآية السابقة يفرق بين بئس عن صناعة وبئس عن عمل. وبئس الربانيون والأحبار هو بئس الصناعة. ونعلم أن كل جارحة من جوارح الإنسان لها حدث خاص بها: فالعين حدثها أن ترى، والأذن حدثها السمع، واليد اللمس ومناولة الفعل، والرّجل تسعى، واللسان مجال عمله الكلام. والجوارح تنقسم إلى قسمين: اللسان وحدثه القول، وبقية الجوارح أحداثها أفعال. (4) إذن فالقول مقابله الفعل، والقول عمل، والفعل عمل. وما دام هناك قول وفعل من عامة. أهل الكتاب في ذلك المجال

1.الكشاف 654/1
2.البحر المحيط في التفسير 311/4
3.سورة المائدة، الآية:41
4.تفسير الشعراوي 3258/6

لذلك يقول الحق: ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[المائدة:62] (1).وقال عن الربانيين والأحبار:﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:63] (2)؛لإيضاح الفرق بين من يعمل ومن يصنع، فمن فُتق ثوبه بإبرة وخيط ليصلحه، فهو خائط، ولكن الذي يحترف ذلك هو:(الخيَّاط) ؛ فصاحب الحرفة هو من يأخذ وصفها؛ لأنه يجيدها، أما الذي يمارسها لمرة واحدة فلا يأخذ من الصنعة إلا بقدر ما يدل على أنه لم يتقنها.

وكان الربانيون والأحبار قد اتخذوا أمر الدين والكهنوت صناعة بتجويد كبير. وذلك هو الذي جعل السلطة التقنينية في العالم كله تنتقل من منهج السماء إلى منهج الأرض. (3)

1.سورة المائدة، الآية:62

2.سورة المائدة، الآية:63

3.تفسير الشعراوي3136/5

دلالة سقط في أيديهم

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:149] (1)

اللغة:

(سقط في أيديهم):اضطربت أقوال أهل اللغة في أصل هذه الكلمة، وهي تستعمل للندم والتحير.

قال ابن عطية:(وحُدثت عن أبي مروان بن سراج) أنه كان يقول قول العرب : سقط في يده مما أعياني معناه.

وقال الواحدي: قد بان من أقوال المفسرين وأهل اللغة أن سقط في يده: ندم. وأنه يستعمل في صفة النادم.

وعبارة الفراء: يجوز سقط وأسقط، وترك الهمزة هو الأكثر الأجود، وسقط بالفتح والبناء للفاعل لغة قليلة.

قال الأخفش: وقد قرئ بها في الشواذ كأنه أضمر الندم، أي:سقط الندم في أيديهم.

وقرأ أبو السميقع: سقط في أيديهم، على تسمية الفاعل، أي وقع العض فيها.

وقال المطرزي: سقط في يده مثل يضرب للنادم المتحير.

ومعناه ندم ؛ لأن من شأن من اشتد ندمه أن يعض يده فتصير يده مسقوطا فيها، كأن فاه وقع فيها. (2)

وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف، وعاجز عن شيء: "قد سُقِط في يديه" و"أسقط"، لغتان فصيحتان.

ومنه قراءة ابن أبي عبلة أسقط رباعيا مبنيا للمفعول. وأنها لغة نقلها الفراء والزجاج.

وأصله من الاستئسار، وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه، فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره، فيكتفه. فالمرميّ به مسقوط في يدي الساقط به.

1.سورة الأعراف، الآية:149

2. إعراب القرآن وبيانه456/3

فقيل لكل عاجز عن شيء، وضارع لعجزه، (1) متندِّمٍ على ما قاله: "سقط في يديه" و"أسقط".
(وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ) ولما اشتدّ ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل ؛ لأنّ من شأن من اشتدّ ندمه وحسرته أن يعض يده غما، فتصير يده مسقوطا فيها؛ لأن فاه قد وقع فيها.
وسُقِطَ مسند إلى فِي أَيْدِيهِمْ وهو من باب الكناية.
وقال الزجاج: معناه سقط الندم في أيديهم، أي: في قلوبهم وأنفسهم، كما يقال: حصل في يده مكروه، وإن كان محالا أن يكون في اليد، تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين. (2)
وقال ابن عطية: العرب تقول لمن كان ساعيا لوجه أو طالبا غاية فعرض له ما صده عن وجهته وأوقفه موقف العجز عن بغيته ، وتيقن أنه قد عجز سقط في يد فلان وقد يعرض له الندم وقد لا يعرض.
قال: والوجه الذي يصل بين هذه الألفاظ وبين المعنى الذي ذكرناه هو أن السعي أو الصرف أو الدفاع سقط في يد المشار إليه فصار في يده لا يجاوزها ولا يكون له في الخارج أثر. (3)
و(سُقط في أيديهم) كلمة أجراها القرآن مجرى المثل، حيث اشتملت على إيجاز بديع وكناية واستعارة ؛ فإن اليد تستعار للقوة والنصرة إذ بها يضرب بالسيفِ والرمح.
ولذلك حين يدعون على أنفسهم بالسوء يقولون : شَلّتْ من يديّ الأنامل.
وهي آلةُ القدرة قال تعالى:(ذا الأيدي)
ويقال : ما لي بذلك يدٌ ، أو ما لي بذلك يدان أي: لا أستطيعه.
والمرء إذا حصل له شلل في عضد ولم يستطع تحريكه يحسن أن يقال : سقط في يده ساقط ، أي: نزل به نازل .

---

1. تفسير الطبري118/13
2. الكشاف 160/2
3. تفسير ابن عطية455/2

ولما كان ذكر فاعل السقوط المجهول لا يزيد على كونه مشتقا من فعله ، ساغ أن يبنى فعله للمجهول فمعنى (سُقط في يده) سقط في يده ساقط فأبطل حركة يده.
إذ المقصود أن حركة يده تعطلت بسبب غير معلوم ، إلاّ بأنه شيء دخل في يده فصيّرها عاجزة عن العمل وذلك كناية عن كونه قد فجأه ما أوجب حيرته في أمره ، كما يقال: فُتَ في ساعده.
وقد استعمل في الآية في معنى الندم وتبيُّن الخطأ لهم.
فهو تمثيل لحالهم بحال من سُقط في يده حين العمل.
وقيل: من عادة النادم أن يطأطئ رأسه ويضع ذقنه على يده معتمدا عليها ويصير على هيئة لو نزعت يده لسقط على وجهه، فكأن اليد مسقوط فيها.
والمعنى:
أنهم تبين لهم خطأهم وسوء معاملتهم ربهم ونبيهم ، فالندامة هي معنى التركيب كله.
وأما الكناية فهي في بعض أجزاء المركب وهو سقط في اليد.
وقال الزجاج هو نظم لم يسمع قبل القرآن ، ولم تعرفه العرب .
قلت وهو القول الفصل ، فإني لم أره في شيء من كلامهم قبل القرآن ، فقول ابن سراج : قول العرب سقط في يده ، لعله يريد العرب الذين بعد القرآن . (1)
وقيل: هو مأخوذ من السِّقاط وهو كثرة الخطأ، والخاطئ يندم على فعله. قال ابن أبي كاهل:
كيف يرجون سقاطي بعدما لفع الرأس بياض وصلع (2)
وقيل: معناه سقط الندم في أنفسهم.
وقيل: هو مأخوذ من السقيط، وهو ما يغشي الأرض من الجليد يشبه الثلج؛ يقال منه: سقطت الأرض كما يقال: ثلجت، والسقط والسقيط يذوب بأدنى حرارة ولا يبقى، ومن وقع

---

1. التحرير والتنوير463/5
2. ينظر: البحر المحيط 178/5 والدر المصون463/5

في يده السقيط لم يحصل منه على شيء فصار هذا مثلا لكل من خسر في عاقبته ولم يحصل من بغيته على طائل.
والفعل سقط في يده عده بعضهم في الأفعال التي لا تتصرف كنعم وبئس، فلا يستعمل منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مفعول. وكان أصله متصرفا تقول: سقط الشيء إذا وقع من علو. فهو في الأصل متصرف لازم، وقال الجرجاني: سقط في يده مما دثر استعماله مثل ما دثر استعمال قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ [الكهف:11] (1)
وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ معناه ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل.
واختلفوا في وجه هذه الاستعارة فقال الزجاج: أريد بالأيدي القلوب والأنفس كما يقال حصل في يده مكروه وإن كان من المحال حصول المكروه في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين.
وقيل: كل عمل يقدم المرء عليه فذلك لاعتقاد أن ذلك العمل خير وصواب وأنه يورثه رفعة ورتبة، فإذا بان أن ذلك العمل باطل فكأنه انحط وسقط من علو إلى أسفل ومنه قولهم للرجل إذا أخطأ (ذلك منه سقطة) ثم إن اليد آلة البطش والأخذ والنادم كأنه تدارك الحالة التي لأجلها حصل له الندم وكأنه قد سقط في يد نفسه من حيث أنه بعد حصول ذلك الندم يشتغل بالتدارك والتلافي.
وقال بعضهم: الآلة الأصلية في أكثر الأعمال اليد والعاجز في حكم الساقط فسقاط اليد هو العجز التام كما يقال في العرف ضل يده ورجله لمن لا يهتدي إلى صلاحه.
وقيل: إن (في) بمعنى:(على) أي سقط على أيديهم فإن من عادة النادم أن يطأطئ رأسه ويضعه على يده تحت ذقنه. (2)
(ولما سقط فى أيديهم) أي: ندموا غاية الندم فإن ذلك كناية عنه لأن النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها.

1.سورة الكهف ،الآية:11
2. تفسير النيسابوري 320/3

وقال الزجاج معناه سقط الندم في أنفسهم إما بطريق الاستعارة بالكناية أو بطريق التمثيل(1) وخلاصة القول :

اشتملت الآية الكريمة على الكناية في قوله: (سقط في أيديهم) فهي كناية عن الندم فإن العادة أن الإنسان إذا ندم على شيء عض بفمه على أصابعه، فسقوط الأفواه على الأيدي لازم للندم، فأطلق اسم اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكناية.

وقال الزمخشري:"ولما سقط في أيديهم: ولما اشتد ندمهم، وحسرتهم على عبادة العجل، لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها".

وقال القطب في شرح الكشاف: إنه على تفسير الزجاج استعارة تمثيلية، لأنه شبه حال الندم في القلب بحال الشيء في اليد.

وفيل: هو على تفسيره، استعارة بالكناية في الندم بتشبيهه ما يرى في العين. (2)

1.الكشاف 290/2

2. إعراب القرآن وبيانه 459/3

إيثار اللام وفي

وفي قول الله تعالى:﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:60] (1)

والفقير صفة مشبّهة أي: المتّصف بالفقر وهو عدم امتلاك ما به كفاية لوازم الإنسان في عيشه ، وضدّه الغني.

والمسكين ذو المسكنة ، وهي المذلّة التي تحصل بسبب الفقر ، ولا شكّ أنّ ذكر أحدهما يغني عن ذكر الآخر ، وإنّما النظر فيما إذا جُمع ذكرهما في كلام واحد؛ فقيل : هو من قبيل التأكيد.

(والعاملين عليها)معناه: العاملون لأجلها ، أي لأجل الصدقات؛ فحرف (على) للتعليل كما في قوله:﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:185] (2) أي: لأجل هدايته إيّاكم.

ومعنى العمل السعي والخدمة وهؤلاء هم الساعون على الأحياء لجمع زكاة الماشية واختيار حرف (على) في هذا المقام لما يشعر به أصل معناه من التمكّن. أي: العاملين لأجلها عملا قويا لأنّ السعاة يتجشّمون مشقّة وعملا عظيما ، ولعلّ الإشعار بذلك لقصد الإيمان إلى أنّ علّة استحقاقهم مركّبة من أمرين : كون عملهم لفائدة الصدقة ، وكونه شاقّا.

ويجوز أن تكون (على) دالّة على الاستعلاء المجازي ، وهو استعلاء التصرف كما يقال : هو عامل على المدينة ، أي: العاملين للنبي أو للخليفة على الصدقات أي متمكّنين من العمل فيها .(3)

1.سورة التوبة، الآية:60

2.سورة البقرة،الآية:185

3.التحرير والتنوير314/6

و(في) للظرفية المجازية وهي مغنية عن تقدير:(فكّ الرقاب) ؛ لأنّ الظرفية جَعلت الرقاب كأنّها وُضعت الأموالُ في جماعتها ، ولم يجرّ بـ(اللاّم)؛ لئلا يتوهّم أنّ الرقاب تدفع إليهم أموال الصدقات ، ولكن تُبذل تلك الأموال في عتق الرقاب بشراء أو إعانة على نجوم كتابة ، أو فداءِ أسرى مسلمين؛ لأنّ الأسرى عبيد لمن أسَّروهم.

فأمّا ما يتعلّق بجعل الصدقات لهؤلاء الأصناف فبقطع النظر عن حمل (اللام) في قوله: (للفقراء):على معنى الملك أو الاستحقاق. (1)

والعدول عن (اللام) إلى (فِي) في الأربعة الأخيرة على ما قال الزمخشري للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق الصدقة ممن سبق ذكره لما أن (في) للظرفية المنبئة عن إحاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها وعليه فأ(اللام) لمجرد الاختصاص ، وفي الانتصاف أن ثم سرا آخر هو أظهر وأقرب وذلك أن الأصناف الأوائل ملاك لما عساه أن يدفع إليهم وإنما يأخذونه تملكاً فكان دخول (اللام) لائقا بهم.

وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون لما يصرف نحوهم بل ولا يصرف إليهم ولكن يصرف في مصالح تتعلق بهم ، فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون أو البائعون فليس نصيبهم مصروفاً إلى أيديهم حتى يعبر عن ذلك بـ(اللام) المشعرة بملكهم لما يصرف نحوهم وإنما هم محال لهذا الصرف ولمصالحه المتعلقة به ، وكذلك الغارمون إنما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصاً لذممهم لا لهم ، وأما في سبيل الله فواضح فيه ذلك ، وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجاً في سبيل الله ، وإنما أفرد بالذكر تنبيهاً على خصوصيته مع أنه مجرد من الحرفين جميعاً .

وعطفه على المجرور بـ(اللام) ممكن ولكن عطفه على القريب أقرب ، وما أشار إليه من أن المكاتب لا يملك وإنما يملك المكاتب هو الذي أشار إليه بعض أصحابنا

والمشهور أن (اللام) للملك عند الشافعية وهو الذي يقتضيه مذهبهم حيث قالوا : لا بد من صرف الزكاة إلى جميع الأصناف إذا وجدت ولا تصرف إلى صنف مثلا ولا إلى أقل من ثلاثة من كل صنف بل إلى ثلاثة أو أكثر إذا وجد ذلك.(2)

1.التحرير والتنوير314/6

2. تفسير الألوسي 266/7

ويفرق الشيخ الشعراوي رحمه الله بين لفظ الفقير والمسكين فقال:"وهنا يقول الحق:
في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ... ﴾ [التوبة:60] (1)
وقد احتار العلماء في ذلك، فقال بعضهم: إن الفقير هو الذي لا يجد شيئاً فهو مُعدم.
والمسكين هو من يملك شيئاً ولكنه لا يكفيه، وعلى هذا يكون المسكين أحسن حالاً من الفقير، واستندوا في ذلك إلى نص قرآني في قوله تعالى:﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف:79] (2) وما دام هؤلاء المساكين يملكون سفينة إذن فعندهم شيء يملكونه. ولكن العائد الذي تأتي به السفينة لا يكفيهم.

ولكن بعض العلماء قالوا عكس ذلك، ورأوا أن المسكين هو من لا يملك شيئا مطلقا، والفقير هو الذي يجد الكفاف. وعلى هذا يكون الفقير أحسن حالا من المسكين، ولا أعتقد أن الدخول في هذا الجدل له فائدة؛ لأن الله أعطى الاثنين. . الفقير والمسكين. وكلمة:
(فقير) معناها الذي أتعبت الحياة فقار ظهره أي :فقرات ظهره، وحاله يغني للتعبير عنه، والمسكين هو الذي أذهلته المسكنة. (3)
قالوا: وأصل الفقير في اللغة:
الشخص الذي كسر فقار ظهره، ثم استعمل فيمن قل ماله لانكساره بسبب احتياجه إلى غيره.
أو هو من الفقرة بمعنى الحفرة، ثم استعمل فيما ذكر لكونه أدنى حالا من أكثر الناس، كما أن الحفرة أدنى من مستوى سطح الأرض المستوية.
والمساكين: جمع مسكين، وهو من لا شيء له، فيحتاج إلى سؤال الناس لسد حاجاته ومطالب حياته.
والمسكين هو الذي أذهلته المسكنة. (4)

1.سورة التوبة، الآية:60
2.سورة الكهف،الآية:79
3.تفسير الشعراوي 5221/9
4.تفسير الوسيط لطنطاوي325/6

ويرى الزمخشري أن الصدقات هي مقصورة على الأصناف الثمانية فقال:"قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها ، لا تتجاوزها إلى غيرها، كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم،ونحوه قولك:إنما الخلافة لقريش ، تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها ، وعليه مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه .

وتساءل عن السر في العدول عن (اللام) إلى (في) فقال:

فإن قلت : لم عدل عن اللام إلى (في) في الأربعة الأخيرة ؟

قلت : للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره؛لأن (في) للوعاء ، فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصباً ، وذلك لما في فكّ الرقاب من الكتابة أو الرقّ أو الأسر، وفي فكّ الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ ، ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة ، وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال.

وتكرير(في) في قوله:(وفي سبيل الله وابن السبيل): فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين.(1)

ويقتفي صاحب المثل السائر حذو الزمخشري فيقول:فإنه إنما عدل عن اللام إلى (في) في الثلاثة الأخيرة للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره باللام؛ لأن (في) للوعاء، فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات كما يوضع الشيء في الوعاء، وأن يجعلوا مظنة لها، وذلك لما في فك الرقاب، وفي الغرم من التخلص، وتكرير (في) في قوله:(وفي سبيل الله) ، دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين ،

وسياق الكلام أن يقال:(وفي الرقاب والغارمين، وسبيل الله وابن السبيل)، فلما جيء بفي ثانية، وفصل بها بين (الغارمين) وبين (سبيل الله) علم أن سبيل الله أوكد في استحقاق النفقة فيه.

وهذه لطائف ودقائق لا توجد إلا في هذا الكلام الشريف، فاعرفها، وقس عليها.(2)

---

1. الكشاف 438/2

2.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي189/2

وللزمخشري مقدرة عجيبة في لمح ما رواء الحروف من تصوير وتجسيد.
وانظر كيف أشار القرآن بالمحافظة بين (اللام)، و(في) في آية الصدقة إلى الأهلية، وأولوية الاستحقاق في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:60] (1)
قالوا: فهذه أصناف ثمانية جعل الله الصدقات مصروفة فيهم لكونهم أهلا لها، ومستحقين لصرفها، لكن الله تعالى خص المصارف الأربعة الأولى بـ(اللام) دون (على) ، دلالة على الملك والأهلية للاستحقاق، وعدل عن (اللام) إلى حرف (الوعاء) في الأصناف الأربعة الأخر، وما ذلك إلا للإيذان بأن أقدامهم أرسخ في الاستحقاق للصدقة، وأعظم حاجة في الافتقار من حيث كانت (في) دالة على الوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات، كما يوضع الشيء في الوعاء، وأن يجعلوا مظنة لها، وذلك لما في فك الرقاب.
وفي الغرم من الخلاص من الرق، والدين اللذين يشتملان على النفس، وشغل القلب بالعبودية والغرم، ثم تكرر الحرف في قوله:(وفي سبيل الله) قرينة مرجحة له على الرقاب والغارمين، وكان سياق الكلام يقتضي أن يقال: وفي الرقاب والغارمين، وسبيل الله وابن السبيل، فلما جيء بـ(في) مرة ثانية مع سبيل الله علم أن السبيل آكد في الاستحقاق بالصرف فيه من أجل عمومه، وشموله لجميع القربات".
وهذا ومثله إنما يكشف لنا جوانب من دقة اللغة، واستخدام القرآن الكريم لكلماتها، وحروفها استخداما بلغ الغاية في دقة التعبير، كما أنه كشف عن طاقة عجيبة تكمن في كلمات اللغة وتراكيبها.

ونحن وإن كنا نقع على أمثال هذه الفروق في الشعر، والكلام المختار إلا أنها لا تطرد، ولا تسخو كما تطرد وتسخو في القرآن.(2)

1.سورة التوبة، الآية:60
2.خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني 321/1

ولصاحب الطراز لأسرار البلاغة تخريج بديع لهذه الآية المباركة استنبطه من كلام الزمخشري فقال:" فهذه أصناف ثمانية، جعل الله الصدقات مصروفة فيهم لكونهم أهلا لها ومستحقين لصرفها، لكن الله تعالى خص المصارف الأربعة الأول بـ(اللام)، دلالة على الملك والأهلية للاستحقاق، وعدل عن (اللام) إلى حرف الوعاء فى الأصناف الأربعة الأخر، وما ذاك إلا للإيذان بأن أقدامهم أرسخ فى الاستحقاق للصداقة، وأعظم حاجة فى الافتقار من حيث كانت دالة على الوعاء، فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات كما يوضع الشيء فى الوعاء وأن يجعلوا مظنة لها، وذلك لما فى فك الرقاب وفى الغرم من الخلاص عن الرق والدين اللذين يشتملان على النقص، وشغل القلب، بالعبودية، والغرم، ثم تكرير الحرف (فى) في قوله: (وفي سبيل الله)
قرينة مرجحة له على الرقاب والغارمين، وكان سياق الكلام يقتضى أن يقال: وفى الرقاب والغارمين وسبيل الله وابن السبيل. فلما جىء بـ:(فى) مرة ثانية وفصل بها سبيل الله ، علم أن السبيل آكد فى الاستحقاق بالصرف فيه من أجل عمومه وشموله لجميع القربات الشرعية والمصالح الدينية.(1)

ونلاحظ مخالفة الحروف لدلالة بلاغية في قوله تعالى :(إنما الصدقات للفقراء) إلى آخر الآية فن طريف من فنون البلاغة لطيف المأخذ، دقيق المغزى، قلّ من يتفطن إليه فقد عدل عن(اللام) إلى (في)، في الأربعة الأخيرة وذلك لسرّ يخفى على المتأمل السطحي، وهو أن الأصناف الأربعة الأوائل وهم الفقراء والمساكين والعاملون عليها والمؤلفة قلوبهم ملاك لما عساه يدفع إليهم فكان دخول (اللام) لائقا بهم، وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم بل ولا يصرف إليهم ولكن في مصالح تتعلق بهم فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون فليس نصيبهم مصروفا إلى أيديهم حتى يعبر عن ذلك بـ(اللام) المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم ؛ وإنما هم محالّ لهذا الصرف، والمصلحة المتعلقة به، وكذلك العاملون إنما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصا لذممهم لا لهم وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك، وأما ابن

---

1. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز 31/2

السبيل فكأنه كان مندرجا في سبيل الله وإنما أفرد بالذكر تنبيها على خصوصيته مع أنه مجرد من الحرفين جميعا وعطفه على المجرور بـ(اللام) ممكن ولكنه على القريب منه أقرب، إذا تقرر هذا تبين لك ما تميز به الأئمة الأربعة من رهافة ذوق وإصابة حدس في استنباط الأصول الفقهية من مخالفة الحروف، ووجه آخر أشار إليه الزمخشري وذكره ابن الأثير في كتابه الممتع المثل السائر(1)

ولنختم بما قاله فارس البلاغة ابن الأثير فقال: وأما حروف الجر فإن الصواب يشذ عن وضعها في مواضعها، وقد علم أن (في) للوعاء، و(على) للاستعلاء كقولهم: زيد في الدار، وعمرو على الفرس، لكن إذا أريد استعمال ذلك في غير هذين الموضعين مما يشكل استعماله عدل فيه عن الأولى.

وهذه لطائف دقيقة وأسرار غامضة يدريها من ضرب فى هذه الصناعة بعرق، وظفر فيها بحظ.

---

1. إعراب القرآن وبيانه 118/4

(في) الظرفية بمعنى: (من)

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه:131] (1)

والفتنة:

اضطراب النفس وتبلبل البال من خوف أو توقع أو التواء الأمور، وكانوا لا يخلون من ذلك، فلشركهم يقذف الله في قلوبهم الغم والتوقع، وفتنتهم في الآخرة ظاهرة.

فالظرفية هنا كالتي في قول سبرة بن عمرو الفقعسي:

نحابي بها أكفاءنا ونهينها ونشرب في أثمانها ونقامر

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾ [القصص:77] (2)

وابتغاء الدار الآخرة طلبها، أي: طلب نعيمها وثوابها.

وعلق بفعل الابتغاء.

قوله:(فيما آتاك الله) بحرف الظرفية، أي: اطلب بمعظمه وأكثره.

والظرفية مجازية للدلالة على تغلغل ابتغاء الدار الآخرة في ما آتاه الله وما آتاه هو كنوز المال، فالظرفية هنا كالتي في قوله تعالى:﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [النساء:5] (3) ،أي: منها ومعظمها.

أي:اطلب بكنوزك أسباب حصول الثواب بالإنفاق منها في سبيل الله وما أوجبه ورغب فيه من القربان ووجوه البر.

والنهي في ولا تنس نصيبك مستعمل في الإباحة. والنسيان كناية عن الترك.(4)

1.سورة طه،الآية:131

2.سورة القصص،الآية:77

3.سورة النساء،الآية:5

4. التحرير والتنوير 178/20

* وهو من شعر الحماسة يذكر فيه إبل الدية.

قال ذلك من أبيات يذكر أن أحد بني أسد عيره بأخذ الدية عن قتيل.

ينظر: التحرير والتنوير 341/16

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم:39] (1)
وقوله: (لتربوا في أموال الناس)
خطاب للفريق الآخذ.
ولتربوا: لتزيدوا، أي: لأنفسكم أموالا على أموالكم.
وفي للظرفية المجازية بمعنى: (من) الابتدائية.
أي: لتنالوا زيادة وأرباحا تحصل لكم من أموال الناس، فحرف (في) هنا كالذي في قول سبرة الفقعسي:
ونشرب في أثمانها ونقامر
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ [لقمان:14]
(2) وذكر لمدة فطامه أقصاها وهو عامان؛ لأن ذلك أنسب بالترقيق على الأم، وأشير إلى أنه قد يكون الفطام قبل العامين بحرف الظرفية ؛لأن الظرفية تصدق مع استيعاب المظروف جميع الظرف، ولذلك فموقع (في) أبلغ من موقع (من) التبعيضية في قول سبرة بن عمرو الفقعسي: (3)

وفي قول الله تعالى:﴿ ۖلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [غافر:80] (4)

ولما كانت المنافع ليست منحصرة في أجزاء الأنعام جيء في متعلقها بحرف (في) دون (من)؛ لأن (في) للظرفية المجازية بقرينة السياق فتشمل كل ما يعد كالشيء

1.سورة الروم، الآية:39
2.سورة لقمان، الآية:41
3.التحرير والتنوير159/21
4.سورة غافر، الآية:80

المحوي في الأنعام، كقول سبرة بن عمرو الفقعسي من شعراء الحماسة يذكر ما أخذه من الإبل في دية قريب:

نحابي بها أكفاءنا ونهينها ونشرب في أثمانها ونقامر

وأنبأ فعل (لتبلغوا) : أن الحاجة التي في الصدور حاجة في مكان بعيد يطلبها صاحبها.

والحاجة: النية والعزيمة.

والصدور:

أطلق على العقول اتباعا للمتعارف الشائع كما يطلق القلوب على العقول.(1)

ومنه قول الله تعالى:﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف:28] (2) وذلك أن (في) ترد للتبعيض كما ذكرناه في قول الله عز وجـلّ : ﴿ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء:5] (3)

والعقب:

الذرية الذين لا ينفصلون من أصلهم بأنثى، أي جعل إبراهيم كلمة التوحيد باقية في عقبه بالوصاية عليها راجيا أنهم يرجعون، أي يتذكرون بها التوحيد إذا ران رين على قلوبهم، أو استحسنوا عبادة الأصنام كما قال قوم موسى: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف: 138] (4) فيهتدون بتلك الكلمة حين يضيق الزمن عن بسط الحجة. وهذا شأن الكلام الذي يجعل شعارا لشيء فإنه يكون أصلا موضوعا قد تبين التوحيد في الدنيا ومعاقبين عليه في الآخرة.(5)

---

1. التحرير والتنوير216/24
2.سورة الزخرف ، الآية:28
3.سورة النساء ، الآية:5
4.سورة الأعراف، الآية:138
5. التحرير والتنوير195/25

و(باقية في عقبه): أراد منه مصالح لعقبه منها أنه رجا بذلك أن يرجعوا إلى نبذ عبادة الأصنام إن فتنوا بعبادتها أو يتذكروا بها الإقلاع عن عبادة الأصنام إن عبدوها.
فمعنى الرجوع، العود إلى ما تدل عليه تلك الكلمة.

فحرف (لعل) لإنشاء الرجاء، والرجاء هنا رجاء إبراهيم لا محالة، فتعين أن يقدر معنى قول صادر من إبراهيم بإنشاء رجائه، بأن يقدر: قال: لعلهم يرجعون، أو قائلا: لعلهم يرجعون.
والرجوع:
مستعار إلى تغيير اعتقاد طارئ باعتقاد سابق، شبه ترك الاعتقاد الطارئ والأخذ بالاعتقاد السابق برجوع المسافر إلى وطنه أو رجوع الساعي إلى بيته.(1)
والمعنى:
يرجع كل من حاد عنها إليها، وهذا رجاؤه قد تحقق في بعض عقبه ولم يتحقق في بعض كما قال تعالى:﴿ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:124] (2)

وفي قوله تعالى:﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:9] (3)

وفي لفظ الميزان وما قارنه من فعل وضع وفعلي (ألا تطغوا وأقيموا)، وحرف الباء في قوله: (بالقسط)

وحرف (في) من قوله: (في الميزان).

---

1. التحرير والتنوير 195/25
2.سورة البقرة ،الآية:124
3.سورة الرحمن ،الآية:9

ولفظ بالقسط، كل هذه تظاهرت على إفادة هذه المعاني وهذا من إعجاز القرآن.
والطغيان:
دحض الحق عمدا واحتقارا لأصحابه، فمعنى الطغيان في العدل الاستخفاف بإضاعته وضعف الوازع عن الظلم.
ومعنى الطغيان في وزن المقدرات تطفيفه.

و(في) من قوله:(في الميزان) ظرفية مجازية تفيد النهي عن أقل طغيان على الميزان.
أي:ليس النهي عن إضاعة الميزان كله بل النهي عن كل طغيان يتعلق به على نحو الظرفية في قوله تعالى:﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ ﴾ [النساء:5] (1) ، أي ارزقوهم من بعضها، وقول سبرة بن عمرو الفقعسي:
نُحَابِي بِهَا أَكْفَاءَنَا وَنُهِينُهَا وَنَشْرَبُ فِي أَثْمَانِهَا وَنُقَامِرُ
إذ أراد أنهم يشربون الخمر ببعض أثمان إبلهم ويقامرون، أي أن لهم فيها منافع أخرى وهي العطاء والأكل منها لقوله في صدر البيت:
نحابي بها أكفاءنا ونهينها.
والإقامة:
جعل الشيء قائما، وهو تمثيل للإتيان به على أكمل ما يراد له
والوزن حقيقته:
تحقيق تعادل الأجسام في الثقل، وهو هنا مراد به ما يشمل تقدير الكميات وهو الكيل والمقياس.(2)

1.سورة النساء، الآية:5
2.التحرير والتنوير239/27

وتكون (في) مرادفة (من) كقوله:*

ألا عم صباحا أَيهَا الطلل الْبَالِي وَهل يعمن من كَانَ فِي الْعَصْر الْخَالِي (1)

وَهل يعمن من كَانَ أحدث عَهده ثَلَاثِينَ شهرا فِي ثَلَاثَة أَحْوَال

وقال ابن جني التقدير في عقب ثلاثة أحوال ولا دليل على هذا المضاف وهذا نظير إجازته جلست زيدا بتقدير جلوس زيد مع احتماله لأن يكون أصله إلى زيد ؛ وقيل الأحوال جمع حال لا حول أي ثلاث حالات نزول المطر وتعاقب الرياح ومرور الدهور وقيل يريد أن أحدث عهده خمس سنين ونصف فـ:(في) بمعنى(مع) (2)

---

1. شرح الأشمونى لألفية ابن مالك 85/2
2. مغني اللبيب 225/1

* القائل: هو امرؤ القيس بن حجر الكندي.

تخريج الشاهد: هذا الشاهد هو مطلع قصيدة طويلة للشاعر.وهو من شواهد: التصريح: 1/ 133، والأشموني: "90/ 1/ 69"، وسيبويه: 2/ 227 وأمالي ابن الشجري: 1/ 274، وشرح المفصل: 7/ 153، والعيني: 1/ 433، وهمع الهوامع: 2/ 83، والدرر اللوامع: 17/2.

المفردات الغريبة: عم صباحا: إحدى تحيات العرب الجاهليين في الصباح، وفي المساء: عم مساء، وعم ظلاما.

وعم: فعل أمر أصله أنعم، حذفت الهمزة والنون تخفيفا.

الطلل: كل ما بقي شاخصا من آثار الديار. الخالي: السالف.

المعنى:

يحيي الشاعر أطلالا فيقول: أنعم الله صباحك أيها الأثر الذي أشرف على الزوال والفناء، وبقي من آثار الأحبة، ثم ثاب إلى رشده، وأنكر أن يجيبه أحد؛ لهلاك من كان بهذه الديار، فقال: وهل ينعمن بشيء من هلك في الزمان الماضي؟!

والشاهد فيهما قوله: "في ثلاثة أحوال" حيث جاءت (في) بمعنى:(من).

ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 153/1

وفي قوله تعالى:﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ ﴾ [النساء:5] (1)
ومعنى قوله:(وارزقوهم فيها واكسوهم) واقع موقع الاحتراس
أي: لا تؤتوهم الأموال إيتاء تصرف مطلق، ولكن آتوهم إياها بمقدار انتفاعهم من نفقة وكسوة، ولذلك قال فقهاؤنا: تسلم للمحجور نفقته وكسوته إذا أمن عليها بحسب حاله وماله.
وعدل عن تعدية ارزقوهم واكسوهم بـ (من) إلى تعديتها بـ (في) الدالة على الظرفية المجازية، على طريقة الاستعمال في أمثاله، حين لا يقصد التبعيض الموهم للإنقاص من ذات الشيء، بل يراد أن في جملة الشيء ما يحصل به الفعل: تارة من عينه، وتارة من ثمنه، وتارة من نتاجه، وأن ذلك يحصل مكررا مستمرا. وانظر ذلك في قول سبرة بن عمرو الفقعسي:
نحابي بها أكفاءنا ونهينها ونشرب في أثمانها ونقامر(2)

1.سورة النساء، الآية:5
2.التحرير والتنوير 236/4
نحابي بها أكفاءنا ونهينها ونشرب في أثمانها ونقامر
بين وجوه تصرفهم فيما عيرهم به، فقال: نجعلها حباءً لنظرائنا فنتهادى بها، ونسهل تمكن العفاة والزوار منها، بابتذالها وإهانتها - وحذف ذكر من أهينت له لأن المراد مفهوم - ونبيعها فنصرف أثمانها إلى الخمر والإنفاق، ونضرب بالقداح عليها في الميسر عند اشتداد الزمان، فنفرقها في الضعفاء والمحتاجين إليها.
وفي تعداد هذه الوجوه إبطالٌ لكل ما أوهم أو ادعى يلحق من العار في اقتنائها وادخارها.
وروى بعضهم: " نحايي بها أكفاءنا " على أن يكون نفاعل من الحياة، أي نعايشهم بها ونجامل، وليس بشيءٍ، فلا تعرج عليه.
ينظر: شرح ديوان الحماسة 1/ 174
* على أن (في) قيل: إنها بمعنى (الباء) في البيت أي: ونشرب بأثمانها.
والأولى أيضا أن تكون على معناها بجعل أثمانها ظرفا للشراب والقمار مجازا.
ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي 503/9

ومنه قول سبرة :

نحابي بها أكفاءنا ونهينها ونشرب في أثمانها ونقامر(1)

يريد الإبل التي سيقت إليهم في دية قتيل منهم، أي نشرب بأثمانها ونقامر، فإما شربنا بجميعها أو ببعضها أو نسترجع منها في القمار، وهذا معنى بديع في الاستعمال لم يسبق إليه المفسرون هنا، فأهمل معظمهم التنبيه على وجه العدول إلى (في) ، واهتدى إليه صاحب الكشاف بعض الاهتداء فقال: أي اجعلوها
مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الربح لا من صلب المال.
فقوله:" لا من صلب المال" مستدرك، ولو كان كما قال لاقتضى نهيا عن الإنفاق من صلب المال.(2)

---

1. شرح ديوان الحماسة 1171/1
2. التحرير والتنوير 236/4

وهذه بعض الأبيات

نحابى بها أكفاءنا ونهيها ونشرب في أثمانها ونقامر
ونؤلفها في السنين الكلول إذا لم يجد مكسباً كاسب
ولم تك يوماً إذا روحت على الحي يلفى لها جادب
حبانا بها جدنا والإله وضرب لنا خذم صائب

قوله: ونؤلفها في السنين الكلول.
يعني بالسنين العوام التي تقل الأمطار فيها وتشمل الناس الآفات لها.
يقال: أصابتهم السنة.
وقد أسنت الرجل، إذا أصابه القحط والجدب.
وأراد بالكلول من كان كلا على صاحبه وعيالاً لمعيله، لا يحسن التوجيه لكسب، ولا يهتدي لارتزاء خير وترقيح عيش، كالأيتام والأرامل وذوي العاهة.
وقوله: إذا لم يجد مكسباً كاسب بدل من قوله في السنين. أي إذا اشتد الزمان وتضايقت الخطوب بما يعم من القحط، وأعوز الكاسبين كسبهم فلزموا مقارهم آيسين من إقبال الزمان وأهله، جعلنا إبلنا يألفها كلول الناس فينالون منها، ويعيشون فيما يعود عليهم من أبانها ومنافعها.
ينظر: شرح ديوان الحماسة 1171/1

وإنما قال: وقولوا لهم قولا معروفا ليسلم إعطاؤهم النفقة والكسوة من الأذى، فإن شأن من يخرج المال من يده أن يستثقل سائل المال، وذلك سواء في العطايا التي من مال المعطي، والتي من مال المعطى، ولأن جانب السفيه ملموز بالهون، لقلة تدبيره، فلعل ذلك يحمل وليه على القلق من معاشرة اليتيم فيسمعه ما يكره مع أن نقصان عقله خلل في الخلقة، فلا ينبغي أن يشتم عليه، ولأن السفيه غالبا يستنكر منع ما يطلبه من واسع المطالب، فقد يظهر عليه، أو يصدر منه كلمات مكروهة لوليه، فأمر الله لأجل ذلك كله الأولياء بأن لا يبتدئوا محاجيرهم بسيئ الكلام، ولا يجيبوهم بما يسوء، بل يعظون المحاجير، ويعلمونهم طرق الرشاد ما استطاعوا، ويذكرونهم بأن المال مالهم، وحفظه حفظ لمصالحهم، فإن في ذلك خيرا كثيرا، وهو بقاء الكرامة بين الأولياء ومواليهم، ورجاء انتفاع الموالي بتلك المواعظ في إصلاح حالهم (1)

وارزقوهم فيها أي أنفقوا عليهم واكسوهم وإنما قال الله فيها ولم يقل منها لئلا يكون ذلك أمرا بجعل بعض أموالهم رزقا لهم بل أمرهم بأن يجعلوا أموالهم مكانا لرزقهم وكسوتهم بأن يتجروا فيها ويثمروها فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول المال.(2)

وهذا خطاب للأولياء في أموال اليتامى .... جعل الله لكم قياما أي تقومون بها وتنتعشون، ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم.

وقوام الشيء: ما يقام به، كقولك هو ملاك الأمر لما يملك به.

وارزقوهم فيها: واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا، حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق.

وقيل:

هو أمر لكل أحد أن لا يخرج ماله إلى أحد من السفهاء، قريب أو أجنبى، رجل أو امرأة، يعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا (3)

---

1. التحرير والتنوير 237/4
2. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد 1/ 182
3. الكشاف 471/1

وفي قوله تعالى:﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ ﴾ [النساء:5] (1)
و(في): هنا للسببية، أي: ارزقوهم بسببها، ارزقوهم رزقا خارجا منها.
ولم يقل ارزقوهم منها، ذلك أنه سبحانه شاء أن يعلمنا أن الرزق مطمور في رأس المال ويجب أن يتحرك رأس المال في الحياة حتى لا ينقص بالنفقة، وحتى لا تستهلكه الزكاة، وحتى يبلغ السفيه رشده ويجد المال قد نما. هذه بعض من معطيات (في) .
ونلحظ أن الحق سبحانه قال: (وارزقوهم فيها .) ولم يقل ارزقوهم منها أي: خذوا الرزق من المطمور فيها يملكون بالحركة في هذا المال.
وهكذا نفهم كيف ينفق الإنسان المؤمن مما رزقه الله؛ فهناك من ينفق كل ما عنده؛ لأنه واثق من رصيده عند ربه، وهناك من ينفق البعض مما رزقه الله؛ وقد تأخذه الأريحية والكرم فيعطي كل من يسأله، وقد ينفق كل ما عنده.
ولم يقل: وارزقوهم منها؛ لأن الرزق منها ينقصها، لكن معنى:(وارزقوهم فيها) أي: من ريعها وربحها، وليس من رأس المال.
يعني وارزقوهم من هذه الأموال لأن؛ (في) هاهنا بمعنى: (من) إذ كانت حروف الصفات تتعاقب فيقام بعضها مقام بعض كما قال تعالى:﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء:2] (2) وهو بمعنى: (مع) فنهانا الله عن دفع الأموال إلى السفهاء الذين لا يقومون بحفظها وأمرنا بأن نرزقهم منها ونكسوهم. (3)
وإلا لو تصورنا أن أحد الأوصياء على الأيتام عنده مال ليتيم، وأخذ ينفق عليه من هذا المال، ويخرج منه الزكاة وخلافه، فسوف ينتهي هذا المال ويبلغ اليتيم مبلغ الرشد فلا يجد من ماله شيئا يعتد به.. (4)
وهذا تخريج لأحد أعلام أصول الفقه الذي فقه اللغة فاستخرج لنا بعض خصائص حروف الصفات في تعاقب بعضها بعضا.

1.سورة النساء، الآية:5
2.سورة النساء، الآية:2
3. أحكام القرآن للجصاص ت قمحاوي 355/2
4. تفسير الشعراوي 1996/4

وإنما قال: وارزقوهم فيها ولم يقل:(منها) لئلا يكون ذلك أمرا بأن يجعلوا بعض أموالهم رزقا لهم، بل أمرهم أن يجعلوا أموالهم مكانا لرزقهم بأن يتجروا فيها ويستثمروها فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول الأموال. (1)
وهذا مفهوم من جعل الأموال نفسها ظرفا للرزق والكسوة، فقال: (فيها) ولم يقل: (منها) (2)

وقد تجيء (في) بمعنى:(من). قال الله تعالى (وارزقوهم فيها) [النساء:5] يعني منها.
وتجيء أيضا بمعنى (مع) قال الله جل وعز:﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر:28] (3)
معناه مع عبادي.
ويحتمل أن يريد في جملة عبادي وفي جماعتهم.
والنحويون يقولون إن أكثر حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض وهو موجود في كتبهم.(4)

ومن خلال الآراء التي توصلنا إليها تبين لنا أنّ جميع هذه الآراء تصب في اتجاه واحد وهو أنّ حروف الصفات تنوب عن بعضها ،واختيار حرف الجر (في) لدلالة بلاغية.
وإنما قال: (وارزقوهم فيها) ولم يقل (منها)؛ لأن المراد كما قال في الكشاف: اجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا ؛ حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق.

---

1. ينظر:التفسير الوسيط لطنطاوي 41/3
2. التفسير المنير للزحيلي 249/4
3.سورة الفجر ، الآية:28
4.الفصول في الأصول 95/1

في الجارة بمعنى عن

وفي قوله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [البقرة:204] (1) وحرف (في) على هذا الوجه للظرفية المجازية بمعنى (عن)

والتقدير قوله: عن الحياة الدنيا.

ومعنى وهو ألد الخصام: أنه شديد الخصومة أي: العداوة مشتق من لده يلده بفتح اللام لأنه من فعل.

تقول: لددت يا زيد بكسر الدال إذا خاصم، فهو لاد ولدود

فاللدد: شدة الخصومة.

والألد: الشديد الخصومة.

فألد صفة مشبهة وليس اسم تفضيل، ألا ترى أن مؤنثه جاء على فعلاء فقالوا: لداء وجمعه جاء على فعل.(2)

قال الحماسي ربيعة بن مقروم*:

وألد ذي حنق علي كأنما تغلي حرارة صدره في مرجل (3)

1.سورة البقرة،الآية:204

2. ينظر: التحرير والتنوير 267/2

3. ينظر: شرح ديوان الحماسة 49/1

* ربيعة بن مقروم (بعد 16 هـ / بعد 637 م)

ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي: من شعراء الحماسة. من مخضرمي الجاهلية والإسلام. وفد على كسرى في الجاهلية، وشهد بعض الفتوح في الإسلام. وحضر وقعة القادسية .

ينظر: الأعلام للزركلي 17/3

قال الحماسي ربيعة بن مقروم*:
وألد ذي حنق علي كأنما تغلي حرارة صدره في مرجل (1)

---

1. ينظر: شرح ديوان الحماسة 49/1
وهذه بعض الأبيات من القصيدة
ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم أوظفة القوائم هيكل
فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام اركبه إذا لم أنزل
علام تقول الرمح يثقل ساعدي إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت
وألد ذي حنق عليَّ كأنما تغلي عداوةُ صدره في مرجلِ
أرجيته عني فأبصر قصده وكويته فوق النواظر من علِ
ينظر: التذكرة السعدية في الأشعار العربية 3/1
أخرج التشبيه ما لا يدرك من العداوة بالحس إلى ما يدرك من غليان القدر، حتى تجلى، فصار كالمشاهد.
والألد: الشديد الخصومة. كأنه لد بالخصومة، أي: أوجر فلد به.
ولذلك كان اللدد مصدر ألد. ويقال في معناه ألندد.
والحنق: شدة الغيظ، يقال أحنقه فحنق، يقول رب خصم شديد الخصومة ذي غيظٍ وغضبٍ علي تغلي عداوته لي في صدره غليان المرجل بما فيه إذا كان على النار، أنا دفعته عن نفسي. وجواب رب هو صدر البيت الثاني. والحنق يجوز أن يكون من اللزوق، كأن الحقد لزق بصدره، ومنه يقال أحنقت الدابة، إذا ضمرته. ينظر: شرح ديوان الحماسة 49/1

والمعنى: فكم لقي ألد ذا حنق كأنه ينظر إلى الكواكب من عل وتغلي عداوة صدره في مرجل فكواه فوق ناظريه وأكبة لفمه ويديه. فلم يزد هذا الناثر على أن أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لا غير.
ينظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب 33/1

وفي قول الله تعالى:﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج:78] (1) محمول على المشاكلة بإطلاق الجهاد على منع داعي النفس إلى المعصية.
ومعنى:(في) التعليل، أي: لأجل الله، أي: لأجل نصر دينه
كقول النبي ﷺ: (دخلت امرأة النار في هرة) أي: لأجل هرة، أي لعمل يتعلق بهرة كما بينه بقوله: (حبستها لا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها ترمم من خشاش الأرض حتى ماتت هزلا) (2)

وانتصب(حق جهاده) على المفعول المطلق المبين للنوع، وأضيفت الصفة إلى الموصوف.
وأصله: جهاده الحق، وإضافة جهاد إلى ضمير الجلالة لأدنى ملابسة، أي: حق الجهاد لأجله، وقرينة المراد تقدم حرف (في) كقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: 102] (3).
والحق بمعنى: الخالص، أي الجهاد الذي لا يشوبه تقصير.
والآية أمر بالجهاد، ولعلها أول آية جاءت في الأمر بالجهاد لأن السورة بعضها مكي (4)

---

1. سورة الحج ، الآية:78
2. ينظر: البخاري130/4 ومسلم 2110/4
3. سورة آل عمران ، الآية:102
4. ينظر: التحرير والتنوير 348/17

جيء بـ (في) الدالة على الظرفية

وترى هذا المعنى في قوله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة:219] (1) ، وإطلاق الكبير على الإثم مجاز؛لأنه ليس من الأجسام، فالمراد من الكبير: الشديد في نوعه كما تقدم آنفا.

وجيء بـ:(في) الدالة على الظرفية لإفادة شدة تعلق الإثم والمنفعة بهما؛ لأن الظرفية أشد أنواع التعلق، وهي هنا ظرفية مجازية شائعة في كلام العرب، وجعلت في للظرفية المجازية، وسبب النزول قرينة على دلالة (في) هنا على العلية والسببية ، وهو ما ذهب إليه المحققون في هذه الآية وغيرها. (2)

وقرأ الجمهور إثم كبير بموحدة بعد الكاف وقرأه حمزة والكسائي (كثير) بالثاء المثلثة، وهو مجاز استعير وصف الكثير للشديد تشبيها لقوة الكيفية بوفرة العدد.

والناس مراد به العموم لاختلاف المنافع، ولأنه لما وقع الإخبار بواسطة (في) المفيدة الظرفية لم يكن في الكلام ما يقتضي أن كل فرد من أفراد الناس ينتقع بالخمر والميسر، بل الكلام يقتضي أن هاته المنافع موجودة في الخمر والميسر لمن شاء أن ينتفع؛ (3) كقوله تعالى:﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ [النحل:69] (4)، وجعل الشفاء مظروفا في العسل على وجه الظرفية المجازية.

وهي الملابسة للدلالة على تمكن ملابسة الشفاء إياه، وإيماء إلى أنه لا يقتضي أن يطرد الشفاء به في كل حالة من أحوال الأمزجة، أو قد تعرض للأمزجة عوارض تصير غير ملائم لها شرب العسل.

فالظرفية تصلح للدلالة على تخلف المظروف عن بعض أجزاء الظرف؛ لأن الظرف يكون أوسع من المظروف غالبا.

وتنكير شفاء في سياق الإثبات لا يقتضي العموم فلا يقتضي أنه شفاء من كل داء، كما أن مفاد (في) من الظرفية المجازية لا يقتضي عموم الأحوال.

1.سورة البقرة ،الآية: 219

2.سبل الاستنباط من الكتاب والسنة د: محمد توفيق سعد

3.التحرير والتنوير 350/2

4.سورة النحل ، الآية:69

في التعليلية

يرى النحاة أنّ حرف الجر (في) يكون للتعليل واستدلوا بأمثلة من كتاب الله عزّ وجلّ ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ [الطور:26] (1)

وعلى هذا الوجه يكون معنى (في) الظرفية.
ويتعلق في أهلنا بـ: كنا، أي: حين كنا في ناسنا في الدنيا. فأهلنا هنا بمعنى: آلنا.
ويجوز أن تكون المقالة صادرة من الذين آمنوا يخاطبون ذرياتهم الذين ألحقوا بهم ولم يكونوا يحسبون أنهم سيلحقون بهم.
فالمعنى:
إنا كنا قبل مشفقين عليكم، فتكون (في) للظرفية المجازية المفيدة للتعليل، أي: مشفقين لأجلكم.
ومعنى (فمن الله علينا) منّ علينا بالعفو عنكم فأذهب عنا الحزن ووقانا أن يعذبكم بالنار. فلما كان عذاب الذريات يحزن آباءهم جعلت وقاية الذريات منه بمنزلة وقاية آبائهم فقالوا: ووقانا عذاب السموم إغراقا في الشكر عنهم وعن ذرياتهم، أي: فمن علينا جميعا ووقانا جميعا عذاب السموم.
والسموم بفتح السين، أصله اسم الريح التي تهب من جهة حارة جدا فتكون جافة شديدة الحرارة وهي معروفة في بلاد العرب تهلك من يتنشقها.
وأطلق هنا على ريح جهنم على سبيل التقريب بالأمر المعروف.(2)

1.سورة الطور، الآية:26
2. التحرير والتنوير57/27

وفي قوله تعالى:﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف:32] (1)
ولمتنني فيه (في) للتعليل، مثل : " دخلت امرأة النار في هرة."
وهنالك مضاف محذوف.
والتقدير:
في شأنه أو في محبته. (2)
﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [القلم:37] (3)
وتقديم لكم على المبتدأ
وهو (كتاب)؛ لأن المبتدأ نكرة وتنكيره مقصود للنوعية فكان تقديم الخبر لازما.
وضمير فيه عائد إلى الحكم المفاد من قوله: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم: 36] ،
(4) أي: كتاب في الحكم.

و(في) للتعليل أو الظرفية المجازية كما تقول ورد كتاب في الأمر بكذا أو في النهي عن كذا فيكون فيه ظرفا مستقرا صفة ل كتاب. ويجوز أن يكون الضمير عائدا إلى كتاب ويتعلق المجرور بفعل تدرسون جعلت الدراسة العميقة بمزيد التبصر في ما يتضمنه الكتاب بمنزلة الشيء المظروف في الكتاب كما تقول: لنا درس في كتاب سيبويه.(5)

---

1. سورة يوسف ، الآية:56
2. التحرير والتنوير 264/12
3. سورة القلم ، الآية:37
4. سورة القلم ، الآية:36
5. التحرير والتنوير 93/29

وفي قوله تعالى : ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل:66] (1)

و(بل): للإضراب الانتقالي من الإخبار عنهم بـ:(لا يشعرون أيان يبعثون) وهو ارتقاء إلى ما هو أغرب وأشد ارتقاء من تعييرهم بعدم شعورهم بوقت بعثهم إلى وصف علمهم بالآخرة التي البعث من أول أحوالها وهو الواسطة بينها وبين الدنيا بأنه علم متدارك أو مدرك .

وقرأ الجمهور(إدَّارك): بهمز وصل في أوله وتشديد الدال على أن أصله (تدارك) فأدغمت تاء التفاعل في الدال لقرب مخرجيها بعد أن سكنت واجتُلِب همز الوصل للنطق بالساكن .

قال الفراء وشمر : وهو تفاعل من الدّرك بتفحتين وهو اللحاق .

وقد امتلكت اللغويين والمفسرين حيرة في تصوير معنى الآية على هذه القراءة تثار منه حيرة للناظر في توجيه الإضرابين اللذين بعد هذا الإضراب وكيف يكونان ارتقاء على مضمون هذا الانتقال ، وذكروا وجوهاً مثقلة بالتكلف.

والذي أراه في تفسيرها على هذا الاعتبار اللغوي أن معنى التدارك هو أن علم بعضهم لَحِق علم بعض آخر في أمر الآخرة؛ لأن العلم ، وهو جنسٌ ، لمّا أضيف إلى ضمير الجماعة حصل من معناه علوم عديدة بعدد أصناف الجماعات التي هي مدلول الضمير فصار المعنى : تداركت علومهم بعضها بعضاً .

وذلك صالح لمعنيين :

أولهما: أن يكون التدارك وهو التلاحق الذي هو استعمال مجازي يساوي الحقيقة ، أي تداركت علوم الحاضرين مع علوم أسلافهم ، أي تلاحقت وتتابعت فتلَّقى الخلف عن السلف علمَهم في الآخرة وتقلدوها عن غير بصيرة ولا نظر ، وذلك أنهم أنكروا البعث ويشعر لذلك قوله تعالى عقبه.

---

1. سورة النمل ،الآية:66

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (67) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [النمل:68] (1)، وقريب من هذا قوله تعالى:﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ ([المؤمنون:81] (2).

الوجه الثاني : أن يكون التدارك مستعملاً مجازاً مرسلاً في الاختلاط والاضطراب ؛لأن التدارك والتلاحق يلزمه التداخل كما إذا لحقت جماعة من الناس جماعة أخرى أي لم يرسوا على أمر واختلفت أقوالهم اختلافاً يؤذن بتناقضها ، فهم ينفون البعث ثم يزعمون أن الأصنام شفعاؤهم عند الله من العذاب ، وهذا يقتضي إثبات البعث ولكنهم لا يعذبون ثم يتزودون تارة للآخرة ببعض أعمالهم التي منها : أنهم كانوا يحبسون الراحلة على قبر صاحبها ويتركونها لا تأكل ولا تشرب حتى تموت فيزعمون أن صاحبها يركبها ، ويسمونها البلية ، فذلك من اضطراب أمرهم في الآخرة .

وفعل المضي على هذين الوجهين على أصله .

وحرف (في) على هاذين الوجهين في تفسيرها على قراءة الجمهور مستعمل في السببية ، أي بسبب الآخرة .

ويجوز وجه آخر وهو أن يكون:(ادارك) مبالغة في (أدْرَك).

ومفعوله محذوفاً تقديره : إدراكهم ، أي حصل لهم علمهم بوقت بعثهم في اليوم الذي يبعثون فيه ، أي يومئذ يوقنون بالبعث ، فيكون فعل المضي مستعملاً في معنى التحقق ، ويكون حرف (في) على أصله من الظرفية. (3)

(وفي الآخرة): متعلق بعلمهم.

والعلم يتعدى (بفي)، كما يتعدى (بالباء)، وهي حينئذ بمعنى: (الباء)، كما نص عليه وابن عطية ، وغيرهما ..(4) الفراء،

---

1. سورة النمل ،الآية:68
2. سورة المؤمنون، الآية:81
3. التحرير والتنوير 311/10
4. الألوسي 22/15

حرف في للمقايسة

وفي قوله تعالى:﴿ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة:38] (1)

واختير فعل رضيتم دون نحو آثرتم أو فضلتم: مبالغة في الإنكار؛ لأن فعل (رضي بكذا) يدل على انشراح النفس، ومنه قول أبي بكر الصديق في حديث الغار فشرب حتى رضيت (2).والمتاع: اسم مصدر تمتع، فهو الالتذاذ والتنعم.

ووصفه بـ (قليل) بمعنى: ضعيف ودنيء استعير القليل للتافه.

ويحتمل أن يكون المتاع هنا مرادا به الشيء المتمتع به، من إطلاق المصدر على المفعول، كالخلق بمعنى: المخلوق فالإخبار عنه بالقليل حقيقة.

وحرف (في) من قوله: في الآخرة دال على معنى المقايسة،وهي الداخلة على تالٍ يقصد تعظيمه وتحقيره، بمتلوه(3)

وقوله ﷺ في حديث مسلم "ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع" (4)

وهو في التحقيق (من) الظرفية المجازية: أي متاع الحياة الدنيا إذا أقحم في خيرات الآخرة كان قليلا بالنسبة إلى كثرة خيرات الآخرة، فلزم أنه ما ظهرت قلته إلا عند ما قيس بخيرات عظيمة ونسب إليها، فالتحقيق أن المقايسة معنى حاصل لاستعمال حرف الظرفية، وليس معنى موضوعا له حرف (في). (5)

1.سورة التوبة، الآية:38

2.صحيح البخاري 127/3

3.ارتشاف الضرب: 1727/4

4. ينظر:السنن الكبرى للنسائي 387/10

5.التحرير والتنوير 198/10

عن المستورد بن شداد الفهري، عن النبي ﷺ قال: "ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع."

* (رضيت) اطمأننت أنه قد ارتوى

في الجارة بمعنى الباء

وفي قول الله تعالى:﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة:210] (1)

وقوله تعالى:(في ظلل من الغمام) أشد إشكالا من إسناد الإتيان إلى الله تعالى؛ لاقتضائه الظرفية، وهي مستحيلة على الله تعالى، وتأويله إما بأن (في) بمعنى: (الباء) أي: يأتيهم الله في ظلل من الغمام وهي ظلل تحمل العذاب من الصواعق أو الريح العاصفة أو نحو ذلك إن كان العذاب دنيويا، أو في ظلل من الغمام تشتمل على ما يدل على أمر الله تعالى أو عذابه. (2)

ومنه قول الشاعر:

ويركب، يوم الروع، منا، فوارس بصيرون، في طعن الأباهر، والكلي

أي بطعن. (3)

1.سورة البقرة، الآية:210

2. التحرير والتنوير286/2

3. الجني الداني في حروف المعاني 251/1

* البيت من شواهد: التصريح: 2/ 14، والأشموني: 250/2 ....وغيرهم

المفردات الغريبة:

الروع: الفزع والخوف. فوارس: جمع فارس على غير قياس. بصيرون: عارفون وخبيرون. الأباهر: جمع أبهر، وهو عرق متصل بالقلب، إذا انقطع مات صاحبه، الكلى: جمع كلوة أو كلية.

المعنى: في اليوم الذي يفزع فيه الناس ويرهبون -وهو يوم الحرب- يركب منا فرسان شجعان مدربون على الحرب، خبيرون بطعن المقاتل التي تقضي على الأعداء.

موطن الشاهد: "في طعن".

وجه الاستشهاد: مجيء "في" بمعنى "الباء"؛ لأن "بصير" يتعدى بها، ولا يتعدى بـ"في" عادة.

ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 36/3

في بمعنى (إلى)

وفي قوله تعالى:﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:125] (1)

وحرف في يجوز أن يكون بمعنى (إلى).

ويجوز أن يكون بمعنى: الظرفية:

إما بمعنى كأنه بلغ السماء، وأخذ يصعد في منازلها؛ فتكون هيئة تخييلية.(2)

وإما على تأويل السماء بمعنى: الجو.ومنه قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء:97] (3) يعني فتهاجروا إليها أي: إلى المدينة.

ومنه قوله تعالى:﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة:210](4)

قرأ معاذ: في ظلل مع الغمام وقضاء الأمر [بالمد] أراد المصدر ذكر البيان عن مغني الإتيان.واختلف الناس في ذلك، فقال بعضهم: (في) بمعنى (الباء)، وتعاقب حروف الصفات شائع مشهور في كلام العرب.

تقدير الآية: إلّا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام وبالملائكة أو مع الملائكة، وبهذا التأويل زال الإشكال وسهل الأمر [وأجرى] الباقون للآية فهي ظاهرة.(5)

وعليه فـ:(في) بمعنى الباء، وحروف الجر يقام بعضها مقام البعض.

1.سورة الأنعام ،الآية:125

2. التحرير والتنوير 60/8

3.سورة النساء ،الآية:97

4.سورة البقرة ،الآية:210

5. الأشباه والنظائر:188 وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين 400/1 وتفسير الثعلبي 129/2 وتفسير الرازي 359/5

تعدية ثقلت بـ:(في) دون (إلى)

وفي قول الله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً.﴾ [الأعراف:187] (1)

ومن بديع الإيجاز تعدية فعل ثقلت بحرف الظرفية الدال على مكان حلول الفعل، وحذف ما حقه أن يتعدى إليه وهو حرف (إلى) الذي يدل على ما يقع عليه الفعل،ليعم كل ما تحويه السماوات والأرض مما يقع عليه عملية الثقل بمعنى الشدة.(2)

1.سورة الأعراف، الآية:187

2.التحرير والتنوير 204/9

تعدية أرسلنا بـ(في)

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف:94] (1)

وعدي أرسلنا بـ (في) دون (إلى) ؛لأن المراد بالقرية حقيقتها، وهي لا يرسل إليها وإنما يرسل فيها إلى أهلها.

والتقدير:

أرسلنا في قرية من نبي إلى أهلها إلا أخذنا أهلها.

و(من) مزيد للتنصيص على العموم المستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي، وتخصيص القرى بإرسال الرسل فيها دون البوادي كما أشارت إليه هذه الآية وغيرها من آي القرآن، وشهد به تاريخ الأديان، ينبئ أن مراد الله تعالى من إرسال الرسل هو بث الصلاح لأصحاب الحضارة التي يتطرق إليها الخلل بسبب اجتماع الأصناف المختلفة، وأن أهل البوادي لا يخلون عن الانحياز إلى القرى والإيواء في حاجاتهم المدنية إلى القرى القريبة، فأما مجيء نبي غير رسول لأهل البوادي فقد جاء خالد بن سنان نبيا في بني عبس، وأما حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس فالأظهر أنه رسول لأن الله ذكر أهل الرسل في عداد الأمم المكذبة.

والأخذ: هنا مجاز في التناول والإصابة بالمكروه الذي لا يستطاع دفعه، وهو معنى الغلبة.

واستغنت جملة الحال الماضوية على الواو و(قد) بحرف الاستثناء، فلا يجتمع مع (قد) إلا نادرا، أي: ابتدأناهم بالتخويف والمصائب لتفل من حدتهم وتصرف تأملهم إلى تطلب أسباب المصائب فيعلموا أنها من غضب الله عليهم فيتوبوا.(2)

1.سورة الأعراف، الآية:94

2. التحرير والتنوير16/9

تعدية فرطت بـ (في) الظرفية

وفي قوله تعالى: ﴿ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر:56] (1)

والتفريط: التضييع والتقصير.
يقال: فرطه. والأكثر أن يقال: فرط فيه.
والجنب والجانب مترادفان، وهو ناحية الشيء ومكانه ومنه:﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ [النساء: 36] (2)
أي: الصاحب المجاور.
وحرف (في) هنا يجوز أن يكون لتعدية فعل فرطت فلا يكون للفعل مفعول.
ويكون المفرط فيه هو جنب الله، أي: جهته.
ويكون الجنب مستعارا للشأن والحق.
أي: شأن الله وصفاته ووصاياه تشبيها لها بمكان السيد وحماه إذا أهمل حتى اعتدي عليه أو أقفر، كما قال سابق البربري:
أما تتقين الله في جنب وامق له كبد حري عليك تقطع (3)
أو تكون جملة فرطت في جنب الله تمثيلا لحال النفس التي أوقفت للحساب والعقاب بحال العبد الذي عهد إليه سيده حراسة حماه ورعاية ماشيته فأهملها حتى رعي الحمى وهلكت المواشي، وأحضر للثقاف فيقول: يا حسرتا على ما فرطت في جنب سيدي.
وعلى هذا الوجه يجوز إبقاء الجنب على حقيقته ؛لأن التمثيل يعتمد تشبيه الهيئة بالهيئة.

1.سورة الزمر،الآية:56
2.سورة النساء ،الآية:36
3.جمهرة الأمثال 228/1

ويجوز أن تكون ما موصولة وفعل فرطت متعديا بنفسه على أحد الاستعمالين، ويكون المفعول محذوفا وهو الضمير المحذوف العائد إلى الموصول، وحذفه في مثله كثير، ويكون المجرور بـ(في) حالا من ذلك الضمير.
أي كائنا ما فرطته في جانب الله. (1)

1.التحرير والتنوير46/24

تعدية ركب بنفسه وبـ:(في)

وفي قوله تعالى:﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ [الزخرف:12] (1)
فإن قلت: يقال: ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك. وقد ذكر الجنسين فكيف قال ما تركبونه؟
قلت: غلب المتعدى بغير واسطة، لقوته على المتعدى بواسطة، فقيل: تركبونه على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والأنعام.(2)
قال أحمد: لم يحرر العبارة في هذا الموضع فان قوله:غلب المتعدي بغير واسطة على المتعدي بنفسه يوهم أن بين الفعلين تباينا وليس كذلك، فإن المتعدي إلى الأنعام هو عين الفعل المتعدي إلى السفن غاية ما ثم؛ إن العرب خصته باعتبار بعض مفاعيله بالواسطة، وباعتبار بعضها بالتعدي بنفسه، والاختلاف بالتعدي والقصور..فمن ثم يعدون الفعل الواحد مرة بنفسه ومرة بواسطة.(3)
ويرفض صاحب التحرير ما ذهب إليه الزمخشري وابن المنير في تعدية الفعل بنفسه وبـ:(في) ،ففي قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [هود:41] (4) ، حيث عدي فعل اركبوا بـ: (في) جريا على الفصيح فإنه يقال: ركب الدابة إذا علاها.
وأما ركوب الفلك فيعدى بـ: (في) ؛ لأن إطلاق الركوب عليه مجاز، وإنما هو جلوس واستقرار فلا يقال: ركب السفينة، فأرادوا التفرقة بين الركوب الحقيقي والركوب المشابه له، وهي تفرقة حسنة.(5) ومنه قوله تعالى:﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ [الكهف:71] (6).

---

1. سورة الزخرف، الآية:13
2. الكشاف 238/4
3. ينظر حاشية الكشاف 238/4
4. سورة هود، الآية:41
5. التحرير والتنوير 73/12
6. سورة الكهف، الاية:71

" وبني نظم الكلام على تقديم الظرف على عامله للدلالة على أن الخرق وقع بمجرد الركوب في السفينة، لأن في تقديم الظرف اهتماما به، فيدل على أن وقت الركوب مقصود لإيقاع الفعل فيه."(1)

وضمن الركوب معنى: الدخول؛ لأنه ركوب مجازي،فلذلك عدي بحرف (في) الظرفية.

وقد تغلب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره كالآية السالفة الذكر، إذ يقال: ركبت الدابة وركبت السفينة (2)،وما تعدى بغيره قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [العنكبوت:65] (3)

وركبت الدابة ركبا وركوبا علوتها وكل ما علوته فقد ركبته وارتكبته وقالوا مثلا بذلك ركبت الهول والليل ونحوهما... وقيل الراكب للبعير خاصة والجميع ركاب وركوب وركبان.(4)

وركبت الدابة وركبت عليها ركوبا ومركبا ثم استعير للدين فقيل ركبت الدين وارتكبته إذا أكثرت من أخذه ويسند الفعل إلى الدين أيضا فيقال ركبني الدين وارتكبني وركب الشخص رأسه إذا مضى على وجهه بغير قصد.(5)

وبعد عرض آراء اللغويين في تعدية الفعل ركب بنفسه وبـ:(في) تبيّن لنا جليا أنّ الذي تنبّه للفرق بين التعديتين هو الشيخ الطاهر بن عاشور فجزاه الله عن هذه اللغة أفضل الجزاء.

1.التحرير والتنوير 375/15
2.الكليات 1003/1
3. سورة العنكبوت،الآية:65
4.المخصص 105/2
5. المصباح المنير 236/1

التعدية بحرفين للتفنن

وفي قول الله تعالى:﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [النحل:89] (1) وعدي فعل:(نبعث) هنا: بحرف (في)، وعدي نظيره في الجملة السابقة بحرف (من) حيث قال الله تعالى:﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [النحل:84] (2) ليحصل التفنن بين المكررين تجديدا لنشاط السامعين وزيد في هذه الجملة أن الشهيد يكون من أنفسهم زيادة في التذكير بأن شهادة الرسل على الأمم شهادة لا مطعن لهم فيها لأنها شهود من قومهم لا يجد المشهود عليهم فيها مساغا للطعن. (3)

والمعنى:

نسأل نبيهم الذي بعثناه إليهم للدعاء إلى طاعتنا، وقال (من أنفسهم) لأنه تعالى ذكره كان يبعث إلى أمم أنبياءها منها: ماذا أجابوكم، وما ردوا عليكم (وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) يقول لنبيه محمد ﷺ: وجئنا بك يا محمد شاهدا على قومك وأمتك الذين أرسلتك إليهم بما أجابوك، وماذا عملوا فيما أرسلتك به إليهم.(4)

وإذا كان الأسلوب القرآني يعتمد في كثير من المواضع على المغايرة بين حرفين من الحروف ... ؛ فإنّ لتلوين الخطاب بين حرفين من حروف الجر أثره الذي لا يقل خطرا من حروف العطف(5) وخير مثال تعدية الفعل نبعث بـ:(في) و(من).

1.سورة النحل، الآية:89

2.سورة النحل، الآية:84

3.التحرير والتنوير 250/14

4. تفسير الطبري 278/17

5. ينظر: تلوين الخطاب في القرآن الكريم لطه رضوان ص217

العدول من (على) لـ:(في) الظرفية

وفي قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء:70] (1) إنما أعرض عن ذكر حرف الاستعلاء وهو (على) وعدل عنه إلى حرف الوعاء وهو (فى) مع أن الظاهر هو العلو على الأرض والفلك، إعلاما بأن حرف الوعاء أقعد وأمكن ههنا من حرف الاستعلاء؛ لأن (على) تشعر بالاستعلاء لا غير من غير تمكن واستقرار، و(فى) تشعر ههنا بالاستقرار والتمكن، ومن حق ما يكون مستقرا فيه متمكنا أن يكون مستعليا له، فلما كانت تؤذن بالمعنيين جميعا آثرها وعدل إليها وأعرض عن (على) دلالة على المبالغة التي ذكرناها، وإنما ساوى فى ذكر (على) بين قوله تعالى:﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك:22] (2) ، لاستوائهما جميعا فى الدلالة على المبالغة؛ لأن كل من كان منهمكا فى الغي منغمسا فى غمرات الباطل، فهو فى التمثيل بمنزلة من ركب وجهه، وجعله مطية له يمتطيها إلى الوقوف عليه وإحرازه له، ومن كان على الحق فهو فى التمثيل بمنزلة من هو على طريق مستقيمة لا تعوج به منتصب القامة، لا ينحني فى صعود ولا هبوط، فلما كان فى كلتا حالتيه لا ينفك عن الركوب والاستعلاء إما لوجهه أو للطريق المستقيمة سوى بينهما فى حرف الاستعلاء، وهذه لطائف دقيقة وأسرار غامضة يدريها من ضرب فى هذه الصناعة بعرق، وظفر فيها بحظ.(3)

الآية:1:77.سورة الإسراء

2.سورة الملك، الآية:22

3. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز 31/2

اختلاف الحرفين على وفي

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [فصلت:5] (1)

والأكنة: جمع كنان، وهو الغطاء.

وقيل: هي ما يجعل فيها السهام، كالجعبة للنبل.

والوقر- بالفتح- الثقل. وقرئ بالكسر.

والوَقر بفتح الواو: الصمم الشديد وفعله: كوعد ووجد يستعمل قاصرا.

يقال : وقرت أذنه ، ومتعدّياً يقال : وقر الله أذنه فوقرت .

والوقر مصدر غير قياسي لـ: (وقرت) أذنه ؛ لأنّ قياس مصدره تحريك القاف ، وهو قياسي لـ:(وقر) المتعدّي ، وهو مستعار لعدم فهم المسموعات . جعل عدم الفهم بمنزلة الصمم ولم يذكر للوقر متعلّق يدلّ على الممنوع بوقر آذانهم لظهور أنّه من أن يسمعوه ؛ لأنّ الوقر مؤذن بذلك ؛ولأنّ المراد السمع المجازي وهو العلم بما تضمّنه المسموع.

شبهوا قلوبهم بالشيء المحوي المحاط بالغطاء المحيط له بحيث لا يصيبه شيء من حيث تباعدها عن إدراك الحق واعتقاده. (2)

وذلك استعارة عن القسوة العظيمة .

(وفى آذاننا وَقْر) ثقل سمع لا نسمع الأصوات ، وذلك استعارة عن الإعراض التام بالقلوب.

بالغوا فى إقناط رسول الله ﷺ من إيمانهم بثلاث جمل تمثيليات ، سدوا محل المعرفة وهو القلب ، وما يوصل إليه المعرفة ، وهو السمع والبصر الممنوع بالحجاب... والحجاب: مستعار للقسوة ، أو الامتناع الشديد ، والكلام كنايات متعددة ...أو

استعارات مفردات أو استعارة تمثيلية.

وفى قوله:(قلوبنا فى أكنة) استعلاء الأكنة على القلوب ؛ لأن الغطاء مستعل على

1.سورة فصلت ، الآية:5

2. ينظر: الكشاف 185/4 والتحرير والتنوير 180/7

ما غطى به، فهو موافق لقوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الإسراء:46] (1) وفي الكهف ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف:57] (2) وجاء فى الإسراء والكهف بـ:(على)؛ لأن الإسناد فيهما إلى الله عز وجل ، فناسب الاستعلاء إذ قال:(جعلنا) ، وهنا حكاية كلامهم فكان بحرف الجر (في) وزادوه إقناطا بما ذكر الله عنهم فى قوله عز وجل:(فاعمل) على دينك،(إنَّنا عاملون) : على ديننا ، أو اعمل جهدك فى كيدنا بإبطال ديننا ، إنا عاملون كذلك فى إبطال دينك ، وفى هذا المعنى أيضا إقناط ؛إلا أن فى الأول متاركة ، وفى هذا مجاهرة فى العناد .(3)

وجعلت القلوب في أكنة؛ لإفادة حرف (في) معنى إحاطة الظرف بالمظروف.

وكذلك جعل الوقر في القلوب لإفادة تغلغله في إدراكهم.

و(من) في قوله:(مما تدعونا إليه) بمعنى:(عن) مثل قوله تعالى:﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر:22] (4) والحجاب: الساتر للمرئي من حائط أو ثوب.

وقد جمعوا بين الحالات الثلاث في التمثيل للمبالغة في أنهم لا يقبلون ما يدعوهم إليه.

واجتلاب حرف (من) في قوله:(ومن بيننا وبينك حجاب) لتقوية معنى الحجاب بين الطرفين وتمكن لازمه الذي هو بعد المسافة التي بين الطرفين؛ لأن (من) هذه زائدة لتأكيد مضمون الجملة. (5)

وفي هذا يقول أبو حيان: و(من) في مما تدعونا إليه لابتداء الغاية، وكذا في و(من) بيننا.

فالمعنى أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك، فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب، لا فراغ فيها، ولو لم يأت بـ:(من) لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين ، والمقصود المبالغة بالتباين المفرط، فلذلك جيء بـ:(من).

وذكر أبو حيان أنه لما كان القلب محل المعرفة والسمع والبصر معينان على تحصيل المعارف ذكروا أن هذه الثلاثة محجوبة عن أن يصل إليها مما يلقيه الرسول صلى الله

---

1. سورة الإسراء ، الآية:46
2. سورة الكهف، الآية:57
3. ينظر: تفسير اطفيش 390/5
4. سورة الزمر ، الآية:22
5. التحرير والتنوير 234/24

عليه وسلم شيء ولم يقولوا (على قلوبنا أكنة) كما قالوا: (وفي آذاننا وقر) ليكون الكلام على نمط واحد في جعل القلوب والآذان مستقر الأكنة والوقر وإن كان أحدهما استقرار استعلاء، والثاني استقرار احتواء إذ لا فرق في المعنى بين قلوبنا في أكنة؛ وعلى قلوبنا أكنة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف:57] (1) ولو قيل إنا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى فالمطابقة حاصلة من حيث المعنى والمطابيع من العرب لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في المعاني، واختصاص كل من العبارتين بموضعه للتفنن على أنه لما كان منسوبا إلى الله تعالى في سورة بني إسرائيل

والكهف كان معنى الاستعلاء والقهر أنسب، وهاهنا لما كان حكاية عن مقالهم كان معنى الاحتواء أقرب، كذا حققه بعض الأجلة ودغدغ فيه.

وهي هنا تخييل لأنّه شبَّهت قلوبهم في عدم خلوص الحقّ إليها بأشياء محجوبة عن شيء وأثبتت لها الأكنّة تخييلاً ، وليس في قلب أحدهم شيء يشبه الكنان.(2)

وقال الزمخشري: فإن قلت: هلا قيل: على قلوبنا أكنة، كما قيل:

وفي آذاننا وقر، ليكون الكلام على نمط واحد؟.

قلت: هو على نمط واحد، لأنه لا فرق في المعنى بين قولك: قلوبنا في أكنة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف:57] (3)

ولو قيل: إنا جعلنا قلوبهم في أكنة، لم يختلف المعنى، وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في المعاني، وتقول: إن (في) الظرفية أبلغ في هذا الموضع من (على)؛ لأنهم قصدوا إفراط عدم القبول، لحصول قلوبهم في أكنة احتوت عليها احتواء الظرف على المظروف، فلا يمكن أن يصل إليها شيء. كما تقول: المال في الكيس، بخلاف قولك: على المال كيس، فإنه لا يدل على الحصر، وعدم الحصول دلالة الوعاء.

وأما في قوله: (إنا جعلنا)، فهو من إخبار الله تعالى، لا يحتاج إلى مبالغة، بخلاف قولهم.

---

1. سورة الكهف، الآية:57
2. البحر المحيط في التفسير 285/9
3. سورة الكهف، الآية:57

وأسند جعل تلك الحالة في قلوبهم إلى الله تعالى؛ لأنّه خلقهم على هذه الخصلة الذميمة وتفسير الأكنة بالأغطية هو الذي عليه جمهور المفسرين فهي جمع كنان كغطاء لفظا والتعبير بالفعل:(وجعلنا) للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم ، كأنهم مجبولون عليه أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به. (1)

فالجعل بمعنى: الخلق وليس للتحويل من حال إلى حال .

وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده، كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها، كقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه، ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه، وبين رسول الله ﷺ وما هو عليه: حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه، فلا تلاقى ولا ترائى فاعمل على دينك إننا عاملون على ديننا. أو فاعمل في إبطال أمرنا، إننا عاملون في إبطال أمرك.

قال سعيد المفتي ورد هنا كلمة (في) وفي الكهف (على) ؛ لأن القصد هنا إلى المبالغة في عدم القبول.

والأكنة إذا احتوت عليها احتواء الظرف على المظروف لا يمكن أن يصل إليها شيء وليست تلك المبالغة في (على)

والسياق في الكهف للعظمة فيناسبه أداة الاستعلاء.(2)

أثبتت لقلوبهم أغطية على طريقة التخييل، وشبهت القلوب بالأشياء المغطاة على طريقة الاستعارة المكنية.

ووجه الشبه حيلولة وصول الدعوة إلى عقولهم كما يحول الغطاء والغلاف دون تناول ما تحته.

وهكذا يسارع إمام البلاغة قائلا بأنّ حروف الجر ينوب بعضها عن بعض بينما نراه كثيرا ما يحارب هذه النظرية القائلة بإنابة حروف الجر ، ولعلّ التعبير بـ:(على) في هذه الآية كما ذهب إليه أئمة البلاغة بأنها تشكل معنى آخر فهي صادرة عن المولى الذي يليق بجلاله حرف الاستعلاء...

---

1. ينظر: الكشاف 14/2

2.روح البيان 227/8

دلالة وأصلح لي في ذريتي

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف:15] (1) يقول: وأصلح لي أموري في ذريتي الذين وهبتهم، بأن تجعلهم هداة للإيمان بك، واتباع مرضاتك، والعمل بطاعتك، فوصفه،جل ثناؤه بالبر بالآباء والأمهات والبنين والبنات. وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.(2)

معناه: أن يجعل ذرّيته موقعا للصلاح ، ومظنة له كأنه قال: هب لي الصلاح في ذرّيتى وأوقعه فيهم ونحوه: يجرح في عراقيبها نصلى (3) واللام): في وأصلح لي لام العلة.

أي أصلح في ذريتي لأجلي ومنفعتي كقوله تعالى:﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح:1] (4) ، ونكتة زيادة هذا في الدعاء أنه بعد أن أشار إلى نعم الله عليه وعلى والديه تعرض إلى نفحات الله فسأله إصلاح ذريته وعرض بأن إصلاحهم لفائدته، وهذا تمهيد لبساط الإجابة كأنه يقول: كما ابتدأتني بنعمتك وابتدأت والدي بنعمتك ومتعتهما بتوفيقي إلى برهما، كمل إنعامك بإصلاح ذريتي فإن إصلاحهم لي. وهذه ترقيات بديعة في درجات القرب.

ومعنى ظرفية (في) ذريتي أن ذريته نزلت منزلة الظرف يستقر فيه ما هو به الإصلاح ويحتوي عليه، وهو يفيد تمكن الإصلاح من الذرية وتغلغله فيهم.(5) وأصل الفعل أصلح أن يعدى بنفسه كما في قوله تعالى:﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ [الأنبياء:90] (6)

وقيل أنه عدي بـــ:(في) لتضمنه معنى اللطف.

أي: الطف بي في ذريتي أو هو نزل منزلة اللازم ثم عدي بـ:(في) ليفيد سريان الصلاح فيهم وكونهم كالظرف له لتمكنه فيهم وهذا ما أراده المصنف وهو الأحسن.

1.سورة الأحقاف، الآية:15
2.تفسير الطبري 115/22
3. الكشاف 302/4
4. سورة الشرح، الآية:1
5.التحرير والتنوير 34/26
6.سورة الأنبياء ،الآية:90

تعدد دلالة في الجارة

وفي قوله تعالى:﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [إبراهيم:9](1)
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: معنى ذلك: فعضوا على أصابعهم، تغيظا عليهم في دعائهم إياهم إلى ما دعوهم إليه.وعن عبد الله قال: عضوا على أطراف أصابعهم.وعن ابن عباس: قال: لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم.
وعن مجاهد قال: ردوا عليهم قولهم وكذبوهم.وعن قتادة قال: ردوا على الرسل ما جاءت به.
قال أبو جعفر: وكأن مجاهدا وجّه قوله: (فردوا أيديهم في أفواههم) ، إلى معنى: ردوا أيادي الله التي لو قبلوها كانت أيادي ونعما عندهم، فلم يقبلوها؛ووجّه قوله:(في أفواههم)، إلى معنى: بأفواههم.
يعني: بألسنتهم التي في أفواههم.
وعلى هذا فحرف الجر (في) بمعنى: (الباء)
وقد ذكر عن بعض العرب سماعا:" أدخلك الله بالجنة".
يعنون: في الجنة، وينشد هذا البيت

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنَّنِي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ *

يريد: وأرغب بها، يعنى بابنة له،عن لقيط، ولا أرغب بها عن قبيلتي. (2)
يقال: رد فلان يده إلى فمه، أي: أمسك فلم يجب، قاله أبو عبيدة.
و(في) بمعنى: الباء.
والمعنى: ردوا الأيادي بأفواههم، ذكره الفراء، وقال: قد وجدنا من العرب من يجعل (في) موضع (الباء)، فيقول: أدخلك الله بالجنة، يريد: في الجنة، واستشهد بالبيت السابق.(3)

---

1. سورة إبراهيم، الآية:9
2.تفسير الطبري 530/16
3. ينظر:زاد المسير في علم التفسير506/2
المعنى: أرغب فيها، يعني: بنتا له، يريد: أرغب بها، وسنبس: قبيلة.

و(في) بمعنى:(الباء) أي: بأفواههم.
والمعنى: كذبوهم بأفواههم.
و(في) بمعنى:(الباء) يقال: جلست في البيت، وبالبيت.
وقال أبو عبيدة: هذا ضرب مثل أي: لم يؤمنوا ولم يجيبوا.
والعرب تقول للرجل إذا سكت عن الجواب وأمسك: رد يده في فيه، وقاله الأخفش أيضا.
وقال القتبي: لم يسمع أحد من العرب يقول: رد يده في فيه إذا ترك ما أمر به انتهى. ومن سمع حجة على من لم يسمع هذا أبو عبيدة والأخفش نقلا ذلك عن العرب، فعلى ما قاله أبو عبيدة يكون ذلك من مجاز التمثيل، كأن الممسك عن الجواب الساكت عنه وضع يده فيه.
وقد رد الطبري قول أبي عبيدة وقال: إنهم قد أجابوا بالتكذيب لأنهم قالوا: إنا كفرنا بما أرسلتم به، ولا يرد ما قاله الطبري؛ لأنه يريد أبو عبيدة أنهم أمسكوا وسكتوا عن الجواب المرضي الذي يقتضيه مجيء الرسل بالبينات، وهو الاعتراف بالإيمان والتصديق للرسل.
قال ابن عطية: ويحتمل أن يتجوز في لفظة الأيدي أي: أنهم ردوا قوتهم ومدافعتهم (1)
وقال أبو عبيدة: هذا ضرب مثل، تقول العرب:(رد يده في فيه) ، إذا أمسك عن الجواب ، وقاله الأخفش أيضا. وقال القتيبي: لم نسمع أحدا يقول: (رد يده في فيه)؛ إذا ترك ما أمر به. ورد عليه، فإن من حفظ حجة على من يحفظ.(2)
والمراد من الأيدي نعم الله تعالى على ظاهرهم وباطنهم ولما كذبوا الأنبياء فقد عرضوا تلك النعم للإزالة والإبطال فقوله: فردوا أيديهم في أفواههم أي ردوا نعم الله تعالى عن أنفسهم بالكلمات التي صدرت عن أفواههم، ولا يبعد حمل (في) على معنى (الباء)؛ لأن حروف الجر لا يمتنع إقامة بعضها مقام بعض.(3)

---

1. البحر المحيط في التفسير 413/6
2.الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 73/7
3.تفسير الرازي70/19

وقال أبو مسلم: المراد باليد: ما نطقت به الرسل من الحجج؛ لأن إسماع الحجة إنعام عظيم، والإنعام يسمى يدا، يقال لفلان عندي، يد إذا أولاه معروفا وقد يذكر اليد والمراد منها صفقة البيع والعقد. (1)

فالباء للتعدية أي بالمعجزات الواضحة التي لا شبهة فى حقيتها فبين كل رسول لأمته طريق الحق. وهو استئناف لبيان نبئهم فردوا أيديهم في أفواههم أي أشاروا بها إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا بما أرسلتم به.

أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطا لهم من التصديق أوردوا أيديهم فى أفواه أنفسهم إشارة بذلك إلى الرسل أن كفوا عن مثل هذا الكلام.

فـ:(فى) بمعنى:(على) كما فى الكواشي. (2)

وقال قتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤوا به يقال رددت قول فلان فى فيه أي: كذبته.

والرد: مستعمل في معنى تكرير جعل الأيدي في الأفواه كما أشار إليه (الراغب).

أي وضعوا أيديهم على الأفواه ثم أزالوها ثم أعادوا وضعها فتلك الإعادة رد.

وحرف (في) للظرفية المجازية المراد بها التمكين، فهي بمعنى (على) كقوله:﴿ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الزمر:22] (3) فمعنى فردوا أيديهم في أفواههم جعلوا أيديهم على أفواههم.وعطفه بفاء التعقيب مشير إلى أنهم بادروا برد أيديهم في أفواههم فور تلقيهم دعوة رسلهم، فيقتضي أن يكون رد الأيدي في الأفواه تمثيلا لحال المتعجب المستهزئ، فالكلام تمثيل للحالة المعتادة وليس المراد حقيقته، لأن وقوعه خبرا عن الأمم مع اختلاف عوائدهم وإشاراتهم واختلاف الأفراد في حركاتهم عند التعجب قرينة على أنه ما أريد به إلا بيان عربي.(4)

وقال آخرون: هذا مثل، وإنما أريد أنهم كفوا عما أمروا بقوله من الحق، ولم يؤمنوا به ولم يسلموا. وقال: يقال للرجل إذا أمسك عن الجواب فلم يجب: " رد يده في فمه ".

1.اللباب في علوم الكتاب 346/11

2.روح البيان 402/4

3.سورة الزمر، الآية:22

4. التحرير والتنوير 197/13

وذكر بعضهم أن العرب تقول: " كلمت فلانا في حاجة فرد يده في فيه"، إذا سكت عنه فلم يجب.
قال أبو جعفر: وهذا أيضا قول لا وجه له؛لأن الله عز ذكره، قد أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ [إبراهيم:9] (1) ، فقد أجابوا بالتكذيب.
قال أبو جعفر:
وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل هذه الآية، القول الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود: أنهم ردوا أيديهم في أفواههم، فعضوا عليها، غيظا على الرسل، كما وصف الله جل وعز به إخوانهم من المنافقين، فقال: ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران:119] (2) ؛ فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم من "رد اليد إلى الفم".(3)
وهذا التركيب لا أعهد سبق مثله في كلام العرب فلعله من مبتكرات القرآن.
وأولاها بالاستخلاص أن يكون المعنى: أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم إخفاء لشدة الضحك من كلام الرسل كراهية أن تظهر دواخل أفواههم.
وذلك تمثيل لحالة الاستهزاء بالرسل.(4)
وأشار صاحب الجني الداني إلى أنّ (في) تكون بمعنى (إلى)، كقوله تعالى :﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [إبراهيم:9] (5) ، أي: إلى أفواههم.(6)
أي: كناية عن عدم الرد، وعن ترك الكلام (7)

---

1. سورة إبراهيم، الآية:9
2. سورة آل عمران ، الآية: 119
3.تفسير الطبري 535/16
4.التحرير والتنوير 196/13
5. سورة إبراهيم، الآية:9
6.الجني الداني في حروف المعاني 252/1
7.أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 37/3

وأن تكون بمعنى: (إلى) الغائية؛ نحو: دعوت الأحمق للسداد؛ فرد يده، في أذنيه، أي: إلى أذنيه، كي لا يسمع النصح.(1) غير أنها في بعض الأحيان قد ترادف (إلى) فتقترض معنى انتهاء الغاية منها نحو الآية السابقة. أي إلى أفواههم.(2)

وبعد هذا العرض تبيّن لنا أنّ حرف الجر (في) قوله تعالى:﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [إبراهيم:9](3) تحمل عدّة معان مختلفة هي:معنى (الباء) ،والمعنى الثاني بمعنى: (على) والمعنى الثالث معنى : (إلى) ولكل فريق وجهة نظره في توجيه هذه المعاني المتقاربة، والله الموفق للصواب.

---

1. النحو الوافي 508/2
2.ظاهرة التقارض في النحو العربي 268/59
3. سورة إبراهيم، الآية:9

الخاتمة

لا شكّ أنّ الانتهاء إلى حوصلة المكاسب وإحصاء النّتائج وتقرير الفوائد التي خلص إليها الباحث أمر يتّسم عادة بالعمومية؛ لأنّ البحث لا تعكس قيمته الخاتمات، مهما ركّزت ومهما استفاضت، ومع ذلك يسعنا أن نقول:إنّ "الزّمخشري" من خلال تفسيره قد أعطى للبحث البلاغي دفعا قويا انعطف به منعطفا رجع على الدّرس البلاغي بالجدوى من أكثر من صعيد. وقد خلصنا إلى بعض النقاط الأساسية التي توصّلنا إليها ،نوجز بعضا منها:

للتضمين فقال:"ومن شأنهم أن)الزّمخشري(1: إقراره بالتضمين والدفاع عنه: حيث أشار يضمّنوا الفعل معنى فعل آخر فيجروه مجراه ، ويستعملوه استعماله مع إرادة معنى المتضمن والغرض في التضمين إعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ.

واستفاد البلاغيون والنحاة والمفسرون من هذا الطرح فردد الجميع مقولة الزمخشري بحذافيرها في مؤلفاتهم.

2. موقفه من تعاقب معاني حروف الجر

يقتدي (الزمخشري) بالأوائل في القول بنيابة الحروف مع الإكثار من الشواهد في كشافه، ويرى إبدال حرف من حرف من باب التعاقب؛ لأنّ حروف الجر يبدل بعضها من بعض ، ومنه قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ [المطففين:2]

وقال الزمخشري: لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم، أبدل (على) مكان (من) للدلالة على ذلك.

ويستشهد بقول الفراء فقال:" وقال الفراء (من) و(على) يعتقبان في هذا الموضع؛ لأنه حق عليه، فإذا قال: اكتلت عليك، فكأنه قال: أخذت ما عليك، وإذا قال: اكتلت منك، فكقوله: استوفيت منك.

وقد جعل ابن هشام (على) بمعنى (من) موافقا بذلك الزمخشري.

3. تعدية الفعل بحرفين متقاربين

ورد في القرآن الكريم الفعل (وسوس) متعديا بـ (اللام) وأخرى بـ(إلى) فبين الزمخشري الفرق بين التعديتين فقال:" فإن قلت: كيف عدى وسوس تارة بـ(اللام) ...وأخرى بإلى؟

فإذا قلت: وسوس له، فمعناه: لأجله.

ومعنى :(وسوس إليه) أنهى إليه الوسوسة، كقولك. حدّث إليه. وأسرّ إليه.

وتعديته بـ(اللام) في الأعراف باعتبار أن الوسوسة كانت لأجلهما.

وإذا عدي بـ:(إلى) ضمن معنى: الإنهاء، وإذا جيء بـ:(اللام) بعده نحو وسوس له فهي للبيان.

واقتفى صاحب التحرير والتنوير بقول (الزمخشري) فقال:"وتعدية فعل (وسوس) هنا بحرف (إلى) وبـ(اللام) في سورة الأعراف (فوسوس لهما الشيطان) باعتبار كيفية تعليق المجرور بذلك الفعل في قصد المتكلم، فإنه فعل قاصر لا غنى له عن التعدية بالحرف ، فتعديته بحرف (إلى) هنا باعتبار انتهاء الوسوسة إلى آدم وبلوغها إياه، وتعديته باللام في الأعراف باعتبار أن الوسوسة كانت لأجلهما.

4. التعدية بين حرفين متقاربين للجمع بين اللغتين

يرى (الزمخشري) في تعدية الحرف أحيانا بحرفين متقاربين هو من باب الجمع بين اللغتين فقال:"يقال: هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين؛ومنه:دعاه إلى كذا ودعاه له، كما تقول: هداه إلى الطريق وهداه له.

5. المغايرة بين حرفين

يرى أن المغايرة بين حرفين لا تكون إلاّ لدلالة بلاغية، ومنه قوله تعالى:﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:24] فقال:فإن قلت:

كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال؟

قلت: لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدرى أين يتوجه.ويتبنى هذه الفكرة مجموعة من البلاغيين والمفسرين وغيرهم ونقتصر على صاحب كتاب "المثل السائر" ابن الأثير رحمه الله الذي ردد هذه العبارة وأضاف: وهذا معنى دقيق ، قلما يراعى مثله في الكلام.وكثيرا ما سمعت إذا كان الرجل يلوم أخاه، أو يعاتب صديقه على كل أمر من الأمور، فيقول له: أنت على ضلالك القديم كما أعهدك، فيأتي بـ(على) في موضع (في)، وإن كان هذا جائزا إلا أن استعمال (في) ههنا أولى...

وهذه لطائف ودقائق لا توجد إلا في هذا الكلام الشريف، فاعرفها، وقس عليها.

6. رفضه لتعاقب الحرفين أحيانا

يرفض (الزمخشري) في بعض الأحيان فكرة تعاقب الحرفين، حيث بيّن موقفه قائلا:

فإن قلت: يجرى لأجل مسمى، ويجرى إلى أجل مسمى: أهو من تعاقب الحرفين؟

قلت: كلا، ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن*ولكن المعنيين،أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض ؛لأن قولك يجري إلى أجل مسمى: معناه يبلغه وينتهي إليه

وقولك: يجرى لأجل مسمى: تريد يجري لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى.

وعليه فحرف (إلى): للانتهاء، وليست (إلى): بمعنى (اللام) بل (اللام) للاختصاص.

7. العدول من حرف لآخر

يرى الزمخشري أنّ العدول من حرف لآخر هو للرسوخ والاستحقاق ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوب:60]

و(اللام) في للفقراء للاختصاص.فقال:"إنما الصدقات للفقراء قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها، لا يتجاوزها إلى غيرها، كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم. ونحوه قولك. إنما الخلافة لقريش. تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم....

فإن قلت: لم عدل عن (اللام) إلى (في) في الأربعة الأخيرة ؟

قلت: للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره؛ لأن (في) للوعاء، فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا، وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر، وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص

*بليد الطبع ضيق العطن في الصحاح: أنه مبرك الإبل عند الماء، لتشرب عللا بعد نهل.

والإنقاذ ، ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة، وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال.
وتكرير (في) في قوله:(وفي سبيل الله وابن السبيل) فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين.
ويقتدي ابن الأثير بقول الزمخشري ،ويضيف قائلا:" وتكرير (في) في قوله:(وفي سبيل الله) دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين، وسياق الكلام أن يقال: وفي الرقاب والغارمين، وسبيل الله وابن السبيل، فلما جيء بـ:(في) ثانية، وفصل بها بين الغارمين وبين سبيل الله علم أن سبيل الله أوكد في استحقاق النفقة فيه...وهذه لطائف ودقائق لا توجد إلا في هذا الكلام الشريف، فاعرفها، وقس عليها.
لكن ابن المنير رحمه الله له يكشف عن السر في كل من الحرفين(اللام،وفي) فقال: "
وثم سر آخر هو أظهر وأقرب وذلك أن الأصناف الأربعة الأوائل ملاك لما عساه يدفع إليهم، وإنما يأخذونه ملكا، فكان دخول (اللام) لائقا بهم. وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم، بل ولا يصرف إليهم. ولكن في مصالح تتعلق بهم، فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون ، فليس نصيبهم مصروفا إلى أيديهم حتى يعبر عن ذلك بـ(اللام) المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم، وإنما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به، وكذلك العاملون إنما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصا لذممهم لا لهم. وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك. وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجا في سبيل الله، وإنما أفرد بالذكر تنبيها على خصوصيته ، مع أنه مجرد من الحرفين جميعا، وعطفه على المجرور بـ(اللام) ممكن، ولكنه على القريب منه أقرب والله أعلم."
ومن خلال هذا الطرح القيم الذي تبنّاه الزّمخشري في تنوع بعض معاني دلالات الحروف التي تنبئ على فهمه العميق حيث بيّن معاني الحروف بين كلّ حرف وآخر.
وهذا الطرح العجيب يكشف من ورائه على غزارة علمه ، ومتانة رأيه في التنويه بهذه اللغة.

8.حذف الحرف لدلالة بلاغية

الأصل أن تثبت حروف الجر ؛ لأنّها حروف معان لا يستقيم المعنى إلاّ بها ، ولا يفهم مدلول الجملة إلاّ بها، وقد يحذف الحرف وعدوا حذفه من الشواذ المسموعة ولا يجوز القياس عليه، واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر: كما عسل الثعلب ...
على أنّ القرآن يؤسس لقاعدة أوسع ،وأشمل تفضي إلى أساليب في التعبير رحيبة، دقيقة المعنى فمن ذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:16]
وعليه: فكلمة (صراط) في الآية منصوبة، والفعل الذي يطلبها هو(قعد) ، وهو لازم، وللنحاة في توجيه نصبها ثلاثة أقوال:
1. أنه منصوب على إسقاط الخافض وهو رأي الأخفش قال: (أي على صراطك، كما تقول توجه مكة أي: إلى مكة وقال الشاعر:

كأني إذ أسعى لأظفر طائرا مع النجم في جو السماء يصوب

يريد: لأظفر بطائر، فألقى الباء.
ووافقه الزجاج، وحكى الإجماع على ذلك قال: "لا اختلاف بين النحويين في أن (على) محذوفة، ومن ذلك قولك ضرب زيد الظهر والبطن".
2. أنه منصوب على الظرفية المكانية: وإليه مال الفراء قال:"المعنى - والله أعلم- لأقعدن لهم على طريقهم، أوفي طريقهم، وإلقاء الصفة من هذا جائز، كما قال قعدت لك وجه الأرض، وعلى وجه الأرض؛ لأن الطريق صفة في المعنى فاحتمل ما يحتمله اليوم والليلة والعام إذا قيل آتيك غدا أو في غد".

3. هو مفعول به للفعل: (لأقعدن) لأنه قد ضمن معنى (لألزمن) ذكره أبوحيان، والسمين وغيرهم.

بينما يرى صاحب التنوير أنّ نصب لفظ (صراطك) هو من باب التضمين فقال:"

ولما ضمن فعل: لأقعدن معنى الملازمة، انتصب صراطك على المفعولية.

أو على تقدير فعل تضمنه معنى لأقعدن.

تقديره: فأمنعن صراطك ؛ أو فأقطعن عنهم صراطك.

ويرى سيبويه ـ رحمه الله ـ أنّ هناك حرفا محذوفا وهذا واضح من مثاله حيث قال:"ومطرنا السهل والجبل، وقلب زيد ظهره وبطنه.

فالمعنى أنهم مطروا في السهل والجبل، وقلب على الظهر والبطن. ولكنهم أجازوا هذا، كما أجازوا " قولهم ": دخلت البيت، وإنما معناه دخلت في البيت.

والعامل فيه الفعل.

9.تعدية الفعل بحرف مضاد.

تعرض (الزمخشري) للفعل رغب حيث يرى أنّ هناك أفعالا عند تعديتها بالحرف تعطي معنى مضادا ومنه الفعل رغب وزهد

رغب فيه: أراده.ورغب عنه: لم يرده. فرغب عنه، أي: رفع الرغبة عنه، وهو بخلاف رغب فيه، ففي أحد الأمرين وضع، وفي الآخر رفع. تفسير ابن فورك

والزّمخشري كان أكثر المفسرين استلهاما لمعاني الحروف، وكان أكثرهم كشفا عن أسرارها، والغوص في أعماقها وهو القائل:(ولله درّ أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها،لا تكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسدّ مدارجه.

وعليه:

فمعاني الحروف هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر،كثير الفوائد، جم المحاسن، جمع الزمخشري فيه بين لطائف النحو، ودقائق فقه البلاغة، واستودع فيه غرائب المعاني، وبدائع المباني، فاصغ لما يتلى عليك من بيان لطائف حقائقه، واستمع لما يلقى إليك من كشف غوامض دقائقه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس سور القرآن الكريم

السورة رقم الآية:
1. البقرة: 3-5-7- 8-9-14- 17-20-22-25 -30-38-41- 45-47- 83-102- 103 -124- 133-137 - 143- 148-157-166-176- 185-187-195– 204-206- 210-219-226-233-251-253-258- 273- 275- -286.
2. آل عمران: 28-75-91-97-102-118-119-123-133-136-153-174-176-183-184-191.
3. النساء: 2-5-6-21-23-24-35-36-38-39-41-42-45-46-47-76-79-87-97- 103-106-136- 139-140-141-146-155-156-160-170.
4. المائدة: 4-5-6-37-41-54-61-62-63-68-78-107-108-117.
5. الأنعام: 3-10-31-39-57-68-71-89-91-100-104-108-117-125-153-160.
6.الأعراف:16-22-43-60-66- 67-94-104-105-134-138-149-150-155-187- 202.
7.الأنفال: 2-66.
8.التوبة: 5-25-29-38-40-41-45-60-65-93-109.
9.يونس: 12-35-58-63-70-78-83-88-92-94-103.
10.هود: 6-37-40-41-48-60- 80-84-91-109-110-119.
11.يوسف: 3-8-15-23-25-30-43-48-56-63-76-95-100.
12.الرعد: 6-11-33-39.
13.إبراهيم:3-9-18-39.
14.الحجر:14-41-46-54-94.
15.النحل: 9-32-45-69-84-86-89-124.
16.الإسراء: 1-7-11-24-46-59-77-81-107.
17.الكهف: 11-15-22-23-28-42-57-62-71-79-101-104.
18.مريم: 23-25-47-83.
19.طه:5-10-13-18-39-41-71- 84-128-131.
20.الأنبياء:1-77-90-101-104.
21.الحج:10-11-14-19-25-55-67-78.
22.المؤمنون:5-6-20-22-25-28-54-61-81-91.
23.النور:22-62.
24.الفرقان: 19-25-27-29-40-59-72-81-89.
25.الشعراء: 14-45-194.
26. النمل:66-68-72-79-87-90.
27.القصص: 11-15-23-27-29-37-44-77-81-88.
28. العنكبوت: 8-10-65-68-69.
29.الروم: 8-39-44.
30.لقمان: 15-41.
31.السجدة:26.
32.الأحزاب: 4-5-10-32-37-47.
33.سبأ:18-24-50.
34.فاطر:18-21-24-25.
35.يس:66-81.
36.الصافات: 31-77-102-103-137-138-171-177.

37.ص:83.
38.الزمر:19-22-23-40-56-67-71.
39.غافر:18-35-78-79-80.
40.فصلت: 5-45.
41.الشورى: 11-13-24-30.
42.الزخرف:13-28-36-48-51.
43.الجاثية:18-23.
44.الأحقاف:15-33-35-83.
45.محمد:10-38.
46.ق:5-28-41.
47. الطور:26-29-30-38-48-49.
48.النجم: 2- 12- 30.
49. القمر:5-6-12-14-34-50.
50.الرحمن:8-9.
51.الواقعة:60.
52.الحديد:27-28.
53.المجادلة:2-6.
54.الحشر:21.
55.الممتحنة:1
56.الصف:14.
57.الطلاق:4.
58.الملك:4-22-32.
59.القلم:2-4-6-7-36-37.
60.الحاقة:11.
61.المعارج:1-18-33-
62.المدثر:30.
63. القيامة:17-18.
64.الإنسان: 5-8.
65.النبأ:14-21-35.
66. النازعات: 18.
67.التكوير:22-24.
68.المطففين:2-3-26-28-30.
69.الانشقاق:23.
70.البروج:6-20.
71.الغاشية:26.
72.الفجر:6-22-28.
73.الشرح:1-6-20.
74.العلق: 1-14-18.
75.النصر:2.

فهرس الحديث الشريف

الحديث القدسي:

* يقول الله تعالى شأنه من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيه أفضل ما أعطي السائلين.

الأحاديث النبوية

1. كيف بكم وبزمان
2. يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة، تبقى حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم، وأماناتهم، واختلفوا، فكانوا هكذا... وشبك بين أصابعه، فقالوا: وكيف بنا يا رسول الله؟ قال: تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم ، وتذرون أمر عامتكم
3. كيف بك يا عبد الله إذا كنت في قوم قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا، وشبك بين أصابعه.
4. لا توعي فيوعي الله عليك، أرضخي ما استطعت.
5. نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف
6. من اقشعر جلده من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها
7. عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبدا، وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذا أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلا حط الله عنه خطاياه، كما تحات عن تلك الشجرة ورقها، وإنّ اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا أو اقتصادا أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم.
8. كل أمر ذي بال، لا يبدأ فيه بالحمد، أقطع
9. إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة رجل اتقاه الناس لشره ،أو قال: لفحشه.
10. إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره .
11. شرّ الناس من اتّقاه الناس لشرّه
12. شرّ الناس من عَظَّم أحداً لشرّه
13. "من مات ولم يحج حجة الإسلام لم يمنعه مرض حابس، أو حاجة ظاهرة، أو سلطان جائر، فليمت على أي حال شاء يهوديا أو نصرانيا"
14. اشترطي لهم الولاء فإن الولاء لمن أعتق"

قالت: ثم خطبهم، فقال: " ما بال الرجل يقول: أشتري فلانا والولاء لي، كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط "

15. "تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في الله"
16. "لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا "
17. لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح، لأتوهما ولو حبوا.
18. دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض.

19. "لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا "
20."ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع." 21.
21.كان الوحي اذا نزل سمعت الملائكة صوت مرار السلسلة على الصفا.
22.إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.
23. جاء رجل إلى النبي ﷺ، فاستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك؟ ، قال: نعم، قال:" ففيهما فجاهد."
24. أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك.

الأمثال العربية

1. لقد ذل من بالت عليه الثعالبُ.
2. الحريص يصيدك لا الجواد
3. خلا لك الجو فبيضي واصفري.
4. افعل كذا وخلاك ذم
5.من عزّ بزّ.
6.لقد ذل من بالت عليه الثعالب.

فهرس الأبيات الشعرية

الهمزة

1 أتهجوه ولست له بكفء فشر كما لخير كما الفداء
2 فيقينا على الشناءة تنمينا حصون وعزة قعساء
3 إنما ينكر الديانات قوم هم بما ينكرونه أشقياء
4 حذر الجور والتطاخي وهل ينـ ـباء قض ما في المهارق الأهواء

5 أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب
6 كأني إذ أسعى لأظفر طائرا مع النجم من جو السماء يصوب
7 لدن بهز الكف يعسل متنه فيه، كما عسل الطريق الثعلب
8 أربٌّ يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب
9 ديار التي كانت ونحن على مني تحل بنا لولا نجاء الركائب
10 فإن تسألوني بالنساء فإنني خبير بأدواء النساء طبيب
11 بالله ربك إن دخلت فقل له هذا ابن هرمة واقفاً بالباب
12 وأرغب فيها عن لقيط ورهطه ولكنني عن سنبس لست أرغب
13 فلست بمستبق أخا لا تلمه على شعث، أي الرجال المهذب؟
14 فإن يك عامر قد قال جهلا فإنّ مطية الجهل الشباب
15 مضوا سلفا قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال تشقلب

التاء

16 أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لعزة من أعراضنا ما استحلت

الثاء

17 ونابا علينا مثل نابك في الحيا فقلت له: اخترها قلوصا سمينة
18 متى ما تنكروها تعرفوها على أقطارها علق نفيث

الجيم

19 شربن بماء البحر ثم ترقعت متى لجج خضر لهن نئيج
20 نحن بنو جعدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج
21 هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

الحاء

22 من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح
23 فكان سيان أن لا يسرحوا نعما أو يسرحوه بها واغبرت السوح
24 ألا رب من قلبِي لَهُ الله نَاصح ومن قلبه لي في الظباء السوانح

الدال

25 وإن يلتق الحي الجميع تلاقني إلى ذروة البيت الكريم المصمد
26 اللؤم أكرم من وبر ووالده واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
27 أعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلّص سلس القياد
28 ضمنت برزق عيالنا أرماحنا بين المراجل والصريح الأجرد
29 فعد عما ترى ، إذ لا ارتجاع له وانم القتود على عيرانة أجد
30 ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد
31 إذا ما الخبر تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد
32 يقولون جاهد ، يا جميل ، بغزوة وأي جهاد غيرهن أريد
33 لعمرك إنّ الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد

34 مرج الدين فأعددت له مشرف الحارك محبوك الكتد
35 أعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلّص سلس القياد
36 هلا غضبت على ابن أمك معبد والعامري يقوده بصفاد
37 اللؤم أكرم من وبر ووالده واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
الراء
38 يا حبذا النيل على ضوء القمر وحبذا المساء فيه والسحر
39 وتركب خيل لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
40 بالقتل أقواما، وأقواما أسر تحت التي اختار له الله الشجر
41 إذا تغنى الحمام الورق هيجني ولو تغربت عنها أم عمار
42 مثل القنافذ هداجون قد بلغت نجران أو بلغت سوأتهم هجر
43 هن الحرائر لا ربات أحمرة سود المحاجر لا يقرأن بالسور
44 بأرض خلاء لا يسد وصيدها علي، ومعروفي بها غير منكر
45 ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن نبات الأوبر
46 لا تفزع الأرنب أهوالها ولا ترى الضب بها ينجحر
47 نحابي بها أكفاءنا ونهينها ونشرب في أثمانها ونقامر

48 ونطاعن الأعداء عن أبنائنا وعلى بصائرنا وإن لم نبصر
49 ولو ضنت يداي بها ونفسي لكان علي للقدر الخيار
50 تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
51 على لاحب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود النباطي جرجرا
52 إذ يسفون بالدقيق وكانوا قبل لا يأكلون شيئا فطيرا
53 علمتك ترعاني بعين بصيرة وتبعث حراسا علي وناظرا
54 ألا هل أتاها والحوادث جمة بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا
55 تقول وقد عاليت بالكور فوقها يسقي فلا يروى إلي ابن أحمرا
56 إذا حل عنها الرحل ألقت برأسها إلى شذب العيدان أو صفنت تمري
السين
57 آليت حب العراق الدهر أطعمه والحب يأكله فى القرية السوس
الضاد
58 ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط بأيدي الناعجات عريض
العين
59 أرمِي عليها وهي فرعٌ أجمع وهي ثلاث أذرع وإصبع
60 هم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا
61 غدت من عليه تنفض الطل بعدما رأت حاجب الشمس استوى فترفعا
62 لعمري لمن أمسى وأنت ضجيعه من الناس ما اختيرت عليه المضاجع
63 ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجودا إذا هب الرياح الزعازع
64 قعودا لدى أبياتهم يثمدونهم رمى الله في تلك الأكف الكوانع
65 وعليهما مسدودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع
66 وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع
67 كيف يرجون سقاطي بعدما لاح في الرأس بياض وصلع

68 أما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع
69 أرمي عليها وهي فرع أجمعٌ وهي ثلاث أذرع وإصبع

الفاء

70 إنى على ما ترين من كبرى أعلم من حيث تؤكل الكتف
71 غدت من عليه تنفض الطل بعدما رأت حاجب الشمس استوى فترفعا

القاف

72 جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوي من صديقي
73 إلى كم تقتل العلماء قسرا وتفجر بالشقاق وبالنفاق
74 وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق
75 تشب لمقرونين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق
76 ما كان ضرك لو مننت وربما الفتى وهو المغيظ المحنق

الكاف

77 مثل الرزق الذي تطلبه مثل الظل الذي يمشي معك
78 أنت لا تدركه متبعا وإذا وليت عنه تبعك
79 لئن هجوت أخا صدق ومكرمة لقد مريت أخا ما كان يمريكا

اللام

80 اخترتك الناس إذ غثت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده السول
81 أستغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد، إليه الوجه والعمل
82 غدت من عليه بعد ما تم خمسها تصل وعن قيض ببيداء مجهل
83 ولقد سريت على الظّلام بمغشم جلد من الفتيان غير مهبّل
84 وقد أخالس رب البيت غفلته وقد يحاذر مني ثم ما يئل
85 وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
86 وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاو مشل شلول شلشل شول
87 وقد أقود الصبا يوما فيتبعني وقد يصاحبني ذو الشرة الغزل
88 وقد زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي
89 وألقى بكفيه الفتي استكانة من الجوع ضعفا ما يمر وما يحلي

90 أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل
91 ألا نادت أمامة بارتحال لتحزنني فلا بك ما أبالي
92 ألا عم صباحا أيهَا الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
93 وَهل يعمن من كان أحدث عَهده ثلاثين شهرا فِي ثلاثة أحوال
94 وألد ذي حنق علي كأنما تغلي حرارة صدره في مرجل
95 ويركب، يوم الروع، منا، فوارس بصيرون، في طعن الأباهر، والكلى
96 وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
97 إما ترينا حفاة لا نعال لنا إنا كذلك ما نحفى وننتعل
98 أم لا سبيل إلى الشباب وذكره أشهى إلي من الرحيق السلسل
99 وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل سوى العدل شيئا فاستراح العواذل
100 فليس كعهد الدار يا أم مالك ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
101 فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

حرف الميم

102 فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم
103 سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم
104 أمرتك أمرا جازما فعصيتني فأصبحت مسلوب الإمارة نادما
105 إذا الطبيب بمحرافيه عالجها زادت على النفر أو تحريكه ضجما
106 تمرّون الدّيار ولم تعوجوا كلامكم عليّ إذا حرم
107 إذا قالت حذام فأنصتوها فإن القول ما قالت حذام
108 لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم
109 فلما رجت بالشرب هز لها العصا شحيح له عند الأداء نهيم
110 ختم الحب لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذمم
111 تناوله بالرمح ثم انثنى به فخر صريعا لليدين وللفم
112 على حالة لو أن في البحر حاتما على جوده لضن بالماء حاتم
113 على ساعة لَو أن في القوم حاتما على جوده ضنت به نفس حاتم
114 هلا سألت الخيل يا بنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
115 رأى برقا فأوضع فوق بكر فلا بك ما أسأل ولا أغاما

حرف النون

116 كيف تراني، قالبا مجني قد قتل الله زيادا، عني
117 بواد يمان ينبت الشث صدره وأسفله بالمرخ والشبهان
118 ولما رأيت الشمس أشرق نورها تناولت منها حاجتي بيمين
119 إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
120 كأن مخواها على ثفناتها معرس خمس وقعت للجناجن
121 سؤال حفي عن أخيه كأنه بذكرته وسنان أو متواسن
122 فكفى بنا فضلا على من غيرنا حب النبي محمد إيانا
123 قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

124 وقد علم القبائل من معد إذا قبب بأبطحها بنينا
125 بأنا المطعمون إذا أردنا وأنا النازلون بحيث شينا
126 كفى بجسمي نحولا أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني
127 لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت ديانى فتخزوني

الهاء

128 طال على رسم مهدد أبده وعفا واستوى به بلده
129 إذا رضيت عليّ بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها
130 فتنازعا سبطا يطير ظلاله كدخان مرتجل يشب ضرامها
131 مشمولة غلثت بنابت عرفج كدخان نار ساطع أسنامها
132 أدعو بهن لعاقر أو مطفل بذلت لجيران الجميع لحامها
133 حتى إذا ألقت يدا في كافر وأجن عورات الثغور ظلامها
134 فلما التقينا بين السيف بيننا لسائلة عنا حفي سؤالها
135 هون عليك فإن الأمور بكف الإله مقاديرها
136 سأحمل نفسي على فإما عليها وإما لها
137 وقد زعمت ليلى بأني فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها
138 في ليلة لا نرى بها أحدا يحكي علينا إلا كواكبها
139 عميرة ودع إن تجهزت غازيا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا
140 فهن المنايا أي واد سلكته عليها طريقي أو علي طريقها
الياء
141 تميم بن زيد لا تكونن حاجتى بظهر فلا يخفى عليك جوابها
142 فقلت له اخترها قلوصا سمينة وناب علينا مثل نابك في الحيا

أنصاف الأبيات
أنا أبو النجم وشعري شعري *

قد قتل الله زيادا عني

تحت التي اختار له الله الشجر

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به
بدينك هل ضممت إليك نعما
كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهيا

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
1.أحكام القرآن لابن العربي دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الثالثة 1424هـ 2003م
2.أحكام القرآن للجصاص تحقيق: محمد صادق القمحاوي دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبع: 1405هـ 1999
3.إعراب القرآن وبيانه محي الدين درويش دار الإرشاد حمص دمشق الطبعة الرابعة 1415هـ
4.إعراب القرآن للنحاس دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الأولى : 1421هـ
5.إعراب الجمل وأشباه د:فخر الدين قباوة دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الأولى 1392هـ 1972
6.أوضح المسالك لابن هشام الأنصاري دار الفكر للطباعة والنشر بيروت / لبنان د:ت
7.أساس البلاغة للزمخشري تحقيق محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1992م
8.أسرار البيان في التعبير القرآني فاضل السامرائي
9.أسرار البلاغة الجرجاني تعليق محمود شاكر،مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني جدة الطباعة1992
10.أسد الغابة تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ط 1994م
11.أدب الكاتب لابن قتيبة تحقيق محمد الدالي مؤسسة الرسالة بيروت لبنان د:ت
12.إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب العكبري مراجعة نجيب الماجدي المكتبة العصرية صيدا لبنان الطبعة الأولى 1423/ 2002 م
13.أضواء البيان محمد الأمين عالم الكتب بيروت لبنان 1400هـ
14.أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض لأحمد المقري تحقيق:مصطفى السقا وآخرون مطبعة لجنة التاليف والترجمة القاهرة: 1358 هـ 1939م
14.إسفار الفصيح الهروي تحقيق أحمد بن سعيد بن محمد قشاش جامعة المدينة المنورة
15.إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تأليف أبو السعود دار الفكر العربي بيروت لبنان د.ت
16.ارتشاف الضرب أبو حيان الأندلسي مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الأولى 1418هـ/1998م
17.الأصول تمام حسآن الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة مصر1985
18.الأصول في الفصول الجصاص وزارة الأوقاف الكويتية 1994م
19.الأصول في النحو لابن السراج تحقيق:عبد المحسن الفتيلي مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت
20.التبيان في إعراب القرآن للعكبري تحقيق علي محمد البجاوي مكتبة عيسى البابي الحلبي القاهرة
21.الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي تحقيق د:عبد الله شحاته دارغريب القاهرة تاريخ النشر 2001
22.الأشمونى على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1419هـ 1998 م
23.اللباب في علوم الكتاب أبو حفص سراج الدين عمر تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الأولى : 1419هـ 1998
24.الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر،دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة:1415هـ
25.التطبيق النحوي عبده الراجحي مكتبة المعارف للنشر والتوزيع مصر الطبعة الأولى 1999
26.الخصائص لابن جني تحقيق محمد علي البجاوي دار الكتاب العربي بيروت لبنان 1995
27.الاختيارين المفضليات، الأخفش الأصغر تحقيق فخر الدين قباوة 1999 دار الفكر دمشق سوريا
28.الدر المصون في علوم الكتاب السمين الحلبي تحقيق أحمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق سوريا
29.اللمحة في شرح الملحة لابن الصائغ تحقيق إبراهيم الصاعدي جامعة المدينة المنورة 2004
30.الطراز حمزة العلوي ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان
31.الأعلام للزركلي دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر 2002
32.الذخيرة للقرافي دار الغرب الإسلامي- بيروت الطبعة الأولى 1994م
33.الزهد والرقائق لابن المبارك تحقيق:حبيب الرحمن الأعظمي دار الكتب العلمية – بيروت
34.الموجز في قواعد اللغة العربية سعيد الأفغاني دار الفكر بيروت لبنان 2003
35.المنهاج الواضح تأليف حامد عون مكتبة الجامعة الأزهرية 1972

36.الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس دار الفكر بيروت لبنان د.ت
37.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر الجوهري الفارابي تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة: 1407هـ 1987 م
38.الصناعتين: أبو هلال العسكري تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية – بيروت : 1419هـ
39. العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1404 هـ
40.العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محي الدين دار الجيل بيروت 1981
41.المثل السائر لابن الأثير،تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة دار نهضة مصر، الفجالة القاهرة د.ت
42.الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري تحقيق حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة بيروت لبنان 1992
43.الفوز الكبير في أصول التفسير، الدهلوي الناشر: دار الصحوة – القاهرة الطبعة: الثانية 1986 م
44.الفائق في غريب الحديث للزمخشري تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة لبنان بيروت
45.المقرب لابن عصفور تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض دار الكتب العلمية طبعة 1998
46.المؤتلف والمختلف لابن القيسراني تحقيق كمال يوسف دار الكتب العلمية ،الطبعة الأولى 1411
47.المقتضب لابن المبرد تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة عالم الكتب بيروت لبنان د.ت
48.الانتصاف لابن المنير دار المعرفة بيروت لبنان
49.الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لابن الأنباري تحقيق محي الدين المكتبة العصرية الطبعة الأولى 1424 هـ 2003 م
50.المدارس النحوية شوقي ضيف دار المعارف القاهرة مصر
51.المفصل للزمخشري تحقيق علي بوملحم الناشر: مكتبة الهلال - بيروت الطبعة الأولى، 1993 م
52.المصنف لابن أبي شيبة تحقيق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد – الرياض الطبعة الأولى ، 1409 هـ
53.المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي تحقيق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى: 1421هـ 2000م
54.المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها أبو الفتح عثمان بن جني ،الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الطبعة: 1420هـ 1999م
55.المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة تحقيق: د سالم الكرنكوي مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الطبعة الأولى 1368هـ 1949م
56.المخصص لابن سيده تحقيق: خليل إبراهيم جفال الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى1417هـ 1996م
57.المصباح المنير للحموي المكتبة العلمية بيروت
58.المعجم الوسيط تأليف: إبراهيم مصطفى وآخرون.. الناشر: دار الدعوة القاهرة مصر
59.المعجم الكبير الطبراني تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي: مكتبة ابن تيمية – القاهرة
60.اللمع في العربية لابن جني ،المحقق: فائز فارس ،الناشر: دار الكتب الثقافية - الكويت
61.القاموس المحيط الفيروز آبادي مؤسسة الرسالة بيروت لبنان الطبعة الثامنة 2005
62.المفضليات للضبي تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السم محمد هارون دار المعارف القاهرة
63.الكامل في اللغة والأدب تأليف ، أبو العباس المبرد تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة الطبعة: الطبعة الثالثة:1417 هـ 1997 م
64.المفردات للراغب الأصفهاني الناشر: دار القلم بيروت الطبعة الأولى 1412 هـ
65.النحو الوافي عباس حسن دار المعارف مصر الطبعة الخامسة القاهرة 1985
66.النحو المصفى محمد عيد مكتبة الشباب القاهرة

67.الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لهارون بن موسى ، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن وزارة الثقافة والإعلام دائرة الآثار والتراث العراق الطبعة الأولى 1988
68. العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية للجرجاني شرح الشيخ خالد الأزهري تحقيق د البدراوي زهران الطبعة الثانية.

69.البلاغة العربية عبد الرحمن الدمشقي دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت الطبعة الأولى:1996م
71.البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية تأليف الدكتور محمد أبو موسى حسنين مكتبة وهبة القاهرة مصر الطبعة الثانية 1999
72.البلاغة تطور وتاريخ شوقي ضيف دار المعارف مصر الطبعة الثالثة 1976
73.البحر المحيط في التفسير لأبي حيان أثير الدين دار الفكر للطباعة والنشر بيروت لبنان 1420هـ
74.البرهان في أصول الفقه للجويني دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1997
75.البرهان في علوم القرآن للزركشي دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثانية 1972
76.البرهان في توجيه متشابه القرآن الكرماني دار الفضيلة بيروت د:ت
77.البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي دار صادر بيروت لبنان الطبعة الأولى 1988م
78.البيان والتبيين للجاحظ دار الفكر بيروت لبنان
79.البديع في البديع أبو العباس المعتز بالله دار الجيل بيروت لبنان الطبعة الأولى 1410 هـ 1990
80.المحيط في اللغة الصاحب بن عباد دار الفكر بيروت لبنان د.ت
81.الجمل في النحو الخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق فخر الدين قباوة الطبعة الخامسة 1995
82.الجني الداني في حروف المعاني للمرادي تحقيق قباوة دار الكتب العلمية بيروت 1992
83.المزهر في علوم اللغة للسيوطي تحقيق فؤاد علي منصور دار الكتب العلمية بيروت لبنان د.ت
84. الحيوان للجاحظ تحقيق:عبد السلام محمد هارون دار الجيا بيروت لبنان 1996
85.بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة عبد المتعال الصعيدي مكتبة الآداب القاهرة
86.بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية دار الكتاب العربي بيروت لبنان
87.تهذيب اللغة الأزهري دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى :2001 م
88.التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الغرناطي تحقيق عبد الله الخالدي دار ابن الأرقم بيروت لبنان الطبعة الأولى 1416هـ 1995م
89.تفسير ابن كثير ، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة:الثانية 1999م
90. تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور الدار التونسية للنشر تونس والمؤسسة الوطنية الجزائر 84
91.تفسير ابن عطية المحرر الوجيز دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الأولى : 1422هـ
92. تفسير الشعراوي مطابع أخبار اليوم القاهرة مصر 1997
93.التفسير القيم لابن القيم تحقيق حامد الفقى دار الفكر بيروت 1988.
94.تفسير المراغي دار الفكر بيروت لبنان د:ت
95.تفسير البغوي دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى :1420هـ
96.تفسير الرازي مفاتيح الغيب التفسير الكبير دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثالثة 1420
97.تفسير الطبري تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى :1420هـ 2000
98.التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب دار الفكر العربي القاهرة مصر
99.تفسير الألوسي دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى :1415هـ
100.تفسير النيسابوري دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى :1416هـ
101.تفسير ابن فورك جامعة أم القرى المملكة العربة السعودية الطبعة الأولى 1430هـ 2009 م
102.تفسير البيضاوي أنوارالتنزيل دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى 1418 هـ
103.تفسير روح البيان إسماعيل حقي ،دار الفكر بيروت لبنان
104.تفسير الجواهر الحسان للثعالبي تحقيق عمار طالبي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985
105.تفسير المنار لرشيد رضا الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1990م

106.تفسير القرطبي دار الكتب المصرية القاهرة الطبعة الثانية 1384 هـ 1964م
107.تفسير القاسمي محاسن التأويل ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى:1418هـ
108.تفسير النسفي ،دار الكلم الطيب بيروت لبنان الطبعة الأولى: 1998 م
109.تفسير الكشف للثعلبي دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى: 1422 هـ 2002 م
106.تفسير الكشاف للزمخشري دار المعرفة بيروت لبنان د.ت
107.التفسير المنير للزحيلي دار الفكر المعاصر دمشق سوريا الطبعة الثانية: 1418 هـ
108التفسير الوسيط لطنطاوي دار نهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة القاهرة الطبعة الأولى 1997
109.التفسير المظهري لمحمد ثناء الله مكتبة الرشدية باكستان الطبعة الأولى 1412 هـ
110.تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر العدواني المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي الجمهورية العربية المتحدة القاهرة مصر
111.تسهيل شرح ابن عقيل د: حسني عبد الجليل مؤسسة المختار للنشر الطبعة الثانية 2008
112. تلوين الخطاب في القرآن الكريم د طه رضوان دار الصحابة للتراث طنطا مصر ط1 2007
113 توضيح المقاصد والمسالك المرادي دار الفكر العربي بيروت 1428 هـ 2008 م
114. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي دار الهداية د:ت
115. جمهرة أشعار العرب القرشي تحقيف علي محمد البجاوي نهضة مصر للطباعة والتوزيع
116. جامع الدروس العربية الغلاييني المكتبة العصرية صيدا لبنان الطبعة الثامنة والعشرون 1993
117. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي المكتبة العصرية صيدا لبنان
118. حاشية الشهاب على البيضاوي شهاب الدين الخفاجي دار صيدا بيروت لبنان
119.حروف المعاني الزجاجي تحقيق علي توفيق الحمد مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى 1984
120. حماسة القرشي تحقيق خير الدين محمود قبلاوي وزارة الثقافة سوريا، دمشق الطبعة 1995 م
121. حاشية السيد الجرجاني على الكشاف دار المعرفة بيروت لبنان د.ت
122. حاشية الصبان على شرح الأشمونى دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى1997م
123. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية تأليف عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني مكتبة وهبة القاهرة مصر الطبعة الأولى 1413هـ 1992 م
124. خصائص التراكيب محمد أبو موسى مكتبة وهبة القاهرة مصر الطبعة السابعة 1992
125. خزانة الأدب الحموي تحقيق عصام شقيو دار الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت ط 2004
126. دراسات لأسلوب القرآن الكريم تأليف عبد الخالق عضيمة دار الحديث القاهرة مصر
127. دلالة الألفاظ عند الأصوليين توفيق محمد سعيد مطبعة الأمانة الطبعة الأولى 1987
128. دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني تعليق محمود شاكر،مطبعة المدني بالقاهرة، 1411هـ
129. ديوان امرئ القيس دار صادر بيروت
130. ديوان النابغة دار صادر بيروت
131. ديوان الفرزدق دار صادر بيروت
132. ديوان لبيد بن ربيعة العامري دار صادر بيروت
133. ديوان زهير بن أبي سلمى دار صادر بيروت
134. ديوان رؤبة بن العجاج دار صادر بيروت
135. ديوان عمرو بن كلثوم دار صادر بيروت
136. ديوان عنترة دار صادر بيروت
137. ديوان طرفة بن العبد الفرزدق دار صادر بيروت
138. ديوان كثير عزة دار صادر بيروت
139.ديوان خداش بن زهير دار صادر بيروت
140.ديوان قيس بن ذريح دار صادر بيروت
141. ديوان قيس بن الخطيم دار صادر بيروت
142. ديوان أبو ذئب الهذلي دار صادر بيروت

143. ديوان السموأل دار صادر بيروت
144. روائع البيان تفسير آيات الأحكام الصابوني - دمشق، مؤسسة بيروت الطبعة لثالثة:1400هـ
145. سبل الاستنباط محمود توفيق محمد سعيد مطبعة الأمانة مصر 1992
146. سمط اللآلي في شرح أمالي القالي تأليف: أبو عبيد عبد الله البكري الأندلسي تحقيق:عبد العزيز الميمني دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان
147.سنن أبي داود تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر المكتبة العصرية، صيدا – بيروت
148.سنن ابن ماجه تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مكتبة عيسى البابي الحلبي القاهرة مصر
149. سنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر
150. سحر البلاغة للثعالبي تحقيق: عبد السلام الحوفي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان
151. سر صناعة الإعراب لابن جني دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الأولى 200
152. شرح ديوان المتنبي للعكبري تحقيق: مصطفى السقا .. وآخرون الناشر: دار المعرفة - بيروت
153.شرح ديوان الحماسة للمرزوقي تحقيق: غريد الشيخ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى 1424 هـ 2003 م
154.شرح المعلقات التسع لأبي عمرو الشيباني تحقيق:عبد المجيد همو الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى،1422هـ 2001م
155.شرح المعلقات السبع للزوزني دار احياء التراث العربي لطبعة: الأولى 1423 هـ 2002 م
156.شرح الألفية لابن معطي تحقيق:علي موسى الشوملي دار البصائر الطبعة الأولى 2007 الجزائر
157.شرح نهج البلاغة لأبي الحديد دار مكتبة الحياة بيروت لبنان
158.شرح ابن عقيل على الألفية تحقيق محي الدين عبد الحميد دار الكتب العلمية بيروت/لبنان د.ت
159. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام تحقيق محي الدين عبد الحميد دار الطلائع 2004م القاهرة مصر
160.شرح التصريح على التوضيح خالد الأزهري دار الكتب العلمية الأولى:1421هـ 2000م
161. شعراء النصرانية ،جمع شيخو مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت عام النشر: 1890م
162. صحيح البخاري الناشر: دار الفكر - بيروت
163. صحيح مسلم الناشر: دار الفكر - بيروت
164. طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلّام تحقيق: محمود محمد شاكر الناشر: دار المدني – جدة
165. ظلال القرآن الكريم سيد قطب دار الشروق بيروت الطبعة العاشرة 1982
166.عيار الشعر طباطبا العلوي تحقيق محمد زغلول سلام منشأة المعارف الإسكندرية مصر د.ت
167.علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع المؤلف: مصطفى المراغي دار الكتب العلمية بيروت
168. عيون الأخبار لابن قتيبة الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت تاريخ النشر 1418 هـ
169. غريب القرآن لابن قتيبة ت أحمد صقر،الناشر: دار الكتب العلمية ،السنة: 1398 هـ 78 19
170.غريب الحديث لابن قتيبة تحقيق: د.عبد الله الجبوري مطبعة العاني – بغداد الطبعة:1397 هـ
171. غريب الحديث لإبراهيم الحربي تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد الناشر: جامعة أم القرى مكة المكرمة الطبعة: الأولى 1405هـ
172. غرائب التفسير وعجائب التأويل الكرماني دار القبلة جدة مؤسسة علوم القرآن بيروت د.ت
173. فتح القدير للشوكاني ،دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - ، بيروت الطبعة: الأولى1414 هـ
174. فنون التّصوير البياني توفيق الفيل، منشورات ذات السلاسل الكويت الطبعة الأولى1987
175. فقه اللغة المقارن إبراهيم السامرائي دار العلم للملايين ط الثالثة:1983
176. قضايا اللغة في كتب التفسير الجطلاوي ،كلية الآداب سوسة تونس الطبعة الأولى 1998
177. القطعية من الأدلة الأربعة محمد دكوري الناشر: جامعة المدينة المنورة، الطبعة: 1420هـ
178. قطر الندى وبلّ الصدى لابن هشام مكتبة ومطبعة محمد صبيح القاهرة مصر
179. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني حقيق:عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت

180. كشف المعانى فى المتشابه من المثانى الحموي الشافعي، بدر الدين تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف الناشر: دار الوفاء ـ المنصورة الطبعة: الأولى، 1410 هـ 1990 م
181. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل فاضل السامرائي ،الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان هـ 2003 م1423– الأردن الطبعة: الثالثة ،
182. لباب الإعراب لتاج الدين الإسفراييني دراسة وتحقيق بهاء الدين عبد الوهاب دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع الطبعة الأولى : 1405 هـ/1984مم
183. لطائف الإشارات القشيري تحقيق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة
184. معجم الأفعال المتعدية بحرف تأليف: موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي دار العلم للملايين بيروت لبنان الطبعة الثالثة 1983 م
185. مجاز القرآن للعز بن عبد السلام تحقيق محمد مصطفى بن الحاج منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس الطبعة الأولى 1992 م
186.مجاز القرآن أبوعبيدة ، تحقيق محمد فؤاد سزكين الخانجي القاهرة د.ت
187. معجم ديوان الأدب تأليف: أبو إبراهيم ..الفارابي تحقيق: دكتور أحمد مختار ومراجعة إبراهيم أنيس مطبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة 1424 هـ 2003 م
188. معترك الأقران السيوطي دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان الطبعة الأولى 1408 هـ
189. معاني القراءات للأزهري ،جامعة الملك سعود السعودية الطبعة: الأولى، 1412 هـ 1991م
190. مجموع الفتاوى لابن تيمية تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة عام النشر:1416 هـ 1995م
191. معاني القرآن وإعرابه للزجاج ،الناشر:عالم الكتب – بيروت الطبعة الأولى 1408 هـ 1988م
192. معاني القرآن الفراء تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر د.ت
193. معانى القرآن للأخفش الأوسط تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة الأولى: 1411 هـ 1990م
194.معجم القراءات تأليف عبد اللطيف الخطيب دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع دمشق سوريا طبعة:1422 هـ 2002 م
195. مفتاح العلوم تأليف يوسف بن أبي بكر السكاكي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية:1407هـ 1990م
196. مختار الصحاح الرازي تحقيق: يوسف الشيخ محمد: المكتبة العصرية بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، الطبعة: الثانية، ،1420هـ 1999م
197.معاني النحو:تأليف فاضل صالح السامرائي شركة العاتك القاهرة مصر
198.معجم ابن عساكر تحقيق: الدكتورة وفاء تقي الدين الناشر: دار البشائر – دمشق الطبعة الأولى: 1421هـ 2000م
199. مدارج السالكين لابن قيم الجوزية تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، 1416هـ 1996م
200. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص تأليف: عبد الرحيم ، أبو الفتح العباسي تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: عالم الكتب - بيروت
201.ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل تأليف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
202.من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم تأليف محمد الأمين الخضر مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى 1989 م
203. موطأ الإمام مالك تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان عام النشر:1406 هـ 1985 م
204. مجاني الأدب بن يعقوب شيخو مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت نشر 1913

205.مسند إسحاق بن راهويه تحقيق: محمد مختار ضرار الناشر: دار الكتاب العربي ط 2002 م
206.مناهل العرفان محمد عبد العظيم الزرقاني دار عيسى الحلبي القاهرة
207.من أسرار التعبير القرآني د: محمد أبو موسى مكتبة وهبة الطبعة الثانية1416هـ1996 م
207. مسند البزار مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة الطبعة الأولى 2009
208. ربيع الأبرار للزمخشري مؤسسة الأعلمي، بيروت الطبعة الأولى: 1412هـ
209. معنى القرآن المجيد مراح لبيد لكشف الجاوي تحقيق: محمد أمين الصناوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى 1417هـ
210.مجمل اللغة لابن فارس دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان دار النشر: مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية 1406هـ 1986
211. معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر 1979 م
213.مقدمة ابن خلدون تحقيق خليل شحاده : دار الفكر بيروت 1988
214. مجالس ثعلب دار الكتب العلمية بيروت لبنان
215. نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار تأليف **عبد الرحمن** الناشر: دار العباد - بيروت
216. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت الطبعة الأولى: 1404هـ 1984
217.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور البقاعي الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
218. نتائج الفكر في النَّحو السهيلي دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى: 1412هـ 1992
219. نفح الطيب للشيخ احمد المقري تحقيق: إحسان عباس دار صادر لبنان بيروت 1997
220. همع الهوامع للسيوطي المكتبة التوفيقية مصر

فهرس الموضوعات

الإهداء
مقدمة
مدخل حول الحرف
الفصل الأول التضمين
معنى التضمين
موقف اللغويين من التضمين
تتبع الزمخشري للتضمين
تضمين الفعل يألو
تضمين تظاهرون
تضمين المصدر حقيق
تضمين تقشعر
الفعل اكتال
تضمين الفعل أحس
تضمين يكيد
تضمين اختار
تضمين المصدر صراط
خاتمة التضمين
الفصل الثاني حرف الإلصاق
معنى الباء
باء البسملة
باء الاستعانة
استعارة باء الملابسة
معاني باء المسح
الباء في بيمينه
باء الإلصاق
معنى الباء في يشرب
باء التعدية
تعدية الفعل سرى
الباء في بالإثم
الفعل خسف بين التعدية واللزوم
تعدية المصدر
باء السببية
الباء بين السبب والمقابلة
دخول الباء للدلالة على شدة العناية
الباء بمعنى على
الباء بمعنى عن
الباء بمعنى في
باء المقابلة
باء المصاحبة
معاني الباء في ببدنك

حذف الباء
حذف باء فاصدع لدلالة بلاغية
زيادة باء بمن جاء
الباء بين الإثبات والحذف لدلالة بلاغية
زيادة الباء في الفعل تلقوا
باء بإلحاد
باء بجذع لتوكيد اللصوق
تكرار الباء فبذلك
إيثار الباء على الحرف (على)
الفرق بين حمي عنها وبها
إيثار من على الباء
دلالة وما هم بمؤمنين
زيادة الباء في الفعل كفى
اختلاف حكم (الباء) مع (التاء) و(الياء)
مميزات الباء
الفصل الثالث حرف الاستعلاء
معنى على عند النحاة
معنى الإيعاء
دلالة على الجارة مع أن المصدر
دلالة على الله رزقها
صيغة على الدالة على الوجوب
الحرف (على) مع سبق الضار
على بين الاستعلاء والتضمين
الاستعلاء في على شفا جر
على الاستعلائية الاستعارية
على للمصاحبة
(على) بمعنى (اللام)
إيثار على الجارة على الحرف إلى لدلالة بلاغية
على التعليلية
إيثار (على) الجارة على (اللام)
(اللام) بمعنى (على)
(اللام) في موضع (على)
استعمال (على) بمعنى (في)
تقديم على لإفادة الاختصاص
على والتعدية
التعدية بـ(على) دون اللام
تعدية قائم بـ(على)
تعدية يحل بـ: (على) للدلالة على التمكن
التعدية لإفادة التمكن
تعدية أهش بـ:(على)
معاني أنواع التعدية
مجيء (على) بمعنى عن
دلالة على بمعنى (من)

على بمعنى عند
اختلاف الحرفين على وفي
استعارة الخلق بـ: (على)
دلالة على الحق المبين
دلالة هذا علي صراط مستقيم
دلالة ولتصنع على عيني
الفصل الرابع حرف الوعاء
معنى في الظرفية
معاني (في)المجازية
معاني (في) الاستعارية
دلالة سقط في أيديه
اختلاف الحرفين اللام وفي
في الظرفية بمعنى: (من)
في الجارة بمعنى عن
في التعليلية
في الدالة على االمقايسة
في الجارة بمعنى الباء
في بمعنى (إلى)
معاني التعدية بـ: (في)
تعدية ركب بنفسه وبـ(في)
تعدية نبعث بحرفين مختلفين للتفنن
العدول من (على) لـ:(في) الظرفية
اختلاف الحرفين (على) و(فى)
دلالة وأصلح لي في ذريتي
تعدد دلالة في الجارة
الخاتمة
فهرس الآيات
فهرس الأحاديث
فهرس الأمثال
فهرس الأشعار
فهرس المصادر والمراجع

ملخص البحث

للزمخشري باع طويل في معاني الحروف ،حيث وصل في خدمة القرآن الكريم إلى دقائق المسائل، وأجلى كثيرا من الغوامض. وكان تحليله للأدوات الواردة في القرآن الكريم تحليلا ينبئ عن فقه لغوي سديد في العربية.

الكلمات المفتاحية

الحروف – الصفات – المعاني – الإضافة – الأداة ـ المعاقبة _ الاستعارة

Résumé

Ezzamakhchari a accompli de grandes avancées dans les significations des lettres ou des prépositions, où il a bien servi le coran en clarifiant une grande partie d'ambiguïté Son analyse des outils contenus dans le coran indique sa connaissance approfondie de la langue arabe.

Mots-clés

Lettres – attributs – significations ou concepts – addition – outil ou article(ex : article défini , veut dire : أداة التعريف)

métaphore (ce mot est employé aussi pour le terme: المجاز)

Abstract

Ezzamakhchari has accomplished great progress in the significances of the letters or prepositions then he served the Koran by clarifying a large part of ambiguity. His analyze of tools contained in the Koran indicated his thorough knowledge of Arabic language.

Keywords

Letters – meaning – complements– additions – tool or articles –

ملخص البحث

آثرت الحديث على التضمين في هذا البحث ، وحاجة الباحثين إليه ماسة، فالتضمين مسلك من مسالك اللغة العربية، وشعبة من شعبها؛ وميزة خصت به هذه اللغة حيث اختصها الله بهذا الميزة لمعرفة مستودعات أسرار يدق مسلكها، ولطائف معان يدق فيها مباحث للفكر، وغوامض أسرار، محتجبة وراء التضمين.

لذا كان لزاما على من يتصدى لدراسة هذه اللغة أن يكون ملما بمعالم التضمين ليعرف معاني السياق القرآني الذي كثر فيه التضمين في كثير من آياته المعجزة ،فالأخذ بالتضمين مسلك من مسالك توجيه الكلمات إلى نصابها اللغوي الصحيح، وهذا لاستنباط كثير من المعاني اللغوية التي أحاط بها القرآن الكريم، والقرآن الكريم هو دستور هذه اللغة الشريفة.

هذا وقد تعرّض علماء اللغة الأوائل للتضمين ،وقدّموا فيه بحوثا قيّمة، تنبئ عن مكانتهم العلمية، ومعرفتهم بتذوق أساليب اللغة العربية التي بيّنت سبقهم في هذا المجال.

ومدار التضمين يدور حول ما قالته العرب بلسانها العربي المبين خدمة لكتاب ربها الذي اشتمل على كثير من المعاني المتوارية التي لا يبين معناها إلاّ بالتضمين الذي هو رافد معرفي من العربية، ينبغي على من تصدى لدراسة القرآن الكريم أن يكون بصيرا به، عارفا بخباياه المعرفية.

لذا كان على طلاب العربية معرفة التضمين الذي هو أحد ركائز اللساني العربي المبين.

فالتضمين من القضايا التي شغلت علماء اللغة في القديم والحديث، وهو أسلوب من أساليب التوكيد على رأي بعض العلماء، لذا تبارى فيه علماء اللغة الأجلاء.

وقد أشار الزّمخشري للتضمين فقال:

"ومن شأنهم أن يضمّنوا الفعل معنى فعل آخر فيجروه مجراه ، ويستعملوه استعماله مع إرادة معنى المتضمن، قال والغرض في التضمين إعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ؛ ألا ترى كيف رجع معنى قول الله تعالى:﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف:28] إلى قولك: ولا تقتحم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم ، وكذلك قوله تعالى:﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء:2] أي:لا تضموها إليها آكلين .

وواضح أن هذا ثراء لفظي، يزيد في مرونة لغتنا، وسعة تصرفها، ولهذا آثرناه.
وعليه فإن الفعل (عدا) يتعدى بنفسه، لكن لما ضُمِّن الفعل (تعدو) معنى: تَصْرِف وتجاوز، فتعدى بحرف الجر (عن).
والذي شدّ انتباهي في معرفته لأسرار الحروف تخريج القاضي ابن العربي فقه معنى هذه الآية، ولم يكتف باستنباط الأحكام الشرعية المعروفة الذي عند الفقهاء، فقد أدلى بآراء جديرة بالدراسة اللغوية، وجدير بعلماء اللغة أن يقفوا عليها ،ويفقهوا رأيه في اعتنائه بلغة القرآن الكريم.
حيث أشار إلى التخريج اللغوي والنحوي قائلا:
الإيلاء في لسان العرب هو: الحلف.
والفيء: هو الرجوع.
والعزم: هو تجريد القلب عن الخواطر المتعارضة فيه إلى واحد منها.
وبعد هذا المدخل اللغوي الجميل كشف عن السرّ في إيثار الحرف (من) على الحرف (على) فقال:للذين يعتزلون من نسائهم بالألية، فكان من عظيم الفصاحة أن اختصر، وحمل آلى معنى: اعتزل النساء بالألية حتى ساغ لغة أن يتصل آلى بقولك (من)،ونظمه في الإطلاق أن يتصل بآلى قولك (على). تقول العرب: اعتزلت من كذا وعن كذا.
وآليت وحلفت على كذا، وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال، وجهلت النحوية هذا فقال كثير منهم: إن حروف الجر يبدل بعضها من بعض، ويحمل بعضها معاني البعض، فخفي عليهم وضع فعل مكان فعل، وهو أوسع وأقيس، ولجوا بجهلهم إلى الحروف التي يضيق فيها نطاق الكلام، والاحتمال.
والبحث في التضمين يطول لمن أراد أن يستوفي البحث حقه، والكلام فيه تتنازعه الحقيقة والمجاز، والنحو والبلاغة، وقد وقفنا على بعض الآيات التي اشتملت على التضمين ، وبيّنا فيه آراء العلماء.
وقد وجدنا الطبري أفاض القول فيه، ويعد عمله الذي قام به نواة للمفسرين واللغويين الذين جاءوا من بعده.
ونرى الزمخشري استفاد كثيرا من الطرح الذي طرحه الطبري وهذا واضح في كثير من الآيات التي توقف فيها الطبري ؛لكن الطبري لم يستعمل مصطلح (التضمين) وإنّما أبدله ببعض المعاني كالحمل والتناوب والتأويل والوضع وغيرها..
وركزنا فيه على آراء الزمخشري الذي وقف على كثير من الآيات مبينا فيه وجهة نظره في التضمين مشيرا إلى أهميته في خدمة اللغة وبيان بعض أسرارها البلاغية

والتضمين من الوسائل المعينة في تصريف المعاني وتوجيه دلالاتها، من معنى لآخر، وسوقها حسب المعنى الدلالي لها ، دون لبس أو خلل، وذلك باستعمال حروف المعاني في مواضعها الخاصة بها؛ولا يتأتى ذلك إلاّ للبلغاء العارفين بأساليب تذوق اللغة العربية.

وفيه يقول فاضل السامرائي:" وللتضمين غرض بلاغي لطيف، وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب، وذلك بذكر فعل وذكر حرف جر يستعمل مع فعل آخر،.فنكسب بذلك معنيين معنى الفعل الأوّل ومعنى الفعل الثاني.

والتضمين : حين يقع الحرف في غير مكانه مما يتطلب الدقة في الوقوع على سر تسلسله إلى هذا الوضع واستراق السمع للوصول إلى ما يهمس به من ثواني المعاني"ولا يعدو أن يكون محاولة لإيجاد وجه يصح معه وقوع الحرف المعهود في مكانه

ومن خلال الشواهد التي قدّمناها نرى:" أنّ النحويين وعلماء اللغة في حيرة واضطراب، فهم يرون حرفا قد استعمل في مكان آخر، ولا بدّ أن يتخلصوا من هذه الحيرة، وهذا الاضطراب بوسيلة من وسائلهم الخاصة بهم. (2)

والتضمين سماعي لا قياسي، وإنما يذهب إليه عند الضرورة أما إذا أمكن إجراء اللفظ على مدلوله فإنه يكون أولى وكذا الحذف والإيصال، لكن لشيوعهما صار كالقياس حتى كثر للعلماء التصرف والقول بهما فيما لا سماح فيه.(3)

والصحيح عندهم أن التضمين قياسي؛ والأخذ بهذا الرأي يفيد اللغة تيسيرا واتساعا.

وله شروط ثلاثة.

الأول: تحقق المناسبة بين الفعلين.

الثاني: وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر، ويؤمن معها اللبس.

الثالث: ملاءمة التضمين للذوق البلاغي العربي.

والتضمين مبحث ذو شأن في اللغة العربية ، ولا يتأتى إلاّ للبلغاء العارفين بأسرار البلاغة.

هذه بعض الإشارات الخفية التي أومأنا إليها ، ولم نرد التعمق فيه؛ لأنّه باب واسع الأطراف فاكتفينا بهذه النماذج القيمة.

ونرى الزمخشري استفاد كثيرا من الطرح الذي طرحه الطبري وهذا واضح في كثير من الآيات التي توقف فيها الطبري ؛لكن الطبري لم يستعمل مصطلح (التضمين) وإنّما أبدله ببعض المعاني كالحمل والتناوب والتأويل والوضع وغيرها...

وقد طال البحث حول معاني الباء واستفدنا مما كتبه العلماء في هذا الباب ونورد راي ابن العربي في الباء.

فلابن العربي تخريج يستحق التنويه في انتقاء معاني حروف الصفات في هذه الآية المباركة فقال: قوله:﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج:25]

إنّ تخريجه هذا ينبئنا عن فهمه الثاقب لهذه اللغة، وموقفه في التعامل مع الفعل دون الحرف فهو لا يرى سبيلا في تخريج معنى الآية على الحرف (من) بل يرى أنّ السرّ يكمن في حمل الفعل على الفعل في معناه حيث أشار إلى ذلك صراحة على أنّ حمل : (آلى) على معنى (اعتزل) فنقول:اعتزلت من كذا وعن كذا ؛لأنّ الفعل اعتزل يتعدى بالحرف (من) و(عن) ، بحيث ساغ في عرف اللغة أن يتصل إلى:بـ:(من).

وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال.

ونعى على النحاة الذين يلتمسون مخرجا لإنابة حروف الجر،وإبدالها من بعضها،حيث خفي عليهم وضع فعل مكان فعل؛لأنّ حمل الفعل على الفعل أوسع وأقيس في التعامل مع اللغة

وقد علّق السيوطي على هذا المعنى فقال:"واختلفوا أيهما أولى، فقال أهل اللغة وقوم من النحاة: التوسع في الحرف.

وقال المحققون: التوسع في الفعل؛ لأنّه في الأفعال أكثر.

ومن كلام السيوطي تبيّن لنا أنّ ابن العربي كان من المحققين في اللغة وكفاه شرفا أنْ ألّف كتابا سماه:" ملجئة المتفقهين إلى معرفة غوامض النحويين.

ويمتاز التضمين من بقية وسائل التعدية بأنه قد ينقل الفعل اللازم طفرة إلى أكثر من مفعول واحد؛ ولذلك عدي: "آلوت" بمعنى: "قصرت" إلى مفعولين بعد أن كان الفعل قاصرا، ذلك في نحو قولهم: لا آلوك نصحا؛ لأنه تضمن معنى: "لا أمنعك" الذي ينصب مفعولين. .

تكلم الناس في دخول الباء هاهنا، فمنهم من قال: إنها زائدة، كزيادتها في قوله: وفي قوله تعالى: (ولله) اللام في قوله(ولله) لام الإيجاب والإلزام، ثم أكده بقوله تعالى: (على) التي هي من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب، فإذا قال العربي: لفلان علي كذا، فقد وكده وأوجبه. فذكر الله تعالى الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب تأكيدا لحقه وتعظيما لحرمته. ولا خلاف في فريضته، وهو أحد قواعد الإسلام، وليس يجب إلا مرة في العمر

وحين تسمع (اللام) و(على) فافهم أن الفائدة تقع على ما دخلت عليه (اللام) ،

والتبعة تقع على ما دخلت عليه(على) . فحين نقول:(لفلان على فلان كذا) فالنفعية لفلان الأول، والتبعة على فلان الثاني.
وحين يقول الحق سبحانه وتعالى: (ولله على الناس حج البيت) ؛ فعلى هذا فالنفعية هنا تكون لله، والتبعة هنا تكون على الناس، لكن لو فطنا إلى سر العبارة لوجدنا أن الله لا
وقد طالت وقفة الزمخشري مع كلمة (على) حين تقع في موقع يمكن أن يكون غيرها مكانها فيه. فالفعل غدا يتعدى بإلى ولكن إيثار كلمة (على) لشدة تمكن الوصول.
وعلى من قوله: (على حرثكم) مستعملة في تمكن الوصول إليه كأنه قيل: اغدوا تكونوا على حرثكم، أي مستقرين عليه.
ويجوز أن يضمن فعل الغدو معنى: الإقبال كما يقال: يغدى عليه بالجفنة ويراح.
والتخافت: تفاعل من خفت إذا أسر الكلام.
وأن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين تفسير لفعل يتخافتون وأن تفسيرية؛ لأن التخافت فيه معنى القول دون حروفه.

و(على) بمعنى (عند) و(في) ظرفا ،في قول الفرزدق:
تَمِيم بن زيد لَا تكونن حاجتي بِظهْر فَلَا يخفى عَلَيْك جوابها
أي:عندك.
وقوله:
على سَاعَة لَو أَن فِي الْقَوْم حاتما على جوده ضنت بِهِ نفس حَاتِم
أي: في كل موطن ،أو عند كلّ موطن.
و(على) بمعنى(مع) في قول الفرزدق:

وَلَو ضنت يداي بهَا وَنَفْسِي لَكَانَ عَليّ للقدر الْخِيَار
ولكان علي للقدر بمعنى:(مع القدر)
ومنه قول النابغة الذبياني في قوله:
فلست بمستبقٍ أخاً لا تُلمُّه على شعَثٍ أيُّ الرجال المهذَّبُ
" فهذا أجلُّ كَلام وأحسنه، ألا ترى أن قوله: فلست بمستبق أخا لا تلمه، كلام قائم بنفسه. فإن زدت فيه على شعث كان أيضا مستغنيا. ولو قلت أي الرجال المهذب، وهو آخر البيت، مبتدئا به كمثل أردته، كنت قد أتيت بأحسن ما قيل فيه.
و(على) بمعنى(مع)
و(على) بمعنى(من أجل) في قول عوف بن الخرع:
للزمخشري مقدرة عجيبة في لمح ما رواء الحروف من تصوير وتجسيد.

وللزمخشري مقدرة عجيبة في لمح ما رواء الحروف من تصوير وتجسيد.
وهذا ومثله إنما يكشف لنا جوانب من دقة اللغة، واستخدام القرآن الكريم لكلماتها، وحروفها استخداما بلغ الغاية في دقة التعبير، كما أنه كشف عن طاقة عجيبة تكمن في كلمات اللغة تراكيبها.
ونحن وإن كنا نقع على أمثال هذه الفروق في الشعر، والكلام المختار إلا أنها لا تطرد، ولا تسخو كما تطرد وتسخو في القرآن.
وهذا الفرق الكائن في أصل الدلالة كما ترى، هو الذي تتفرع عنه الدلالات البلاغية لهاتين الأداتين، ويظهر ذلك في تحليل الشواهد.
وهذا منتهى الحيدة في الجدل، فلم يصرح بأن منهجهم هو الضلال وأن منهجه هو الصواب المستقيم ثقة منه أنهم حين يستعرضون منهجه ويستعرضون منهجهم سيحكمون بأنه ﷺ على هدى وأنهم على ضلال. وهذا هو الجدل الارتقائي، مثلما
يعلم الحق رسوله ليقول لخصومه:﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:25] (2) هل يفعل الرسول جرائم؟ حاشا لله أن يفعل ذلك فهو المعصوم، وكأن الرسول ﷺ يقول لهم: اسألوا عني إن كنت أجرمت؛ ولم يقل لهم وصفا لأعمالهم : "ولا نسأل عما تجرمون" بل قال:(ولا نسأل عما تعملون)؛ فلم يأت بمسألة الإجرام بالنسبة لهم؛ وجاء بها بالنسبة له، لأنه واثق أنهم إن أعادوا دراسة القضية فكريا وعقديا وعاطفيا فسينتهون إلى الإيمان بمنهجه. وهذا منتهى اللطف في الجدل.

"وهذا كلام من نظر لنفسه وغيره، وتبين ما عليه وله، فأثبت ما أثبت في أحسن معرضٍ، ودفع ما دفع بألطف تعريضٍ.".
وانظر كيف أشار القرآن بالمحافظة بين (اللام)، و(في) في آية الصدقة إلى الأهلية، وأولوية الاستحقاق في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:60]
قالوا: فهذه أصناف ثمانية جعل الله الصدقات مصروفة فيهم لكونهم أهلا لها، ومستحقين لصرفها، لكن الله تعالى خص المصارف الأربعة الأولى بـ(اللام) دون (على) ، دلالة على الملك والأهلية للاستحقاق، وعدل عن (اللام) إلى حرف (الوعاء) في الأصناف الأربعة الأخر، وما ذلك إلا للإيذان بأن أقدامهم أرسخ في الاستحقاق للصدقة، وأعظم حاجة في الافتقار من حيث كانت (في) دالة على الوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات، كما يوضع الشيء في الوعاء، وأن يجعلوا مظنة لها، وذلك لما في فك الرقاب. وفي الغرم

من الخلاص من الرق، والدين اللذين يشتملان على النفس، وشغل القلب بالعبودية والغرم، ثم تكرر الحرف في قوله:(وفي سبيل الله) قرينة مرجحة له على الرقاب والغارمين، وكان سياق الكلام يقتضي أن يقال: وفي الرقاب والغارمين، وسبيل الله وابن السبيل، فلما جيء بـ(في) مرة ثانية مع سبيل الله علم أن السبيل آكد في الاستحقاق بالصرف فيه من أجل عمومه، وشموله لجميع القربات".

وهذا ومثله إنما يكشف لنا جوانب من دقة اللغة، واستخدام القرآن الكريم لكلماتها، وحروفها استخداما بلغ الغاية في دقة التعبير، كما أنه كشف عن طاقة عجيبة تكمن في كلمات اللغة وتراكيبها.

وبعد هذه الجولة مع الزمخشري يمكن أن نقول: إنّ "الزّمخشري" من خلال تفسيره قد أعطى للبحث البلاغي دفعا قويا انعطف به منعطفا رجع على الدّرس البلاغي بالجدوى من أكثر من صعيد. وقد خلصنا إلى بعض النقاط الأساسية التي توصّلنا إليها ،نوجز بعضا منها:

للتضمين فقال:"ومن شأنهم أن)الزّمخشري(1: إقراره بالتضمين والدفاع عنه: حيث أشار يضمّنوا الفعل معنى فعل آخر فيجروه مجراه ، ويستعملوه استعماله مع إرادة معنى المتضمن والغرض في التضمين إعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ. واستفاد البلاغيون والنحاة والمفسرون من هذا الطرح فردد الجميع مقولة الزمخشري بحذافيرها في مؤلفاتهم.

2. موقفه من تعاقب معاني حروف الجر

يقتدي (الزمخشري) بالأوائل في القول بنيابة الحروف مع الإكثار من الشواهد في كشافه، ويرى إبدال حرف من حرف من باب التعاقب؛ لأنّ حروف الجر يبدل بعضها من بعض ، ومنه قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ [المطففين:2]

وقال الزمخشري: لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم، أبدل (على) مكان (من) للدلالة على ذلك.

ويستشهد بقول الفراء فقال:" وقال الفراء (من) و(على) يعتقبان في هذا الموضع؛ لأنه حق عليه، فإذا قال: اكتلت عليك، فكأنه قال: أخذت ما عليك، وإذا قال: اكتلت منك، فكقوله: استوفيت منك.

3. تعدية الفعل بحرفين متقاربين

ورد في القرآن الكريم الفعل (وسوس) متعديا بـ (اللام) وأخرى بـ(إلى) فبين الزمخشري الفرق بين التعديتين فقال:" فإن قلت: كيف عدى وسوس تارة بـ(اللام) ...وأخرى بإلى؟ فإذا قلت: وسوس له، فمعناه: لأجله.

ومعنى :(وسوس إليه) أنهى إليه الوسوسة، كقولك. حدّث إليه. وأسرّ إليه.

وتعديته بـ(اللام) في الأعراف باعتبار أن الوسوسة كانت لأجلهما.

وإذا عدي بـ:(إلى) ضمن معنى: الإنهاء، وإذا جيء بـ:(اللام) بعده نحو وسوس له فهي للبيان.

واقتفى صاحب التحرير والتنوير بقول (الزمخشري) فقال:"وتعدية فعل (وسوس) هنا

بحرف (إلى) وبـ(اللام) في سورة الأعراف (فوسوس لهما الشيطان) باعتبار كيفية تعليق المجرور بذلك الفعل في قصد المتكلم، فإنه فعل قاصر لا غنى له عن التعدية بالحرف ، فتعديته بحرف (إلى) هنا باعتبار انتهاء الوسوسة إلى آدم وبلوغها إياه، وتعديته باللام في الأعراف باعتبار أن الوسوسة كانت لأجلهما.

4. التعدية بين حرفين متقاربين للجمع بين اللغتين

يرى (الزمخشري) في تعدية الحرف أحيانا بحرفين متقاربين هو من باب الجمع بين اللغتين فقال:"يقال: هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين؛ومنه:دعاه إلى كذا ودعاه له، كما تقول: هداه إلى الطريق وهداه له.

5. المغايرة بين حرفين

يرى أن المغايرة بين حرفين لا تكون إلاّ لدلالة بلاغية، ومنه قوله تعالى:﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:24] فقال:فإن قلت:

كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال؟

قلت: لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدرى أين يتوجه.ويتبنى هذه الفكرة مجموعة من البلاغيين والمفسرين وغيرهم ونقتصر على صاحب كتاب "المثل السائر" ابن الأثير رحمه الله الذي ردد هذه العبارة وأضاف: وهذا معنى دقيق ، قلما يراعى مثله في الكلام.وكثيرا ما سمعت إذا كان الرجل يلوم أخاه، أو يعاتب صديقه على كل أمر من الأمور، فيقول له: أنت على ضلالك القديم كما أعهدك، فيأتي بـ(على) في موضع (في)، وإن كان هذا جائزا إلا أن استعمال (في) ههنا أولى...

وهذه لطائف ودقائق لا توجد إلا في هذا الكلام الشريف، فاعرفها، وقس عليها.

6. رفضه لتعاقب الحرفين أحيانا

يرفض (الزمخشري) في بعض الأحيان فكرة تعاقب الحرفين، حيث بيّن موقفه قائلا:

فإن قلت: يجرى لأجل مسمى، ويجرى إلى أجل مسمى: أهو من تعاقب الحرفين؟

قلت: كلا، ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن*ولكن المعنيين،أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض ؛لأن قولك يجري إلى أجل مسمى: معناه يبلغه وينتهي إليه

وقولك: يجرى لأجل مسمى: تريد يجري لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى.

وعليه فحرف (إلى): للانتهاء، وليست (إلى): بمعنى (اللام) بل (اللام) للاختصاص.

7. العدول من حرف لآخر

يرى الزمخشري أنّ العدول من حرف لآخر هو للرسوخ والاستحقاق ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوب:60]

و(اللام) في للفقراء للاختصاص.فقال:"إنما الصدقات للفقراء قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها، لا يتجاوزها إلى غيرها، كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم. ونحوه قولك. إنما الخلافة لقريش. تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم....

فإن قلت: لم عدل عن (اللام) إلى (في) في الأربعة الأخيرة ؟

قلت: للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره؛ لأن (في) للوعاء،

فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا، وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر، وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ ، ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة، وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال.

وتكرير (في) في قوله:(وفي سبيل الله وابن السبيل) فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين.

ويقتدي ابن الأثير بقول الزمخشري ،ويضيف قائلا:" وتكرير (في) في قوله:(وفي سبيل الله) دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين، وسياق الكلام أن يقال: وفي الرقاب والغارمين، وسبيل الله وابن السبيل، فلما جيء بـ:(في) ثانية، وفصل بها بين الغارمين وبين سبيل الله علم أن سبيل الله أوكد في استحقاق النفقة فيه...وهذه لطائف ودقائق لا توجد إلا في هذا الكلام الشريف، فاعرفها، وقس عليها.

لكن ابن المنير رحمه الله له يكشف عن السر في كل من الحرفين(اللام،وفي) فقال: " وثم سر آخر هو أظهر وأقرب وذلك أن الأصناف الأربعة الأوائل ملاك لما عساه يدفع إليهم، وإنما يأخذونه ملكا، فكان دخول (اللام) لائقا بهم. وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم، بل ولا يصرف إليهم. ولكن في مصالح تتعلق بهم، فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون ، فليس نصيبهم مصروفا إلى أيديهم حتى يعبر عن ذلك بـ(اللام) المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم، وإنما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به، وكذلك العاملون إنما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصا لذممهم لا لهم. وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك. وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجا في سبيل الله، وإنما أفرد بالذكر تنبيها على خصوصيته ، مع أنه مجرد من الحرفين جميعا، وعطفه على المجرور بـ(اللام) ممكن، ولكنه على القريب منه أقرب والله أعلم."

ومن خلال هذا الطرح القيم الذي تبنّاه الزّمخشري في تنوع بعض معاني دلالات الحروف التي تنبئ على فهمه العميق حيث بيّن معاني الحروف بين كلّ حرف وآخر. وهذا الطرح العجيب يكشف من ورائه على غزارة علمه ، ومتانة رأيه في التنويه بهذه اللغة.

8.حذف الحرف لدلالة بلاغية

الأصل أن تثبت حروف الجر ؛ لأنّها حروف معان لا يستقيم المعنى إلاّ بها ، ولا يفهم مدلول الجملة إلاّ بها، وقد يحذف الحرف وعدوا حذفه من الشواذ المسموعة ولا يجوز القياس عليه، واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر: كما عسل الثعلب ...

على أنّ القرآن يؤسس لقاعدة أوسع ،وأشمل تفضي إلى أساليب في التعبير رحيبة، دقيقة المعنى فمن ذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:16]

وعليه: فكلمة (صراط) في الآية منصوبة، والفعل الذي يطلبها هو(قعد) ، وهو لازم، وللنحاة في توجيه نصبها ثلاثة أقوال:

1. أنه منصوب على إسقاط الخافض وهو رأي الأخفش قال: (أي على صراطك، كما تقول توجه مكة أي: إلى مكة وقال الشاعر:

كأني إذ أسعى لأظفر طائرا مع النجم في جو السماء يصوب

يريد: لأظفر بطائر، فألقى الباء.

ووافقه الزجاج، وحكى الإجماع على ذلك قال: "لا اختلاف بين النحويين في أن (على) محذوفة، ومن ذلك قولك ضرب زيد الظهر والبطن".
2. أنه منصوب على الظرفية المكانية: وإليه مال الفراء قال:"المعنى - والله أعلم- لأقعدن لهم على طريقهم، أوفي طريقهم، وإلقاء الصفة من هذا جائز، كما قال قعدت لك وجه الأرض، وعلى وجه الأرض؛ لأن الطريق صفة في المعنى فاحتمل ما يحتمله اليوم والليلة والعام إذا قيل آتيك غدا أو في غد".
3. هو مفعول به للفعل: (لأقعدن) لأنه قد ضمن معنى (لألزمن) ذكره أبوحيان، والسمين وغيرهم.
بينما يرى صاحب التنوير أنّ نصب لفظ (صراطك) هو من باب التضمين فقال:"
ولما ضمن فعل: لأقعدن معنى الملازمة، انتصب صراطك على المفعولية.
أو على تقدير فعل تضمنه معنى لأقعدن.
تقديره: فأمنعن صراطك ؛ أو فأقطعن عنهم صراطك.
ويرى سيبويه - رحمه الله - أنّ هناك حرفا محذوفا وهذا واضح من مثاله حيث قال:"ومطرنا السهل والجبل، وقلب زيد ظهره وبطنه.
فالمعنى أنهم مطروا في السهل والجبل، وقلب على الظهر والبطن. ولكنهم أجازوا هذا، كما أجازوا " قولهم ": دخلت البيت، وإنما معناه دخلت في البيت.
والعامل فيه الفعل.
9.تعدية الفعل بحرف مضاد.
تعرض (الزمخشري) للفعل رغب حيث يرى أنّ هناك أفعالا عند تعديتها بالحرف تعطي معنى مضادا ومنه الفعل رغب وزهد
رغب فيه: أراده.ورغب عنه: لم يرده. فرغب عنه، أي: رفع الرغبة عنه، وهو بخلاف رغب فيه، ففي أحد الأمرين وضع، وفي الآخر رفع. تفسير ابن فورك
والزّمخشري كان أكثر المفسرين استلهاما لمعاني الحروف، وكان أكثرهم كشفا عن أسرارها، والغوص في أعماقها وهو القائل: وللَّه درّ أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها،لا تكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسدّ مدارجه.
وعليه:
فمعاني الحروف هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر،كثير الفوائد، جم المحاسن، جمع الزمخشري فيه بين لطائف النحو، ودقائق فقه البلاغة، واستودع فيه غرائب المعاني، وبدائع المباني، فاصغ لما يتلى عليك من بيان لطائف حقائقه، واستمع لما يلقى إليك من كشف غوامض دقائقه.

مقدمة بالانجليزية

INTRODUCTION

Praise to belong to Allah who revealed thebook of a fluid Arab language whic h indeedimpressed the Arabs while they were themasters of this art in This epo ch.
Theystayed mouth gapes in front of itsinimitabilité and its eloquence and whichdazzles the men and the demons until theday of The last judgement.

That requests and greetings are on his lastprophet, to his companions and to hi s family.
Unquestionably, our scholars appreciated alot Ezzamakhchari in spite of their criticsfor its doctrine to transfor mOtazila.
Citantfor example IbnKholdoune whoencouraged a lot in the reading of El Ka chafto be able to extract signification andambiguités where only the specialists inlanguage can discover them .

So, Abouhayane El Andaloussi gave hisopinion on the introduction of the boo k ElKachaf while comparing it this last to thatdIbn Attia and he found that Ezzamakhchari is deeper in these opinions and
that the ideas are more clear and lightened
Indeed, Ezzamakhchari understood wellthe letters of the Koran and he deepen ed in the semantic
researcht is necessary to note that theinimitabilité of the Koran must
be seen .
from the first circle, the one whoreceived him to know the messenger deGod - that salutations and the blessingsof Allâh are on him. Indeed, it seemslogical a nd natural that the Koran asword of God Very High or the mosteloquent word which is and that it isinimitable. And yet the eloquence of theKoran is a produ ct of elements whichnecessarily have to be in him.
Eloquence al-
hah) is the concordence ofword with situation and especially stateof the addressee.
When they speak about the inimitabilité ofthe Koran and of its eloquence, forc e
is totreat the precision of words or theprecision of Koranic expressions. The w ord
of God - Elated .

He is necessarynecessarily be extremely definite so thatshe transports her message
entirelywithout there being neither a senseless letter nor a verbose word.

Truly, the inimitabilité of the Koransometimes holds in the single letter(Arabic : harf). Allâh - Glorified he is -says: "Say, walk in the earth"
in Arabic: qul sîrû thread-
ard). There, you stopin front of this verse and you ask:
"WhyGod did not say: 'Say walk on the earth'. Do I walk in the earth or on ea rth"Inaccordance with common sense, theywalk on earth but they note that Go dused the preposition "in " (in Arabic: fî) and not "on " (in Arabic: `alâ):
"Say, walkin the earth".
"implicates an incidental relation. Senseis larger because the earth becomes th e
circumstance of action to walk. So, formulation is acceptable. But, in Koran, t here is not place as for acceptable. Formulation translates preciselyrequired se nse
and choice of apreposition, rather than other one, changes sense and is intentio nallymade. What is therefore the wisdomwhich domiciles in the usage of thepr eposition "in " instead of "on "?.
I dedicate the first chapter to raise theevolution of prepositions in the linguistic context of Arab sentence.

The second chapter treats the process ofgrammaticalization and of study indep th these linguistic changes, then thecategory-
specific tripartition made bythe Arab grammarians (verb, name, preposition), because this one has theeffect the production of a grammaticalcategory with a n
impact on senseaccording to Ezzamakhchari .

Chapters 3 4 are studies concerning thecomplex prepositions I treat successive ly ofcomplex prepositions (preposition / ilâ, ʿalâ; prepositions li-and bi-
which introducea strong degree of grammaticalization andpolysemy and
multifunctionality of whichthe author reconstructs.
theis ends in a summary of thegroup followed by a conclusion.
Work, officially strict, also containscontents appear in annex in form ofpicture s. Besides, the reader can refer toan important bibliography and to twovery mu ch useful index (an index of theauthors and a thematic index).

الخاتمة بالانجليزية

CONCLUSION

The end and foray some essential points freedto which reached to her through our study for thescout summarize from her:
1: Hisstatement in the inclusion and the defensehim where benefit indicated to rhetorical an d thegrammarian from this subtraction so repeated herall in articles them.
2.mwqfh from succession helped letters of thepulling
Imitates aalzmxshry in first in the statement in representation of
the letters with the increasingthe witnesses in his
book, and exchange of letterfrom letter from door sees aalte'lqb, becauseprepositions chang es some her from some withbeating of the examples.
3.te'dyt the verb in two close letters
waaqtfY friend of the liberation and theenlightenment is vegetables aalzmxshry.
4.aalte'dyt between two close letters for thegathering between the two languages
Sees aalzmxshry in te'dyt the letter sometimes intwo close letters of he from door of the gatheringbetween the two languages.
5.aalmGaayrt between two letters
Sees that the variation between two lettersformation except for rhetorical evidence .whdhha alTaay'f and minutes does not create except inthis talk honorable.
6.rfDh to the two letters follow sometimes.
Refuses aalzmxshry sometimes idea successionof the two letters with beating of
the examples.
7.aale'dwl from letter for other
Sees aalzmxshry that the deviating from letter for other he for the stability and the merit.
8.Hdhf letter for rhetorical evidence
The origin that prepositions make sure of,because she is letters of helped the meaningdoes not straighten up except in her, wlaayfhmher significance, and
may the letter from theaudible deviators deletes nor the measuring be possible on him.
9.te'dyt the verb in counter letter
Suffered aalzmxshry for the verb desired wheresees that there is acts at exceeded
her in theletter meaning gives mDaaD.
Desired in him: Wanted him and desired him:Does not return
him .frGb him any: The desirepromoted him, and he unlike desired in him, so inone of the two matters status, the faithful otherraising.
the letters he is door the accuratepath, the kind approach, the strange matter, themany uses, gathering in him aalzmxshry betweenaalTaay'f the manner and minutes doctrine of theeloquence waastwde' in him Graay'b themeanings wbdaay'e' the buildings.
Other called us that praise be to God god of the two worlds.